رحلة ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي
المتوفى ٨٠٨ هـ

مكتبة علي بن صالح الرقمية

عبد الرحمن ابن خلدون

رحلة ابن خلدون

تحقيق: محمّد بن تاويت الطنجي

القرن الرابع عشر ميلادي

KOTOBONLINE
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

[مقدمات التحقيق]

رحلة ابن خلدون 1352- 1401 عارضها بأصولها و علق حواشيها محمّد بن تاويت الطنجي حرّرها و قدّم لها: نوري الجرّاح.

[مقدمة السويدي]

«... و أخبرني القاضي برهان الدين أن تيمور لنك سأله عنّي، و هل سافرت مع عساكر مصر أو أقمت بالمدينة، فأخبره بمقامي بالمدرسة حيث كنت، و بتنا تلك الليلة على أهبة الخروج إليه، فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع، و أذكر البعض ما وقع من الاستنامة إلى القول، و بلغني الخبر من جوف الليل، فخشيت البادرة على نفسي، و بكرت سحرا إلى جماعة القضاة عند الباب، و طلبت الخروج أو التدلي من السوّر، لما حدث عندي من توهمات ذلك الخبر، فأبوا عليّ أولا، ثم أصخوا لي، و دلّوني من السور، فوجدت بطانته عند الباب، و نائبه الذي عيّنه للولاية على دمشق، و اسمه شاه ملك، من بني جفطاي أهل عصابته، فحيّيتهم و حيّوني، و فديت و فدّوني، و قدّم لي شاه ملك، مركوبا، و بعث معي من بطانة السلّطان من أوصلني إليه.»

نص الرحلة ص

«و لما قرب سفر تيمور لنك و اعتزم علم الرحيل عن الشام، دخلت عليه ذات يوم، فلما قضينا المعتاد، التفت إليّ و قال: عندك بغلة هنا؟ قلت نعم، قال حسنة؟ قلت نعم، قال و تبيعها؟ فأنا أشتريها منك، فقلت: أيدك الله! مثلي لا يبيع من مثلك، أنّما أنا ءخدمك بها، و بأمثالها لو كانت لي، فقال: أنا أردت أن أكافئك عنها بالإحسان، فقلت: و هل بقي إحسان وراء ما أحسنت به، اصطنعتني، و أحللتني من مجلسك محلّ خواصتك، و قابلتني من الكرامة و الخير بما أرجو الله أن يقابلك بمثله، و سكت و سكت و حملت البغلة- و أنا معه في المجلس- إليه، و لم أرها بعد.».

استهلال

تهدف هذه السّلسلة بعث واحد من أعرق ألوان الكتابة في ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيّات أدب الرّحلة، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب و رحّالة عرب و مسلمين جابوا العالم و دوّنوا يوميّاتهم و انطباعاتهم، و نقلوا صورا لما شاهدوه و خبروه في أقاليمه، قريبة و بعيدة، لاسيما في القرنين الماضيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النّخب العربية المثقفة، و محاولة التعرّف على المجتمعات و النّاس في الغرب، و الواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرة الاستشراق و المستشرقين الذين ملؤوا دروب الشّرق، و رسموا له صورا ستملأ مجلدات لا تحصى عددا، خصوصا في اللغات الإنكليزية و الفرنسية و الألمانية و الإيطالية، و ذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم و العلم، و من منطلق المستأثر بالأشياء، و المتهيّئ لترويج صور عن «شرق ألف ليلة و ليلة» تغذّي أذهان الغربيين و مخيّلاتهم، و تمهّد الرأي العام، تاليا، للغزو الفكري و العسكري لهذا الشرق. و لعل حملة نابليون على مصر، بكل تداعياتها العسكرية و الفكرية في ثقافتنا العربية، هي النموذج الأتمّ لذلك.

فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري و الفكري.

على أن الظّاهرة الغربية في قراءة الآخر و تأويله، كانت دافعا و محرضا بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور غربيّة لمجتمعاتها جديدة عليها، و هو ما استفز فيها العصب الحضاري، لتجد نفسها تملك، بدورها، الدوافع و الأسباب لتشدّ الرحال نحو الآخر، بحثا و استكشافا، و تعود و معها ما تنقله و تعرضه و تقوله في حضارته و نمط عيشه و أوضاعه، ضاربة بذلك الأمثال للناس، و لينبعث في المجتمعات العربية، و للمرة الأولى، صراع فكري حاد تستقطب إليه القوى الحيّة في المجتمع بين مؤيد للغرب موال له و متحمّس لأفكاره و صياغاته، و بين معاد للغرب، رافض له، و مستعدّ لمقاتلته.

و إذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق و الشرقيين، عبر رسم صور دنيا لهم، بواسطة مخيّلة جائعة إلى السّحري و الأيروسيّ و العجائبيّ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب و العالم، كما سيتّضح من خلال نصوص هذه السلسلة، ركّز، أساسا، على تتبع ملامح النهضة العلميّة و الصناعيّة، و تطوّر العمران، و مظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش و البناء و الاجتماع و الحقوق. لقد انصرف الرّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات، مدفوعين، غالبا، بشغف البحث عن الجديد، و بالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفي، و إنما، أساسا، من باب طلب العلم، و استلهام التجارب، و محاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، و اقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشّلل الحضاريّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها.

هنا، على هذا المنقلب، نجد أحد المصادر الأساسية المؤسّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب و حضارته، و هي نظرة المتطلّع إلى المدنيّة و حداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، المتحسّر على ماضيه التليد، و التّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية.

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة، و الأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرّحالة، و الانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول و الناس و الأفكار. فأدب الرحلة، على هذا الصعيد، يشكّل ثروة معرفيّة كبيرة، و مخزنا للقصص و الظواهر و الأفكار، فضلا عن كونه مادة سرديّة مشوّقة تحتوي على الطريف و الغريب و المدهش مما

التقطته عيون تتجوّل و أنفس تنفعل بما ترى، و وعي يلمّ بالأشياء و يحلّلها و يراقب الظواهر و يتفكّر بها.

أخيرا، لابد من الإشارة إلى أن هذه السّلسلة التي قد تبلغ المائة كتاب من شأنها أن تؤسس، و للمرة الأولى، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريّة تكشف عن همّة العربيّ في ارتياد الآفاق، و استعداده للمغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة، و هي إلى هذا و ذاك تغطي المعمور في أربع جهات الأرض و في قارّاته الخمس، و تجمع إلى نشدان معرفة الآخر و عالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب و المسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء و المفكرون و المتصوفة و الحجاج و العلماء، و غيرهم من الرّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية و الإسلامية.

محمد أحمد خليفة السويدي

المقدّمة

لم ينل كاتب في العربيّة ما ناله ابن خلدون من مكانة و شهرة، و لم يحظ عالم في التاريخ و الاجتماع بما حظي به هذا العلامة من قراءة و بحث و جدال حول أعماله، لا سيّما مقدمته التي تجمع حركة الفكر العربيّ على اعتبارها فتحا فكريا و أساسا متقدما لعلم الاجتماع.

لكن هذا الكتاب لابن خلدون، و هو عمل قائم في ذاته، بالشكل الذي أراده له واضعه، ظلّ طوال الوقت ملحقا بكتاب «العبر»، و متواريا في ظلّه المديد، و لم تتبلور صورته كتابا مستقلا إلا بجهود العالم المغربي محمد ابن تاويت الطنجي المتوفى سنة 1963، و الذي صرف نحوا من عشر سنوات في تحقيقه و مقابلة مخطوطاته العديدة مع المصادر و المظانّ المعاصرة له و السابقة عليه، بما في ذلك تعليق هوامشه التي يمكن أن نعدّها، من دون مبالغة، السّراج الذي أنار جوانب العمل، و كشف غوامضه، و ربطه بالمحيط الثقافيّ لعصره و بالأصول المعرفية التي خرج منها ابن خلدون بفكره البصير.

ذكره المستشرق كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» بصفته ترجمة ذاتية» Autobiographie «و جزءا من كتاب «العبر». و اختلط عليه الأمر، عندما ذكر الكتاب في مكان آخر معتبرا أنه لمؤلّف مجهول.

و لئن كان جزء من الكتاب بمثابة ترجمة شخصيّة، فإن الجزء عبارة عن رسائل، و يوميات صاحب «المقدمة» خلال أسفاره و رحلاته المتكررة ما بين المغرب و الأندلس، و رحلته إلى المشرق العربي، نحو مصر أولا، فالجزيرة العربية لقضاء فريضة الحج، ثم الحج إلى بيت المقدس، و أخيرا رحلته المثيرة إلى دمشق أثناء غزو التتار للمدينة سنة 803 ه 1400. و بالتالي فهو «تعريف»- سيرة ذاتية، و كتاب «رحلة» معا. ظل صاحبه يضيف إليه و يبدّل في نسخه حتى أواخر أيام حياته. و من هنا، من كثرة الإضافة إلى النّسخ، فضلا عن ارتباط الكتاب بكتاب آخر، تسبب ابن خلدون لقرائه بتلك الحيرة من أمر الكتاب و هويّته المستقلّة.

و يتضمّن الكتاب أيضا، أخبار تولّيه المناصب و عزله عنها في المشرق العربي، و ما لعبه من أدوار في السياسة و القضاء، و ما تضلّع به من أدوار في الوساطة بين سلاطين المشرق و سلاطين المغرب، و بين أهل دمشق و تيمورلنك لأيام قبل وقوعها في قبضة التتار.

هناك من يصنف هذه الرحلة في عداد الرحلات الفهرسية التي يتوخى أصحابها من الترحال التعريف بالأعلام من علماء و شيوخ و سلاطين و رجالات دولة، و من بين هؤلاء الحسن الشاهدي في كتابه «ادب الرحلة بالمغرب في العصر المريني» المطبوع في الرباط سنة 1990. و لا نتفق مع هذا الرأي، فالرحلة تشمل ما هو أبعد من ذلك، و يجوز أن ينطبق هذا التوصيف على مستوى منها، خصوصا في القسم الأول الذي ضم مادونه ابن خلدون عن جولاته و أسفاره في المغرب، و بين المغرب و الأندلس.

II

فرغ ابن تاويت الطنجي من كتابة مقدّمة هذا الكتاب في 6 رجب سنة 1370 ه- 12 أبريل سنة 1951 م في القاهرة، و هي سنة طبع الكتاب، ليقدّم للقارىء العربي المفتاح الأول لمعرفة شخصية ابن خلدون. و ها هو يخرج الكتاب، و للمرة الأولى، كما أراده مؤلّفه أن يكون: كتابا مستقلا. و رغم أن أجزاء أساسية من هذا الأثر نشرت في القاهرة مرتين، سنة 1864، و سنة 1906، إلا أن عمل ابن تاويت كان من الدقّة العلميّة و الإشراق الفكري، بحيث أعاد بناء الكتاب بناء جديدا، استدرك معه كلّ التغييرات و الإضافات و الشّروح و الملاحظات التي دوّنها ابن خلدون، على مدار سنوات، و وزّعها على النّسخ المختلفة للكتاب، و هي كثيرة، فاختلفت باختلافها، و تعدّدت بتعدّدها، و كلّها تقع في باب استدراك العالم القلق فكره، و المفكّر النّاقد، الذي لا يستثني من ممارسته النقدية، مراجعة نظرته الخاصّة و أحكامه و آراءه. ليأتي ابن تاويت فيمرّ عليها كلّها (النسخ و اختلافاتها) مرور عالم متأنّ، و باحث يتطلع إلى الأكمل، فلا يرضى، بدوره، عن عمله حتى يراه أقرب في صياغته الأخيرة، من الصورة التي ربّما طمح إليها ابن خلدون. لقد فحص ابن تاويت الاختلافات في النّسخ المختلفة من مخطوطات الكتاب فحصا دقيقا، فثبّتها في مواضعها من نسخة أخيرة أراد لها أن تكون المرجع الجامع الذي لا جدال في اشتماله على كلّ ما نثره ابن خلدون هنا و هناك من جديد و مختلف في النّسخ التي نسخها بنفسه أو تلك التي أشرف على نسخها لتكون لهذا السلطان، أو ذاك الأمير، أو هذا العالم، ليخلص، من ثمّ المحقّق الفذّ إلى النسخة التي بين أيدينا من الكتاب.

و يهمنا أن نشير، هنا، إلى أن ما وقف عليه ابن تاويت من اختلاف في النّسخ المتعدّدة للعمل ليس مصدره اختلاف الأشخاص المرسلة إليهم النّسخ و حسب، و إنما أيضا، التطوّر الذي طرأ على فكر ابن خلدون و اتّساع آفاق ثقافته و نضج تأملاته مع تقدّم الزّمن، فكانت (الإضافات- الاستدراكات) مع كلّ نسخة جديدة تحمل رؤى و أفكارا جديدة، و إعادة نظر في المسائل تكشف عن وعي متجدّد و فكر خلّاق.

III

من المؤسف أنّنا لا نملك ترجمة وافية لمحقّق هذا الكتاب، و حسب عبد الله الجراري في كتابه «التأليف و نهضته بالمغرب في القرن العشرين، من 1900 إلى 19»، كانت نشأة محمد بن تاويت الطنجي في بلده طنجة نشأة علمية. و في الأربعينات شدّ رحاله نحو الشرق، فوصل إلى القاهرة على سبيل تحقيق بعض الكتب. و هناك عقد صلات وثيقة مع طه حسين و أحمد أمين و أمين الخولي و غيرهم من كبار المفكّرين و الكتاب المصريين. و تمكّن من إقامة صلات مهمّة بالأوساط العلميّة، و لقي اعترافا بعلمه وسعة ثقافته، و لم يلبث أن حاز تقدير الحياة الثقافيّة العربيّة في مصر لما قام به من جهود في تحقيق بعض المخطوطات العربيّة القديمة،

و بينها هذا الكتاب، و لما تمّ نشره من كتب تحت إشرافه.

و قد شارك ابن تاويت في نشاط معهد المخطوطات العربيّة التابع لجامعة الدول العربية و كان أول من فهرس محتويات المعهد من المخطوطات.

في أواسط الخمسينات اختارته جامعة أنقرة أستاذا بها لخبرته النادرة بالتّراث العربي المخطوط، فانتقل الطنجي إلى تركيا، حيث عمل أستاذا في المعهد الإسلامي في استانبول. و هناك قام بتحقيق «جذوة المقتبس» لأبي عبد الله الحميدي (ت. 884 ه. 1095 م) و الجذوة، كما ينبّه الجراري، عبارة عن تراث أندلسي احتوى مجموعة مهملة من تراجم رجالات الفردوس تقع في عشرة أجزاء حديثة. و يرجّح المصدر نفسه أن يكون من أكبر الحوافز على البحوث القيّمة التي قدّمها الطنجي وجوده بين مجلّدات مكتبات استانبول يجول بين الدفاتر و الأوراق و الخروم كمنقّب يغوص في مختلف الأبحاث، و هو ما زاد في علمه و تطلّعه للبحث أكثر فأكثر في كنوز التراث.

من آثاره العلميّة أيضا إلى جانب تحقيق «رحلة ابن خلدون» الذي نظنّ أن عمله عليه بدأ في طنجة، ثم انتقل معه إلى مصر، و تركيا، و أتمّه في القاهرة، حيث كتب له المقدّمة، تحقيق «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان التوحيدي (ت حوالي 311 ه 926 م)، و قد قام بالاشتراك مع العلامة علال الفاسي بتحرير و تقويم نصّ «مختصر العين» لأبي بكر بن الحسن الزبيدي (ت 379 ه 998)، و التعليق على حواشيه و التقديم له. و تحقيق و تقديم كتاب «الإعلام بحدود قواعد الإسلام» لأبي الفضل عياض اليحصبي السبتي (ت. 544 ه 1149 م). و يحسب له، في إطار نشاطه العلمي، عنايته بالجزء الأول من كتاب القاضي عياض «ترتيب المدارك، و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» و قد عارضه بأصوله و علّق حواشيه و قدّم له، و لم يظهر هذا العمل إلى النور إلا بعد وفاته.

و لعلّ من بين أسباب سفر ابن تاويت إلى المشرق، في ما يشبه الانخلاع من المغرب، و إقامته في مصر و تركيا، شعورا بالإحباط لا نعرف مصدره، لكنّ إشارة وردت في ترجمة الجراري له تجعلنا نستنتج ذلك: «... و قد يكون هذا (أي سفره) لأنه لم يجد بغيته الثقافيّة تتحقّق ببلده المغرب. و للبحر متسع من الأرض».

و لا يختلف ابن تاويت في إيثاره الهجرة إلى المشرق على البقاء في المغرب عن ابن خلدون نفسه الذي اكتشف أن الإقامة بالمغرب باتت مستحيلة بسبب القلاقل السياسية، و في عام 784 ه 1382 تعلل بالحج و غادر المغرب إلى غير رجعه.

و إن كان ابن خلدون قد صرف السنوات الأخيرة من عمره في القاهرة متقلبا في المناصب الفقهية و السياسية، قبل أن ينقطع نهائيا إلى الفيوم و يتوفى هناك سنة 808 ه 1405، فإن ابن تاويت أمضى سنواته الأخيرة عالما منقطعا إلى العلم في استانبول حيث توفي و دفن هناك.

IV

ينبّهنا ابن تاويت إلى مسألة بالغة الأهمية، و لعلّها أن تكون من بين دوافع صاحب «المقدمة» لكتابة التعريف بنفسه، مفادها أن «رأي ابن خلدون في نفسه، و رأي معاصريه فيه، بمصر بوجه خاص، لا يكادان يلتقيان». و لا يتوقف ابن تاويت عند هذه المسألة فيتوسّع فيها، لكنّه يكتفي بالإشارة. إنما يمكن للقارىء أن يفيد من ملاحظات المحقّق في هوامش الكتاب بصدد بعض الحوادث و المواقف التي عرضت لابن خلدون، فذكرها على نحو، و أوردها غيره من المؤرخين المعاصرين له على نحو مختلف.

V

المتتبّع لمسار رحلة ابن خلدون يكتشف أنها تنقسم، بالضرورة إلى قسمين كبيرين، الأول: رحلاته في بلاد المغرب (تونس، الجزائر، الأندلس، المغرب الأقصى)، و الثاني: رحلته المشرقية. ففي أول سنة 753 ه كان انطلاقه من تونس وصولا إلى مدن و أماكن شتى في الجزائر، فزار بلاد هوارة، أوبّة، تبسّة، قفصة، بسكرة، البطحاء، بجاية. ثم نحو الأندلس عبر سبتة، فرضة المجاز، جبل الفتح، فغرناطة، و إشبيلية، و إلبيرة، ساحل المرية، حيث كان هناك في منتصف سنة 766.

ثم العودة عبر الطريق نفسها، مرورا ببجاية، أحياء يعقوب بن علي. ليرتحل إلى بسكرة ثانية، ثم نراه يتجول بين القطفا، المسيلة، الزّاب، البطحاء، هنين، وصولا إلى تلمسان التي كانت حاضرة علمية بارزة. و سوف يتكرّر مرات عديدة ظهور ابن خلدون في المدن و الأماكن المذكورة آنفا، لا سيّما بسكرة (على تخوم الصحراء الجزائرية)، و كذلك تلمسان، إلى أن يعود إلى المغرب الأقصى سنة 774 صارفا نحو سبع سنوات

في ذلك الشطر من بلاد المغرب في حركة نشطة، تارة لنيل العلم على أيدي كبار علماء عصره، و الخطابة و التدريس، و أخرى في مناصب علميّة و وساطات شبه رسميّة، في فترات من حكم المرينيين شهدت دسائس و صراعات لم يكن ابن خلدون بعيدا عنها، و كاد أحيانا أن يكون ضحيّة لها، لا سيّما في عهد أبي عنان في فاس الذي ناداه ليلتحق بمجلسه العلمي بعدما ذاع صيته في تونس خلال فترة انضمامه إلى حضرة أبي الحسن المريني الذي جمع العلماء من حوله في مجلس معتبر. و معروف أنّ نهاية فترة أبي عنان، و هو السلطان نفسه الذي رعى ابن بطوطة، شهدت ظهور عدد من المتنازعين على السلطة، و هي فترة قضاها ابن خلدون معتقلا في السجن بسبب انخراطه في اللّعبة السياسيّة، بكل ما كان يميّزها من مكائد و دسائس و مؤامرات شارك المؤرّخ في بعضها لصالح أبي سالم المريني صاحب بجاية الذي ثار على السلطان أبي عنان يحاول الاستقلال ببلده، لكنّه لم يستقلّ بها إلا بعد وفاة أبي عنان، فدخلها و في ركابه ابن خلدون الذي أفرج عنه سنة 760 ه.

VI

و بالعودة إلى الشطر المغربي من رحلة ابن خلدون نراه يغادر بسكرة يوم المولد النبوي، سنة 774 متجها نحو مليانة، و من هناك يقصد فاس، و يتنقّل بينها و بين آسفي على البحر الأطلسي، قبل أن يقوم برحلة أخرى إلى الأندلس، يعود بعدها إلى تلمسان، فالبطحاء، فمنداس، فقسنطينة (في الجزائر). و عند هذا الحدّ من جولاته المغربية، نجده يصل تونس، ثم يعبر إلى تبسّة الجزائرية، و تكون تونس مرة أخرى آخر محطة له قبل شروعه في رحلته نحو المشرق.

VII

وصل ابن خلدون إلى مرسى الإسكندرية يوم عيد الفطر من سنة 784، و حلّ في القاهرة في أول ذي القعدة من السّنة نفسها. و في منتصف رمضان سنة 789 غادر مرسى الطور، على الجانب الشرقي من بحر السويس متّجها إلى الديار المقدّسة لقضاء فريضة الحجّ، عبر ميناء ينبع، و في ثاني ذي الحجة وصل إلى مكّة، فقضى فريضة الحج، و عاد إلى مصر عبر ينبع الميناء، و مرّ بساحل القصير، و مدينة قوص (قاعدة الصّعيد). و وصل إلى القاهرة في شهر جمادى الأولى من سنة 790 ه. و في سنة 802 سافر إلى بلاد الشام حاجا إلى بيت المقدس. و لعلّه لم يكن ليخطر في باله أن يعود مرّة أخرى إلى هذه البلاد بالطّريقة التي تمّت بها. ففي سنة 803 شدّ الرّحال إلى الشام في ركاب الجيش المتهيّئ للمدافعة عنها في وجه تيمور لنك و جيشه.

فوصل إلى غزّة و منها إلى دمشق.

و بعد فترة عصيبة قضاها في دمشق، عاد إلى مصر عبر غزّة فوصلها في شعبان من سنة 803 ه، بعد أن شهد حادثا تاريخيا دراماتيكيا سيكون له أبلغ الأثر على المشرق العربي برمّته، ألا و هو سقوط دمشق في يد التّتار و احتلالها و التنكيل بأهلها كما سنعرض لاحقا.

و الواقع أن سيرة ابن خلدون في المشرق العربي، كما يتّضح في هذا الكتاب، تنطوي على شيء غير قليل من الالتباس في بعض جوانبها، و لا يطمح تحقيق ابن تاويت لهذا الكتاب إلى رفع الالتباس عن هذه السّيرة، بمقدار ما يحاول أن يكون أمينا لرواية ابن خلدون لسيرته الذاتية، و دقيقا ما استطاع في تخريج يوميّات رحلته بين مغرب العالم الإسلامي و مشرقه.

على أن الفرق و الاختلاف بين رواية ابن خلدون و روايات آخرين للوقائع نفسها، إنما نجد نموذجا له في واقعة لقاء ابن خلدون بتيمور لنك. فالمؤرّخ الذي وصل إلى دمشق الشام سنة 803 قادما من مصر في صحبة السلطان الملك الناصر فرج في عهد الخليفة العباسي المتوكّل على الله، كان و سلطانه يسابقان التّتار إليها، و حين دخلها السلطان ضرب خيامه و أبنيته بساحة قبّة يلبغا. و حسب رواية ابن خلدون فقد يئس تيمور لنك من اقتحام المدينة، و ظلّ الطّرفان في حالة استعداد و ترقّب و رصد أكثر من شهر. تجاول العسكران خلالها ثلاث مرات أو أربع، من دون أن تكون الغلبة لطرف، لكنّ خبرا جاء من مصر عن وقوع فتنة هناك جعل الملك النّاصر ينسحب من المدينة بعسكره، و يسارع إلى مصر للحفاظ على ملكه، تاركا دمشق تحت الحصار.

و إذا كانت واقعة سقوط هذه المدينة العظيمة تحت سيوف التّتار هي واحدة من الوقائع الأكثر شؤما في تاريخها، لما شهدته خلال ذلك من فظائع تقشعرّ لها الأبدان، فإنّ هذه المصادفة ستشكّل علامة فارقة في حياة ابن خلدون. و لعلّ هذا العلامة الكبير ما كان ليخطر في باله يوما أن يلعب دور الوسيط بين المدينة و تيمور لنك الذي نصب خيمته تحت أسوارها و ضرب الحصار عليها، فدافعت المدينة عن نفسها متّحدة إلى أن بدأت بوادر الفرقة تدبّ بسبب خلاف بين القلعة المدافعة عنها و بعض القضاة الذين يئسوا من إمكان استمرار المدينة في الصمود، إثر انسحاب السلطان الناصر فرج منها، و خافوا على أنفسهم و على رعاياهم من مذبحة لا تبقي أحدا في دمشق، فآثروا تسليم المدينة. لكنّ أهل القلعة رفضوا الاستسلام لتيمور لنك و عساكره و قرّروا مواصلة الدفاع.

هنا يبرز دور ابن خلدون الذي طلب من القضاة الذين اجتمعوا في مدرسة العادلية، و شكّلوا بحضوره و فدا للقاء تيمور، و بحث صيغة الاستسلام، أن يساعدوه على الخروج معهم. و بالفعل، فإنّ ابن خلدون سيتدلّى من السور و يخرج من المدينة المحاصرة بعد عودة الوفد من اللقاء الأول له مع تيمور. رأس الوفد القاضي برهان الدين بن إبراهيم بن محمد بن مفلح، و كان يجيد إلى جانب اللغة العربية، اللغتين التركية و الفارسية.

يذكر ابن خلدون في يوميّاته عن هذه المحنة أنه خلال اللقاء الذي دار بين القضاة الدمشقيين و تيمور سأل الأخير عن ابن خلدون بالاسم، و ما إذا كان فرّ مع الفارّين إلى القاهرة أم بقي في المدينة؟ فقيل له: لا، لم يخرج، و هو موجود في المدرسة العادليّة حيث يقيم. و يذكر ابن خلدون أن تيمور أحسن لقاء الوفد، و كتب له الرّقاع بالأمان، وردّ أعضاءه إلى المدينة بوعود و آمال عراض، إذا ما أمكنهم إقناع المدافعين بالكفّ عن الأعمال الحربيّة و فتح الأبواب لجيشه.

في تلك الليلة بات ابن خلدون على أهبة الخروج للقاء تيمور لنك، و لما علم المدافعون عن المدينة بأخبار الوفد و المفاوضات دارت سجالات واسعة بين الدّاعين إلى الصّمود و القتال، و بين القائلين بالاستسلام. و وقعت شجارات يذكر المؤرخ أحدها بقوله: «فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع، و أنكر البعض ما وقع من الاستنامة إلى القول (أي الاطمئنان إلى وعود التتار)». و هنا يعبّر ابن خلدون عن خشيته على نفسه من أذى الرافضين الاستسلام. و على الأرجح أن المؤرخ لم ينم تلك الليلة، و في الفجر سيكون عند السور. يقول: «... و بكّرت سحرا إلى جماعة القضاة عند الباب، و طلبت الخروج أو التدلّي من السور، لما حدث عندي من توهّمات ذلك الخبر، فأبوا عليّ أولا، ثم أصحوا، و دلّوني من السّور، فوجدت بطانته يقصد تيمور- عند الباب، و نائبه الذي عيّنه للولاية على دمشق». و كان هذا التتاريّ يدعى شاه ملك، يصف ابن خلدون لقاءه به على النحو التالي: «فحيّيتهم و حيّوني، و فدّيت و فدّوني، و قدّم لي شاه ملك، مركوبا، و بعث معي من بطانة السلطان من أوصلني إليه.». ثم أنزل ابن خلدون في خيمة مجاورة لخيمة تيمور لنك، إلى أن أذن له بالدخول. فسأله عن سبب وجوده في المشرق، فأجابه: فرض الحج. ثم سأله عن ظروف تولّيه القضاء المالكي في مصر، فأجابه عن سؤاله، و عند ما سأله عن ابنه، و عرف منه أنه كاتب للملك الأعظم في المغرب الجواني، إذ ذاك سأله تيمور عن المغرب، و عن موقع طنجة و سبتة و فاس و سجلماسة، فحدّدها له. لكن تيمور عاد فطلب منه أن يضع كتابا حول بلاد المغرب يحدّد له فيه أقاصيها و أدانيها و جبالها و أنهارها و قراها و أمصارها حتّى كأنه يشاهدها، فكتب له مختصرا في جغرافية المغرب يقع في 12 من الكراريس، كما

قال. و صار يدخل عليه، حتى بعد أن اجتاح تيمور المدينة.

أما موضع الخلاف في الرّواية فهو ما كان من طلب ابن خلدون السفر إلى مصر.

يقول العلامة في متن رحلته:

«ثم دخلت عليه يوما آخر فقال لي: أتسافر إلى مصر؟ فقلت أيّدك الله، رغبتي إنما هي أنت، و أنت قد آويت و كفلت، فإن كان السّفر إلى مصر في خدمتك فنعم، و إلا فلا بغية لي فيه، فقال لا، بل تسافر إلى عيالك و أهلك».

و يقابل ابن تاويت هذا المفصل من رواية ابن خلدون برواية من تاريخ ابن شهبة الذي أوردها على النحو التالي: قال تيمور لابن خلدون: «تهيأ حتى تذهب معي إلى بلادي، فقال له: في مصر من يحبني و أحبه، و لا بدّ لك من قصد مصر في هذه المرّة أو في غيرها، و أنا أذهب و أهيئ أمري، و أذهب في خدمتك، فأذن له في الذّهاب إلى مصر، و أن يستصحب معه من شاء.».

أيّ الروايتين هي الأصح؟

بصرف النظر عن الجواب فإنّ الفصل المتعلّق بلقاء تيمور لنك يعتبر وثيقة تاريخيّة مهمّة، يمكن قراءتها في مستويات عدّة، ففي جانب من النصّ تتجلّى لغة ابن خلدون الموضوعيّة الخالية من أي مبالغة، و البعيدة عن الحماسة؛ لغة تقرير و رصد و إخبار. و على رغم أنها أقرب إلى سرديّات أدب الرحلة منها إلى الدرس و التحليل العلمي الذي طبع آثار ابن خلدون كعالم اجتماع و مؤرخ، فإنّ ما يسرده في رحلته عن هذا اللقاء يترك المجال واسعا، و بحرّية كبيرة، أمام التكهّن و التحليل و القراءة المعاصرة. فهو لم يصمت عمّا وسم شخصه من خضوع خلال اللقاء، و لا هو سكت عن محاولته استمالة تيمور لنك عن طريق الخطاب و الهديّة. ففي خطابه زيغ و مواربة و تدليس و استعمال للخرافة لم يعهد عنه في كتاباته أو في نظرته إلى الأشياء، لا سيّما عند ما يمثّل ابن خلدون الشوق للقاء من كتبت له الأقدار أن يلتقي به، على حدّ تعبيره. أما الهديّة: المصحف، و السجّادة و القصيدة و علب الحلوى التي أهداها لتيمور، فهي توحي بما هو أكثر من تصرّف الخائف من طاغية، و بما قد يعتبر تحيّة و ترحابا. إنها في تلك اللحظة العصيبة بالنّسبة إلى مدينة محاصرة فعلة غريبة شيئا ما من عالم هو قاض و فقيه و مؤرّخ له مكانته في ديار الإسلام، لا سيّما بإزاء ما قام به، و ما كان يتوقّع أن يقوم به سفّاح يطوّق مدينة و يتأهّب للانقضاض عليها كتيمور لنك.

هنا في هذا النصّ القيّم، في ما يعكسه من أحوال شخصيّة لعالم كبير، في برهة

غير شخصيّة أبدا، و ما يحمله من دلالات استثنائيّة في حركة الكاتب و المثقّف باتجاه الغازي العدوّ، يمكننا أن نقف على نموذج في سلوك المثقّف، لا نغامر في إطلاق توصيف جازم في رخاوته، لكنّنا ندعو، أقلّه، إلى التأمّل فيه، في سياق الضرورة القائلة بأهمية إعادة النظر و البحث في جذور الأشياء لفهم ظواهر حديثة تتعلّق بموقف المثقّف من الطاغية أكان أهليا أم غريما خارجيا و عدوا غازيا له سمعة كتلك التي أسبغتها على تيمور لنك أعماله الوحشيّة بحقّ الإنسان و المدنيّة في التّاريخ.

إنّ ما يضاعف من قوة المفارقة في سلوك ابن خلدون خلال ذلك اللقاء التاريخي في دمشق، أنه عالم مستنير رصد البعد المتحضّر في سلوك الناس و المجتمعات!

لكن هل يجوز محاكمة مواضعات الماضي بلغة الحاضر؟ على الأرجح لا. و ما رحلة ابن خلدون و يومياّته التي هي بمثابة ترجمة ذاتية و مذكّرات حافلة بالأحداث و الوثائق و الإشارات المتعلّقة بعالم كبير، غير شهادة على عصر سادته الحروب و هيمنت عليه أعمال الطّغاة بصفتها فتوحات؛ و أعمالا مشروعة لأقوياء يغيّرون مجرى التّاريخ. و قد يأسرون ضيوفهم الأسرى بخصالهم العجيبة و شخصيّاتهم المتألّهة، فيصبحون ملك أيديهم!

VIII

بذل محمد بن تاويت الطنجي جهودا غير عاديّة في تحقيق هذا الكتاب وفق منهج صارم ألزم نفسه به. و هو كما أوضح في شرحه لمنهجه: «كان البحث عن أصول الكتاب المخطوطة، وصلتها بالمؤلف من أولى خطوات تحقيق هذا المنهج، و الذي أقصده بهذه الصّلة، أن تكون النسخة مخطوطة المؤلف، أو مقروءة عليه تحمل دليلا على هذه القراءة، أو مكتوبة عن نسخته مباشرة أو بواسطة معارضة عليها إلخ ...».

استطاع المحقق خلال عمله في فهرسة المخطوطات بين القاهرة و استنبول العثور على مخطوطتين للرحلة، يقول: «أخطأت عين الزمان- و هو الحديد البصر- نسختين من هذا الكتاب، كلتاهما كانت نسخة المؤلف، و حفظت المكتبات المختلفة نسخا عديدة منه و مختلفة، و بفضل ذلك استطعت أن أخرج الكتاب.».

إحدى النّسخ الكاملة التي اعتمد ابن تاويت عليها في تحقيق الرّحلة أرشده إليها البروفيسور التركي المقيم اليوم في ألمانيا فؤاد سيزكين، و يصفه ب «تلميذ نجيب»، و يشكره على ما أسدى إليه من خدمة بإرشاده إلى هذه النسخة بقوله: «لا أحب أن أنسى أن الفضل في الالتفات إلى هذه النسخة يعود إلى الصديق الكريم العالم التركي الشاب فؤاد سزكين، فله خالص شكري.». و يرجّح ابن تاويت «أن أحدا لم يعرف أنّها النّسخة الكاملة من هذا الكتاب ..». و يجدر هنا أن نذكر أن سيزكين المقيم اليوم في ألمانيا، يعتبر عالما حجّة في الأدب الجغرافي، و له فضل كبير على الثقافة العربية بما جمعه و حققه من نصوص جغرافية عربية و أخرى تنتمي إلى أدب الرحلة.

و حول النصّ و أخطاء اللّغة و عمل المحققين و ما يجوز و ما لا يجوز في التحقيق، يطرح ابن تاويت سؤالا أساسيّا مهمّا، و يجيب عنه، هو: «ما الذي يجب أن نفعل إذا مازلّت بالكاتب القدم، فأخطأ، في كتابته، جادة متن اللّغة، أو اشتقاقها، أو أخطأ في الإعراب؟ أ نملك أن نعدّل في النصّ، و نثبته على حسب ما تقرّره القواعد؟ و أين الحصانة التي تتمتع بها نصوص المؤلفين حينذاك؟. و الجواب عندي: نعم نملك ذلك ما دام المؤلف قد اختار أن يكتب باللغة الفصيحة، و تقيّد بقواعدها الصّارمة، و ما دمنا على يقين من أن مخالفته لهذه القواعد لا منفذ في مواطن اختلافها يبيح قبولها أو الإغضاء عنها بوجه.».

و يتساءل المحقق هل إن المؤلف لو كان حيّا و روجع من قبل قارئ بأخطاء و مخالفات في اللغة «كان سيصرّ على خطئه الذي لا يقبل التأويل؟ أم أنّه كان يسارع إلى الاعتذار، ثم إلى إقامة ما كان قد أخطأ فيه؟».

و استنادا إلى جوابه الخاص عن سؤاله عمد المحقق إلى تدقيق اللّغة و تنقيتها من الأخطاء التي لا لبس فيها، في المتن، و أشار إلى الخطأ في الحاشية.

أما في ما يتّصل بالحقائق و الموضوعات و المعلومات التاريخيّة التي تتطرّق إليها الرّحلة، فقد عمد المحقق إلى مقارنتها بالأصول و المصادر التاريخية المعاصرة، و رجع إلى عشرات المؤلفات التاريخية ليفحص دقّة ابن خلدون في تعامله مع حقائق التاريخ التي لا جدال فيها، فاستشار هذه الكتب، و استعان بها «في التنبيه على ما انحرف فيه المؤلف عن الصراط المستقيم».

و قد عارض ابن تاويت نصّ ابن خلدون بأصوله المباشرة، و حدّد هذه الأصول «في مجموعات تنتسب إلى أصول قديمة الصدور عن المؤلف، و متوسطة، و حديثة؛ و غير المباشرة، و هي كتب التراجم و التاريخ و غيرها مما نقل عنها ابن خلدون أو نقلت عنه، أو تناولت ما تناوله من موضوعات».

و في ما يتّصل بضبط الأمكنة بين أسمائها القديمة و أسمائه الحديثة عمل على الخرائط العصريّة، ليحدّد هذه الأماكن، فابن خلدون شأنه في ذلك شأن كل الرّحالة القدامى ذكر أمكنة مرّ بها لم تعد تحمل الأسماء نفسها. فعمد المحقق في مرات عديدة إلى ذكر الاسم العربي للمكان إلى جانب اسمه بالحروف اللاتينيّة، كما يرد في المصوّرات الجغرافيّة، و وضع إزاءه موقع المكان على خطي الطّول و العرض، محدّدا بالدرجات و الدقائق. و قد لجأ المحقّق إلى ذلك رغبة منه في أن يترك أوضح صورة ممكنة للمكان في ذهن القارئ.

و لا يهمل المحقّق أن يشير إلى عجزه مرّات عن تحديد بعض أمكنة الرّحلة، على رغم أن أكثر هذه الأماكن أمكن تحديدها بحيث لم يعد من العسير على قارئ اليوم الاهتداء إليها عن طريق المصوّرات الجغرافيّة العصريّة.

IX

يعتقد ابن تاويت أن الصورة التي رسمها ابن خلدون لنفسه لم ترق لمعاصريه من مشارقة مصر «فصنعوا له صورة تختلف عمّا قاله عن نفسه أشدّ الاختلاف».

انطلاقا من هذا الاكتشاف في الفرق بين الصورتين المكتوبة بقلمه، و تلك التي رسمت له من جانب أهل مصر الذين حلّ ابن خلدون في ظهرانيهم، و تسلّم مناصب عليا لديهم، أخذ المحقّق على عاتقه مهمّة فحص الفرق، معتبرا أن هناك حاجة ملحّة «إلى نوع من العناية خاص، يقصد فيه الوقوف عند مواطن الاختلاف هذه، التي اعتبرت في ما بعد منافذ واسعة تسرّبت منها ألوان من النّقد شملت الكثير من نواحي حياة ابن خلدون، بل كادت- بما اتّسعت- أن تمسّ الثّقة بما يرويه.». و يضيف ابن تاويت: «لذلك عرضت ما يقوله ابن خلدون في هذا الكتاب، على كتب أخرى تناولت الموضوع نفسه بالحديث، و أثبتّ نصّها من غير تصرّف فيه ليؤيّد رواية ابن خلدون أو ينقضها، و بذلك أصبح مصدر الحكم لابن خلدون أو عليه غير بعيد عن متناول النّاقد النّزيه.». و في هذا السياق نشير إلى أغناطيوس كراتشكوفسكي الذي يشكك بالقيمة العلمية لآراء ابن خلدون في الاجتماع، و ضعف ملاحظاته الجغرافية.

و الأرجح أنّ نزاهة المحقق و إنصافه الحقيقة في عمله على هذا النص لقيا كل تقدير من جانب أساتذته و أصدقائه من كبار العلماء و الكتاب في مصر، الذين تحمسوا لمشروعه و لدأبه و إخلاصه العلمي، لا سيما من خصّهم بالشّكر في مقدّمته، و هم طه حسين و أحمد أمين، و أمين الخولي، و هؤلاء العلماء الثّلاثة يعترف لهم ابن تاويت بالفضل في رعاية العمل و إسداء النّصح، و إبداء الملاحظات القيّمة التي عادت بفوائد جمّة على العمل في تحقيق هذه الرّحلة، لتخرج بالصورة التي جاءت عليها.

تجدر الإشارة إلى أننا اعتمدنا في إخراج هذه الطبعة على الطبعة اليتيمة من الكتاب المنشورة سنة 1951 في دار المعارف في القاهرة، و ألحقنا بها ما أورده المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي عن الرّحلة و صاحبها، لما في ذلك من فائدة علميّة تضيء هذا الجانب من آثار ابن خلدون. و حاولنا في تحرير هذه الطبعة تخليصها من كل ما ورد من أخطاء الطبعة الأولى، و هي في غالبيّتها طباعيّة، و حافظنا على الصّيغة التي خلص إليها ابن تاويت، و قد قارنّاها بأصولها كما وردت في ذيل كتاب «العبر»،

كلّما جدّ سبب، و هو ما جعلنا نقف في كل مرّة على طبيعة الفروق و الخيارات التي لجأ إليها المحقّق، عند ما كان يضطر إلى الاختيار بين لفظة أو تعبير هنا، و غيرهما هناك، في النّسخ المختلفة للكتاب، ما يجعلنا متأكّدين من القيمة الاستثنائيّة لهذا العمل في صيغته الأخيرة.

و مما يحسن ذكره، هنا، أخيرا، أنني كنت قرأت هذه الرحلة، كغيري، في ذيل كتاب «العبر» بصفتها جزءا منه، و إن كانت له بنيته الخاصة و قوامه المستقل، كما أسلفنا في هذا التمهيد، و لم أعلم بتحقيق ابن تاويت إلا متأخرا، خلال إحدى زياراتي إلى المغرب، و قد أدهشني أن هذه الطبعة الصادرة في القاهرة، و التي عثرت عليها في مكتبة صغيرة في الدار البيضاء، كانت نسخة من طبعة يتيمة تكاد تكون مجهولة في المشرق العربي. و لعل نفادها و عدم قيام أحد بطبعها ثانية، هما ما جعلها خارج التداول، و أدخلها في ليل النسيان.

نوري الجرّاح

مسار الرحلة

الانطلاق من تونس أول سنة 753 ه

* بلاد هوارة
* أوبّة
* تبسّة
* قفصة
* بسكرة
* البطحاء
* بجاية
* سبتة فرضة المجاز
* جبل الفتح
* غرناطة
* إشبيلية
* إلبيرة
* ساحل المرية، منتصف سنة 766

* بجاية
* أحياء يعقوب بن علي، ثم الارتحال إلى بسكرة
* القطفا
* المسيلة
* الزّاب
* البطحاء
* هنين
* تلمسان
* المعقل
* زغبة
* البطحاء
* أحياء حصين
* المسيلة
* بسكرة
* تلمسان
* بسكرة
* القطفة
* بسكرة
* أبّدة

العودة إلى المغرب الأقصى

* من بسكرة يوم المولد الكريم، سنة 747 ه.

* مليانة

* أحياء العطّاف

* إلى المغرب على طريق الصحراء
* رأس العين، مخرج وادي زا.
* جبل دبدو
* فاس
* ساحل أسفي
* كرسيف
* فاس
* جبل الفتح
* الأندلس
* بهنين
* تلمسان
* البطحاء
* منداس
* أحياء أولاد عريف قبلة جبل كزول
* قلعة ابن سلامة، من بلاد بني توجين.
* الدّوسن من أطراف الزّاب سنة 780 ه.
* التّل
* بفرفار
* قسنطينة
* سوسة
* تونس في شعبان من السّنة 780 ه.

* تبسة، وسط تلول إفريقية
* تونس
* ضيعة الرّياحين 184 ه.

الخروج من المرسى و التوجه إلى مصر

* مرسى الإسكندرية يوم الفطر
* القاهرة أول ذي القعدة 784 ه.
* مرسى الطور، بالجانب الشرقي من بحر السويس منتصف رمضان سنة 789 ه.
* ينبع
* مكة (ثاني ذي الحجة).
* الينبع
* ساحل القصير
* مدينة قوص (قاعدة الصّعيد).
* مصر، القاهرة جمادى سنة 790 ه.
* القدس
* بيت لحم
* غزّة
* مصر
* غزّة في منتصف شهر المولد الكريم من سنة 803 ه.
* الشام
* شقحب
* دمشق
* قرية عرايا.

* صفد
* غزّة
* مصر في شعبان من سنة 803 ه.

مقدمة المحقق

حينما اخترت «مقدمة ابن خلدون موضوعا لدراستي، وجب عليّ أن أعرف ابن خلدون مؤلفها، و كانت معرفته عن طريق حديثه عن نفسه من أهم ألوان هذه المعرفة و أوكدها؛ و من هنا قرأت هذا الكتاب طلبا لمعرفة ابن خلدون، فعرفته منه على الصورة التي أراد أن يتصوره عليها الناس. ثم قرأت بعد ذلك ما كتبه عنه معاصروه و من تبعهم، فوجدت صورة أخرى غير التي عرفتها منه، و عدت إلى ابن خلدون مرة أخرى و في ذهني عنه صورتان؛ صورته كما رأى نفسه، أو كما أراد أن يراه الناس، تأنّق في صنعها، و استمسك بظلالها و ألوانها. و صورته كما رآه معاصروه، أو كما أرادوا أن يروه، و يراه معهم الناس، عرف ابن خلدون أكثر معالمها فنكرها في ألم و ترفّع؛ و هو اختلاف يثير الرغبة في تعرّف أسباب الموافقة و دواعي الخلاف [1].

و هكذا قدّر لي أن أقرأ الكتاب قراءة مقارنة، رغبة في الوصول إلى معرفة أقرب صور ابن خلدون إلى الحقيقة.

و عزّ عليّ أن تضيع قراءتي لهذا الكتاب، و هو المفتاح الأول لمعرفة شخصية ابن

---

(1) رأي ابن خلدون في نفسه، و رأي معاصريه فيه بمصر بوجه خاص، لا يكادان يلتقيان، و القول في بيان أقربهما إلى الحق أوسع من أن يعالج في مثل هذا المقام.

خلدون، فاستعنت بالله على إخراجه كاملا إلى حيّز الوجود [2].

و أخذت أتمثّل المنهج الذي يجب أن أتبعه في تحقيقه و نشره بين الناس، و لم يلبث أن وضحت معالمه مجملة في كلمات: «أن يخرج النصّ كما أراده مؤلفه أن يكون»؛ كلمات خفيفة الوقع على الألسن، و لكنها عند وزنها في ثقل الجبال.

*** و كان البحث عن أصول الكتاب المخطوطة، وصلتها بالمؤلف من أولى خطوات تحقيق هذا المنهج، و الذي أقصده بهذه الصلة، أن تكون النسخة مخطوطة المؤلف، أو مقروءة عليه تحمل دليلا على هذه القراءة، أو مكتوبة عن نسخته مباشرة أو بواسطة معارضة عليها إلخ.

و ليس تحقيق هذه الصّلة بالأمر اليسير الهيّن، فالزمان- بحوادثه- قد ألحق بالجمهرة من عيون هذا التراث الإسلامي ما لا نجهله من ألوان التبديد و الإفناء، و لكن الله الكريم شاء أن لا تضيع مني في هذا السبيل الخطوات؛ فقد أخطأت عين الزمان- و هو الحديد البصر- نسختين من هذا الكتاب، كلتاهما كانت نسخة المؤلف، و حفظت المكتبات المختلفة نسخا عديدة منه و مختلفة، و بفضل ذلك استطعت أن أخرج الكتاب معتمدا على المجموعة التالية منها.

نسخ الكتاب و اختلافها:

و الكتاب يقع في آخر كتاب: «العبر»، و قد عرف عن ابن خلدون أنه كانت تصدر عنه نسخ من كتابه ما بين الحين و الحين؛ يهديها إلى الملوك و الوزراء تارة، و يأخذها عنه الطلبة الدارسون تارة أخرى.

فلقد أهدى- و هو بالمغرب- النسخة الأولى من كتابه لأبي العباس الحفصي ملك تونس [3]، و حينما رحل إلى مصر أهدى نسخة أخرى إلى الملك الظاهر برقوق (فيما

---

(2) طبع القسم الكبير من هذا الكتاب مرتين: الأولى بآخر كتاب «العبر» و ذلك في سنة 1284 بمطبعة بولاق، و الثانية على حاشية «المقدمة» بالمطبعة الخيرية بمصر

سنة 1322 ه.
(3) انظر ص 240 من هذا الكتاب.

بين سنتي 784 و 791)، و هذه النسخة هي التي سمّاها بكتاب «الظاهري»، ثم بعث من مصر في سنة ثالثة، لتوضع في خزانة الكتب التي بجامع القرويين بفاس، وقفا على طلبة العلم [4]، و كان الملك حينذاك أبا فارس عبد العزيز المريني (796-799)، و لذلك قدم الكتاب باسمه [5].

و كل واحدة من هذه النسخ تختلف عن سابقتها صدورا عن المؤلف، بما كان يضيفه إلى الكتاب من ملحقات، و يدخله على أبوابه و فصوله من تعديلات.

و من هنا كانت نسخ الكتاب جميعه أوجز كلما كانت أقدم صدورا عن المؤلف، و كلما كانت حديثة العهد بالمؤلف كانت أكثر تفصيلا للحوادث و أوسع. و «المقدمة»، و «لتاريخ»، و هذا الجزء في هذا الحكم سواء.

و لست أعرف عدد النسخ التي صدرت عن المؤلف من كتابه هذا على وجه التحديد، غير أنه من اليسير- استنادا إلى ما وصل إلينا من نسخة- أن يردّ ما وجد منها بالمقارنة- بينها- إلى أمهات ثلاث:

1- أم قديمة الصدور عن المؤلف، و هي موجزة.

2- و متوسطة تزيد قليلا عن سابقتها، و تنقص الكثير من التفصيلات عن التي تليها

3- ثم حديثة العهد بالمؤلف، و يمتد حديثه فيها، و تعديله بالزيادة و النقص و غيرهما

---

(4) لا تزال أجزاء من هذه النسخة محفوظة بجامع القروبين بفاس، و انظر مقدمة ابن خلدون ص 7 طبع بولاق، و في المجلة الأسيوية

J. Asiatique: Juillet- Septembre 3291, P. 161- 681

صيغة «التحبيس» التي أقرها ابن خلدون، و وقّع عليها بخطه.

(5) المعروفون بأبي فارس عبد العزيز من الملوك الثلاثة، اثنان من بني مرين هذا ثانيهما و إليه كان الإهداء، و هما معا من ملوك المغرب؛ و الثالث حفصى من ملوك تونس؛ و هذا الاشتراك في الاسم و الكنية قد توقف بسببه الشيخ نصر الهوريني في تعيين المهدى إليه. كما أضل صاحب الاستقصا، فجعل الإهداء لغير من كان له.

و انظر الاستقصا 2/ 129، 140- 141، و مقدمة ابن خلدون ص 5 بولاق.

إلى ما قبل وفاته بشهور.

و يقوم هذا التصنيف على أن هناك أمّا أولى لهذه النسخ جميعا، و هي التي قدمها ابن خلدون لأبي العباس الحفصي بتونس [6]، و عنها يتفرع سائر الأصول التي تتمثل في مجموعات يسهل تصور انحدارها عن أصولها و أمهاتها من الرسم التالي.

*** و الأصل الحديث من هذه الأصول هو الذي بقى بين يدي ابن خلدون حتى الأيام الأخيرة من حياته، فظل التنقيح يلاحقه، و حياة ابن خلدون- بما امتدت- تضيف إليه الجديد من الأحداث، و بذلك أصبح ناسخا للأصول قبله، معبرا عن الرأي الأخير الكامل للمؤلف في هذا الكتاب.

و من هنا كان البحث عن الأصول الأخيرة أساسا أوليا لنشر هذا الكتاب، و كانت الأصول القديمة، و المتوسطة- على الرغم من أنها أصول مباشرة للكتاب إلى حد كبير-، قد نسخها ما جاء بعدها من الأصول، و أصبحت الاستعانة بها لا تتجاوز مواطن الاتفاق بين الأصول، أما حين تختلف، فإن المقدم فيها لا محالة هي هذه الأصول الحديثة.

و قد حفظت مكتبتا «أيا صوفيا» و «أحمد الثالث» باستانبول نسختين قيّمتين من هذا الكتاب، كانت كل واحدة منهما نسخة المؤلف، فكانتا معا من أوثق ما وصل إلينا من نسخه.

نسخة أيا صوفيا: (رقم 3200، 83 ق، 259* 185 مم، س 25، 28) تقع في جزء مستقل، و خطها نسخ جميل، و القسم الأول منها (و يتمثل في الأوراق 1- 41 أ، 49 ب- 59 أ، 60 ب 63 أ) يختلف خطه عن القسم الباقي من الكتاب لاختلاف الناسخ نفسه، و عدد سطور هذا القسم 25 سطرا؛ و يتماز هذا القسم بعناية ناسخه

---

(6) لا أعرف عن هذه الأم شيئا غير كلمة ذكرها المرحوم نصر الهوريني في حاشية له على صيغة الإهداء ل «مقدمة» ابن خلدون طبع بولاق سنة 1274.
و لهذا جعلت الخط الذي يصل مجموعة النسخ القديمة بهذه الأم شعاعيا إشارة إلى انقطاع الصلة بيننا و بينها.

بإعجام ما حقّه أن يعجم من الحروف، و حظي بعناية بالغة من المؤلف، فشكّل بالحركات بخطّه ما رأى أنه محتاج إلى الضبط و التقييد من الكلمات، و لا سيما الأمكنة و الأعلام المغربية.

أما القسم الثاني من النسخة (و عدد سطوره 28)، فقاعدة ناسخه أن لا يعجم من الحروف إلا النادر، و المؤلف حينما قرأ هذا القسم لم يعن بالإعجام و الضبط عنايته بالقسم الأول، و إنما وقف عند كلمات رأى الحاجة فيها ماسة إلى ضبطها بالحركات فقيّدها.

على أنه في القسمين معا، بدا له في كلمات أن غيرها يصح أن يقوم مقامها، أو أن غيرها أصح منها، فكتب الكلمة في الحاشية بخطه، و فوقها حرف «خ» أو «صح» أو «أصح» حسبما رأى أنه الأنسب. و رأى أن كلمات بالمتن محتاجة إلى بيان فكتبها مرة أخرى بالحاشية مستقلة، و وضع فوقها علامة البيان «ب».

و لم أعرف من أمر ناسخ القسم الأول إلا أنه كتب كثيرا لابن خلدون، أما القسم الثاني فإن الناسخ- و إن لم يسمّ نفسه في آخر هذا الكتاب- قد أمكنت معرفته بمقارنة خط هذا القسم بخط «المقدمة» المحفوظة بمكتبة «يني جامع» تحت رقم 888، و هو عبد الله بن حسن الشهير بابن الفخار، و يظهر من الخاتمة التي ختم بها نسخة «المقدمة» المذكورة- و قد كتبها لنفسه- أنه كان على صلة وثيقة بابن خلدون، و أنه كان من المعجبين به؛ و الذي يتصفح ما كتبه لابن خلدون- و هو كثير- لا يتردد مطلقا في الحكم بأنه كان من أهل العلم بين الناسخين؛ فأخطاؤه نادرة جدا، و قاعدته في كتابته- على الرغم من عدم إعجامه للحروف- محكمة مطردة قلما تتخلّف.

و قد طرأ على هذا الأصل بين ورقتي 72، 737 نقص مقداره ورقتان، و هو نقص قديم فيما أعتقد، و كل الفروع التي تفرعت عن هذا الأصل كانت مثله في هذا النقص، و لم أعثر على فرع كتب عنه يوم كان كاملا. (1)

نسخة أحمد الثالث: [3042 (4)، 51 ق 320* 515 مم، 35 سطرا].

---

(1) مكانه الآن في المطبوع بين ص 324، 333.

أما الأصل الثاني و هو المحفوظ في مكتبة السلطان أحمد الثالث في «طوب قبوسراي» باستانبول أيضا، فيقع في آخر كتاب العبر متصلا به، كتبه ابن الفخار السابق الذكر و كانت عنايته به من حيث إعجامه أكثر من عنايته بالقسم الذي كتبه من الأصل السابق، و حظي من المؤلف بعناية طيبة- حيث إنه نسخته التي توفي و هي في مكتبته فيما أعتقد- فضبط أعلامه، و أضاف الناقص من كلماته، و بيّن المبهم منها على حاشية الكتاب، و أصلح المحرّف- كل ذلك بخطه، و هذا الأصل- فيما أعتقد- أحدث من سابقه صدورا عن المؤلف؛ فقد أدخل بالصلب منه ما كان في أصل أياصوفيا ملحقا بالحاشية بخطه [8]، و أثبت فيه نص الرّسالة التي كتبها الملك الظاهر إلى الملك أبي العباس الحفصي، متشفعا في أولاد ابن خلدون و أهله، راجيا منه أن يبعثهم إليه بمصر [9]، و لم يثبتها في أصل أيا صوفيا و لا ترك لها مكانا؛ بل إن سياقه هنالك لا يشعر بأنه يريد إثبات نص ما في هذا السبيل، فإدراجها في هذا الأصل، و إضافتها إليه في ورقة ملحقة بين الورقتين (32، 33)، جاء في وقت متأخر عن صدور أصل «أيا صوفيا».

و هو أصل عقيم لم يتفرع عنه فرع- فيما أعلم- و أغلب الظن أن أحدا لم يعرف أنه النسخة الكاملة من هذا الكتاب، فلم يشر أحد- من الذين عنوا بالحديث عن مخطوطات ابن خلدون- إلى النسخة التي يتبعها هذا الجزء على كثرة ما تحدثوا عن نسخ ابن خلدون [10].

---

(8) ورد هذا الإلحاق في لوحة 12 من «س»، و يبتدئ في المطبوع من السطر الثاني من ص 46، و ينتهي بالسطر 9 من ص 46.

(9) انظر ص 249- 253 من المطبوع.

(10) لا أحب أن أنسى أن الفضل في الالتفات إلى هذه النسخة يعود إلى الصديق الكريم العالم التركي الشاب فؤاد سزكين، فله خالص شكري.

فروع نسخة أيا صوفيا

(أ) نسخة دار الكتب المصرية: [رقم 109 م تاريخ، 49 ص، 23* 17 سم، سطورها 31]

هي أحد فروع أصل أيا صوفيا، و قد وضعت تحت عنوان: «التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا» (11) و خطها فارسي (تعليق) جميل، و أغلب الظن أنها كتبت في أول القرن 12 الهجرة، و كاتبها قليل المعرفة باللغة العربية، و لذلك صحّف من كلماتها عددا يفوق الإحصاء؛ و خلا القسم الأخير من الأصل عن الإعجام، فكانت البلوى أشد، و لما بلغ إلى مكان النقص الذي بالأصل المنقول عنه، لم يفطن له، فكتب الكلام متصلا كأن لم ينقص منه شيء.

و لهذه الأسباب لم أعتمد عليها مطلقا.

(ب) نسخة خاصة: [128 ق، 250* 175 مم، سطورها 19]

ولديّ فرع آخر من أصل أيا صوفيا كتب في سنة 1307 ه بخط نسخ جميل واضح، و لم يذكر كاتبه، و هو محمد بن عبد السلام بن جاد، أنه نقله عن الأصل المذكور، و لكن المقارنة تثبت- في وضوح- الصلة بين النسختين.

و هناك آفة وقع فيها كل الناقلين عن الأصل المذكور، فالكلمات في الأصل مهملة عارية عن الإعجام، و حينما حاول النسّاخ أن يعجموا زلت منهم الأقدام، و يكثر الغرر بوجه خاص في رسائل ابن الخطيب التي أثبتها ابن خلدون في هذا الكتاب؛ حيث جاءت فيها ألوان كثيرة من محسنات البديع، فكانت صور الكلمات تأتي متشابهة، فإذا ما عريت من النقط- و هو ما كان- جاءت الصعوبة، و كثرت فروض النساخ الخاطئة.

و لو لا أن هذا الناسخ، كان من الأمانة بحيث إن تجميل الخط، و تحليته بالنقط، لم يغره بتشويه الحقيقة، لكان الفارق بين هذه النسخة، و بين نسخة دار الكتب من الضآلة بحيث لا يذكر.

(11) انظر الفهرس الجديد لدار الكتب المصرية 5/ 141.

لقد صور ناسخنا الكلمات كما رآها في الأصل، و تركها مهملة إن كان الأصل أغفلها من الإعجام، و بذلك ترك النص بحالته تحت نظر القارئ و الباحث بعده، و تلك محمدة عادت ثمرتها على هذا الفرع بالاعتبار. على أنه- مع ذلك- لم يبرأ من تحريفات تبلغ أحيانا الغاية البعدى في الخطورة.

و يتبع هذا الفرع أصله في النقص الواقع به؛ و ترك الناسخ و رقتين أخريين سهوا لم يكتبهما [12]، فأضاف إلى النقص الوراثي عيبا آخرا جديدا غبّر به في وجه هذا الفرع.

و قد أشرت إلى هذه النسخة في الحواشي حين اعتمدت عليها بحرف «ج»

(ح) نسخة أسعد أفندي: [رقم 2268، 93 ق، 327* 155 مم] و النسخة المحفوظة بمكتبة أسعد أفندي (إحدى مكتبات السليمانية باستانبول) فرع لنسخة أيا صوفيا أيضا؛ خطه نسخ جميل، أما من حيث الصحة فهو بالغ الحضيض في التحريف، و قد قدّم الناسخ و أخّر في بعض أوراق الأصل، فخرج الفرع إلى تصحيفه- مضطربا، و لم أعتمد عليه لعدم صلاحيته- فيما أزعم-، على أن جمال خطه، و عناية ناسخه بالإعجام، قد خدع بعض المعاصرين فوصفه بالحسن، و كاد أن يفضله على أصله بأياصوفيا.

(د) نسخة الرباط:

و في مكتبة الرباط «عاصمة المغرب الأقصى» الحالية، نسخة من هذا الكتاب تحت رقم (1345D)، و لست أملك الأدلة المادية للحكم بأنها فرع من أياصوفيا حكما يقينيا، و لكنني أظن ذلك ظنا راجحا يقوم على أمرين:

1- أن عنوانها: «التعريف بابن خلدون، و رحلته غربا و شرقا» و كلمات: «و رحلته غربا و شرقا» لا توجد إلا في الأصلين الحديثين: «أيا صوفيا»، و «أحمد الثالث»، و فيما عساه أن يكون قد تفرع عنهما.

---

(12) يقع هذا النقص في المخطوط في الورقة 35 ب، و مكانه في المطبوع في ص 101 و ما بعدها.

2- فإذا ما صح الفرض الذي قدمته، و هو أن أصل «أحمد الثالث» عقيم لم يعقب، كانت نسخة الرباط فرعا من فروع «أيا صوفيا» لا محالة.

النسخ المتوسطة

(ا) نسخة «الظاهري»: و هي واقعة في آخر النسخة التي قدمها ابن خلدون للملك الظاهر برقوق، و الجزء الذي تشغله يبتدئ من ص 315 و ينتهي بصفحة 381 من الجزء الرابع عشر و هو آخر الكتاب.

و خط هذه النسخة رائع، و في مبدأ كل جزء منها لوحة مذهّبة و ملونة، كتب عليها أنها «كتبت برسم الخزانة الملكية الظاهرية».

و قد راجع ابن خلدون هذه النسخة قبل تقديمها للملك الظاهر، فضبط بعض كلماتها، و أصلح ما احتاج منها إلى الإصلاح.

و تنتهي هذه النسخة برجوع ابن خلدون من الحج في سنة 797؛ فبعد أن دخلت إلى مكتبة الملك الظاهر لم يضف إليها ما أضيفإلى الأصلين السابقين. و لذلك نجد مثلا الرسالة التي كتبها ابن الخطيب إلى أحد ملوك الحفصيين- على لسان ملكه ابن الأحمر [13]- ساقطة من هذه النسخة، و إن كان مكانها في القسم الذي يأتي قبل ارتحال ابن خلدون إلى المشرق. ثم لا تحتوى هذه النسخة على ما بعد سنة 797.

و قد انتفعت بالأجزاء التي لم يغيرها ابن خلدون من هذه النسخة، و أشرت إلى الخلاف- حيث يوجد- في حواشي الكتاب، و سميتها ب «الظاهري» عند الإشارة إليها.

(ب) نسخة الشنقيطي: [رقم 1 ش تاريخ 20 ورقة (من 363 ظ- 383 و)، 314* 214 مم، سطورها 42].

كتبت في سنة 1137 برسم خزانة الملك المولى إسمعيل (1072- 1139) أحد ملوك الدولة العلوية القائمة الآن بالمغرب الأقصى؛ خطها مغربي يقرب في قاعدته إلى

---

(13) تقع هذه الرسالة في المطبوع بين ص 155، ص 209.

الخط المسند المعروف اليوم بالمغرب، و قد كان الناسخ من السرعة في كتابتها بحيث أصبح الاعتماد عليها عند الاختلاف في الفروق الخطية الدقيقة قليل الجدوى؛ و هي أخت نسخة «الظاهري»، و الفروق الشكلية الطفيفة ليست من العمق بحيث تخرج هذه النسخة من زمرة النسخ المتوسطة. و قد رجعت إليها كثيرا. و رمزت لها عند الاستفادة منها بحرف «ش».

(ح) نسخة حسن حسني باشا عبد الوهاب: [127 ق، 222* 167 مم، س 26. كتبت سنة 1304].

و قد تكرم سعادة حسن حسني عبد الوهاب باشا التونسي فأهداني مخطوطته الخاصة، و هي تتبع هذه الطائفة، و لا تختلف عن سابقتيها إلا فيما يفترق فيه النساخ من تصحيف لا يذهب بصفات النسخة الجوهرية.

و لم أعتمد عليها في تصحيح النص، لأنها وصلتني من تونس بعد أن تجاوز الطبع نهاية النسخ المتوسطة، غير أنها مثل صالح من هذه المجموعة المتوسطة، و قد دلتني فاتحتها على أنها و نسخة نور عثمانية [رقم 3067 من ورقة 177- 214. 32* 21]، قد صدرتا معا عن أصل واحد.

على أنني، و إن لم أعتمد عليها، لا أجد من الكلمات ما يفي بشكر سعادة حسن باشا عبد الوهاب على عونه العلمي النبيل.

النسخ القديمة

(ا) النسخة الأزهرية: [6729 تاريخ أباظة- 24 ق (203 ظ- 247) كتبها أحمد بن يوسف بن حمد بن تركي الشافعي الأزهري سنة 1270، و هي أصل للنسخة التي طبعت في بولاق، تقع في آخر الجزء السابع من المخطوط، و قد قرأها المرحوم الشيخ نصر الهوريني فعلق عليها تعليقات بخطه، لا تخرج عن تفسير لغوي، أو تعريف تاريخي بشخص مر ذكره معرفا به في صلب التاريخ.

و لم يحسن ناسخها قراءة الأصل الذي نقل عنه فحرف، و ترك مواضع كلمات

بيضاء حيث لم يقرأها في أصلها. و من هنا كانت النسخة المطبوعة صورة مماثلة لهذه

المخطوطة.

و النسخة الأزهرية من النسخ القديمة، فهي أوجز من المجموعة المتوسطة المذكورة قبلها، تنقص عنها بعض التفاصيل؛ و قد أشرت في الحواشي إلى الزيادات التي تضيفها النسخ المتوسطة و لا توجد في الأصل القديم.

و حينما عدت إلى هذه النسخة أشرت إليها بحرف «ز»، و وصلت بينها، و بين فرعها المطبوع، فكان حرف «ب» رمزا للمطبوعة في بولاق.

(ب) نسخة طلعت: [2106 تاريخ من ورقة 160 ظ- 196 و]. و النسخة المحفوظة بمكتبة المرحوم أحمد بك طلعت كتبت في سنة 1181 بخط مغربي سقيم، و هي أخت للأزهرية، و ليس يفرق بينهما إلا ما يفترق فيها النساخ المحرفون. و حينما أثبت نتائج المقارنة بينها و بين غيرها من النسخ، رمزت إليها بحرف «ط».

(ح، د) نسختا «د»، «ه»:

و هناك نسختان بدار الكتب المصرية لم أعتمد عليهما، غير أنه يحسن التنبيه على أن مكانهما في هذه المجموعات هو هذا، فمها معا يشبهان الأزهرية، و نسخة طلعت.

أما نسخة «د» فقد كتبت في سنة 1254 ه بخط نسخ واضح، و تقع تحت [رقم 5343 تاريخ، (215 ظ- 262 و)، 327* 2300 مم، ص 27].

و أما نسخة «ه»، و هي مثل سابقتها، فتقع تحت رقم [185 تاريخ، (90 و- 131 ظ) ق، 332* 228 مم، ص 29] خطها واضح جميل جدا، و قد كتبت في أواخر القرن 13.

اسم الكتاب

و هذا الكتاب، منذ عرف جزء تابع لتاريخ ابن خلدون، و ما كان يفصله عن بقية أبواب الكتاب إلا عنوانه الذي ينقلك من موضوع تمّ فيه الحديث إلى آخر جديد، و كان عنوانه: «التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب»، و لم تكن أداة الإشارة «هذا» إلا نداء مدويا يرغمك على الاعتراف بتبعية هذا الكتاب لبقية «التاريخ».

و ظل العنوان بهذه الصورة حتى بعد أن رحل ابن خلدون إلى الأندلس مرتين، ثم ارتحل إلى مصر و الحجاز و الشام، و أصبح ما جدّ من تجاربه في رحلاته الجديدة جزءا من حياته، يجب أن يدونه، و أن يضيفه إلى ما كان قد سجله قبل ففعل، و عظم حجم الكتاب بما أضيف إليه من جديد الأخبار، و لم يكن العنوان السالف الذكر من السعة و المرونة بحيث يشمل هذا الجديد الطارئ، دون أن يدخل في صوغه تعديل تتضح معه الدلالة على مباحث الكتاب؛ فحذف ابن خلدون أداة الإشارة «هذا» التي كانت واضحة الدلالة على تبعية هذا الجزء لكتاب «العبر»، و أضاف إلى بقية العنوان الكلمات: «و رحلته غربا و شرقا»، فكملت بذلك الصياغة الأخيرة للعنوان، و أصبح: «التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب، و رحلته غربا و شرقا».

و يلاحظ فيه، و هو بصيغته الحالية، عنصران بارزان: «التعريف» بالمؤلف، و «رحلته»، و كل منهما دال على معنى واضح في الكتاب.

و تداول المؤرخون من بعد ابن خلدون كتابة هذا، و كانت النسخ التي تقع تحت أيديهم مختلفة، بعضها قديم واقع في آخر كتاب التاريخ تابع له، و هو في هذه الحالة لم يتغير عنوانه بعد، و ليس بين كلمات عنوانه ما يدل على معناه غير كلمة «التعريف»، فلم تكن لهم مندوحة عن تسميته عند النقل عنه ب «التعريف»، و هي تسمية دعاهم إليها أن كلمة «التعريف» وضحت دلالتها على معنى الكتاب، فكانت أحق من أخواتها بالاختيار.

أما البقية من النسخ، فقد كانت حديثة الصدور عن المؤلف، عدل في عنوانها، فأصبح من بين كلماته ما يصلح للدلالة على الكتاب و هو قوله: «و رحلته غربا و شرقا»، فاختار الذين نقلوا عن هذه المجموعة من النسخ أن يسموا هذا الكتاب «رحلة» لابن خلدون، و كان لهذه التسمية حظ غير قليل من الذيوع في العصر الأخير على الرغم من أنها تسمية لم تعرف- فيما أعلم- قبل سنة 1005 ه؛ فقد نقل عنه أحمد بابا السوداني في كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج [14]» على أنه «رحلة» لابن خلدون. و في سنة 1006 ه كان العالم التركي أويس بن محمد المعروف

---

(14) انظر ص 248 من نيل الابتهاج طبع مصر سنة 1351 ه

ب «ويس» (969- 1067 ه) متوليا لخطة القضاء برشيد و غيرها في مصر، وزار القاهرة فاشترى من مخطوطاتها و استعار، و كان ما تمكه «مقدمة» ابن خلدون، و نسخة من هذا الكتاب- و كل واحدة منهما كانت نسخة المؤلف [15]- فكتب على ظهر الورقة الأولى من هذا الكتاب: «كتاب رحلة ابن خلدون بخطه، (رحمه الله تعالى)» [16].

و سجل واضعو فهرس مكتبة «أياصوفيا» نسخة ويسى المذكورة باسم «رحلة ابن خلدون»، ثم نقلت عنها نسخة أخرى و وضعت في مكتبة «أسعد أفندي» فسميت أيضا «رحلة ابن خلدون»؛ و عرفت فهارس الآستانة بين العلماء، فنقلوا عنها فيما كتبوه عن تراث ابن خلدون- أن من بين آثاره الفكرية «رحلته».

و هذه التطورات التي مرت بها صيغة العنوان، قد أدت أخيرا إلى نوع من الارتباك في اسم هذا الكتاب، ثم في ماهيته؛ فحينما تحدث العلامة المستشرق كارل بروكلمن في كتابه «تاريخ الأدب العربي» عن مراجع ترجمة ابن خلدون، أحال على ترجمته الذاتية» Autobiographie «التي تقع في آخر الجزء السابع من «العبر»، و أحال على «الرحلة» المحفوظة في مكتبة «أسعد أفندي»، ثم على «التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا»، المحفوظ بدار الكتب المصرية، و المجهول المؤلف؟ [17].

---

(15) من الكتب التي استعارها ديوان عبد الله بن الدمينة و قد كتب على ظهر الورقة الأولى منه:

«استعارة العبد المحتاج إلى الله سبحانه ويسى، من خازن كتب «القبة المنصورية» بمدينة القاهرة في سنة 1006. رحم الله امرأ أوصله إليها إن لم يسمحني الزمان بإيصاله، و الحمد لله و الصلاة على محمد و آله».

و لم يرد الكتاب إلى مكانه، بل نقل إلى الآستانة، و هو الآن محفوظ بمكتبة «رئيس الكتاب» تحت رقم 950/ 1.

و انظر ترجمة ويسى المذكور في «عثمانلي مؤلفلري» 2/ 477.

(16) ليست هذه النسخة بخط المؤلف، و إنما كتب على بعض حواشيها إلحاقات بخطه، و انظر ص «ط» حيث ذكر وصفها.

(17) II. S. Brock 3342

و العذر للرجل ما ذكرته من تغير العنوان مع الزمن، ثم عدم وضوح عبارة «فهرس

دار الكتب المصرية».

و وضع هذه المراجع بهذه الصورة لا يدلك على شيء أكثر من أن مدلولات هذه الأسماء في ذهن العلامة بروكلمن متعددة، و أن هذه الأسماء تقع على مسميات مختلفة.

*** و الكتاب- و قد وضحت أصوله، و ثبتت صلته بالمؤلف، و عرف اسمه- نص كتب باللغة العربية الفصحى، و لهذه اللغة سنن تجري عليه، و ليس يملك الكاتب بها أن يعدوه، أو يتجاهل ما منعه هذا السنن أو أباحه.

فما الذي يجب أن نفعل إذا مازلّت بالكاتب القدم، فأخطأ- في كتابته- جادة متن اللغة، أو اشتقاقها، أو أخطأ في الإعراب؟

أنملك أن نعدل في النص، و نثبته على حسب ما تقرره القواعد؟ و أين الحصانة التي تتمتع بها نصوص المؤلفين حينذاك؟

و الجواب- عندي- نعم نملك ذلك!

نملك ذلك ما دام المؤلف قد اختار أن يكتب باللغة الفصيحة، و تقيد بقواعدها الصارمة، و ما دمنا على يقين من أن مخالفته لهذه القواعد لا منفذ في مواطن اختلافها يبيح قبولها أو الإغضاء عنها بوجه.

و لنا السند المتين فيما قرره المحدثون- منذ القديم البعيد- في الحديث تثبت روايته عندهم، و فيه مخالفة لوضع من أوضاع اللغة [18].

و المؤلفون أنفسهم أذنوا في هذا النوع من التصرف، و لم يعدوه افتياتا على نصوصهم.

و لو أن المؤلف حي، و راجعه قارئ من قرائه فيما وقع له في كتابه من مخالفات لأوضاع اللغة التي يكتب بها، أكان يصر على خطئه الذي لا يقبل التأويل؟ أم إنه كان يسارع إلى الاعتذار، ثم إلى إقامة ما كان قد أخطأ فيه؟

و لقد أثبت في هذه الحالة النص في الصلب على ما اقتضته قوانين اللغة، و أثبته في الحاشية على الصورة التي أورده عليها المؤلف، واضح الدلالة على مدى معرفته باللغة، و تمثله لقواعدها، و أن نحس بالمقدار الذي امتصه الجزء الخارج عن بؤرة

---

(18) انظر «تدريب الراوي» ص 164- 165.

التفكير، من نشاط عقل ابن خلدون، حينما كتب هذا النص أو قرأه.

و أحسب أن من الواجبات الأولى على قارئ هذه المخطوطات التي يتيسر فيها وصلها بمؤلفيها أن يعنى بمقدار التركز الذهني للمؤلف حين تأليفه لكتابه أو قراءته له.

*** و الكتاب- إلى ما تقدم- يحوي حقائق تاريخية، قال التاريخ فيها كلمته، و علمية انتهى العلم قبل المؤلف من تقريرها على وجه ما في المظان الأولى لها، و لم تعد موطنا للمناقشة.

و معنى هذا أننا لا نستطيع أن نخرج من حسابنا الرقابة التي تفرضها المقررات التاريخية و العلمية على ما يورده المؤلف من هذه الحقائق في كتابه؛ و من هنا جاءت ضرورة استشارة كتب هذا النوع من المعلومات، و الاستعانة بها في التنبيه على ما انحرف فيه المؤلف عن الصراط المستقيم. و لو استفسر المؤلف أيضا عن سبب خلافه للذي خرج عن ميدان الاختلاف بين العلماء، لأقر ما نص عليه سابقوه و استقرت كلمتهم عليه.

و الحديث هنا لا يتناول بطبيعة الحال ما خالف فيه المؤلف غيره مخالفة مقصودة دفعه إليها وجه من وجوه النظر، فإن هذا رأيه ليس مما يباح فيه التبديل و التغيير، و إنما الحديث عن المخالفة التي تقوم الدلائل القوية على أنها جاءت عفوا لم يكن للقصد فيها مجال.

و لم أهمل- في هذا النوع- ما أورده المؤلف، بل أثبته في الحاشية للعلة التي سبق الحديث عنها.

*** إلى هنا و الحديث لم يعد محاولة إقرار النص على الصورة التي يريد مؤلفه أن يتداوله الناس عليها.

و قد عارضته بأصوله المباشرة، و هي تتمثل في مجموعات تنتسب إلى أصول قديمة الصدور عن المؤلف، و متوسطة، و حديثة؛ و غير المباشرة، و هي كتب التراجم و التاريخ و غيرها مما نقل عنها ابن خلدون أو نقلت عنه، أو تناولت ما تناوله من موضوعات.

***

أما الشروح و التعليقات التي أثبتها في حواشي الكتاب، فهي نوافل و زيادات تعبّر في أغلب الأحيان- عن خبرة خاصة بمقاصد المؤلف أو موضوع الكتاب.

و الكتاب- كما قدمت- مفتاح أول للذي يريد التعرف على ابن خلدون، و قد رسم لنفسه فيه صورة لم تحل- لأسباب مختلفة- في عين معاصريه بمصر، فصنعوا له صورة تختلف عما قاله عن نفسه أشد الاختلاف.

و هنا تبدوا الحاجة الملحة إلى نوع من العناية خاص، يقصد فيه الوقوف عند مواطن الاختلاف هذه، التي اعتبرت فيما بعد منافذ واسعة تسربت منها ألوان من النقد شملت الكثير من نواحي حياة ابن خلدون، بل كادت- بما اتسعت- أن تمس الثقة بما يرويه.

و لذلك عرضت ما يقوله ابن خلدون في هذا الكتاب، على كتب أخرى تناولت الموضوع نفسه بالحديث، و أثبت نصها من غير تصرف فيه ليؤيد رواية ابن خلدون أو ينقضها، و بذلك أصبح مصدر الحكم لابن خلدون أو عليه غير بعيد عن متناول الناقد النزيه.

*** و ذكر ابن خلدون أمكنة مر بها و شاهدها حينا، و لمناسبات غير ذلك أحيانا أخرى، فوجب تحديد هذه الأماكن.

و إذا أبحنا لأنفسنا- و كان يجب أن لا نفعل- أن نكتفي- عند إخراج كتب لا تتوقف الاستفادة منها على الدقة في التحديد- بالدلالة العابرة و الإشارة السريعة الناقصة؛ حيث إن أسماء البلاد بتلك الكتب جاءت بطريق العرض، و لم تقصد بالذكر لذاتها- أقول: إذا استبحنا ذلك في إخراج تلك الكتب- و في طبيعتها ما يبرر الاكتفاء باللمحة- فإنه لا يصح لنا ذلك بحالة من الأحوال في هذا النوع من الكتب التي تذكر فيها الأمكنة و البلدان ذكرا ذاتيا تلمح فيه النظرة الفاحصة المستقصية.

و حيث إن البلاد و أسماءها معا، تعرضت- بفعل الزمن- للتغير، فقد حاولت- قدر جهدي- أن أذكر بجانبا لاسم العربي للمكان، اسمه الذي يكتب بجانبه- على المصورات الجغرافية- بالحروف اللاتينية، و أن أضع إزاءه كذلك خطه الطولي و العرضي محددا بالدرجات و الدقائق- حاولت ذلك رغبة في أن يتضح المكان

للقارئ وضوحا لا يشوبه غموض؛ و هي محاولة كان دون تحقيقها- كما قال الأول- خرط القتاد.

و لا أجرؤ على دعوى أنني حققت المنهج من ألفه إلى يائه، فقد عجزت عن تحديد أمكنة- مرت بي- على الطريق الذي حاولت أن ألزم به نفسي، فاكتفيت بتحديد «ياقوت»- لا أجرؤ على قول ذلك، و لكنني أزعم أن كثيرا من الأماكن التي ذكرت في هذا الكتاب أمكن تحديدها بحيث يستطاع وضع اليد على مكانها اليوم بالمصورات الجغرافية الحديثة.

*** و ذكر ابن خلدون- فيما ذكر في كتابه- شيوخه الذين تخرج على أيديهم، و حلّاهم بحلى كانت، عند تقديرها، موضع الريبة و الشك يوم تناول ابن خلدون النقد الحديث.

و قد أحسست أن عليّ تجاه ذلك أن أعرض رأي ابن خلدون في شيوخه، و تقديره لهم، على كتب التراجم و الطبقات، و أن أزن ما أورده فيهم- بالذي يورده غيره؛ فإذا ما خالفه أتيت بالنص المخالف، و أشرت إلى موضع الترجمة المخالفة، أما حين يوافقه غيره، فقد اكتفيت بالدلالة على موضع الترجمة.

و أحب أن أقول هنا: إنه، من بين هذه المراجع جميعا، لم يخالف رأي ابن خلدون فيما علمت- في الحلى التي خلعها على شيوخه من تزكية، و تفوق و بلوغ الدرجات العلى في فرع الثقافة الإسلامية التي اختص كل منهم بإتقانه، أقول لم يخالفه في ذلك إلا شخص واحد، و في مسألة واحدة، على أن كثيرا من العلماء نظر إلى المسألة ذاتها بالعين التي كان ينظر إليها بها ابن خلدون.

و المسألة هي: «هل كان لناصر الدين المشدالي بصر بعلم الحديث أو لا؟ قال ابن خلدون- و قد روى عنه الموطأ-: نعم! و قال العلامة الرحالة العبدري في رحلته: لا!

و الذي يعرف سعة اطلاع العبدري، و موهبة النقد النافذ التي كان يتمتع بها- لا يسعه إلا أن يضع رأيه- على الرغم من انفراده به- موضع التقدير.

*** و الذين تحدثوا عن ابن الخطيب- (رحمه الله)- قالوا إنه كان مولعا- في كتابته-

بالإشارة إلى مسائل تاريخية و علمية، و أنه كان مغرما بالتورية بمصطلحات العلوم التي كان يعرفها، و ما أوسع ما كان يعرفه ابن الخطيب من العلوم! و قد أورد له ابن خلدون في هذا الكتاب رسائل، وضح فيها شغفه باستخدام هذه المصطلحات، و إشارته إلى حقائق تاريخية، و مقررات علمية، إشارات عابرة لا يكاد يتكشف المراد منها دون استفتاء مصادرها الأولى، و في ذلك الجهد البالغ و المشقة المضنية.

و قد وجدتني ملزما بتحديد موضع الإشارة من بين حوادث التاريخ، و شرح الكلمة التي لها معنى خاص حدده أقوام من العلماء معينون، فأصبحوا المرجع الأساسي عند تحديد معنى الكلمة الجديد، ثم عليّ بعد ذلك دلالة القارئ على موطن التفسير.

و من هنا طالت الشروح في بعض المواطن و ما أردتها أن تطول، و لكنه ابن الخطيب يغذي أدبه برواسب ثقافته الإسلامية المتشعبة الفروع، فإذا ما أردت أن تعود بها إلى مواطنها الأولى حيث يتضح لك وجه الدلالة منها، كان عليك الاستعداد لطواف حول العدد الكثير من مجلدات هذه الثقافة، غير مريح. و ما أكثر ما ضللت السبيل فظلت الكلمات مبهمة المعنى، غير واضحة المراد!

أما الفهارس فما أحدثت فيها جديدا يدعو إلى الإرشاد و التنبيه، إلا أن حصولي على نسختي المؤلف جعلني أعنى بالأعلام التي ضبطها فيهما بقلمه، حيث إن ضبطها توفيقي لا يخضع لقانون؛ و قد وضعتها في فهرس خاص بها مرتبة على حروف المعجم [19].

و ما أحب أن أنهي هذه الكلمة دون أن أعترف بالجميل لأشخاص كان لهم الفضل الكبير في ظهور هذا الكتاب:

معالي الدكتور طه حسين باشا، حيث شمل عملي في ابن خلدون بعطفه و تشجيعه، و كان لمعاليه في هذا الكتاب موقف كريم لن أنساه.

و الأستاذ الجليل أحمد بك أمين الذي كان هذا الكتاب موضع رعايته منذ بدء عملي فيه، و لقد تكرم بتقرير طبع هذا الكتاب في «لجنة التأليف» على نفقتها.

---

(19) أرجو أن يلاحظ أن الرقم الموضوع بين قوسين في الفهارس يدل على أن للعلم ترجمة عند هذا الرقم.

و أستاذي العلامة الثبت أمين بك الخولي الذي كان لملاحظاته القيمة على منهج عملي في ابن خلدون فوائد ذات أثر بعيد.

فإليهم جميعا أرفع شكري و اعترافي بالجميل.

و بعد فقد بذلت من جهدي ما استطعت، فإن وفقت فمن فضل الله ولي العون كان ذلك التوفيق، و إن كانت الأخرى- و ما أظنني بمنجاة منها- فحسبي أن أنال أجر ما اجتهدت؟

القاهرة في 6 رجب 1370 ه/ 12 إبريل 1951 م محمد بن تاويت الطنجي

نصّ الرّحلة

التّعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا [1]

و أصل هذا البيت من إشبيلية؛ انتقل سلفنا- عند الجلاء و غلب ملك الجلالقة ابن أدفونش عليها- إلى تونس في أواسط المائة السابعة

نسبه

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون. [2] لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة، و يغلب عليّ الظن أنّهم أكثر، و أنّه سقط مثلهم عددا؛ لأنّ خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدّة لهذا العهد سبعمائة سنة،

---

(1) ختم ابن خلدون الجزء الأخير من تاريخه بالتعريف بنفسه، و قد ورد عنوان هذا التعريف في النسختين ش ط بهذه الصيغة، و في النسختين ب ز: «مؤلف هذا الكتاب». و قد استخدم المؤلف العنوان نفسه هنا، و أضاف بخطه قوله: «و رحلته غربا و شرقا».

(2) بفتح الخاء كما ضبطه بخطه بالقلم مرارا، و كما نص عليه السخاوي في الضوء اللامع 4/ 145، و أحمد بابا التّنبكتي في نيل الابتهاج ص 169.

فيكونون زهاء العشرين؛ ثلاثة لكل مائة، كما تقدم في أول الكتاب الأول [3].

و نسبنا حضر موت، من عرب اليمن، إلى وائل بن حجر، من أقيال العرب، معروف و له صحبة. قال أبو محمد بن حزم [4] في كتاب الجمهرة: و هو وائل بن حجر بن سعيد [5] بن مسروق بن وائل بن النّعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف ابن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مرّة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبد الله بن هانئ [6] بن عوف بن جرشم بن عبد شمس بن زيد بن لأي بن شبت [7] بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لأي بن قحطان. و ابنه علقمة [8] بن وائل و عبد الجبّار بن وائل [9].

و ذكره أبو عمر بن عبد البرّ في [10] حرف الواو من «الاستيعاب»، و أنّه وفد [11]

---

(3) انظر المقدمة ص 84 طبع بولاق. حيث قدر أعمار الدول.

(4) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري القرطبي (384- 456) انظر الإحاطة ص 142 (مخطوط دار الكتب المصرية) و تذكرة الحفاظ 3/ 321، و تاريخ الأدب العربي لبروكلمن 1/ 400، و الملحق 1/ 694.

(5) ما ذكره ابن خلدون في نسب جدّه وائل عن الجمهرة (111 ب) هو أحد قولين ذكرهما معا ابن عساكر، و المزّى. و قد خلط ابن حجر في الإصابة و تهذيب التهذيب بين القولين فجاء ما كتبه مشوّها غير متلائم. انظر المزّى (ورقة 728 و) و ابن عساكر ج 45/ 148.

(6) الزيادة عن الجمهرة، و ابن عساكر، و المزّى.

(7) قيدها بخطه بفتح الشين و سكون الباء الموحدة بعدها مثناة فوقية.

(8) ترجمته في المزّى ورقة 477 ظ، تهذيب التهذيب 7/ 280.

(9) في الأصل و الجمهرة و ش ط ز «و عبد الجبار بن علقمة بن وائل» و هو خطأ و التصحيح عن المزّى ورقة 383 و، تهذيب التهذيب 6/ 105.

(10) هو الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمرى القرطبى (368- 463). نفح الطيب 1/ 119، 123، و تاريخ الأدب العربي لبروكلمن 1/ 367 و الملحق 1/ 628.

(11) انظر قصة وفادته على النبي (صلى الله عليه و سلم) «عام الوفود» في القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون ص 56.

على النّبي (صلى الله عليه و سلم)، فبسط له رداءه، و أجلسه عليه، و قال: «اللهم بارك في وائل بن حجر و ولده و ولد ولده إلى يوم القيامة».

و بعث معه معاوية بن أبي سفيان إلى قومه يعلّمهم القرآن و الإسلام، فكانت له بذلك صحابة مع معاوية. و وفد عليه لأول خلافته و أجازه، فردّ عليه جائزته و لم يقبلها. و لمّا كانت واقعة [12] حجر بن عديّ الكندي بالكوفة، اجتمع رؤوس أهل اليمن، و فيهم وائل هذا، فكانوا مع زياد [13] بن أبي سفيان عليه، حتّى أوثقوه و جاؤوا به إلى معاوية، فقتله كما هو معروف.

قال ابن حزم [14]: و يذكر بنو خلدون الإشبيليّون من ولده، و جدّهم الداخل من الشّرق خالد المعروف بخلدون بن عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريب [15] بن معد يكرب ابن الحارث بن وائل بن حجر. قال: و كان من عقبه كريب بن عثمان بن خلدون و أخوه خالد، و كانا من أعظم ثوّار الأندلس.

قال ابن حزم: و أخوه محمّد كان من عقبه أبو العاصي عمرو بن محمد بن خالد بن محمّد بن خلدون.

و بنو أبي العاصي: محمّد، و أحمد، و عبد الله. قال:- و أخوهم عثمان، و له عقب. و منهم الحكيم المشهور بالأندلس من تلاميذ مسلمة المجريطي، [16] و هو أبو

---

(12) ذكرت هذه الواقعة مفصلة في كتاب الأغاني (16/ 2- 11 (بولاق).

(13) هو زياد بن أبي سفيان، و يقال ابن أبيه؛ أخو معاوية بن أبي سفيان. ولد عام الفتح بالطائف، و توفي بالكوفة عام 53 ه. انظر المعارف ص 151.

(14) انظر جمهرة الأنساب لوحة 111 ب.

(15) قيده بخطه بضم الكاف و فتح الراء.

(16) هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي. فلكي راصد، له تأليف في الفلك و الفلسفة و السحر و الكيمياء. انظر طبقات الأمم لصاعد ص 69، و عيون الأنباء 2/ 39 و أخبار الحكماء ص 326.

مسلم عمر بن محمد [17] بن بقيّ بن عبد الله بن بكر بن خالد بن عثمان بن خالد بن عثمان ابن خلدون الدّاخل. و ابن عمّه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. قال: و لم يبق من ولد كريب الرئيس المذكور إلا أبو الفضل بن محمد بن خلف بن أحمد ابن عبد الله بن كريب- انتهى كلام ابن حزم.

سلفه بالأندلس

و لمّا دخل خلدون بن عثمان جدّنا إلى الأندلس، نزل بقرمونة [18] في رهط من قومه حضر موت، و نشأ بيت بنيه بها، ثم انتقلوا إلى إشبيلية. [19] و كانوا في جند اليمن، و كان لكريب من عقبه و أخيه خالد، الثورة المعروفة بأشبيلية أيام الأمير عبد الله المرواني، [20] ثار على ابن أبي عبدة، و ملكها من يده أعواما، ثم ثار عليه إبراهيم ابن حجّاج، بإملاء الأمير عبد الله و قتله، و ذلك في أواخر المائة الثالثة.

---

(17) في عيون الأنباء (2/ 41)، و طبقات صاعد (ص 71): «عمر بن أحمد بن خلدون». و ابن خلدون هذا هو أحد أشراف إشبيلية، و كان فيلسوفا مهندسا طبيبا. توفي سنة 449 ه. و قد أخطأ الأستاذ قدري حافظ طوقان في «تراث العرب العلمي في الرياضيات و الفلك» ص 134 حيث حسبه عبد الرحمن بن خلدون صاحب المقدمة، و لم يلتفت إلى الفارق الزمني الفسيح بين وفاتي الرجلين (359 سنة).

(18) قرمونةCarmona) عرضها الشمالي 26- 37 و طولها الشرقي 45- 5) بفتح القاف و سكون الراء و تحريكها، بعدها ميم مضمومة فنون مفتوحة بعد واو ساكنة: مدينة بالأندلس. ياقوت 7/ 72 تاج العروس 9/ 23 الروض المعطار ص 158.

(19) إشبيليةSevilla) أوSeville عرضها الشمالي 24- 37 و طولها الغربي 5- 6) عاصمة بني عباد من ملوك الطوائف بالأندلس. ياقوت 1/ 354 تاج العروس 7/ 386 الروض المعطار ص 18.

(20) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي سابع الخلفاء من بني أمية بالأندلس (270- 300) انظر تاريخ ابن خلدون 3/ 137.

و تلخيص الخبر عن ثورته، [21] على ما نقله ابن سعيد [22] عن الحجاري [23] و ابن حيّان [24] و غيرهما، و ينقلونه عن ابن الأشعث مؤرخ إشبيلية: أن الأندلس لما اضطربت بالفتن أيام الأمير عبد الله تطاول رؤساء إشبيلية إلى الثّورة و الاستبداد، و كان رؤساؤها المتطاولون إلى ذلك في ثلاثة بيوت: بيت بني أبي عبدة، و رئيسهم يومئذ أميّة بن عبد الغافر بن أبي عبدة، و كان عبد الرحمن الداخل ولّى أبا عبده إشبيلية و أعمالها، و كان حافده أمية من أعلام الدولة بقرطبة، و يولونه الممالك الضخمة. و بيت بني خلدون هؤلاء، و رئيسهم كريب المذكور، و يردفه أخوه خالد.

قال ابن حيّان: و بيت بني خلدون إلى الآن في إشبيلية نهاية في النّباهة، و لم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية و رياسة علمية.

ثم بيت بني حجّاج، و رئيسهم يومئذ عبد الله. قال ابن حيّان: هم- يعني بني حجّاج- من لخم، و بيتهم إلى الآن في إشبيلية ثابت الأصل، نابت الفرع موسوم بالرياسة السّلطانية و العلمية. فلمّا عظمت الفتنة بالأندلس أعوام الثمانين و المائتين، و كان الأمير عبد الله قد ولّى على إشبيلية أميّة بن عبد الغافر، و بعث معه ابنه محمدا، و جعله في كفالته، فاجتمع هؤلاء النّفر، و ثاروا بمحمّد بن الأمير عبد الله

---

(21) تفصيل خبر هذه الثورة في تاريخ ابن خلدون 4/ 135.

(22) علي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي (610- 673) صاحب كتابي «المغرب» و «المشرق» و غيرهما. يعتمد عليه ابن خلدون كثيرا في النسب و التاريخ.

ترجمته في فوات ابن شاكر 2/ 112، نفح الطيب 1/ 634- 707، 2/ 534- 537 حسن المحاضرة 1/ 112.

(23) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الحجارى (نسبة إلى وادي الحجارة) الصنهاجي من أهل القرن السابع ألف كتاب «المسهب في غرائب المغرب» ابتدأ به من فتح الأندلس و انتهى إلى سنة 630، انظر نفح الطيب 1/ 483، 2/ 406.

(24) أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (377- 469) مؤرخ الأندلس بلا جدال. له كتاب «المتين» في التاريخ، و «المقتبس» في تاريخ الأندلس، و كتاب «معرفة الصحابة». وفيات 1/ 210، ذخيرة ابن بسام المجلد الثاني من القسم

الأول ص 84، الإعلان بالتوبيخ ص 123.

و بأمية صاحبهم، و هو يمالئهم على ذلك، و يكيد بابن الأمير عبد الله. و حاصروهما في القصر، حتّى طلب منهم اللّحاق بأبيه فأخرجوه، و استبدّ أمية إشبيلية، و دس على عبد الله بن حجّاج من قتله، و أقام أخاه إبراهيم مكانه. و ضبط إشبيلية، و استرهن أولاد بني خلدون و بني حجّاج، ثم ثاروا به، و همّ بقتل أبنائهم فراجعوا طاعته. و حلفوا له، فأطلق أبناءهم فانتقضوا ثانية. و حاربوه فاستمات و قتل حرمه، و عقر خيوله، و أحرق موجوده. و قاتلهم حتى قتلوه مقبلا غير مدبر، و عاثت العامّة في رأسه. و كتبوا إلى الأمير عبد الله بأنه خلع فقتلوه، فقبل منهم مداراة، و بعث عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته، فاستبدّوا عليه، و فتكوا بابنه، و تولّى كبر ذلك كريب بن خلدون، و استقلّ بإمارتها.

و كان إبراهيم بن حجّاج بعد ما قتل أخوه عبد الله- على ما ذكره ابن سعيد عن الحجاري- سمت نفسه إلى التّفرد، فظاهر ابن حفصون [25] أعظم ثوار الأندلس يومئذ، و كان بمالقة [26] و أعمالها إلى رندة، [27] فكان له منه ردء. ثم انصرف إلى مداراة كريب بن خلدون و ملابسته، فردفه في أمره، و شركه في سلطانه، و كان في كريب تحامل على الرّعية و تعصّب، فكان يتجهّم لهم، و يغلظ عليهم، و ابن حجّاج يسلك بهم الرفق و التلطف في الشفاعة لهم عنده، فانحرفوا عن كريب إلى إبراهيم.

ثم دسّ إلى الأمير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية إشبيلية، لتسكن إليه العامّة، فكتب إليه العهد بذلك. و أطلع عليه عرفاء البلد، مع ما أشربوا من حبّه، و النّفرة عن كريب، ثم أجمع الثورة، و هاجت العامّة بكريب فقتلوه، و بعث برأسه إلى الأمير عبد

---

(25) هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر دميان بن فرغلوش بن أذفونش القس. أول ثائر بالأندلس، و هو الذي افتتح الخلاف بها، و فارق الجماعة أيام محمد بن عبد الرحمن سنة 270. و توفي سنة 306 و انظر ثورته في تاريخ ابن خلدون 4/ 134 و ما بعدها.

(26) مالقةMalaga) عرضها الشمالي 45- 36، و طولها الغربي 10- 6) بفتح اللام و القاف مدينة معروفة من مدن الأندلس الساحلية. ياقوت 7/ 367. الروض المعطار ص 177.

(27) رندةRonda) عرضها الشمالي 45- 36 و طولها الشرقي 10- 5) بضم فسكون

فدال مفتوحة مدينة شهيرة بالأندلس. ياقوت 4/ 293. الروض ص 79.

الله، و استقرّ بإمارة إشبيلية.

قال ابن حيّان: و حصّن مدينة قرمونة من أعظم معاقل الأندلس، و جعلها مرتبطا لخيوله، و كان ينتقل بينها و بين إشبيلية. و اتخذ الجند و رتّبهم طبقات، و كان يصانع الأمير عبد الله بالأموال و الهدايا، و يبعث إليه المدد في الصّوائف. [28] و كان مقصودا ممدّحا، قصده أهل البيوتات فوصلهم، و مدحه الشعراء فأجازهم، و انتجعه أبو عمر ابن عبد ربّه صاحب العقد، [29] و قصده من بين سائر الثوار، فعرف حقّه، و أعظم جائزته.

و لم يزل بيت بني خلدون بإشبيلية- كما ذكره ابن حيّان و ابن حزم و غيرهما- سائر أيام بني أمية إلى أزمان الطّوائف، [30] و انمحت عنهم الإمارة بما ذهب لهم من الشوكة.

و لما علا كعب بن عبّاد [31] بإشبيلية، و استبدّ على أهلها، استوزر من بني خلدون هؤلاء، و استعملهم في رتب دولته، و حضروا معه وقعة الزّلّاقة [32] كانت لابن عبّاد و ليوسف بن تاشفين [33] على ملك الجلالقة، فاستشهد فيها طائفة كبيرة من بني

---

(28) الصوائف جمع صائفة و هي غزوات المسلمين إلى بلاد الروم. سميت صوائف لأنهم كانوا يغزون صيفا تفاديا من شدّة البرد و الثلج (تاج العروس).

(29) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي (246- 328) صاحب كتاب العقد الفريد ترجمته في الوفيات 1/ 39 اليتيمة 1/ 412 معجم ياقوت 2/ 67.

(30) يبتدئ عصر ملوك الطوائف بالأندلس بنهاية الخلافة الأموية، و ينتهي بغلبة يوسف بن تاشفين المرابطي عليهم جميعا، و استيلائه على الأندلس. انظر تاريخ ابن خلدون 4/ 156 و ما بعدها.

(31) أبو القاسم المعتمد محمد بن المعتضد بن عباد (431- 488) أكبر ملوك الطوائف بالأندلس ترجمته في: الوفيات 3/ 36. المعجب ص 63؛ نفح الطيب 2/ 469 تاريخ ابن خلدون 4/ 156 و ما بعدها.

(32) وقعة الزلاقة هذه من المعارك ذات الأثر البعيد في الحياة الإسلامية بالأندلس، و لذلك أكثر المؤرخون من الحديث عنها. انظر مثلا نفح الطيب 2/ 523 و الوفيات 2/ 40، 483، و الروض المعطار ص 83- 95، الاستقصا 1/ 111- 119.

(33) انظر ترجمة يوسف بن تاشفين (410- 500) في الوفيات 2/ 481.

خلدون هؤلاء، ثبتوا في الجولة مع ابن عبّاد فاستلحموا في ذلك الموقف. ثم كان الظهور للمسلمين، و نصرهم الله على عدوّهم. ثم تغلب يوسف بن تاشفين و المرابطون على الأندلس، و اضمحلّت دولة العرب و فنيت قبائلهم.

سلفه بأفريقية

و لمّا استولى الموحّدون [34] على الأندلس، و ملكوها من يد المرابطين، و كان ملوكهم: عبد المؤمن و بنيه. و كان الشّيخ أبو حفص كبير هنتاتة زعيم دولتهم، [35] و ولّوه على إشبيلية و غرب الأندلس مرارا، ثم ولّوا ابنه عبد الواحد عليها في بعض أيامهم، ثم ابنه أبا زكرياء كذلك، فكان لسلفنا بإشبيلية اتصال بهم، و أهدى بعض أجدادنا من قبل الأمهات، و يعرف بابن المحتسب، للأمير أبي زكرياء

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا* * * إن السبيل إلى منجاتها درسا

[36] يحيى بن عبد الواحد ابن أبي حفص أيام ولايته عليهم، جارية من سبي الجلالقة، اتخذها أمّ

---

(34) تبتدئ دولة الموحدين بالمغرب سنة 514 على يد مهدي الموحدين محمد بن تومرت و تنتهي سنة 668 ه. و امتدّ سلطانها إلى الأندلس من سنة 540- 609 ه تقريبا انظر جذوة الاقتباس ص 97- و تاريخ أبي الفداء 2/ 243.

(35) هو أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد الهنتاتي، أول التابعين لمهدي الموحدين من بين قومه، و المختص بصحابته، و من هنا انتظم في سلك العشرة السابقين إلى دعوة ابن تومرت. و كان يسمّى بين الموحدين بالشيخ. و إلى أبي حفص هذا تنتسب الدولة الحفصية بإفريقية. و ليس صحيحا ما يتوهّم من أنّها من ذريّة أبي حفص عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، انظر ابن خلدون 6/ 275، 267، 227، و المعجب للمراكشي ص 125.

(36) هو الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي ملك جل إفريقية، و بايعه

أهل الأندلس، و أمّله أهل شرق الأندلس لصدّ هجوم ملكي أرغون و قشتالة، فأوفدوا إليه كاتب ابن مرذنيش أبا عبد الله ابن الأبّار، فأنشده القصيدة السينية المشهورة.

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا* * * إن السبيل إلى منجاتها درسا

انظر صبح الأعشى 5/ 127 و ابن خلدون 6/ 281 و أزهار الرياض 3/ 205 و ما بعدها.

ولد، و كان له منها ابنه أبو يحيى زكريا ولي عهده الهالك في أيامه، و أخواه: عمر و أبو بكر، و كانت تلقّب أم الخلفاء. انتقل الأمير أبو زكريا إلى ولاية إفريقية سني العشرين و الستمائة. و دعا لنفسه بها، و خلع دعوة بني عبد المؤمن سنة خمس و عشرين. و استبدّ بإفريقية، و انتقضت دولة الموحّدين بالأندلس، و ثار عليهم ابن هود. [37] ثم هلك و اضطربت الأندلس، و تكالب الطاغية عليها، و ردّد الغزو إلى الفرنتيرة [38] هي بسيط قرطبة و إشبيلية إلى جيّان، [39] و ثار ابن الأحمر بغرب الأندلس من حصن أرجونة، [40] يرجو التماسك لما بقي من رمق الأندلس. و فاوض أهل الشورى يومئذ بإشبيلية. و هم بنو الباجي، و بنو الجدّ، و بنو الوزير، و بنو سيّد الناس، و بنو خلدون. و داخلهم في الثورة على ابن هود، و أن يتجافوا للطاغية عن الفرنتيرة، و يتمسكوا بالجبال الساحلية و أمصارها المتوعرة، من مالقه إلى غرناطة [41] إلى المريّة، [42] فلم يوافقوه على بلدهم.

---

(37) محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن هود الجذامي. انظر أخبار ثورته في تاريخ ابن خلدون 4/ 168.

(38) الفرنتيرة هي: بسيطة قرطبة و إشبيلية و طليطلة و جيان، آخذة من جوف (شمال) الجزيرة من المغرب إلى المشرق (ابن خلدون 4/ 179).

(39) جيانJaen) عرضها الشمالي 49- 37، و طولها الغربي 46- 3) بفتح الجيم و تشديد الياء المفتوحة المثناة من تحت، ثم ألف و نون. صبح الأعشى 5/ 229، الروض المعطار ص 70، ياقوت 3/ 185.

(40) أرجونةArjona) عرضها الشمالي 52- 37، و طولها الشرقي 6- 4 تقريبا) بفتح فسكون فجيم مضمومة بعدها واو ساكنة ثم نون مفتوحة بعدها هاء التأنيث. ياقوت 1/ 181، الروض المعطار ص 12.

(41) و يقال أغرناطةGranada) عرضها الشمالي 10- 37، و طولها الغربي 32- 3) ياقوت 6/ 279.

الروض المعطار ص 23.

(42) المريةAlmeria) عرضها الشمالي (15- 36، و طولها الغربي 30- 2) مدينة ساحلية بجنوب شرق الأندلس. ياقوت 7/ 42، الروض المعطار ص 183.

و كان مقدّمهم أبو مروان الباجي، فنابذهم ابن الأحمر و خلع طاعة الباجي، و بايع مرّة لابن هود، و مرّة لصاحب مراكش [43] من بني عبد المؤمن، و مرّة للأمير أبي زكرياء صاحب إفريقية. و نزل غرناطة، و اتخذها دارا لملكه، و بقيت الفرنتيرة و أمصارها ضاحية من ظلّ الملك، فخشي بنو خلدون سوء العاقبة مع الطاغية، و ارتحلوا من إشبيلية إلى العدوة، و نزلوا سبتة [44] و أجلب الطاغية على تلك الثغور، فملك قرطبة، [45] و إشبيلية، و قرمونة و جيّان و ما إليها، في مدة عشرين سنة. و لما نزل بنو خلدون سبتة أصهر إليهم العزفيّ [46] بأبنائه و بناته، فاختلط بهم، و كان له معهم صهر مذكور. و كان جدّنا الحسن بن محمد، و هو سبط ابن المحتسب، قد أجاز فيمن أجاز معهم، فذكر سوابق سلفه عند الأمير أبي زكرياء، فقصده و قدم عليه فأكرم قدومه. و ارتحل إلى المشرق، فقضى فرضه. ثم رجع و لحق بالأمير أبي زكرياء على بونة، [47] فأكرمه، و استقرّ في ظلّ دولته، و مرعى نعمته، و فرض له الأرزاق، و أقطع الإقطاع. و هلك هنالك، فدفن ببونة. و خلّف ابنه محمدا أبا بكر، فنشأ في

---

(43)(Marrakesh)

بالفتح ثم التشديد و ضم الكاف: مدينة عظيمة بالمغرب الأقصى، اختطها يوسف بن تاشفين في حدود سنة 470، و كانت عاصمة دولة الموحدين. عرضها الشمالي 35- 31، و طولها الغربي 0- 8. ياقوت 8/ 7.

(44) سبتة(Ceuta) بفتح السين و سكون الباء، عرضها الشمالي (55- 35، و طولها الغربي 20- 5)؛ مدينة ساحلية من مدن المغرب الأقصى، لها الماضي المجيد في الثقافة الإسلامية، ياقوت 5/ 26 تاج العروس 1/ 549 أزهار الرياض 1/ 29- 37.

(45) قرطبةCordoba) عرضها الشمالي 50- 37، و طولها الغربي 50- 4) مدينة مشهورة بالأندلس، كانت مستقرّ الخلافة أيام الأمويين، و لها المكان الأول في تاريخ الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي. ياقوت 7/ 53- 55 الروض المعطار ص 153- 158.

(46) انظر أخبار بني العزفيّ في تاريخ بن خلدون 6/ 343، 7/ 186، 228، 246.

(47) بونةBona) أوBoune) ، و تسمّى بلد العنّاب (عنابة) بضم الباء بعدها واو ساكنة ثم نون مفتوحة:

مدينة بالجزائر على ساحل البحر الأبيض عرضها الشمالي 00- 37 و طولها الشرقي 42- 7.

ياقوت 1/ 310 تاج العروس 9/ 149، 5/ 106.

جوّ تلك النعمة و مرعاها. و هلك الأمير أبو زكرياء ببونة سنة سبع و أربعين، و ولي ابنه المستنصر محمد، فأجرى جدّنا أبا بكر على ما كان لأبيه. ثم ضرب الدهر ضربانه، و هلك المستنصر سنة خمس و سبعين، و ولي ابنه يحيى، و جاء أخوه الأمير أبو إسحق من الأندلس، بعد أن كان فرّ أمام أخيه المستنصر. فخلع يحيى، و استقلّ هو بملك إفريقية، و دفع جدّنا أبا بكر محمدا إلى عمل الأشغال في الدّولة، على سنن عظماء الموحدين فيها قبله؛ من الانفراد بولاية العمال، و عزلهم و حسبانهم، على الجباية، فاضطلع بتلك الرّتبة. ثم عقد السّلطان أبو إسحق لابنه محمّد، و هو جدّنا الأقرب، على حجابة ولي عهده ابنه أبي فارس أيام أقصاه إلى بجاية. (48) ثم استعفى جدّنا من ذلك فأعفاه، و رجع إلى الحضرة. و لما غلب الدّعيّ بن أبي عمارة (49) على ملكهم بتونس، اعتقل جدّنا أبا بكر محمدا، و صادره على الأموال، ثمّ قتله خنقا في محبسه. و ذهب ابنه محمد جدّنا الأقرب مع السّلطان أبي إسحق و أبنائه إلى بجاية، فقبض عليه ابنه أبو فارس، و خرج في العساكر هو و أخوته لمدافعة الدّعيّ ابن أبي عمارة، و هو يشبّه بالفضل ابن المخلوع، حتى إذا استلحموا بمرّماجنّة (50) خلص جدّنا محمد مع أبي حفص/ ابن الأمير أبي زكرياء من الملحمة، و معهما الفازازي و أبو الحسين ابن سيّد الناس، فلحقوا بمنجاتهم من قلعة سنان. و كان الفازازي من صنائع المولى أبي حفص، و كان يؤثره عليهم. فأمّا أبو الحسين ابن سيّد الناس فاستنكف من

---

(48) بجاية(Bougie) بكسر الباء، و تخفيف الجيم المفتوحة، ثم ياء مفتوحة بعد ألف، و تسمى الناصرية نسبة إلى بانيها الناصر بن علناس بن حمّاد بن زيرى الصنهاجي- بناها في حدود سنة 457: مدينة بالجزائر تقع على ساحل البحر الأبيض و كانت قاعدة المغرب الأوسط. عرضها الشمالي 50- 36 و طولها الشرقي 00- 5. ياقوت 2/ 62، تاج العروس 10/ 31.

(49) هو أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة من بيوتات بجاية الطائرين عليها من المسيلة. انظر تاريخ ابن خلدون 6/ 296، 302، و الإحاطة 1/ 174، صبح الأعشى 5/ 128.

(50)(Marmajena)

بفتح الميم و سكون الراء (و في ضبط ابن خلدون بتشديد الراء المفتوحة) و فتح الميم ثم ألف بعدها جيم مفتوحة، فنون مشددة مفتوحة: قرية بإفريقية لقبيلة هوارة البربرية، تقع في الشمال الغربي لمدينة تبسّه، و في شرقي قلعة سنان. ياقوت 8/

.29

إيثار الفازازي عليه، بما كان أعلى رتبة منه ببلده إشبيلية، و لحق بالمولى أبي زكرياء الأوسط بتلمسان، [51] و كان من شأنه ما ذكرناه. و أمّا محمد بن خلدون فأقام م الأمير أبي حفص، و سكن لإيثار الفازازي. و لما استولى أبو حفص على الأمر رعى له سابقته، و أقطعه، و نظمه في جملة القواد و مراتب أهل الحروب، و استكفى به في الكثير من أهل ملكه، و رشّحه لحجابته من بعد الفازازي. و هلك، فكان من بعده حافد أخيه المستنصر أبو عصيدة، و اصطفى لحجابته محمد بن إبراهيم الدّبّاغ كاتب الفازازي، و جعل محمد ابن خلدون رديفا في حجابته. فكان كذلك إلى أن هلك السّلطان، و جاءت دولة الأمير خالد، فأبقاه على حاله من التجلّة و الكرامة، و لم يستعمله و لا عقد له، إلى أن كانت دولة أبي يحيى بن اللحياني، فاصطنعه، و استكفى به عندما نبضت عروق التغلب للعرب؛ و دفعه إلى حماية الجزيرة من دلاج، [52] أحد بطون سليم الموطنين بنواحيها، فكانت له في ذلك آثار مذكورة. و لمّا انقرضت دولة ابن اللحياني خرج إلى المشرق، و قضى فرضه سنة ثمان عشرة، و أظهر التوبة و الإقلاع، و عاود الحج متنفّلا سنة ثلاث و عشرين، و لزم كسر بيته. و أبقى السّلطان أبو يحيى عليه نعمته في كثير مما كان بيده من الإقطاع و الجراية، و دعاه إلى حجابته مرارا، فامتنع.

أخبرني محمد بن منصور بن مزنى، [53] قال: لما هلك الحاجب محمد بن عبد العزيز الكردي المعروف بالمزوار، سنة سبع و عشرين و سبعمائة، استدعى السّلطان جدّك محمد بن خلدون، و أراده على الحجابة، و أن يفوّض إليه في أمره، فأبى و استعفى، فأعفاه، و وامره فيمن يوليه حجابته، فأشار عليه بصاحب الثغر: بجاية، محمد بن أبي الحسين بن سيّد الناس، لاستحقاقة ذلك بكفايته و اضطلاعه، و لقديم صحابة بين سلفهما بتونس، و بإشبيلية من قبل. و قال له: هو أقدر على ذلك بما هو

---

(51)(Tlemcen)

بكسرتين و سكون الميم و سين. و بعضهم يقول: تنمسان، بالنون عوض اللام. مدينة مشهورة بالمغرب عرضها الشمالي 51- 34، و طولها الغربي 15- 1.

(52) انظر بعض أخبار دلاج في تاريخ ابن خلدون 6/ 73، 75.

(53) كان ابن مزنى هذا صديقا لابن خلدون. انظر العبر 6/ 338.

عليه من الحاشية و الذّوين، [54] فعمل السّلطان على إشارته، و استدعى ابن سيّد الناس، و ولّاه حجابته. و كان السّلطان أبو يحيى إذا خرج من تونس يستعمل جدّنا محمدا عليها، وثوقا بنظره و استنامة إليه، إلى أن هلك سنة سبع و ثلاثين، و نزع ابنه، و هو والدي محمد أبو بكر، عن طريقة السيف و الخدمة، إلى طريقة العلم و الرباط، لما نشأ عليها في حجر أبي عبد الله الزّبيدي [55] الشهير بالفقيه، كان كبير تونس لعهده، في العلم و الفتيا، و انتحال طرق الولاية التي ورثها عن أبيه حسين و عمّه حسن، الوليين الشّهيرين. و كان جدّنا (رحمه الله) قد لزمه من يوم نزوعه عن طريقه، و ألزمه ابنه، و هو والدي (رحمه الله) فقرأ و تفقّه، و كان مقدّما في صناعة العربية، و له بصر بالشعر و فنونه. عهدي بأهل الأدب يتحاكمون إليه فيه، و يعرضون حوكهم عليه، و هلك في الطاعون الجارف سنة تسع و أربعين و سبعمائة.

نشأته و مشيخته و حاله

أما نشأتي فإنّي ولدت بتونس [56] في غرّة رمضان سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة، و ربيت في حجر والدي (رحمه الله) إلى أن أيفعت و قرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتّب أبي عبد الله محمد بن سعد بن برّال [57] الأنصاري، أصله من جالية

---

(54) الذّوون: الأدنون الأخصّون. (لسان العرب).

(55) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي (بضم الزّاى، نسبة إلى قرية بساحل المهدية) توفي عام 740 ه (انظر رحلة ابن بطوطة ص 6).

(56) تونس(Tunis) عرضها الشمالي 50- 36 و طولها الشرقي 3- 10) بضم التاء فواو. و النون تضم و تفتح و تكسر؛ عاصمة القطر التونسي اليوم. ياقوت 2/ 432.

(57) برال: بضم الباء الموحّدة، و فتح الراء المشدّدة، هكذا قيّده ابن خلدون بالقلم، و معاصره محمد بن ميمون البلوى الأندلسي بخطّه بالقلم أيضا (انظر 135 مجاميع ورقة 100 ظ س 5) مخطوط بدار الكتب. و قد ورد هذا العلم محرفا في كثير من المراجع.

الأندلس من أعمال بلنسية، [58] أخذ عن مشيخة بلنسية و أعمالها، و كان إماما في القراءات، لا يلحق شأوه، و كان من أشهر شيوخه ففي القراءات السبع أبو العباس أحمد بن محمد البطرني، [59] و مشيخته فيها، و أسانيده معروفة. و بعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي، قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة إفرادا و جمعا [60] في إحدى و عشرين ختمة، ثم جمعتها في ختمة واحدة أخرى، ثم قرأت برواية يعقوب [61] ختمة واحدة جمعا بين الروايتين عنه، و عرضت عليه (رحمه الله) قصيدتي الشاطبي [62]؛ اللامية في القراءات، و الرائية في الرسم، و أخبرني بهما عن

---

(58) بلنسية(Valencia) ، عرضها الشمالي 30- 39 و طولها الغربي 30- 0) بفتح الباء و اللام، ثم سين مكسورة تليها ياء مفتوحة مدنية شهيرة من مدن شرق الأندلس ياقوت 2/ 297.

(59) البطرني ضبطه ابن خلدون بالقلم، و ابن ميمون البلوى، بفتح الباء و الطاء المهملة و راء ساكنة بعدها نون، نسبة إلى بطرنة(Paterna) من إقليم بلنسية بشرق الأندلس انظر كتاب البيان المغرب 3/ 252.

(60) الإفراد أن يتلى القرآن كلّه أو جزء منه برواية واحدة لأحد القرّاء السبعة أو العشرة المشهورين، و الجمع أن يجمع القارئ عند قراءة القرآن كلّه أو جزء منه بين روايتين فأكثر من الروايات السبع أو العشر المتواترة، و يسمّى بالجمع الكبير إن استوفى القارئ سبع قراءات فأكثر، و إلا سمّوه بالجمع الصغير. و لهم في صفة الجمع و حكمه، من إباحة و تحريم، خلاف معروف تجده في (غيث النفع ص 8- 10).

(61) هو يعقوب بن إسحق بن زيد بن عبد الله الحضرمي البصري (117- 205) أحد القراء العشرة، و له قراءة مشهورة عنه، و هي إحدى القراءات العشر، و قد رويت عنه من طريقين: الأولى رواية محمد بن المتوكل المعروف برويس (طبقات القراء 2/ 13)، و الثانية عن روح بن عبد المؤمن الهذلي (طبقات القراء 1/ 285). و إلى ما ذكر يشير ابن خلدون بقوله «جمعا بين الروايتين عنه».

(62) هو أبو القاسم، و يكنى أبا محمد أيضا القاسم بن فيره (بكسر الفاء بعدها ياء آخر الحروف ساكنة، ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء) بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني (238- 590) رحل إلى الشرق، و دخل القاهرة، و بها بمدرسة القاضي الفاضل، نظم قصيدتيه اللامية التي عرفت بالشاطبية، و بحرز الأماني، و الرائية التي

تعرف بالعقيلة. (طبقات القراء 2/ 20، سبكى طبقات 4/ 297 ديباج ص 224).

الأستاذ أبي العباس البطرني و غيره من شيوخه؛ و عرضت عليه كتاب التّقصّي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر، حذا به حذو كتابه التّمهيد [63] على الموطأ، مقتصرا على الأحاديث فقط. و دارست عليه كتبا جمّة، مثل كتاب التّسهيل لابن مالك [64] و مختصر ابن الحاجب [65] في الفقه، و لم أكملهما بالحفظ، و في خلال ذلك تعلّمت صناعة العربية على والدي، و على أستاذي تونس: منهم الشيخ أبو عبد الله بن

---

(63) كتاب التمهيد، لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، شرح على الموطأ، رتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم. بدار الكتب الظاهرية بدمشق، و بدار الكتب المصرية أجزاء مخطوطة منه. و أما كتاب التقصي فقد طبعته مكتبة القدسي سنة 1350 بالقاهرة.

(64) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي الجياني النحوي المشهور (600- 672) و كتابه تسهيل الفوائد جمع- في إيجاز- قواعد النحو، و لذلك عنى به أعلام النحو قراءة و شرحا و إقراء.

و قد طبع بمكة سنة 1319 ه. مرآة الجنان 4/ 172، طبقات السبكى 5/ 28 نفح الطيب 1/ 427 بغية الوعاة 35.

(65) عثمان بن عمر بن يونس المعروف بابن الحاجب جمال الدين المصري (570- 646). له مختصر في الفقه المالكي يسمّى المختصر الفقهي، و الفرعين و الجامع بين الأمهات. أدخله إلى المغرب عبد الرحمن بن سليمان البجائي (المتوفى سنة 773. أحمد بابا ص 168) و عنى بشرحه كثير من المغاربة، كالقاضي ابن عبد السلام التونسي شيخ ابن خلدون، و عيسى بن مسعود بن منصور المنكلاتي. و في دار الكتب أجزاء من الشرحين معا. و شرحه من المصريين: الشيخ خليل المالكي و سمّى شرحه «التوضيح»، و هو من مخطوطات دار الكتب أيضا. و لابن الحاجب مختصر آخر في أصول الفقه، و يعرف عند القدماء بالمختصر الأصلي، و هو اختصار لكتابه: «منتهى السول و الأمل، من علمى الأصول و الجدل»، و ذكره ابن خلدون في آخر ترجمة الآبلى التي تأتى قريبا.

و قد تحدث ابن خلدون في آخر فصل الفقه من مقدمته عن مختصر ابن الحاجب الفقهي، و عن تاريخ دخوله إلى المغرب، و أثره في دراسة الفقه المالكي هنالك، و عمن شرحه من علماء المغرب، و عناية الفقهاء المغاربة به- بما لا يدع مجالا للريبة. (انظر رأيا يخالف هذا في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ص 11، 12).

[المنهل الصافي 2/ 371، مرآة الجنان 4/ 114، حسن المحاضرة 1/ 215، وفيات 1/ 395.

العربي الحصايري، و كان إماما في النحو و له شرح مستوفى على كتاب التسهيل.

و منهم أبو عبد الله محمد بن الشواش الزّرزالي. و منهم أبو العبّاس أحمد بن القصّار؛ كان ممتعا في صناعة النحو، و له شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي، و هو حيّ لهذا العهد بتونس.

و منهم: إمام العربية و الأدب بتونس، أبو عبد الله محمد بن بحر؛ لازمت مجلسه، و أفدت عليه، و كان بحرا زاخرا في علوم اللسان. و أشار عليّ بحفظ الشعر، فحفظت كتاب الأشعار الستّة، و الحماسة للأعلم، [66] و شعر حبيب، [67] و طائفة من شعر المتنبي، [68] و من أشعار كتاب الأغاني. [69] و لازمت أيضا مجلس إمام المحدثين

---

(66) يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمرى المعروف بالأعلم (410- 476). بغية الوعاة 422، وفيات 2/ 465.

(67) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام (190- 226): شاعر غني عن التعريف.

(68) أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي الشاعر المعروف (303- 354) وفيات 1/ 44.

(69) ليس بعيدا أن يكون ابن خلدون قد قرأ كتاب الأغاني، و حفظ منه بعض أشعاره؛ فقد كان الكتاب في مكتبة الناصر الأموي بالأندلس، و ملك منه أبو بكر بن زهر نسخة، و هو ما يزال في ربيع الشباب، و حكى عن أبيه أن ابن عبدون كان من محفوظاته كتاب الأغاني، و قد نقل عنه السّهيلي في الروض الأنف مرات كثيرة. و إذن فتداول كتاب الأغاني بين العلماء، و الحفظ من أشعاره، كان متعارفا بين القوم منذ الزمن البعيد، و لم يكن ابن خلدون بحيث يعجز عن امتلاك الأغاني، أو رؤيته، و الاستفادة منه، و قد تقلب في المناصب العليا لدول متعددة هناك. على أن الرجل قد نقل من كتاب الأغاني في تاريخه نصوصا طويلة نجدها في الصفحات 19، 240- 241، 2، 273، 275- 276، 286- 288 من الجزء الثاني. و قد جاء في مقدمته في: «فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء» نص نقله عن الأغاني، يدل على أنه رأى الكتاب، و استفاد منه في إسناد نظرياته و تقريرها في المقدمة.
فلا محل للريبة أيضا في قوله عند تقرير كتاب الأغاني في المقدمة ص 285 طبع

بولاق: «و هو الغاية التي يسمو إليها الأديب، و يقفعندها، و أنّى له بها». (و في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ص 12 رأي يخالف هذا).
المعجب للمراكشي ص 54، نفح الطيب 1/ 180، تاريخ ابن خلدون 4/ 164.

بتونس؛ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي، [70] صاحب الرحلتين؛ و سمعت عليه كتاب مسلم بن الحجّاج، إلا فوتا يسيرا من كتاب الصّيد؛ و سمعت عليه كتاب الموطّأ من أوله إلى آخره، و بعضا من الأمّهات الخمس؛ و ناولني [71] كتبا كثيرة في العربية و الفقه، و أجازني إجازة عامّة، و أخبرني عن مشايخه المذكورين في برنامجه، أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العبّاس أحمد بن الغمّاز الخزرجي. [72]

و أخذت الفقه بتونس عن جماعة؛ منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجيّاني، و أبو القاسم محمد القصير؛ قرأت عليه كتاب التّهذيب لأبي سعيد البرادعي [73]؛ مختصر المدوّنة، و كتاب المالكية، و تفقّهت عليه. و كنت في خلال ذلك أنتاب مجلس شيخنا الإمام، قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام، [74] مع أخي محمد رحمة الله عليهما. و أفدت منه، و سمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطّأ للإمام مالك، و كانت له فيه طرق عالية، عن أبي محمد بن هارون

---

(70) محمد بن جابر بن قاسم القيسي الوادي آشي التونسي؛ شمس الدين أبو عبد الله. (673- 749) رحل إلى المشرق مرتين، و لذلك سمّاه ابن خلدون صاحب الرحلتين. ديباج ص 311، الدرر الكامنة 3/ 413.

(71) المناولة في اصطلاح المحدثين: نوع من الإجازة، و هي أن يدفع الشيخ لطالبه أصل سماعه، أو فرعا مقابلا بأصله، و يقول له: قد أجزت لك في روايته عنّي (انظر كتب مصطلح الحديث).

(72) هو القاضي أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز البلنسي، ثم التونسي (609-). ديباج ص 76، أحمد بابا ص 64، عنوان الدراية ص 70، رحلة العبدري لوحة 128 أ (بمكتبة تيمور)، المرقبة العليا ص 122.

(73) أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدى المعروف بالبرادعي؛ من علماء القرن الرابع (ديباج ص 112).

(74) محمد بن عبد السلام بن يوسف الهوارى، التونسي، القاضي، يعرف بابن عبد السلام (676- 749). ديباج ص 336، أحمد بابا ص 242، المرقبة العليا للنّباهي ص 161.

الطائي [75] قبل اختلاطه- إلى غير هؤلاء من مشيخة تونس، و كلّهم سمعت عليه، و كتب لي، و أجازني؛ ثم درجوا كلّهم في الطاعون الجارف.

و كان قدم علينا في جملة السّلطان أبي الحسن، عندما ملك إفريقية سنة ثمان و أربعين، جماعة من أهل العلم، و كان يلزمهم شهود مجلسه و يتجمّل بمكانهم فيه:

فمنهم شيخ الفتيا بالمغرب، و إمام مذهب مالك، أبو عبد الله محمد بن سليمان السّطّي [76]؛ فكنت أنتاب مجلسه، و أفدت عليه.

و منهم كاتب السّلطان أبي الحسن، و صاحب علامته التي توضع أسافل مكتوباته، إمام امحدثين و النّحاة بالمغرب، أبو محمد عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي [77]؛ لازمته، و أخذت عنه، سماعا، و إجازة، الأمهات الست، و كتاب الموطّأ، و السّير لابن إسحق، و كتاب ابن الصّلاح في الحديث، [78] و كتبا كثيرة شذّت عن حفظي. و كانت بضاعته في الحديث وافرة، و نحلته في التقييد و الحفظ كاملة، كانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر؛ في الحديث، و الفقه، و العربية، و الأدب، و المعقول، و سائر الفنون؛ مضبوطة كلّها، مقابلة. ولا يخلو ديوان منها عن ثبت بخط بعض شيوخه المعروفين في سنده إلى مؤلفه، حتى الفقه، و العربية، الغريبة الإسناد إلى مؤلفيها في هذه العصور. و منهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي، [79] إمام المقرئين بالمغرب. قرأت عليه القرآن العظيم، بالجمع

---

(75) انظر ترجمة لابن هارون في مرآة الجنان 4/ 238.

(76) سيذكر ترجمة للسطى هذا فيما بعد.

(77) انظر ترجمة عبد المهيمن الحضرمي هذا في جذوة الاقتباس ص 279، نثير الجمان لابن الأحمر ص 88 (مخطوطة خاصة)، نفح الطيب 3/ 243. و في تاريخ ابن خلدون 7/ 247- 248 حديث عن بيت بني عبد المهيمن.

(78) يريد مقدمة ابن الصلاح «علوم الحديث».

(79) أحمد بن محمد بن على الزواوي. روى عن ابن رشيد الفهري، و أخذ عن مشيخة فاس. كان حيّا سنة 748. جذوة الاقتباس ص 60 طبقات القراء 1/ 125.

الكبير بين القراءات السبع، من طريق أبي عمرو الداني، [80] و ابن شريح، [81] في ختمة لم أكملها، و سمعت عليه عدة كتب، و أجازني بالإجازة العامة.

و منهم شيخ العلوم العقلية، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي. [82] أصله من تلمسان، و بها نشأ، و قرأ كتب التعاليم، و حذق فيها؛ و أظله الحصار الكبير بتلمسان أمام المائة السابعة، فخرج منها، و حجّ، و لقي أعلام المشرق يومئذ، فلم يأخذ عنهم؛ لأنّه كان مختلطا بعارض عرض في عقله. ثم رجع من المشرق، و أفاق، و قرأ المنطق و الأصلين، على الشيخ أبي موسى عيسى بن الإمام؛ و كان قرأ بتونس، مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن، على تلاميذ ابن زيتون [83] الشهير الذكر؛ و جاء إلى تلمسان بعلم كثير من المعقول و المنقول، فقرأ الآبلي على أبي موسى منهما كما قلناه. ثم خرج من تلمسان هاربا إلى المغرب، لأن سلطانها يومئذ، أبو حمّو من ولد يغمراسن بن زيّان، كان يكرهه على التّصرف في أعماله، و ضبط الجباية بحسبانه، ففرّ إلى المغرب،

---

(80) عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، نسبة إلى دانية: مدينة بشرق الأندلس، (371- 444) له كتاب التيسير في القراءات السبع، و المقنع في رسم المصحف و غيرهما.
طبقات القراء 1/ 503، نفح الطيب 1/ 386.

(81) محمد بن شريح بن أحمد بن محمد أبو عبد الله الأشبيلي المقرئ (388- 476) له كتاب الكافي و هو من مخطوطات مكتبه تيمور، و كتاب التذكير. طبقات القراء 2/ 153.

(82) الآبلى بمدة، و موحدة مكسورة. و سيعيد ابن خلدون الحديث عنه مرة أخرى بأوسع مما هنا.

(83) القاسم بن أبي بكر بن مسافر شهر بابن زيتون، يكني أبا القاسم (621- 691) رحل إلى المشرق، و أخذ عن علمائه، و رجع إلى تونس، فتولّى بها الإفتاء و القضاء؛ و هو أول من أظهر تآليف فخر الدين الرّازي بتونس، حيث كان يقرئها. (ديباج ص 99، أحمد بابا ص 222).

و لحق بمرّاكش، و لزم العالم الشهير أبا العبّاس بن البنّاء [84] الشهير الذكر، فحصّل عنه سائر العلوم العقلية، و ورث مقامه فيها و أرفع، ثم صعد إلى جبال الهساكرة، بعد وفاة الشيخ، باستدعاء علي بن محمد بن ترروميت، ليقرأ عليه، فأفاده، و بعد أعوام استنزله ملك المغرب، السّلطان أبو سعيد، [85] و أسكنه بالبلد الجديد، و الآبليّ معه.

ثم اختصّه السّلطان أبو الحسن، و نظمه في جملة العلماء بمجلسه، و هو في خلال ذلك يعلّم العلوم العقلية، و يبثّها بين أهل المغرب، حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصارها، و ألحق الأصاغر بالأكابر في تعليمه.

و لمّا قدم على تونس في جملة السّلطان أبي الحسن، لزمته، و أخذت عنه الأصلين، و المنطق، و سائر الفنون الحكمية، و التّعليميّة؛ و كان (رحمه الله)، يشهد لي بالتّبريز في ذلك.

و ممّن قدم في جملة السّلطان أبي الحسن: صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي. [86] كان يكتب عن السّلطان، و يلازم خدمة أبي محمد عبد المهيمن رئيس الكتّاب يومئذ، و صاحب العلامة التي توضع عن السّلطان أسفل المراسيم و المخاطبات، و بعضها يضعه السّلطان بخطّه.

و كان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب، في براعة خطّه، و كثرة علمه، و حسن سمته، و إجادته في فقه الوثائق، و البلاغة في التّرسيل عن السّلطان، و حوك الشعر،

---

(84) أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي (654- 724) يعرف بابن البناء العددي؛ ولد بمراكش، و تعلم بها، و توفي بها. و قد أخطأ الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه: تراث العرب العلمي في الرياضيات و الفلك ص 216، حيث زعم أنه ولد بغرناطة. و سبب هذا الخطأ أن الأستاذ طوقان يؤرّخ العرب الرياضيين و الفلكيين، و لا يرجع، عند البحث عنهم، إلى المصادر العربية التي هي الأصول الأولى لأخبار هؤلاء الأعلام. و تلك بلوى عمّت في زمن يقال إنه عصر النهضة. الدرر الكامنة 1/ 278، أحمد بابا ص 65، جذوة الاقتباس ص 73، الاستقصا 2/ 88، مقدمة شرح تلخيص أعمال الحساب تأليف ابن هيدور التازي (نسخة خاصة).

(85) انظر أخباره في تاريخ ابن خلدون 7/ 241- 243، و شذرات الذهب 7/ 167.
(86) سيأتي حديثه المفصل عن ابن رضوان.

و الخطابة على المنابر؛ لأنه كان كثيرا ما يصلّي بالسّلطان. فلمّا قدم علينا بتونس، صحبته، و اغتبطت به، و إن لم أتخذه شيخا، لمقاربة السن، فقد أفدت منه كما أفدت منهم.

و قد مدحه صاحبنا أبو القاسم الرّحوي شاعر تونس في قصيدة على رويّ النون، يرغب منه [87] تذكرة شيخه أبي محمد عبد المهيمن في إيصال مدحه إلى السّلطان أبي الحسن، في قصيدته على روي الباء، و قد تقدم ذكرها في أخبار السّلطان. [88]

و ذكر في مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السّلطان و هي:

عرفت زماني حين أنكرت عرفاني* * * و أيقنت أن لا حظّ في كفّ كيوان [89]

و أن لا اختيار في اختيار مقوّم* * * و أن لا قراع بالقران لأقراني [90]

و أنّ نظام الشّكل [91] أكمل نظمه* * * لأضعف قاض في الدّليل برجحان

و أن افتقار المرء في فقراته* * * و من ثقله يعني اللبيب بأوزان

---

(87) كذا في الأصل.

(88) انظر تاريخ ابن خلدون 7/ 270- 273.

(89) كيوان: اسم لزحل، و هو أحد الكواكب السيارة.

(90) مقوم الكوكب: موضعه (طوله) من فلك البروج (الدائرة الكسوفية)، و القران: اجتماع كوكبين سيارين في نقطة واحدة من فلك البروج، و يشير الرحوى إلى ما يزعمه المنجمون من أن الكوكب إذا كان في موضع معين في فلك البروج، أو اقترن بكوكب آخر في نقطة معينة، كان له أثر حسن، أو سيئ، في أعمال الإنسان.

(91) نظام الشكل: شكل الفلك، يريد وضعه في وقت معين، و هو ما يعرف عندهم

بالنصبة الفلكية.

و نظام الشكل: كناية عن حسن دلالته. يقول. مهما انتظم الشكل فإنه أضعف فاض في دلالة القران على رجحان عمل على آخر.

فمن بعد ما شمت الخلاب و لم أرع* * * لهشّة راض أو لشرّة غضبان

و لم يعشني للنار لمع شعاعها* * * فما كل نار نار موسى بن عمران

و لم يبق لي في الغيب من أمل سوى* * * لقاء ابن رضوان و جنّة رضوان

هنالك ألفيت العلا تنتمي إلى* * * أناس ضئيل عندهم فخر غسّان

و أرعيت من روض التأدب يانعا* * * و حيّيت من كنز العلوم بعقيان

وردت فلم تجدب لديه ريادتي* * * و صدّق طرفي ما تلقته آذاني

فحسبك من آدابه كلّ زاخر* * * يحيّيك معسولا بدرّ و مرجان

يحيّيك بالسّلك الذي لم تحط به* * * طروس ابن سهل أو سوالف بوران [92]

فقل بابليّ إن ينافثك لفظة* * * و في وشيه الأطراس قل هو صنعاني

خلائق لم تخلق سدى بل تكمّلت* * * بإسداء إنعام و إيلاء إحسان

(92) السالفة: جانب العنق، و جعلوا كل جزء من العنق سالفة، فقالوا: إنها لوضّاحة السوالف. (لسان، و أساس).

و بوران: هي بنت الحسن بن سهل. تزوجها الخليفة المأمون، و أنفق في زفافها من الأموال ما أصبح مضرب المثل. وفيات الأعيان 1/ 116.

و ابن سهل هو الحسن بن سهل السّرخسي والد بوران، و وزير المأمون، له في البلاغة مكانه. (وفيات 1/ 177).

ثم يقول في ذكر العلماء القادمين:

هم القوم كلّ القوم، أما حلومهم* * * فأرسخ من طودي ثبير و ثهلان [93]

[94]

فلا طيش يعروهم و أما علومهم* * * فأعلامها تهديك من غير نيران

بفقه يشيم الأصبحيّ [95] صباحه* * * و أشهب [96] منه يستدلّ

بشهبان

و حسن جدال للخصوم و منطق* * * يجيئان في الأخفى بأوضح برهان

سقت روضة الآداب منهم سحائب* * * سحبن على سحبان [97] أذيال نسيان

فلم يبق نأي ابن الإمام شماخة* * * على مدن الدّنيا لأنف تلمسان

و بعد نوى السّطيّ لم تسط فاسه* * * بفخر على بغدان في عصر بغدان

و بالآبليّ استسقت الأرض وبلها* * * و مستوبل ما مال عنه لأظعان

---

(93) ثبير: جبل بظاهر مكة. (تاج العروس).

(94) ثهلان: جبل في بلاد بني نمير. (تاج العروس).

(95) يريد بالأصبحي مالك بن أنس الإمام المعروف؛ لانتهاء نسبه إلى ذي أصبح. (ديباج ص 11- 30).

(96) هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكي المصري (150-204). وفيات الأعيان 1/ 97.

(97) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، يضرب به المثل في البيان؛ أدرك الإسلام، و مات سنة 54 ه.

ترجمته في شرح ابن نباتة على رسالة ابن زيدون ص 75.

و هامت على عبد المهيمن تونس* * * و قد ظفرت منه بوصل و قربان

و ما علقت مني الضمائر غيره* * * و إن هويت كلا بحبّ ابن رضوان

و كتب هذا الشاعر: صاحبنا الرّحوي يذكّر عبد المهيمن بذلك:

لهي النفس في اكتساب و سعي* * * و هو العمر في انتهاب وفيّ

و أرى الناس بين ساع لرشد* * * يتوخّى الهدى و ساع لغيّ

و أرى العلم للبرية زينا* * * فتزيّا منه بأحسن زيّ

و أرى الفضل قد تجمّع كلا* * * في ابن عبد المهيمن الحضرميّ

حلّ بالرتبة العلية في حض* * * ر ملك سامي العماد عليّ

قلم أوسع الأقاليم أمرا* * * فله قد أطاع كلّ عصيّ

قدر ما يفيد منه احتذار* * * فبأيّ تراه يقضي بايّ

يمنح العزّ و العلا و يوالي* * * بالعطايا الجسام كلّ وليّ

يلجأ الدّارعون خوفا إليه* * * فهو يزري بالصّارم المشرفيّ

هو أعلى الأقلام في كل عصر* * * حيث ينمى إلى الإمام عليّ

حليت تلكم الرياسة منه* * * بفريد في كل معنى سنيّ
سالك في النّظام درا و طورا* * * ناثر درّه بنشر و طيّ
بدع للبديع [98] ترمي بحصر* * * و لصابي [99] بني بويه بعيّ
و يرى أخرس العراق لديه* * * أنّه بالشآم كالأعجميّ
و علوم هي البحور و لكن* * * ينثني الواردون منها بريّ
تصدر الأمة العظيمة عنه* * * بحديث مجوّد مرويّ
و بفقه فيه و حسن مقال* * * يضع النور في لحاظ العميّ
و بنحو ينحي على سيبويه* * * ببيان في المبهمات جليّ
عمي الأخفشان عنه و سدّت* * * عن خفاياه فطنة الفارسيّ
يا أخا الحكم في الأنام و إنّي* * * لأنادي ربّ النّدى و النّديّ
بنت فكري تعرّضت لحماكم* * * فالقها راضيا بوجه رضيّ

---

(98) يريد أبا الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني، بديع الزمان؛ المتوفى سنة 398. (وفيات الأعيان 1/ 47).

(99) أبو اسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكتاب البليغ (314- 384). وفيات 1/ 14.

تبتغي القرب من مراقي الأماني* * * و التّرقّي للجانب العلويّ
فأنلها مرامها نلت سهلا* * * كلّ دان تبغي و كلّ قصيّ

ثم كانت واقعة العرب على السّلطان بالقيروان، (100) في فاتحة تسع و أربعين، فشغلوا عن ذلك، و لم يظفر هذا الرّحوي بطلبته. ثم جاء الطاعون الجارف، فطوى البساط بما فيه، و هلك عبد المهيمن فيمن هلك، و دفن بمقبرة سلفنا بتونس، لخلة كانت بينه و بين والدي، (رحمه الله)، أيام قدومهم علينا.

فلمّا كانت واقعة القيروان، ثار أهل تونس بمن كان عندهم من أشياع السّلطان أبي الحسن، فاعتصموا بالقصبة دار الملك، حيث كان ولد السّلطان و أهله، و انتقض عليه ابن تافراكين، (101) و خرج من القيروان إلى العرب، و هم يحاصرون السّلطان، و قد اجتمعوا على ابن أبي دبوس، و بايعوا له، كما مرّ في أخبار السّلطان، فبعثوا ابن تافراكين إلى تونس، فحاصر القصبة، و امتنعت عليه. و كان عبد المهيمن يوم ثورة أهل تونس، و وقوع الهيعة، خرج من بيته إلى دارنا، فاختفى عند أبي (رحمه الله)، و أقام مختفيا عندنا نحوا من ثلاثة أشهر. ثم نجا السّلطان من القيروان إلى سوسة، (102) و ركب البحر إلى تونس، و فرّ ابن تافراكين إلى المشرق. و خرج عبد

---

(100) القيروان(Kairwan) عرضها الشمالي 48- 35، و طولها الشرقي 2- 10): مدينة بتونس اختطّها عقبة بن نافع أيام معاوية. ياقوت 7/ 193.

(101) هو شيخ الموحدين أبو محمد بن عبد الله بن تافراكين. و بيت بني تافراكين هذا أحد بيوت الموحدين منذ بداية الدولة الموحدية. انظر أخبارهم في العبر 6/ 34- 350، 352- 353. و في نفح الطيب 4/ 95 رسالة لابن الخطيب يخاطب فيها أبا محمد هذا.

(102) سوسة(Susa) عرضها الشمالي 00- 36، و طولها الشرقي 40- 10): مدينة معروفة بتونس، اشتهرت منذ القديم بالصناعة، و إليها تنسب الثياب السوسية، و كانت بها أيام الأغلب دار لصناعة السفن. ياقوت 5/ 173.

المهيمن من الاختفاء، و أعاده السّلطان إلى ما كان عليه، من وظيفة العلامة و الكتابة، و كان كثيرا ما يخاطب والدي (رحمه الله) و يشكره على موالاته، و ممّا كتب إليه و حفظته من خطّه:

لحمد ذوي المكارم قد ثناني* * * فعال شكره أبدا عناني

جزى اللّه ابن خلدون حياة* * * منعّمة و خلدا في الجنان

فكم أولى و والى من جميل* * * و برّ بالفعال و باللّسان

و راعى الحضرمية في الذي قد* * * حبا من ودّه و من الحنان

أبا بكر ثناءك طول دهرى* * * أردّد باللسان و بالجنان

و عن عليك ما امتدّت حياتي* * * أكافح بالحسام و باللسان

فمنك أفدت خلا لست دهري* * * أرى عن حبّه أثني عناني

و هؤلاء الأعلام الذين ذكرهم الرّحوي في شعره، هم سبّاق الحلبة في مجلس السّلطان أبي الحسن، اصطفاهم لصحابته من بين أهل المغرب. فأما ابنا الإمام (103) منهم فكانا أخوين من أهل برشك، من أعمال تلمسان، و اسم أكبرهما: أبو زيد عبد الرحمن، و اسم الأصغر: أبو موسى عيسى، و كان أبو هما إماما ببعض مساجد

---

(103) انظر ترجمة ابن الإمام في الديباج ص 153، و أحمد بابا ص 166، 190، و في البستان 125.

و في تاريخ ابن خلدون 7/ 100 بعض أخبارهما.

برشك، و اتهمه المتغلّب يومئذ على البلد زيرم [104] بن حماد، بأن عنده وديعة من المال لبعض أعدائه، فطالبه بها، فلاذ بالامتناع، و بيّته زيرم، لينتزع المال من يده، فدافعه و قتل، [105] و ارتحل ابناه هذان الأخوان إلى تونس في المئة السابعة، و أخذا العلم بها عن تلاميذ ابن زيتون، و تفقّها على أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدّكّالي، و انقلبا إلى المغرب بحظ وافر من العلم. و أقاما بالجزائر [106] يبثان بها العلم، لامتناع برشك عليهما من أجل (ضرر) [107] زيرم المتغلّب عليها، و السّلطان أبو يعقوب [108] يومئذ، صاحب المغرب الأقصى من بني مرين، جاثم على تلمسان يحاصرها الحصار الطويل المشهور، [109] و قد بثّ جيوشه في نواحيها، و غلب على الكثير من أعمالها و أمصارها، و ملك عمل مغراوة بشلف، [110] و حاضرته مليانة، [111] فبعث عليها الحسن بن علي بن أبي الطلّاق من بني عسكر، و عليّ بن محمد الخيري من بني ورتاجن، و معهما- لضبط الجباية و استخلاص الأموال- الكاتب منديل بن محمد الكناني، [112] فارتحل هذان الأخوان يومئذ من الجزائر،

---

(104) اسمه زيرى بالياء، فتصرفت العامة فيه، و صار زيرم بالميم. و انظر أخباره في تاريخ بن خلدون 7/ 99.

(105) و قد انتقم لها الوالد ابنه الأكبر، أبو زيد عبد الرحمن. انظر العبر 7/ 100.

(106) تسمى أيضا جزائر بني مزغنّاي(Algiers) عرضها الشمالي 50- 36، و طولها الشرقي 5- 3):

عاصمة القطر الجزائري. ياقوت 3/ 93.

(107) الزيادة عن البستان حيث نقل عن ابن خلدون.

(108) هو يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني المقتول سنة 706. انظر ترجمته في الدرر الكامنة 4/ 480.

(109) دام هذا الحصار ثمانية أعوام، و ثلاثة أشهر. انظر أخباره، و ما جرّه على أهل تلمسان من محن، في العبر 7/ 95، الدرر الكامنة 4/ 480.

(110) شلف، بفتح الشين و اللام(Chelif) البسيط الممتد فيما بين مدنية مستغانم، و مدينة الجزائر؛ و يقال لهذا البسيط أيضا، وادي شلف.

(111) مليانة بالكسر ثم السكون، و ياء مثناة، و بعد الألف نون: مدينة بإفريقية، بينها و بين تنس أربعة أيام. ياقوت 8/ 155.

(112) انظر بعض أخباره، و كيف نكب في العبر 7/ 245.

و احتلا بمليانة، فحليا بعين منديل الكناني، فقرّبهما و اصطفاهما، و اتّخذهما لتعليم ولده محمّد. ثم هلك يوسف بن يعقوب سلطان المغرب، بمكانه من حصار تلمسان، سنة خمس و سبعمائة [113] على يد خصيّ من خصيانه؛ طعنه فأشواه، و هلك. و قام بالملك بعده حافده أبو ثابت، بعد خطوب ذكرناها في أخبارهم، [114] و وقع بينه و بين صاحب تلمسان يومئذ أبي زيّان محمد بن عثمان بن يغمراسن، و أخيه أبي حمّو، العهد المتأكد على الإفراج عن تلمسان، وردّ أعمالها عليهم، فوفّى لهم بذلك، و عاد إلى المغرب. و ارتحل ابن أبي الطلاق، و الخيري، و الكناني من مليانة راجعين إلى المغرب، و مرّوا بتلمسان، و مع الكناني هذان الأخوان، فأوصلهما إلى أبي حمّو، و أثنى عليهما. و عرّفه بمقامهما في العلم، فاغتبط بهما أبو حمّو، و اختطّ لهما المدرسة المعروفة بهما بتلمسان. [115] و أقاما عنده على هدي أهل العلم و سننهم؛ و هلك أبو حمّو، فكانا كذلك مع ابنه أبي تاشفين إلى أن زحف السّلطان أبو الحسن (المريني [116]) إلى تلمسان، و ملكها عنوة، سنة سبع و ثلاثين، و كانت لهما شهرة في أقطار المغرب، أثبتت لهما في نفس السّلطان عقيدة صالحة، فاستدعاهما لحين دخوله، و أدنى مجلسهما، و أشاد بتكرمتهما، و رفع محلهما على أهل طبقتهما.

و صار يجمّل بهما مجلسه، متى مرّ بتلمسان، أو وفدا عليه في الأوقات التي يفد فيها أعيان بلدهما. ثم استنفرهما للغزو، و حضرا معه واقعة طريف، [117] و عادا إلى

---

(113) في العبر 7/ 67: «آخر سنة ست»، و قد أشار ابن حجر، في الدرر الكامنة 4/ 480، إلى هذا الخلاف، و اعتمد- نقلا عن الإحاطة- أنه قتل سنة 806.

(114) مر له ذكر ذلك في العبر 7/ 97، 233 فارجع إليه.

(115) يقول ابن خلدون: كانت هذه المدرسة بناحية «المطهر» من مدينة تلمسان (و في البستان: «داخل باب كشوط»)، و ابتنى لهما دارين على جانبيها، و جعل لهما التدريس فيها، في إيوانين معدين لذلك. العبر 7/ 100 البستان ص 126.

(116) الزيادة عن البستان حيث نقل نص ابن خلدون.

(117) هي واقعة للسلطان أبي الحسن المريني بمدينة طريف بالأندلس، كانت الدائرة فيها عليه، و يذكرها المؤرخون المسلمون في كثير من الألم. انظر تفصيلها في العبر 7/ 261 و ما بعدها.

بلدهما. و توفي أبو زيد منهما إثر ذلك، و بقي أخوه أبو موسى متبوّئا ما شاء من ظلال تلك الكرامة.

و لمّا سار السّلطان أبو الحن إلى إفريقية سنة ثمان و أربعين، كما مرّ في أخباره استصحب أبا موسى ابن الإمام معه مكرّما، موقّرا، عالي المحلّ، قريب المجلس منه.

فلمّا استولى على إفريقية، سرّحه إلى بلده، فأقام بها يسيرا، و هلك في الطاعون الجارف سنة تسع و أربعين. و بقي أعقابهما بتلمسان دارجين في مسالك تلك الكرامة، و متوقّلين قللها طبقا عن طبق إلى هذا العهد.

و أما السّطّي، و اسمه محمد (بن علي) بن سليمان، من قبيلة سطّة، من بطون أوربة بنواحي فاس. نزل أبوه [118] سليمان مدينة فاس، و نشأ محمد بها، و أخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن الصّغيّر [119] إمام المالكية بالمغرب، و الطّائر الذّكر، و قاضي الجماعة بفاس، و تفقه عليه. و كان أحفظ الناس لمذهب مالك، و أفقههم فيه. و كان السّلطان أبو الحسن لدينه و سراوته، و بعد شأوه في الفضل، يتشوّف إلى تنويه مجلسه بالعلماء، و اختار منهم جماعة لصحابته و مجالسته. كان منهم هذا الإمام محمد [120] بن سليمان. و قدم علينا بتونس في جملته، و شهدنا وفور فضائله. و كان في الفقه من بينها لا يجارى، حفظا و فهما، عهدي به و أخي محمد (رحمه الله) يقرأ عليه من كتاب التّبصرة لأبي الحسن اللّخمي، [121] و هو يصحّحه عليه من إملائه و حفظه، في مجالس عديدة. و كذا كان حاله في أكثر ما يعاني حمله من الكتب.

---

(118) في الجذوة «نزل أبوه على بن سليمان».

(119) هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلى أبو الحسن، يعرف بالصغير (مصغرا)؛ و جوز في جذوة الاقتباس فتح الصاد، و كسر الغين. توفى 719 ديباج ص 212، جذوة 219، الاستقصا 2/ 88.

و لابن خلدون رأي في أبي الحسن هذا. انظره في العبر 7/ 340.

(120) في الجذوة: محمد بن علي.

(121) أبو الحسن على بن محمد؛ قيرواني الأصل، و نزل سفاقص، و بها مات. له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة، و هو مفيد حسن، له فيه اختيارات، و آراء، خرج بها عن مذهب مالك توفي سنة 498. معالم الإيمان 3/ 246، ديباج ص 203، رحلة

العبدري 126 ب.

و حضر مع السّلطان أبي الحسن، واقعة القيروان، [122] و خلص معه إلى تونس، و أقام بها نحوا من سنتين. و انتقض [123] المغرب على السّلطان، و استقلّ به ابنه أبو عنان.

ثم ركب (السّلطان [124]) أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين، [125] و مر ببجاية، فأدركه الغرق في سواحلها، فغرقت أساطيله، و غرق أهله، و أكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء و غيرهم. و ألقاه البحر ببعض الجزر هناك، حتى استنفذه منه بعض أساطيله، و نجا إلى الجزائر بعد أن تلف موجوده، و هلك الكثير من عياله و أصحابه، و كان من أمره ما مرّ في أخباره.

و أمّا الآبلي [126] و اسمه محمد بن إبراهيم، فمنشؤه بتلمسان، و أصله من جالية الأندلس، من أهل آبلة، [127] من بلاد الجوف [128] منها، أجاز أبوه و عمه أحمد،

---

(122) واقعة القيروان هذه كانت سنة 749، و قد تغلب فيها الكعوب من بني سليم على السّلطان أبي الحسن. انظر تاريخ ابن خلدون 7/ 277.

(123) انظر تاريخ ابن خلدون 7/ 277، 280.

(124) الزيادة عن ط.

(125) في الجذوة ص 143: أن الغرق حدث في سنة 749، ثم حكى بصيغة «قيل»: القول بأنه كان في سنة 057. و انظر تفصيل هذا الحادث في العبر 7/ 284.

(126) محمد بن إبراهيم الآبلى هذا، من أخص أساتذة ابن خلدون، و هو- فيما تحدثت به المراجع- عالم ذو مكانة بعيدة المدى في الثقافة الإسلامية بالمغرب.

اقرأ ترجمته في جذوة الاقتباس ص 144، 191، نيل الابتهاج 245، الدرر الكامنة 3/ 288، البستان 214.

(127) آبلةAvila) عرضها الشمالي 39- 40، و طولها الغربي 44- 4): مدينة في الشمال الغربي لمقاطعة مدريد من إقليم آبلة. و هي، كما قيدها ابن خلدون، بهمزة مفتوحة ممدودة، و باء موحدة مكسورة؛ و قد نص على كسر الباء ابن حجر في الدرر الكامنة (3/ 288).

و ما في تاج العروس من أن الآبلى، منسوب إلى آبل، بضم الباء، خطأ؛ و الغريب أنه نقل ترجمته عن ابن حجر الذي نص على أنه بكسر الباء.

(128) المراد بالجوف؛ الشمال في لغة المغاربة و الأندلسيين. تاريخ ابن خلدون 4/ 179، 183، الاستقصا 2/ 87.

فاستخدمهم يغمراسن بن زيّان، و ولده في جندهم، و أصهر إبراهيم منهما إلى القاضي بتلمسان محمد بن غلبون في ابنته، فولدت له محمّدا هذا. و نشأ بتلمسان في كفالة جدّه القاضي، فنشأ له بذلك ميل إلى انتحال العلم عن الجندية التي كانت منتحل أبيه (و عمّه [129]). فلما يفع و أدرك، سبق إلى ذهنه محبّة التّعاليم، فبرع فيها، و اشتهر. و عكف الناس عليه في تعلّمها و هو في سن البلوغ. ثم أطلّ السّلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان، و جثم عليها يحاصرها. و سيّر بعوثه إلى الأعمال، فافتتح أكثرها، و كان إبراهيم الآبلي قائدا بهنين؛ مرسى تلمسان في لمة من الجند، فلمّا ملكها يوسف بن يعقوب، اعتقل من وجد بها من شيع ابن زيّان، و اعتقل إبراهيم الآبليّ فيهم، و شاع الخبر في تلمسان بأنّ يوسف بن يعقوب يسترهن أبناءهم و يطلقهم، فتشوّف ابنه محمد إلى اللحاق به، من أجل ذلك، و أغراه أهله بالعزم عليه، فتسوّر الأسوار، و خرج إلى أبيه، فلم يجد خبر الاسترهان صحيحا.

و استخدمه يوسف بن يعقوب قائدا على الجند الأندلسيين بتاوريرت، فكره المقام على ذلك، و نزع عن طوره، و لبس المسوح، و سار قاصدا الحجّ. و انتهى إلى رباط العبّاد [130] مختفيا في صحبة الفقراء، فوجد هنالك رئيسا من أهل كربلاء [131] ثم من بني الحسين، جاء إلى المغرب يروم إقامة دعوتهم فيه، و كان معقّلا؛ فلمّا رأى عساكر يوسف بن يعقوب، و شدّة هيبته، غلب عليه اليأس من مرامه، و نزع عن ذلك، و اعتزم الرّجوع إلى بلده، فسار شيخنا محمد بن إبراهيم في جملته.

قال لي (رحمه الله): و بعد حين انكشف لي حاله، و ما جاء له، و اندرجت في

---

(129) الزيادة عن ط.

(130) مرتفع جميل خارج مدينة تلمسان، كان مدفن الأولياء و الصلحاء و العلماء. و هناك موضعان عرفا باسم «العباد»؛ أحدهما يسمى العباد الفوقي، و كان بعيدا نوعا ما عن المدينة، و الثاني العباد السفلي، و كان بباب الجياد من أبواب تلمسان.

(131) هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، و قد أطلق اليوم اسم كربلاء على لواء كامل من ألوية العراق،(Karbala) عرضه الشمالي 32 -33 و طوله الشرقي 6- 44). ياقوت 7/ 229.

جملة أصحابه و تابعه. قال: و كان يتلقّاه في كلّ بلد من (أصحابه و) أشياعه و خدمه من يأتيه بالأزواد، و النّفقات من بلده، إلى أن ركبنا البحر من تونس إلى الإسكندرية. قال: و اشتدّت عليّ الغلمة في البحر، و استحييت من كثرة الاغتسال؛ لمكان هذا الرئيس، فأشار عليّ بعض بطانته بشرب الكافور، فاغترفت منه غرفة، فشربتها فاختلطت. و قدم الديار المصرية على تلك الحال، و بها يومئذ تقيّ الدين بن دقيق العيد، (132) و ابن الرّفعة، (133) و صفي الدين الهندي، (134) و التبريزي، (135) و ابن البديع، و غيرهم من فرسان المعقول و المنقول، فلم يكن قصاراه إلا تمييز أشخاصهم، إذا ذكرهم لنا؛ لما كان به من الاختلاط. ثم حجّ مع ذلك الرئيس، و سار في جملته إلى كربلاء، فبعث معه من أصحابه من أوصله إلى مأمنه من بلاد زواوة (136) من أطراف المغرب. و قال لي شيخنا (رحمه الله): كان معي دنانير كثيرة تزودتها من المغرب، و استبطنتها في جبّة كنت ألبسها؛ فلما نزل بي ما نزل انتزعها مني حتى إذا بعث أصحابه يشيّعونني إلى المغرب، دفعها إليهم، حتى إذا أوصلوني إلى المأمن، أعطوني إياها و أشهدوا علي بها في كتاب حملوه معهم إليه كما

---

(132) هو أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري القوصي الشافعي (625- 702). طبقات السبكى 6/ 2، حسن المحاضرة 1/ 143، رحلة العبدري لوحة 74 ب.

(133) أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع الأنصاري أبو العباس نجم الدين الشافعي، كان يقاس بالنووي و الرافعي في العلم (640- 710) طبقات السبكى 5/ 176، حسن المحاضرة 1/ 145.

(134) محمد بن عبد الرحمن بن محمد الهندي صفيّ الدين؛ فقيه، و أصولي (644- 750). طبقات السبكى 5/ 240، حسن المحاضرة 2/ 261.

(135) أبو الحسن علي بن عبد الله تاج الدين التبريزي المتوفى سنة 749 ه. طبقات السبكى 6/ 146، حسن المحاضرة 2/ 261.

(136) زواوة بفتح الزاي: بطن من بطون البربر البتر، و يرجح ابن خلدون- تبعا لابن حزم- أنها من كتامة، و كان موطنها، حسب ما حدّده، الجبال العالية التي بنواحي بجاية، و التي بينها تدلس.

و باسم هذه البطون تسمى الأمكنة التي تنزلها، حال إقامتها، و بعد ما ترحل؛ و لهذا يقع

اسم القبيلة الواحدة على أمكنة متعدّدة. انظر العبر 6/ 128، تاج العروس 1/ 166، 167.

أمرهم؛ ثم قارن وصول شيخنا إلى المغرب مهلك يوسف بن يعقوب و خلاص أهل تلمسان من الحصار، فعاد إلى تلمسان، و قد أفاق من اختلاطه، و انبعثت همّته إلى تعلّم العلم. و كان مائلا إلى العقليات، فقرأ المنطق على أبي موسى ابن الإمام، و جملة من الأصلين، و كان أبو حمّو [137] صاحب تلمسان يومئذ قد استفحل ملكه، و كان ضابطا لأموره، و بلغه عن شيخنا تقدمه في علم الحساب، فدفعه إلى ضبط أمواله و مشارفة عمّاله. و تفادى شيخنا من ذلك، فأكرهه عليه، فأعمل الحيلة في الفرار منه، و لحق بفاس أيام السّلطان أبي الربيع، [138] و بعث فيه أبو حمو، فاختفى بفاس عند شيخ التّعاليم من اليهود، خلّوف المغيلي؛ فاستوفى عليه فنونها، و حذق.

و خرج متواريا من فاس، فلحق بمراكش، أعوام العشر و السبع مائة. و نزل على الإمام أبي العباس بن البنّاء [139] شيخ المعقول و المنقول، و المبرّز في التصوف علما و حالا، فلزمه، و أخذ عنه، و تضلّع من علم المعقول و التعاليم و الحكمة، ثم استدعاه شيخ الهساكرة عليّ بن محمد بن ترروميت ليقرأ عليه، و كان ممرّضا في طاعته للسلطان، فصعد إليه شيخنا و أقام عنده مدة؛ قرأ عليه فيها و حصّل. و اجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ، فكثت إفادته، و استفادته، و علي بن محمد في ذلك على تعظيمه، و محبته، و امتثال إشارته، فغلب على هواه، و عظمت رياسته بين تلك القبائل. و لما استنزل السّلطان أبو سعيد عليّ بن ترروميت من جبله، نزل الشيخ معه، و سكن بفاس. و انثال عليه طلبة العلم من كل ناحية، فانتشر علمه، و اشتهر ذكره؛ فلمّا فتح السّلطان أبو الحسن تلمسان و لقي أبا موسى ابن الإمام، ذكره له بأطيب الذكر، و وصفه بالتّقدّم في العلوم. و كان السّلطان معنيا بجمع العلماء لمجلسه، كما ذكرنا، فاستدعاه من مكانه بفاس، و نظمه في طبقة العلماء بمجلسه، و عكف على التّدريس

---

(137) هو أبو حمو موسى بن يوسف الزياني، من ملوك تلمسان، بني عبد الواد. انظر الاستقصا 2/ 103 و ما بعدها، أزهار الرياض 3/ 331.

(138) هو سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب بن يوسف بن عبد الحق المريني، يكني أبا الربيع، توفي سنة 710 ه. جذوة الاقتباس ص 319.

(139) تقدمت ترجمة ابن البناء.

و التّعليم، و لازم صحابة السّلطان، و حضر معه واقعة طريف، و واقعة القيروان بإفريقية؛ و كانت قد حصلت بينه و بين والدي (رحمه الله) صحابة، كانت وسيلتي إليه في القراءة عليه، فلزمت مجلسه، و أخذت عنه، و افتتحت العلوم العقلية بالتّعاليم. ثم قرأت المنطق، و ما بعده من الأصلين، و علوم الحكمة؛ و عرض أثناء ذلك ركوب السّلطان أساطيله من تونس إلى المغرب، و كان الشيخ في نزلنا و كفالتنا، فأشرنا عليه بالمقام، و ثبطناه عن السفر، فقبل، و أقام. طالبنا به السّلطان أبو الحسن، فأحسنّا له العذر. و تجافى عنه، و كان من حديث غرقه في البحر ما قدّمناه. و أقام الشيخ بتونس، و نحن و أهل بلدنا جميعا نتساجل في غشيان مجلسه، و الأخذ عنه؛ فلما هلك السّلطان أبو الحسن بجبال هنتاتة، (140) و فرغ ابنه أبو عنان (141) من شواغله، و ملك تلمسان من بني عبد الواد؛ كتب فيه يطلبه من صاحب تونس، و سلطانها يومئذ أبو إسحق (142) إبراهيم بن السّلطان أبي يحيى، في كفالة شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكين، فأسلمه إلى سفيره، و ركب معه البحر في أسطول السّلطان الذي جاء فيه السفير. و مرّ ببجاية، و دخلها، و أقام بها شهرا، حتى قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، (143) برغبتهم في ذلك منه و من صاحب الأسطول، ثم ارتحل، و نزل بمرسى هنين (144)؛ و قدم على السّلطان

---

(140) درج ابن خلدون على ضبط «هنتاتة» بالقلم، بكسر الهاء. و سكون النون، و فتح التاء الفوقية، بعدها ألف ممدودة، ثم تاء مفتوحة بعدها هاء للتأنيث. و في شذرات الذهب لابن العماد 6/ 345، و صبح الأعشى 5/ 134: أنها بفتح الهاء. و بقية الضبط متفق عليه بينهم.

(141) هو فارس المكنى بأبي عنان بن أبي الحسن المريني؛ كان يلقب بالمتوكل، ثار على أبيه، و ملك المغرب الأقصى، و بجاية، و قسنطينة، و تلمسان، و تونس، و توفي سنة 957. انظر ترجمته و أخباره في: صبح الأعشى 5/ 198، العبر 7/ 278، 286، 287، اللمحة البدرية ص 93- 95.

(142) أبو اسحق إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم انظر ترجمته، و أخباره في الدرر الكامنة 1/ 12، تاريخ ابن خلدون 6/ 364، صبح الأعشى 5/ 131.

(143) سبق الحديث المفصل عن هذا المختصر، في ترجمة ابن الحاجب ص 17.

(144) هنين مرت فيما سبق، و هي بضم الهاء و فتح النون: مدينة ساحلية، كان

موقعها الشمال الغربي لتلمسان، و في مكانها الآن مدينة بني صافBeni Saf .

بتلمسان، و أحلّه محلّ التّكرمة، و نظمه في طبقة أشياخه من العلماء. و كان يقرأ عليه، و يأخذ عنه، إلى أن هلك بفاس، [145] سنة سبع و خمسين و سبعمائة.

و أخبرني (رحمه الله) أن مولده بتلمسان سنة إحدى و ثمانين و ستّمائة.

و أما عبد المهيمن كاتب السّلطان أبي الحسن، فأصله من سبتة، و بيتهم بها قديم، و يعرفون ببني عبد المهيمن؛ و كان أبوه محمد قاضيها أيام بني العزفيّ، و نشأ ابنه عبد المهيمن في كفالته، و أخذ عن مشيختها. و اختصّ بالأستاذ أبي إسحق الغافقي. [146] و لما ملك عليهم الرئيس أبو سعيد، صاحب الأندلس، سبتة و نقل بني العزفيّ، مع جملة أعيانها إلى غرناطة، و نقل معهم القاضي محمد بن عبد المهيمن، [147] و ابنه عبد المهيمن، فاستكمل قراءة العلم هنالك و أخذ عن أبي جعفر ابن الزّبير [148] و نظرائه، و تقدم في معرفة كتاب سيبويه، و برز في علوّ الإسناد، و كثرة المشيخة. و كتب له أهل المغرب و الأندلس و المشرق، فاستكتبه رئيس الأندلس يومئذ، الوزير أبو عبد الله بن الحكيم [149] الرّندي، المستبد على السّلطان المخلوع [150] من بني الأحمر، فكتب عنه، و نظمه في طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه، مثل

---

(145) فاس(Fez) عرضها الشمالي 6- 34، و طولها الغربي 59- 4): مدينة مشهورة بالمغرب الأقصى. كانت منذ القديم مهدا للثقافة الإسلامية؛ و بمدينة فاس جامع القرويين، الكعبة العلمية التي يؤمها طلاب العلم من سائر أنحاء المغرب. ياقوت 6/ 329.

(146) إبراهيم بن أحمد بن عيسى الأشبيلي أبو إسحق؛ عرف بالغافقي. دخل سبته، و ولى القضاء بها، و توفي سنة 716 ه. المرقبة العليا ص 133، الدرر الكامنة 1/ 13.

(147) انظر ترجمة القاضي محمد بن عبد المهيمن في المرقبة العليا ص 132.

(148) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر. الدرر الكامنة 1/ 84.

(149) هو الوزير الشاعر محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم، أبو عبد الله الرندي شهر بابن الحكيم (660- 708). أزهار الرياض 3/ 340- 347، الإحاطة 2/ 278- 304.

(150) محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، يكني أبا عبد الله؛ ثالث ملوك بني الأحمر (655- 713)، و هو الذي بنى مسجد الحمراء الأعظم بغرناطة. اللمحة البدرية ص 47- 56 العبر 7/ 306.

المحدّث الرحّالة أبي عبد الله بن رشيد الفهري، [151] و أبي العبّاس أحمد بن (.....) [152] العزفي، و العالم الصّوفي المتجرّد، أبي عبد الله محمد بن خميس [153] التّلمساني، و كانا لا يجاريان في البلاغة و الشعر إلى غير هؤلاء ممن كان مختصّا به، و قد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ غرناطة. فلمّا نكب الوزير ابن الحكيم، و عادت سبتة إلى طاعة بني مرين عاد عبد المهيمن إليها و استقرّ بها، ثمّ ولي السّلطان أبو سعيد، و غلب عليه ابنه أبو علي، و استبدّ بحمل الدّولة. تشوف إلى استدعاء الفضلاء، و تجمّل الدولة بمكانهم، فاستقدم عبد المهيمن من سبتة، و استكتبه، سنة اثنتي عشرة؛ ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة، و امتنع بالبلد الجديد، و خرج منها إلى سجلماسة [154] بصلح عقده مع أبيه، فتمسّك السّلطان أبو سعيد بعبد المهيمن، و اتخذه كاتبا، إلى أن دفعه لرياسة الكتّاب، و رسم علامته في الرسائل و الأوامر، فتقدّم لذلك سنة ثمان عشرة، و لم يزل عليها سائر أيام السّلطان أبي سعيد و ابنه أبي الحسن. و سار مع أبي الحسن إلى إفريقية، و تخلّف عن واقعة القيروان بتونس؛ لما كان به علّة النّقرس. فلما كانت الهيعة بتونس، و وصل خبر الواقعة، و تحيّز أشياع السّلطان إلى القصبة، مع حرمه، تسرّب عبد المهيمن في المدينة، منتبذا عنهم، و توارى في بيتنا، خشية أن يصاب معهم بمكروه. فلمّا انجلت تلك الغيابة، و خرج السّلطان من القيراوان إلى سوسة، و ركب منها البحر إلى تونس،

---

(151) أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد ... بن رشيد (مصغرا) الفهري السبتي. محدث رحالة شهير (659- 721). أزهار الرياض 3/ 347- 356، الجذوة ص 180.

(152) هكذا بياض في الأصل و نسخة ش، و لا يوجد بياض في ز ط. و لعل ابن خلدون ترك الفراغ ليضع فيه آباء أبي العباس العزفي، فمات قبل أن يفعل. و هي- كما في نيل الابتهاج و غيره- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمى.

(153) أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد .. الحجري، التّلمساني، الشاعر. توفي قتيلا في سنة 807، و له نيّف و ستون سنة. أزهار الرياض 3/ 301- 340.

(154) سلجماسة بكسر السين و الجيم، و سكون اللام، ثم ألف بعدها سين فهاء للتأنيث: مقاطعة في جنوب المغرب تسمى الآن تافيلالت. ياقوت 5/ 41.

أعرض عن عبد المهيمن، لما سخط غيبته عن قومه بالقصبة، و جعل العلامة لأبي الفضل ابن الرئيس عبد الله بن أبي مدين، [155] و قد كانت مقصورة من قبل على هذا البيت، و أقام عبد المهيمن عطلا من العمل مدة أشهر. ثم أعتبه السّلطان، و رضي عنه، و أعاد إليه العلامة كما كان، و هلك لأيام قلائل بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع و أربعين. و مولده سنة خمس و سبعين من المائة قبلها، و قد استوعب ابن الخطيب التعريف به في تاريخ غرناطة فليطالعه هناك من أحبّ الوقوف عليه.

و أما ابن رضوان [156] الذي ذكره الرّحوي في قصيدته، فهو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري؛ أصله من الأندلس، نشأ بمالقة، و أخذ عن مشيختها، و حذق في العربية و الأدب، و تفنّن في العلوم، و نظم و نثر، و كان مجيدا في الترسيل، و حسنا في كتابة الوثائق؛ و ارتحل بعد واقعة طريف، و نزل بسبتة، و لقي بها السّلطان أبا الحسن، و مدحه، و أجازه، و اختصّ بالقاضي إبراهيم بن أبي يحيى، [157] و هو يومئذ قاضي العساكر، و خطيب السّلطان، و كان يستنيبه في القضاء و الخطابة؛ ثم نظمه في حلبة الكتّاب بباب السّلطان؛ و اختصّ بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتّاب، و الأخذ عنه، إلى أن رحل السّلطان إلى إفريقية، و كانت واقعة القيروان، و انحصر بقصبة تونس من انحصر بها، من أشياعه مع أهله و حرمه. و كان السّلطان قد تخلّف ابن رضوان هذا بتونس في بعض خدمه، فجلّى عند الحصار فيما عرض لهم من المكاتبات و تولّى كبر ذلك، فقام فيه أحسن قيام إلى أن وصل

---

(155) عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني. نجم- من بيت أبي مدين- في خدمة بني مرين، فقلدوه الحجابة، و رياسة الكتاب. ولد بقصر كتامة، و نشأ بمكناسة، و تعلم بها. نثير الجمان لابن الأحمر ص 97 (نسخة خاصة).

(156) انظر ترجمة ابن رضوان هذا، في الاستقصا 2/ 123، نثير الجمان لابن الأحمر ص 91 (نسخة خاصة)، جذوة الاقتباس ص 149، نفح الطيب 3/ 461.

(157) إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي التازي أبو إسحق؛ يعرف بابن أبي يحيى المتوفى بعد سنة 748. المرقبة العيا ص 136، الجذوة ص 84، الإحاطة 1/ 217، نفح الطيب 3/ 198.

السّلطان من القيروان، فرعى له حقّ خدمته، تأنيسا، و قربا، و كثرة اتعمال، إلى أن ارتحل من تونس في الأسطول، إلى المغرب سنة خمسين كما مر. و استخلف بتونس ابنه أبا الفضل [158] و خلّف أبا القاسم بن رضوان كاتبا له، فأقام كذلك أياما. ثم غلبهم على تونس سلطان الموحّدين الفضل بن السّلطان أبي يحيى. و نجا أبو الفضل إلى أبيه، و لم يطق ابن رضوان الرحلة معه، فأقام بتونس حولا، ثم ركب البحر إلى الأندلس، و أقام بالمرية مع جملة (من) [159] هنالك من أشياع السّلطان أبي الحسن؛ كان فيهم عامر [160] بن محمد بن علي شيخ هنتاتة، كافلا لحرم السّلطان أبي الحسن؛ و ابنه، أركبهم السّفين معه من تونس عندما ارتحل، فخلصوا إلى الأندلس، و نزلوا بالمرية، و أقاموا بها تحت جراية سلطان الأندلس، فلحق بهم ابن رضوان، و أقام معهم. و دعاه أبو الحجاج [161] سلطان الأندلس إلى أن يستكتبه فامتنع، ثم هلك السّلطان أبو الحسن، و ارتحل مخلّفه الذين كانوا بالمرية. و وفدوا على السّلطان أبي عنان. و وفد معهم ابن رضوان، فرعى له وسائله في خدمة أبيه، و استكتبه، و اختصّه بشهود مجلسه، مع طلبة العلم بحضرته؛ و كان محمد بن أبي عمرو يومئذ رئيس الدولة، و نجيّ الخلوة، و صاحب العلامة، و حسبان الجباية و العساكر، قد غلب على هوى السّلطان، و اختصّ به، فاستخدم له ابن رضوان حتى غلق منه بدمه.

ولاية و صحبة، و انتظاما في السّمر، و غشيان المجالس الخاصّة، و هو مع ذلك يدنيه من

---

(158) هو أبو الفضل بن السّلطان أبي الحسن، و أخو السّلطان أبي عنان. انظر تاريخ ابن خلدون 7/ 293 و ما بعدها.

(159) الزيادة عن ز ط.

(160) عامر بن محمد بن علي، شيخ هنتاتة من قبائل المصامدة. تولى أحكام الشرطة بتونس في عهد السّلطان أبي الحسن، و ولى الجباية لأبي عنان، فكفاه مؤنتها؛ و كان أبو عنان يقول عنه: «وددت لو أصبت رجلا يكفيني ناحية المشرق من سلطاني، كما كفاني محمد بن عامر ناحية المغرب و أتودع».
ابن خلدون 7/ 300، 317.

(161) هو سابع ملوك بني الأحمر، أبو الحجّاج يوسف بن إسماعيل ابن الأحمر.

(718- 755) ولي الملك سنة 734. اللمحة البدرية ص 79- 100.

السّلطان. و ينفق سوقه عنده، و يستكفي به في مواقف خدمته إذا غاب عنها لما هو أهم، فحلي بعين السّلطان، و نفقت عنده فضائله. فلمّا سار ابن أبي عمرو في العساكر إلى بجاية، سنة أربع و خمسين، انفرد ابن رضوان بقلم الكتاب عن السّلطان. ثم رجع ابن أبي عمرو، و قد سخطه السّلطان، فأقصاه إلى بجاية و ولاه عليها، و على سائر أعمالها، و على حرب الموحّدين بقسنطينة. و أفرد ابن رضوان بالكتابة، و جعل إليه العلامة، كما كانت لابن أبي عمرو، فاستقلّ بها، موفّر الاقطاع، و الإسهام، و الجاه؛ ثم سخطه آخر سبع و خمسين، و جعل العلامة لمحمد بن أبي القاسم بن أبي مدين، و الإنشاء و التوقيع لأبي إسحق إبراهيم بن الحاج الغرناطي. (162) فلمّا كانت دولة السّلطان أبي سالم، (163) جعل العلامة لعلي بن محمد بن سعود (164) صاحب ديوان العساكر، و الإنشاء و التوقيع و السرّ لمؤلف الكتاب عبد الرحمن بن خلدون (165)؛ ثم هلك أبو سالم سنة اثنتين و ستين، و استبدّ الوزير عمر بن عبد الله (166) على من كفله من أبنائهم، فجعل العلامة لابن رضوان، سائر أيامه، و قتله عبد العزيز بن السّلطان أبي الحسن، و استبدّ بملكه، فلم يزل ابن رضوان على العلامة، و هلك عبد العزيز، و ولى ابنه السعيد في كفالة الوزير أبي بكر بن

---

(162) إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم ... النميري أبو إسحق؛ يعرف بابن الحاج ولد سنة 713، و كان حيا في سنة 768. إحاطة 1/ 193- 210.

(163) أبو سالم هذا هو إبراهيم بن السّلطان أبي الحسن، و أخو السّلطان أبي عنان فارس. تفصيل أخباره في تاريخ ابن خلدون 7/ 304- 306.

(164) هو علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي، يكنى أبا الحسن؛ أصله من الأندلس من بيت علم، و قدم أبوه تلمسان. كان فقيها أديبا لغويا. نثير الجمان لابن الأحمر ص 95، 96 (نسخة خاصة).

(165) انظر تفصيل هذا الخبر في العبر 7/ 305.

(166) الوزير عمر بن عبد الله، من الوزراء الذين كان لهم الأثر البارز في تصريف شؤون الدول بالمغرب؛ و أخباره ذكرت مفصلة في العبر 7/ 319، 323.

غازي [167] بن الكاس، و ابن رضوان على حاله؛ ثم غلب السّلطان أحمد على الملك، و انتزعه من السعيد، و أبي بكر بن غازي، و قام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس، [168] مستبدّا عليه، و العلامة لابن رضوان، كما كانت، إلى أن هلك بأزمور [169] في بعض حركات السّلطان أحمد إلى مراكش، لحصار عبد الرحمن بن بويفلّوسن [170] ابن السّلطان أبي علي سنة (....). [171]

و كان في جملة السّلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من فضلاء المغرب و أعيانه، هلك كثيرون منهم في الطاعون الجارف بتونس، و غرق جماعة منهم في أسطوله لما غرق، و تخطت النكبة (منهم) [172] آخرين إلى أن استوفوا ما قدّر من آجالهم. فممن حضر معه بإفريقية من العلماء، شيخنا أبو العبّاس أحمد بن محمد الزّواوي، شيخ القراءات بالمغرب؛ أخذ العلم و العربية عن مشيخة فاس، و روى عن الرحّالة أبي عبد اللّه محمد بن رشيد، و كان إماما في فن القراءات و صاحب ملكة فيها لا تجارى.

و له مع ذلك صوت من مزامير آل داود، [173] و كان يصلّي بالسّلطان التّراويح، و يقرأ

---

(167) الوزير أبو بكر بن غازي هذا؛ كان له صيت و سطوة أيام بني مرين، و كانت له كذلك صلة بلسان الدين بن الخطيب، عند ما انتقل إلى المغرب. انظر تاريخ ابن خلدون 7/ 336، 338، 340، 341، 343.

(168) انظر ترجمة الوزير محمد بن عثمان في العبر 7/ 351- 352، و بعض أخباره في 7/ 338- 341 من العبر أيضا.

(169) أزمور(Azemmour) ضبطها بالقلم بفتح الهمزة، و بعدها زاي مفتوحة، ثم ميم مشددة مضمومة؛ و هي مدينة على ساحل المحيط بالمغرب الأقصى على الحافة اليسرى لمصب وادي أم الربيع. عرضها الشمالي 10- 33، و طولها الغربي 20- 8. و انظر صبح الأعشى 5/ 172.

(170) في العبر (7/ 344- 347، 378) تفصيل الحوادث التي كانت بين عبد الرحمن ابن بويفلوسن، صاحب مراكش، و أبي العباس صاحب فاس.

(171) بياض بالأصل، ج.

(172) الزيادة عن ز.

(173) ورد في لأبي موسى الأشعري، أنه كان يقرأ، فسمعه النبي (صلى الله عليه و سلم) فقال: لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود؛ يكنى عن حسن صوته. تاج العروس 3/ 340.

عليه بعض الأحيان حزبه.

و ممن حضر معه بإفريقية، الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصبّاغ من أهل مكناسة. [174] (كان) [175] مبرّزا في المنقول و المعقول، و عارفا بالحديث [176] و برجاله، و إماما في معرفة كتاب الموطأ و إقرائه؛ أخذ العلوم عن مشيخة فاس، و مكناسة، و لقي شيخنا أبا عبد الله الآبليّ، و لازمه، و أخذ عنه العلوم العقلية، فاستنفد بقيّة طلبه عليه، فبرّز آخرا؛ و اختاره السّلطان لمجلسه، فاستدعاه، و لم يزل معه إلى أن هلك غريقا في ذلك الأسطول. [177]

و منهم القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد النّور، من أعمال ندرومة، [178] و نسبه في صنهاجة كان مبرّزا في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، تفقّه فيه على الأخوين أبي زيد، و أبي موسى ابني الإمام، و كان من جلّة أصحابهما.

و لما استولى السّلطان أبو الحسن على تلمسان، رفع من منزلة ابني الإمام، و اختصّهما بالشورى في بلدهما. و كان يستكثر من أهل العلم في دولته، و يجري لهم الأرزاق، و يعمر بهم مجلسه؛ فطلب يومئذ من ابن الإمام أن يختار له من أصحابه

---

(174) انظر ترجمة ابن الصباغ في الجذوة ص 189، نيل الابتهاج ص 244.

(175) الزيادة عن نيل الابتهاج، و هي ضرورية. و مكناسة(Meknes) بكسر الميم و سكون الكاف، سميت باسم قبيلة مكناسة التي اختطتها؛ و هي إحدى المدن الكبرى الشهيرة بالمغرب. عرضها الشمالي 00- 34، و طولها الغربي 33- 5، ياقوت 8/ 133.

(176) يقولون إنه أملى في مجلس درسه، على حديث: «يا أبا عمير، ما فعل النّغير» أربعمائة فائدة.
نيل الابتهاج ص 244، الاستقصا 2/ 84.

(177) يكرر ابن خلدون قوله في هذا الحادث لفدح المصاب فيه؛ فلقد كانت قطع الأسطول نحو ستمائة قطعة، غرقت كلها، و هلك فيها من أعلام المغرب نحو أربعمائة. الاستقصا 2/ 84.

(178) ترجمة الندرومي في نيل الابتهاج ص 242، نفح الطيب 3/ 125. جذوة . و ندرومة(Nedroma) بفتح النون و سكون الدال، ثم راء مضمومة بعدها واو، فميم مفتوحة فهاء للتأنيث:

مدينة بالجزائ في الشمال الغربي لتلمسان، و بينها و بين الساحل نحو ثمانية كيلو مترات، عرضها الشمالي 55- 34، و طولها الغربي 00- 2.

من ينظمه في فقهاء المجلس، فأشاروا عليه بابن عبد النّور هذا، فأدناه، و قرّب مجلسه، و ولاه قضاء عسكره، و لم يزل في جملته إلى أن هلك في الطاعون بتونس سنة تسع و أربعين. و كان (قد) [179] خلّف بتلمسان أخاه عليا رفيقه في دروس ابن الإمام، إلا أنّه أقصر باعا منه في الفقه. فلما خلع السّلطان أبو عنان طاعة أبيه السّلطان أبي الحسن، و نهض إلى فاس، استنفره في جملته. و ولاه قضاء مكناسة، فلم يزل بها، حتى إذا تغلّب عمر بن عبد الله على الدّولة كما مر، نزع إلى قضاء فرضه، فسرّحه. و خرج حاجا سنة أربع و ستين، فلما قدم على مكّة، و كان به بقيّة مرض، هلك في طواف القدوم. و أوصى أمير الحاج على ابنه محمد، و أن يبلّغ وصيته به للأمير المتغلب على الديار المصرية يومئذ، يلبغا الخاصكي، [180] فأحسن خلافته فيه، و ولاه من وظائف الفقهاء ما سدّ به خلّته، و صان عن سؤال الناس وجهه، و كان له- عفا الله عنه- كلف بعمل الكيمياء، تابعا لمن غلظ في ذلك من أمثاله. فلم يزل يعاني من ذلك ما يورطه مع الناس في دينه و عرضه، إلى أن دعته الضرورة للترحل عن مصر، و لحق ببغداد. و ناله مثل ذلك، فلحق بماردين، و استقرّ عند صاحبها، و أحسن جواره، إلى أن بلغنا بعد التسعين أنّه هلك هنالك حتف أنفه، و البقاء لله (وحده).

و منهم شيخ التّعاليم أبو عبد الله محمد بن النّجّار [181] من أهل تلمسان؛ أخذ العلم بلده عن مشيختها، و عن شيخنا الآبليّ، و برّز عليه. ثم ارتحل إلى المغرب، فلقي بسبتة إمام التعاليم، أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المجصطي في الهيئة، و أخذ بمرّاكش عن الإمام أبي العباس بن البنّاء، و كان إماما في علوم النّجامة

---

(179) الزيادة عن زش.

(180) هو الأمير المعروف يلبغا بن عبد الله الخاصكي الناصري. تناهت إليه الرياسة، و لقب نظام الملك، و بلغت عدة مماليكه ثلاثة آلاف. و سيأتي لابن خلدون الحديث عنه مرة أخرى انظر ترجمته في الدرر الكامنة 4/ 438.

(181) هو محمد بن علي بن النجار التلمساني أبو عبد الله. ترجمته في نيل الابتهاج ص 241، نفح الطيب 3/ 126، جذوة الاقتباس ص 190.

و أحكامها، و ما يتعلّق بها، و رجع إلى تلمسان بعلم كثير، و استخلصته الدولة. فلما هلك أبو تاشفين، و ملك السّلطان أبو الحسن، نظمه في جملته و أجرى له رزقه، فحضر معه بإفريقية، و هلك في الطاعون.

و منهم أبو العباس أحمد بن شعيب [182] من أهل فاس؛ برع في اللّسان، و الأدب، و العلوم العقلية، من الفلسفة، و التعاليم، و الطب، و غيرها؛ و نظمه السّلطان أبو سعيد في حلبة الكتّاب، و أجرى عليه الرزق مع الأطباء؛ لتقدّمه فيهم، فكان كاتبه، و طبيبه؛ و كذا مع السّلطان أبي الحسن بعده، فحضر بإفريقية، و هلك بها في ذلك الطاعون. و كان له شعر سابق به الفحول من المتقدّمين و المتأخرين، و كانت له إمامة في نقد الشعر، و بصر به؛ و مما حضرني الآن من شعره:

دار الهوى نجد و ساكنها* * * أقصى أماني النّفس من نجد

هل باكر الوسميّ ساحتها* * * و استنّ في قيعانها الجرد

أو بات معتلّ النّسيم بها* * * مستشفيا بالبان و الرّند

يتلو أحاديث الذين هم* * * قصدي و إن جاروا عن القصد

أيام سمر ظلالها وطني* * * منها و زرق مياهها وردي

و مطارح النّظرات في رشأ* * * أحوى المدامع أهيف القدّ

---

(182) هو أحمد بن شعيب الجزنائي التازي نزيل فاس. كتب لأبي الحسن المريني، و توفي بتونس سنة 750. نثر فرائد الجمان ص 57- 61، نثير الجمان ص 97 (كلاهما نسخة خاصة) نيل الابتهاج ص 68.

يرنو إليك بعين جازية* * * قتل المحبّ بها على عمد

حتى أجدّ بهم على عجل* * * ريث الخطوب و عاثر الجدّ

فقدوا فلا و أبيك بعدهم* * * ما عشت لا آسى على الفقد

و غدوا: دفينا قد تضمّنه* * * بطن الثّرى و قرارة اللّحد

و مشرّدا من دون رؤيته* * * قذف النّوى و تنوفة البعد

أجرى عليّ العيش بعدهم* * * أنّى فقدت جميعهم وحدي

لا تلحني يا صاح في شجن* * * أخفيت منه فوق ما أبدي

بالغرب لي سكن تأوّبني* * * من ذكره سهد على سهد

فرخان قد تركا بمضيعة* * * زويت عن الرّفداء و الرّفد

و منهم صاحبنا الخطيب أبو عبد اللّه بن أحمد بن مرزوق [183]؛ من أهل تلمسان، كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعبّاد، و متوارثين خدمة تربته، من لدن جدّهم خادمه في حياته. و كان جدّه الخامس أو السادس، و اسمه أبو بكر بن مرزوق،

---

(183) ابن مرزوق هذا، من بيت علم معروف. و تجد الحديث المبين عن بيته، و عنه، في نفح الطيب 3/ 211- 219، البستان ص 184، نيل الابتهاج ص 267، ديباج ص 305، تاريخ ابن خلدون 7/ 312.

معروفا بالولاية فيهم. و لما هلك دفنه يغمراسن [184] بن زيان، سلطان تلمسان من بني عبد الواد، في التربة بقصره، ليدفن بإزائه، متى قدّر بوفاته. و نشأ محمد هذا بتلمسان. و مولده- فيما أخبرني- سنة عشر و سبعمائة، [185] و ارتحل مع أبيه إلى المشرق. و جاور أبوه بالحرمين الشريفين، و رجع هو إلى القاهرة، فأقام بها. و قرأ على برهان الدين الصّفاقسي [186] المالكي و أخيه. و برع في الطّلب و الرواية، و كان يجيد الخطّين؛ ثم رجع سنة خمس و ثلاثين إلى المغرب، و لقي السّلطان أبا الحسن بمكانه في تلمسان، و قد شيّد بالعبّاد مسجدا عظيما؛ و كان عمّه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم بالعبّاد. و توفي، فولاه السّلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمّه. و سمعه يخطب على المنبر، و يشيد بذكره، و الثناء عليه، فحلي بعينه، و اختصّه، و قرّبه، و هو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الإمام، و يأخذ نفسه بلقاء الفضلاء، و الأكابر، و الأخذ عنهم؛ و السّلطان في كل يوم يزيده رتبة؛ و حضر معه واقعة طريف التي كان فيها تمحيص المسلمين، فكان يستعمله في السّفارة عنه إلى صاحب الأندلس. ثم سفر عنه، بعد أن ملك إفريقية، إلى ابن أدفونش ملك قشتالة، [187] في تقرير الصّلح، و استنقاذ ابنه أبي عمر تاشفين. كان أسر يوم طريف، فغاب في تلك

---

(184) يغمراسن هذا هو ابن زيان بن ثابت بن محمد، من بني عبد الواد؛ كان من أشدهم بأسا، و كانت هل في النفوس مهابة. ولى الملك سنة 733، و دان له المغرب الأوسط و تلمسان. أخباره مبينة في العبر 7/ 78- 93.

(185) تاريخ مولد ابن مرزوق، كما ذكره ابن خلدون، يخالف ما ذكره ابن الخطيب في الإحاطة حيث يقول إنه ولد سنة 711 ه. و انظر نفح الطيب 3/ 211، 212.

(186) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي الصفاقسي برهان الدين (697- 743، أو 24) صاحب كتاب «إعراب القرآن». ألفه بالاشتراك مع أخيه شمس الدين محمد. ديباج ص 92 الدرر الكامنة 1/ 55.

(187) مملكة قشتالة(Castile) تقع في جنوب مقاطعة مدريد، و كانت تشمل كلا المقاطعتين:Cuenca التي تقع في الجنوب الشرقي لمقاطعة مدريد، وToledo الواقعة في الجنوب، و الجنوب الغربي لمقاطعة مدريد أيضا. و انظر اللمحة البدرية ص 43.

السّفارة عن واقعة القيروان. و رجع بأبي تاشفين مع طائفة من زعماء النّصرانية، جاءوا في السّفارة عن ملكهم، و لقيهم خبر واقعة القيروان، بقسنطينة، من بلاد إفريقية، و بها عامل السّلطان و حاميته، فثار أهل قسنطينة بهم جميعا، و نهبوهم، و خطبوا للفضل بن السّلطان أبي يحيى، و راجعوا دعوة الموحدين، و استدعوه فجاء إليهم، و ملك البلد. و انطلق ابن مرزوق عائدا إلى المغرب، مع جماعة من الأعيان، و العمال، و السفراء عن الملوك، و وفد على السّلطان أبي عنان بفاس مع أمّه حظية أبي الحسن و أثيرته. كانت راحلة إليه، فأدركها الخبر بقسنطينة. و حضرت الهيعة.

و اتصل بها الخبر بتوثّب ابنها أبي عنان على ملك أبيه، و استيلائه على فاس، فرجعت إليه، و ابن مرزوق في خدمتها، ثم طلب اللحاق بتلمسان، فسرّحوه إليها، و أقام بالعبّاد مكان سلفه، و على تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، قد بايع له قبيله بنو عبد الواد بعد واقعة القيروان بتونس، و ابن تافراكين يومئذ محاصر للقصبة، كما مرّ في أخبارهم، و انصرفوا إلى تلمسان، فوجدوا بها أبا سعيد عثمان ابن جرّار، (188) من بيت ملوكهم، قد استعمله عليها السّلطان أبو عنان، عند انتقاضه على أبيه، و مسيره إلى فاس.

فانتقض ابن جرار من بعده، و دعا لنفسه، و صمد إليه عثمان بن عبد الرحمن و معه أخوه أبو ثابت و قومهما، فملكوا تلمسان من يد ابن جرار، و حبسوه ثم قتلوه، و استبدّ أبو سعيد بملك تلمسان، و أخوه أبو ثابت يرادفه. و ركب السّلطان أبو الحسن البحر من تونس، و غرق أسطوله، و نجا هو إلى الجزائر، فاحتلّ بها، و أخذ في الحشد إلى تلمسان، فرأى أبو سعيد أن يكفّ غربه عنهم، بمواصلة تقع بينهما، و اختار لذلك الخطيب ابن مرزوق، فاستدعاه و أسرّ إليه بما يلقيه عنه للسلطان أبي الحسن، و ذهب لذلك على طريق الصحراء. و اطلع أبو ثابت و قومهم على الخبر، فنكروه على أبي سعيد، و عاتبوه، فبعثوا صقير ابن عامر في اعتراض ابن مرزوق، فجاء به، و حبسوه أياما. ثم أجازوه البحر إلى الأندلس، فنزل على السّلطان أبي الحجّاج بغرناطة، و له إليه وسيلة منذ اجتماعه به بمجلس السّلطان أبي الحسن بسبتة إثر

---

(188) انظر أخباره في العبر 7/ 114- 115.

واقعة طريف، فرعى له أبو الحجّاج ذمّة تلك المعرفة، و أدناه، و استعمله في الخطابة بجامعه بالحمراء، فلم يزل خطيبه إلى إن استدعاه السّلطان أبو عنان سنة أربع و خمسين بعد مهلك أبيه، و استيلائه على تلمسان و أعمالها، فقدم عليه ورعى له وسائله، و نظمه في أكابر أهل مجلسه و كان يقرأ الكتاب بين يديه في مجلسه العلمي، و يدرّس في نوبته مع من يدرّس في مجلسه منهم؛ ثم بعثه إلى تونس عام ملكها سنة ثمان و خمسين؛ ليخطب له ابنة السّلطان أبي يحيى، فردّت تلك الخطبة و اختفت بتونس. و وشي إلى السّلطان أبي عنان أنّه كان مطّلعا على مكانها، فسخطه لذلك، و رجع السّلطان من قسنطينة، فثار أهل تونس بمن كان بها من عمّاله و حاميته. و استقدموا أبا محمد بن تافراكين من المههدية، (189) فجاء، و ملك البلد، و ركب القوم الأسطول، و نزلوا بمراسي تلمسان. و أوعز السّلطان (أبو عنان (190)) باعتقال ابن مرزوق، و خرج لذلك يحيى بن شعيب من مقدّمي الجنادرة (191) ببابه، فلقيه بتاسّالة، (192) فقيده هنالك، و جاء به، فأحضره السّلطان و قرّعه، ثم حبسه مدّة، و أطلقه بين يدي مهلكه؛ و اضطربت الدولة بعد موت السّلطان أبي عنان، و بايع بنو مرين لبعض الأعياص من بني يعقوب بن عبد الحق. و حاصروا البلد الجديد، و بها ابنه السعيد، و وزيره المستبد عليه، الحسن بن عمر، و كان السّلطان أبو سالم بالأندلس، غرّبه إليها أخوه السّلطان أبو عنان، مع بني عمهم، ولد السّلطان أبي عليّ بعد وفاة السّلطان أبي الحسن، و حصولهم جميعا في قبضته. فلما توفى، أراد أبو

---

(189) المهديةMahdia :) مدينة على الساحل بتونس، بناها عبيد الله المهدي رأس العبيديين؛ عرضها الشمال 30- 35، و طولها الشرقي 00- 11. ياقوت 8/ 206- 208.

(190) الزيادة عن ش.

(191) يريد بالجنادرة رجال الشرطة؛ و المفرد: جاندار الذي يتكون من كلمتين فارسيتين: جان، و معناها:

سلاح، و دار معناها ممسك. انظر السلوك للمقريزي ص 133.

(192) موقع «جبال تاسالة»(Tessaia) بالجزائر، بجانب عين تموشنت، في ناحية الجنوب منها.

سالم النهوض لملكه بالمغرب، فمنعه رضوان [193] القائم يومئذ بملك الأندلس، مستبدا على ابن السّلطان أبي الحجّاج، فلحق هو بإشبيلية، من دار الحرب، و نزل على بطره، [194] ملكهم يومئذ، فهيّأ له السّفين، و أجازه إلى العدوة، فنزل بجبل الصّفيحة، [195] من بلاد غمارة، و قام بدعوته بنو مثنى، و بنو منير أهل ذلك الجبل منهم، حتى تم أمره، و استولى على ملكه، في خبر طويل، ذكرناه في أخبار دولتهم. و كان ابن مرزوق يداخله، و هو بالأندلس، و يستخدم له، و يفاوضه في أموره، و ربّما كان يكاتبه، و هو بجبل الصفيحة، و يداخل زعماء قومه، في الأخذ بدعوته. فلمّا ملك السّلطان أبو سالم، رعى له تلك الوسائل أجمع، و رفعه على الناس، و ألقى عليه محبّته، و جعل زمام الأمور بيده، فوطئ الناس عقبه، و غشي أشراف الدّولة بابه، و صرفوا الوجوه إليه، فمرضت لذلك قلوب أهل الدولة، و نقموه على السّلطان، و تربّصوا به، حتى توثّب عمر ابن عبد الله بالبلد الجديد، و افترق الناس عن السّلطان. و قتله عمر بن عبد الله آخر اثنتين و ستين، و حبس ابن مرزوق و أغرى به سلطانه الذي نصبه؛ محمّد بن عبد الرحمن ابن أبي الحسن، فامتحنه، و استصفاه، ثم أطلقه، بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله، فمنعه منهم. و لحق بتونس، سنة أربع و ستين، و نزل. على السّلطان أبي إسحق، و صاحب دولته المستبدّ عليه، أبي محمد بن تافراكين، فأكرموا نزله، و ولّوه الخطابة، بجامع الموحّدين بتونس، و أقام بها، إلى أن هلك السّلطان أبو إسحق سنة سبعين، و ولي ابنه خالد.

و زحف السّلطان أبو العبّاس، حافد السّلطان أبي يحيى، مقرّه بقسنطينة إلى تونس،

---

(193) هو أبو النعيم رضوان. تولى الحجابة و الوزارة، لأبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر، و استبد على ملكه، فقبض عليه عام 047 ه. انظر اللمحة البدرية ص 89، و تاريخ ابن خلدون 8/ 306.

(194) اصطلح ابن خلدون على كتابة «بطره» بطاء، فوقها نقطتان، إشارة إلى أن نطقها بين الطاء و التاء؛ و قد أشار إلى الطريق التي اتبعها في رسم مثل هذا الحرف، مما خرج منه عن النطق العربي الخالص- في أول مقدمته ص 17 طبع بولاق.

(195) انظر تفصيل نزول أبي سالم ببلاد غمارة، و أخباره في العبر 7/ 304، 312.

فملكها، و قتل خالدا، سنة اثنتين و سبعين.

و كان ابن مرزوق يستريب منه، لما كان يميل، و هو بفاس، مع ابن عمّه أبي عبد الله محمد، صاحب بجاية، و يؤثره عند السّلطان أبي سالم عليه، فعزله السّلطان أبو العبّاس عن الخطبة بتونس، فوجم لها، و أجمع الرحلة إلى المشرق، و سرّحه السّلطان، فركب السّفين، و نزل بالإسكندرية، ثم ارتحل إلى القاهرة، و القي أهل العلم، و أمراء الدولة، و نفقت بضائعه عندهم، و أوصلوه إلى السّلطان، و هو يومئذ الأشرف، (196) فكان يحضر مجلسه، و ولوه الوظائف العلمية، و كان ينتجع منها معاشه. و كان الذي وصل حبله بالسّلطان إستدّاره (197) محمد بن أقبغا آص (198)، لقيه أول قدومه، فحلي بعينه، و استظرف جملته، فسعى له، و أنجحت سعايته، و لم يزل مقيما بالقاهرة، موقّر الرّتبة، معروف الفضيلة، مرشّحا لقضاء المالكية، ملازما للتدريس في وظائفه، إلى إن هلك سنة إحدى و ثمانين.

هذا ذكر من حضرنا من جملة السّلطان أبي الحسن، من أشياخنا، و أصحابنا؛ و ليس موضوع الكتاب الإطالة، فلنقتصر على هذا القدر، و نرجع إلى ما كنّا فيه من أخبار المؤلف.

---

(196) السّلطان الأشرف: هو أبو المفاخر شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (754- 778) تولى الملك سنة 764 ه. ترجمته في المنهل الصافي 2/ 179 ب، الدرر الكامنة 2/ 190، تاريخ ابن خلدون 5/ 453، ابن إياس 1/ 212 خطط علي مبارك 2/ 60.

(197) و الإستدار. بكسر الهمزة: لقب للذي يتولى قبض مال السّلطان. و هذا اللفظ مركب من إستذ، و معناها الأخذ، و دار و معناها الممسك، فأدغمت الذال المعجمة في الدال فصارت إستدّار. و كتابتها «أستاذ دار»، خروج بها عن رسمها الصحيح، و من الخطأ توهم أن «أستاذ»، و «دار» كلمتان عربيتان.

و انظر صبح الأعشى 5/ 457.

(198) هو الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص المتوفى سنة 597 ه. ترجمته في المنهل الصافي 3/ 133.

ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها إلى المغرب، و الكتابة عن السّلطان أبي عنان

لم أزل منذ نشأت، و ناهزت مكبّا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دروس العلم و حلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، و ذهب بالأعيان، و الصّدور، و جميع المشيخة، و هلك أبواي، رحمهما اللّه. و لزمت مجلس شيخنا أبي عبد اللّه الآبلي، و عكفت على القراءة عليه ثلاث سنين، إلى أن شدوت بعض الشيء، و استدعاه السّلطان أبو عنان، فارتحل إليه، و استدعاني أبو محمد بن تافراكين، المستبدّ على الدولة يومئذ بتونس، إلى كتابة العلامة عن سلطانه أبي إسحق. و قد نهض إليهم من قسنطينة صاحبها الأمير أبو زيد، حافد السّلطان أبي يحيى في عساكره، و معه العرب أولاد مهلهل الذين استنجدوه لذلك، فأخرج ابن تافراكين سلطانه أبا إسحق مع العرب، أولاد أبي الليل، و بثّ العطاء في عسكره، و عمّر له المراتب و الوظائف. و تعلّل عليه صاحب العلامة أبو عبد اللّه بن عمر بالاستزادة من العطاء، فعزله، و أدالني منه، فكتبت العلامة للسلطان، و هي وضع «الحمد للّه و الشّكر للّه»، بالقلم الغليظ، مما بين البسملة و ما بعدها، من مخاطبة أو مرسوم؛ و خرجت معهم أول سنة ثلاث و خمسين. و قد كنت منطويا على مفارقتهم، لما أصابني من الاستيحاش لذهاب أشياخي، و عطلتي عن طلب العلم. فلما رجع بنو مرين إلى مراكزهم بالمغرب، و انحسر تيّارهم عن إفريقية، و أكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة و أشياخ، فاعتزمت على اللحاق بهم، و صدّني عن ذلك أخي و كبيري محمد، (رحمه اللّه). فلمّا دعيت إلى هذه الوظيفة، سارعت إلى الإجابة، لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب، و كان كذلك؛ فإنا لما خرجنا من تونس، نزلنا بلاد هوارة، و زحفت العساكر بعضها إلى بعض، بفحص مرماجنة، و انهزم صفنا، و نجوت أنا إلى أبّة [199]؛ فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن الوشتاتي، من كبراء

---

(199) أبة بضم الهمزة، و تشديد الباء المفتوحة: بلد بينها و بين القيروان ثلاثة أيام. (تاج العروس (أب) ياقوت 1/ 244.

المرابطين. ثم تحولت إلى تبسّة، [200] و نزلت بها على محمد ابن عبدون، صاحبها، فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق، و بذرق [201] لي مع رفيق من العرب، و سافرت إلى قفصة، [202] و أقمت بها أياما أترصد الطريق، حتى قدم علينا بها الفقيه محمد بن الرئيس منصور بن مزنى، و أخوه يوسف يومئذ صاحب الزّاب. و كان هو بتونس، فلمّا حاصرها الأمير أبو زيد، خرج إليه، فكان معه. ثم بلغهم الخبر بأن السّلطان أبا عنان ملك المغرب، نهض إلى تلمسان، فملكها، و قتل سلطانها، عثمان بن عبد الرحمن، و أخاه أبا ثابت، و أنه انتهى إلى المديّة، [203] و ملك بجاية من يد صاحبها، الأمير أبي عبد الله من حفدة السّلطان أبي يحيى، راسله عندما أطلّ على بلده، فسار إليه، و نزل له عنها، و صار في جملته، و ولّى أبو عنان على بجاية عمر بن علي شيخ بني وطّاس، من بني الوزير شيوخهم. فلما بلغ هذا الخبر، أجفل الأمير عبد الرحمن من مكانه على حصار تونس، و مرّ بقفصة، فدخل إلينا محمد بن مزنى ذاهبا إلى الزّاب، فرافقته إلى بسكرة، [204] و دخلت إلى أخيه هنالك، و نزل هو ببعض قرى الزّاب تحت جراية أخيه، إلى أن انصرم الشتاء.

---

(200) تبسّةtebessa) بالفتح ثم الكسر و تشديد الشين المهملة: مدينة بالجزائر معروفة (عرضها الشمالي 30- 35، و طولها الشرقي 00- 8) تبعد عن مدينة قسنطينة إلى الجنوب الشرقي بنحو 105 أميال، و بها بقايا آثار رومانية. ياقوت 2/ 363.

(201) البذرقة: الخفارة، و يقال لها العصمة؛ لأنها يعتصم بها. و الكلمة معربة.

(202) قفصة(Gafsa) بالفتح ثم السكون فصاد مهملة: بلدة صغيرة بتونس، تقع في الشمال الغربي لقابس، و تبعد عنها بنحو 74 ميلا و يصلها خط حديدي بمدينة صفاقس. ياقوت 7/ 138.

(203) المدية(Medea) : مدينة بالجزائر تبعد أربعين ميلا، نحو الجنوب الغربي، عن مدينة الجزائر.

عرضها الشمالي 11- 36، و طولها الشرقي 51- 2.

(204) بسكرة(Biskra) بكسر الكاف و راء مفتوحة، و قيدها ابن خلدون بكسر الباء و فتح السين و سكون الكاف: بلد معروفة بالجزائر؛ عرضها الشمالي 51- 34، و طولها الشرقي 51- 5. ياقوت 2/ 183.

و كان أبو عنان لمّا ملك بجاية، [205] ولّى عليها عمر بن علي بن الوزير، [206] من شيوخ بني وطّاس، و جاء [207] فارح، مولى الأمير أبي عبد اللّه لنقل حرمه و ولده، فداخل بعض السفهاء من صنهاجة [208] في قتل عمر بن علي؛ فقتله في مجلسه.

و وثب هو على البلد، و بعث إلى الأمير أبي زيد، يستدعيه من قسنطينة، فتمشت رجالات البلد فيما بينهم خشية من سطوة السّلطان. ثم ثاروا بفارح فقتلوه، و أعادوا دعوة السّلطان كما كانت، و بعثوا عن عامل السّلطان بتدلس، [209] يحياتن بن عمر ابن عبد المؤمن، شيخ بني و نكاسن من بني مرين، فملكوه قيادهم، و بعثوا إلى السّلطان بطاعتهم. فأخرج لوقته حاجبه محمد بن أبي عمرو، و أكثف له الجند، و صرف معه وجوه دولته و أعيان بطانته. و ارتحلت أنا من بسكرة، وافدا على السّلطان أبي عنان بتلمسان، فلقيت ابن أبي عمرو بالبطحاء، [210] و تلقّاني من الكرامة بما لم

---

(205) انظر أخبار تملّك أبي عنان لبجاية في تاريخ ابن خلدون 7/ 289.

(206) بيت بني الوزير هذا، له الرياسة على بني وطاس من قبل بني مرين، و نسب بني الوزير دخيل في بني مرين، و هم من أعقاب يوسف بن تاشفين. و انظر الحديث المفصل عن بيتهم في العبر لابن خلدون 7/ 217.

(207) جاء في الاستقصا 2/ 90، في بيان في هذا الحادث:

«و كان أبو عبد اللّه الحفصي قد استصحب معه في وفادته على السّلطان أبي عنان حاجبه فارحا، مولى ابن سيد الناس. فلما نزل للسلطان عن بجاية، نقم فارح عليه ذلك، و أسرها في نفسه إلى أن بعث الحفصي المذكور مع الوطاسي لينقل حرمه، و متاعه، و ماعون داره إلى المغرب، فانتهى إلى بجاية، شكا إليه الصنهاجيون سوء مملكة بني مرين، فنفث إليهم بما عنده من الضغن، و دعاهم إلى الثورة بالمرينيين، و الدعوة إلى الحفصيين، و للفتك بعلي بن عمر الوطاسي بمجلسه من القصبة ... الخ».

(208) صنهاجة بكسر الصاد، و المعروف في المغرب فتحها: قبائل كثيرة من البربر في المغرب. و انظر تاج العروس 2/ 67.

(209) تدلس بفتح التاء و سكون الدال: مدينة بالجزائر على ساحل البحر الأبيض. انظر ياقوت 2/ 369.

(210) البطحاء: موضع يقع فيما بين بسكرة و تلمسان، و بينه و بين تلمسان نحو

ثلاثة أيام. ياقوت 2/ 217.

أحتسبه، و ردّني معه إلى بجاية. فشهدت الفتح، و تساتلت وفود إفريقية إليه، فلمّا رجع السّلطان، وفدت معهم، فنالني من كرامته و إحسانه ما لم أحتسبه، إذ كنت شابا لم يطرّ شاربي. ثم انصرفت مع الوفود، و رجع ابن أبي عمرو إلى بجاية، فأقمت عنده، حتى انصرم الشتاء من أواخر أربع و خمسين؛ و عاد السّلطان أبو عنان إلى فاس، و جمع أهل العلم للتحليق بمجلسه، و جرى ذكري عنده، و هو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس، فأخبره الذين لقيتهم بتونس عني، و وصفوني له، فكتب إلى الحاجب يستقدمني، فقدمت عليه، سنة خمس و خمسين، و نظمني في أهل مجلسه العلمي، و ألزمني شهود الصلوات معه؛ ثم استعملني في كتابته، و التوقيع بين يديه، على كره مني، إذ كنت لم أعهد مثله لسلفي. و عكفت على النّظر، و القراءة، و لقاء المشيخة، من أهل المغرب، و من أهل الأندلس الوافدين في غرض السّفارة؛ و حصلت من الإفادة منهم على البغية.

و كان في جملته يومئذ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن الصفار، من أهل مرّاكش إمام القراءات لوقته؛ أخذ عن جماعة من مشيخة المغرب، كبيرهم شيخ المحدثين الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري، سند أهل المغرب، و كان يعارض السّلطان القرآن برواياته السّبع إلى أن توفي.

و منهم: قاضي الجماعة بفاس، أبو عبد الله محمد المقريّ، (211) صاحبنا، من أهل تلمسان. أخذ العلم بها عن أبي عبد الله السّلاوي، ورد عليها من المغرب خلوا من المعارف، ثم دعته همّته إلى التحلّي بالعلم، فعكف في بيته على مدارسة القرآن، فحفظه، و قرأه بالسّبع، ثم عكف على كتاب التسهيل في العربية، فحفظه ثم على مختصري ابن الحاجب في الفقه، و الأصول، (212) فحفظهما؛ ثم لزم الفقيه

---

(211) أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المقري (بتشديد القاف المفتوحة نسبة إلى مقرة، أو بسكون القاف. و الميم في الحالتين مفتوحة) و هو جد صاحب النفح. ترجمته واسعة في الإحاطة 2/ 136، و نيل الابتهاج ص 249، و نفح الطيب 30/ 110- 167.

(212) قد سلف القول في مختصري ابن الحاجب، و هذا نص آخر يزيد قول ابن خلدون وضوحا و صدقا.

عمران المشدّالي [213] من تلاميذ أبي علي ناصر الدّين [214] و تفقّه عليه، و برّز في العلوم، إلى حيث لم تلحق غايته. و بنى السّلطان أبو تاشفين مدرسته بتلمسان، فقدّمه للتدريس بها، يضاهي به أولاد الإمام. و تفقّه عليه بتلمسان جماعة؛ كان من أوفرهم سهما في العلوم أبو عبد الله المقّري هذا.

و لما جاء شيخنا أبو عبد الله الآبلي إلى تلمسان، عند استيلاء السّلطان أبي الحسن عليها، و كان أبو عبد الله السلاوي قد قتل يوم فتح تلمسان، قتله بعض أشياع السّلطان، لذنب أسلفه في خدمة أخيه أبي علي بسجلماسة، قبل انتحاله العلم، و كان السّلطان يعتدّه عليه، فقتل بباب المدرسة، فلزم أبو عبد الله المقّري بعده مجلس شيخنا الآبلي، و مجالس ابني الإمام، و استبحر في العلوم و تفنّن.

و لمّا انتقض السّلطان أبو عنان، سنة تسع و أربعين و خلع أباه، ندبه إلى كتاب البيعة، فكتبها و قرأه على الناس في يوم مشهود، و ارتحل مع السّلطان إلى فاس؛ فلما ملكها، عزل قاضيها الشيخ المعمّر أبا عبد الله بن عبد الرزّاق [215] و ولاه مكانه، فلم يزل قاضيا بها، إلى أن سخطه لبعض النزعات الملوكية، فعزله، و أدال منه بالفقيه أبي عبد الله الفشتالي [216] آخر سنة ستّ و خمسين؛ ثم بعثه في سفارة إلى الأندلس. فامتنع من الرجوع، و قام السّلطان لها في ركائبه، و نكر على صاحب الأندلس (ابن الأحمر) [217] تمسّكه به، و بعث إليه فيه يستقدمه، فلاذ منه ابن

---

(213) هو أبو موسى عمران المشدّالي، بفتح الميم، و الشين، و تشديد الدال المفتوحة، (670- 745) ترجمته في نيل الابتهاج ص 215، و نفح الطيب 3/ 120.

(214) أبو علي ناصر الدين المشدالي؛ منصور بن أحمد بن عبد الحق: فقيه معروف (631- 731) ترجمته في نيل الابتهاج ص 344 و ما بعدها.

(215) ستأتي قريبا ترجمة لابن عبد الرزاق في كلام ابن خلدون.

(216) أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي القاضي بفاس؛ كان بيته معمورا بالجود و الخير و الصلاح، و كان أبو عبد الله هذا أحد أعلام المغرب. انظر الإحاطة 2/ 133، جذوة الاقتباس ص 146، المرقبة العليا ص 170.

(217) الزيادة عن نيل الابتهاج.

الأحمر بالشفّاعة فيه، و اقتضى له كتاب أمان بخطّ السّلطان أبي عنان، و أوفده مع الجماعة من شيوخ العلم بغرناطة، (و منهم) [218] القاضيان بغرناطة؛ شيخنا أبو القاسم الشّريف السّبتي، [219] شيخ الدنيا جلالة و علما و وقارا، و رياسة، و إمام اللسان حوكا و نقدا، في نظمه و نثره.

و شيخنا الآخر أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلّفيقي [220] من أهل المرية، شيخ المحدّثين و الفقهاء و الأدباء و الصوفية و الخطباء بالأندلس، و سيّد أهل العلم بإطلاق، و المتفنّن في أساليب المعارف، و آداب الصّحابة للملوك فمن دونهم؛ فوفدا به على السّلطان شفيعين على عظيم تشوّقه للقائهما، فقبلت الشفاعة، و أنجحت الوسيلة.

حضرت بمجلس السّلطان يوم وفادتهما، سنة سبع و خمسين، و كان يوما مشهودا.

و استقرّ القاضي المقريّ في مكانه، بباب السّلطان، عطلا من الولاية و الجراية.

و جرت عليه بعد ذلك محنة من السّلطان، بسبب خصومة وقدت بينه و بين أقاربه، امتنع من الحضور معهم عند القاضي الفشتالي، فتقدّم السّلطان إلى بعض أكابر الوزعة ببابه، بأن يسحبه إلى مجلس القاضي، حتى أنفذ فيه حكمه، فكان الناس يعدّونها محنة.

ثم ولاه السّلطان، بعد ذلك، قضاء العساكر في دولته، عندما ارتحل إلى قسنطينة، فلمّا افتتحها، و عاد إلى دار ملكه بفاس آخر ثمان و خمسين، اعتلّ القاضي المقّري في طريقه، و هلك عند قدومه بفاس.

---

(218) الزيادة عن نيل الابتهاج.

(219) محمد بن أحمد ... بن عبد الله الحسني السبتي الشهير بالشريف الغرناطي، أبو القاسم (697- 760) له تأليف، طبع منها «رفع الحجب المستورة، عن محاسن المقصورة»، شرح على مقصورة حازم القرطاجني. ترجمة الشريف في المرقبة العليا للنباهي ص 171.

(220) أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي (608- 770) (بموحدة و لام مشددة وفاء مكسورات، و قاف بعد مثناة من تحت)، هكذا ضبطه في طبقات القراء، و قيده ابن خلدون بفتح الباء و تشديد اللام المفتوحة. المرقبة العليا ص

164، الجذوة ص 183، طبقات القراء 2/ 235.

و منهم صاحبنا الإمام العالم الفذّ، فارس المعقول و المنقول، صاحب الفروع و الأصول، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الشريف الحسني، [221] و يعرف بالعلويّ، نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان، تسمى العلوين؛ و كان أهل بيته لا يدافعون في نسبهم، و ربما يغمز فيه بعض الفجرة، ممن لا يزعه دينه، و لا معرفته بالأنساب، فيعدّ من اللّغو، و لا يلتفت إليه.

نشأ هذا الرجل بتلمسان، و أخذ العلم عن مشيختها، و اختصّ بأولاد الإمام، و تفقّه عليهما في الفقه، و الأصول و الكلام، ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الآبليّ.

و تضلّع من معارفه، فاستبحر، و تفجّرت ينابيع العلوم من مداركه؛ ثم ارتحل إلى تونس في بعض مذاهبه، سنة أربعين، و لقي شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عبد السّلام، و حضر مجلسه، و أفاد منه، و استعظم رتبته في العلم، و كان ابن عبد السلام يصغي إليه و يؤثر محلّه، و يعرف حقّه، حتى لزعموا أنه كان يخلو به في بيته، فيقرأ عليه فصل التّصوف من كتاب الإشارات لابن سينا، [222] بما كان هو قد أحكم ذلك الكتاب على شيخنا الآبليّ، و قرأ عليه كثيرا من كتاب الشّفاء لابن سينا، و من تلاخيص كتب أرصطو [223] لابن رشد، [224] و من الحساب و الهيئة، و الفرائض، علاوة على ما كان يحمله من الفقه و العربية و سائر علوم الشّريعة. و كانت له في كتب الخلافيات يد طولى، و قدم عالية، فعرف له ابن عبد السلام ذلك كلّه،

---

(221) في نيل الابتهاج ص 255، و البستان ص 164، 184 ترجمة واسعة للشريف التلمساني العلوي هذا.

(222) انظر ترجمة ابن سينا: أبي علي الحسين بن عبد الله (370- 428) في تاريخ الأدب العربي لبروكلمن 1/ 453 و الملحق 1/ 812؛ ففيه الحديث الواسع عنه، و عن مؤلفاته، و عما قام حولها من دراسات و أبحاث.

(223) هكذا رسمه، و ضبطه بالقلم ابن خلدون.

(224) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد. انظر ترجمته في تاريخ الأدب العربي لبروكلمن 1/ 461، و الملحق 1/ 833، حيث أفاض في الحديث عنه و عن مؤلفاته، و عما حوله، و حولها من أبحاث.

و أوجب حقّه و انقلب إلى تلمسان، و انتصب لتدريس العلم و بثّه، فملأ المغرب معارف و تلاميذ، إلى اضطراب المغرب، بعد واقعة القيروان؛ ثم هلك السّلطان أبو الحسن، و زحف ابنه أبو عنان، إلى تلمسان، فملكها، سنة ثلاث و خمسين، فاستخلص الشريف أبا عبد الله، و اختاره لمجلسه العلمي، مع من اختار من المشيخة.

و رحل به إلى فاس، فتبرّم الشريف من الاغتراب، و ردّد الشّكوى فأحفظ السّلطان بذلك، و ارتاب به. ثم بلغه أثناء ذلك أن عثمان بن عبد الرحمن، (225) سلطان تلمسان، أوصاه على ولده، و أودع له مالا عند بعض الأعيان من أهل تلمسان، و أن الشّريف مطّلع على ذلك، فانتزع الوديعة، و سخط الشريف بذلك و نكبه، و أقام في اعتقاله أشهرا، ثم أطلقه أوّل ستّ و خمسين و أقصاه، ثم أعتبه بعد فتح قسنطينة و أعاده إلى مجلسه، إلى أن هلك السّلطان، آخر تسع و خمسين.

و ملك أبو حمّو بن يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد بني مرين، و استدعى الشريف من فاس، فسرّحه القائم بالأمر يومئذ، الوزير عمر بن عبد الله، فانطلق إلى تلمسان. و تلقّاه أبو حمّو براحتيه، و أصهر له في ابنته، فزوّجها إياه، و بنى له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه و عمّه. و أقام الشريف يدرّس العلم إلى أن هلك سنة إحدى و سبعين. و أخبرني (رحمه الله)، أن مولده سنة عشر. (226)

و منهم صاحبنا الكاتب القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي (227) من برجة (228) الأندلس. كان كاتب السّلطان أبي عنان، و صاحب الإنشاء و السّرّ في

---

(225) هو أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن. انظر أخباره في تاريخ ابن خلدون 7/ 115- 117.

(226) ما ذكره ابن خلدون في ولادته هو الصحيح. انظر نيل الابتهاج ص 256.

(227) أبو القاسم محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم الغساني البرجي الغرناطي المتوفى سنة 786 ه. جذوة الاقتباس ص 197، الإحاطة 2/ 215 و ما بعدها.

(228) برجة(Berja) عرضها الشمالي 5- 36، و طولها الغربي 56- 2): مدينة بشرقي الأندلس، من إقليم المرية. و هي بفتح الباء، و الجيم، و بينهما زاء ساكنة، و قد انتقل غالب أهلها، بعد استيلاء المسيحيين عليها، إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى. تاج

العروس (برج). ياقوت 2/ 113.

دولته، و كان مختصّا به، و أثيرا لديه. و أصله من برجة الأندلس، نشأ بها، و اجتهد في العلم و التحصيل، و قرأ، و سمع، و تفقّه على مشيخة الأندلس، و استبحر في الأدب، و برّز في النّظم و النثر. و كان لا يجارى في كرم الطّباع، و حسن المعاشرة، و لين الجانب، و بذل البشر، و المعروف، و ارتحل إلى بجاية في عشر الأربعين و السبعمائة، و بها الأمير أبو زكرياء بن السّلطان أبي يحيى، منفردا بملكها، على حين أقفرت من رسم الكتابة و البلاغة، فبادرت أهل الدّولة إلى اصطفائه، و إيثاره بخطّة الإنشاء، و الكتابة عن السّلطان، إلى أن هلك الأمير أبو زكرياء، و نصب ابنه محمد مكانه، فكتب عنه على رسمه، ثم هلك السّلطان أبو يحيى، و زحف السّلطان أبو الحسن إلى إفريقية، و استولى على بجاية، و نقل الأمير محمدا بأهله و حاشيته إلى تلمسان، كما تقدم في أخباره.

فنزل أبو القاسم البرجي تلمسان و أقام بها، و اتّصل خبره بأبي عنان، ابن السّلطان أبي الحسن، و هو يومئذ أميرها. و لقيه، فوقع من قلبه بمكان، إلى أن كانت واقعة القيروان.

و خلع أبو عنان، (229) و استبدّ بالأمر، فاستكتبه و حمله معه إلى المغرب، و لم يسم به إلى العلامة، لأنه آثر بها محمد بن أبي عمرو، بما كان أبوه يعلّمه القرآن و العلم.

و ربي محمد بداره، فولاه العلامة، و البرجيّ مرادف له في رياسته، إلى أن انقرضوا جميعا. و هلك السّلطان أبو عنان، و استولى أخوه أبو سالم على ملك المغرب و غلب ابن مرزوق على هواه كما قدمناه، فنقل البرجي من الكتابة، و استعمله في قضاء العساكر، فلم يزل على القضاء، إلى أن هلك سنة (...) و ثمانين. (230)

و أخبرني (رحمه الله) أن مولده سنة عشر.

---

(229) ولد أبو عنان هذا سنة 729 بفاس، و بويع في حياة والده، يوم ثار عليه بتلمسان سنة 749، و توفي قتيلا سنة 759. و انظر قصة ثورته على أبيه، و أسبابها، في العبر 7/ 278 و ما بعدها، الاستقصا 2/ 89، 101- 102.

(230) في نيل الابتهاج ص 267، نقلا عن ابن خلدون «... إلى أن هلك بعد الثمانين

و سبعمائة»، و نقل أيضا عن «فهرسة» السراج أنه توفي سنة 786 ه.

و منهم، شيخنا المعمّر الرحّالة أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق، شيخ وقته جلالة، و تربية، و علما، و خبرة بأهل بلده، و عظمة فيهم. نشأ بفاس، و أخذ عن مشيختها، و ارتحل إلى تونس، فلقي القاضي أبا إسحق بن عبد الرفيع، (231) و القاضي أبا عبد الله النّفزاوي، و أهل طبقتهما. و أخذ عنهم، و تفقّه عليهم، و رجع إلى المغرب. و لازم سنن الأكابر و المشايخ، إلى أن ولاه السّلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس، فأقام على ذلك، إلى أن جاء السّلطان أبو عنان من تلمسان، بعد واقعة القيروان، و خلعه أباه، فعزله بالفقيه أبي عبد الله المقري، و أقام عطلا في بيته.

و لمّا جمع السّلطان مشيخة العلم للتّحليق بمجلسه، و الإفادة منهم، استدعى شيخنا أبا عبد الله بن عبد الرزاق، فكان يأخذ عنه الحديث، و يقرأ عليه القرآن برواياته، في مجلس خاصّ إلى أن هلك، (رحمه الله)، بين يدي مهلك السّلطان أبي عنان. إلى آخرين، و آخرين، من أهل المغرب و الأندلس، كلّهم لقيت و ذاكرت و أفدت منه، و أجازني بالإجازة العامة.

حدوث النّكبة من السّلطان أبي عنان

كان اتصالي بالسّلطان أبي عنان، آخر سنة ستّ و خمسين، و قرّبني و أدناني، و استعملني في كتابته، حتى تكدّر جوّي نده، بعد أن كان لا يعبّر عن صفائه، ثم اعتلّ السّلطان، آخر سبع و خمسين، و كانت قد حصلت بيني و بين الأمير محمد صاحب بجاية (232) من الموحدين مداخلة، أحكمها ما كان لسلفي في دولتهم.

---

(231) أبو إسحق إبراهيم بن الحسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي قاضي القضاة بتونس (635- 735) له كتاب «معين الحكام» في مجلدين، اختصر فيه كتاب المتّيطية، و قصد أن يرد على أبي محمد بن حزم، فيما انتقده من أحاديث خرجها مالك في الموطأ، و لم يقل بها. ديباج ص 89، المنهل الصافي 1/ 14.

(232) هو أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكرياء. ولاه أبو عنان إقليم بجاية ليقف- دونها- في وجه ملوك تونس يومئذ. انظر مفصل أخباره في العبر 7/ 282.

و غفلت عن التحفّظ في مثل ذلك، من غيرة السّلطان، فما هو إلا أن شغل بوجعه، حتى أنمى إليه بعض الغواة، أن صاحب بجاية، معتمل في الفرار ليسترجع بلده، و بها يومئذ وزيره الكبير، عبد الله بن علي، فانبعث السّلطان لذلك، و بادر بالقبض عليه. و كان فيما أنمي إليه، أنّي داخلته في ذلك، فقبض عليّ، و امتحنني و حبسني، و ذلك في ثامن عشر صفر، سنة ثمان و خمسين.

ثم أطلق الأمير محمدا، و ما زلت أنا في اعتقاله، إلى أن هلك. و خاطبته بين يدي مهلكه، مستعطفا بقصيدة أولها:

على أيّ حال لليالي أعاتب* * * و أيّ صروف للزّمان أغالب

كفى حزنا أنّي على القرب نازح* * * و أنّي على دعوى شهودي غائب

و أنّي على حكم الحوادث نازل* * * تسالمني طورا و طورا تحارب

و منها في التشوّق:

سلوتهم إلا ادّكار معاهد* * * لها في الليالي الغابرات غرائب

و إن نسيم الريح منهم يشوقني* * * إليهم و تصبيني البروق اللواعب

و هي طويلة، نحو مائتي بيتا، (233) ذهبت عن حفظي، فكان لها منه موقع، و هشّ لها. و كان بتلمسان فوعد بالإفراج عني عند حلوله بفاس، و لخمس ليال من حلوله

---

(233) قد ذكر ابن الأحمر في نثير الجمان ص 117- 123 (نسخة خاصة) هذه القصيدة عند تعريفه بابن خلدون، و جاءت عدة أبياتها هنالك 107، و الظاهر من أسلوب ابن الأحمر أنه أورد القصيدة كلها.
فهل نسي ابن خلدون عدد أبيات قصيدته، أو أن ابن الأحمر اختار منها بعض أبياتها و ترك الباقي؟!.

طرقه الوجع. و هلك لخمس عشرة ليلة، في رابع و عشرى ذي الحجة خاتم تسع و خمسين. و بادر القائم بالدولة، الوزير الحسن بن عمر إلى إطلاق جماعة من المعتقلين، كنت فيهم، فخلع عليّ، و حملني، [234] و أعادني إلى ما كنت عليه، و طلبت منه الانصراف إلى بلدي، فأبى عليّ، و عاملني بوجوه كرامته، و مذاهب إحسانه، إلى أن اضطرب أمره، و انتقض عليه بنو مرين، و كان ما قدّمناه في أخبارهم. [235]

الكتابة عن السّلطان أبي سالم في السر، و الإنشاء

و لما أجاز السّلطان أبو سالم من الأندلس لطلب ملكه، و نزل بجبل الصّفيحة من بلاد غمارة. و كان الخطيب ابن مرزوق بفاس، فبثّ دعوته سرّا، و استعان بي على أمره، بما كان بيني و بين أشياخ بني مرين من المحبّة و الائتلاف، فحملت الكثير منهم على ذلك، و أجابوني إليه، و أنا يومئذ أكتب عن القائم بأمر بني مرين، منصور [236] بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، و قد نصبوه للملك، و حاصروا الوزير الحسن بن عمر، و سلطانه السّعيد ابن أبي عنان، بالبلد الجديد، فقصدني ابن مرزوق في ذلك، و أوصل إليّ كتاب السّلطان أبي سالم، بالحضّ على ذلك، و إجمال الوعد فيه، و ألقى عليّ حمله، فنهضت به، و تقدمت إلى شيوخ بني مرين، و أمراء الدولة بالتحريض على ذلك، حتى أجابوا؛ و بعث ابن مرزوق إلى الحسن بن عمر، يدعو إلى طاعة السّلطان أبي سالم، و قد ضجر من الحصار، فبادر

---

(234) حمله: أعطاه ظهرا يركبه. (لسان).

(235) انظر العبر 7/ 309- 310 فقد بيّن القول في كيفية اضطراب الأمر على الوزير الحسن بن عمر.

(236) منصور بن سليمان بن منصور بن أبي مالك بن يعقوب عبد الحق المرينى، كان من الشفوف في أيام أبي عنان، بحيث أرجف الناس بأن ملك أبي عنان بعد موته، صائر إليه. انظر أخبار طلبه للملك و مقتله في العبر 7/ 302- 305.

إلى الإجابة. و اتفق رأي بني مرين على الانفضاض عن منصور ابن سليمان، و الدخول إلى البلد الجديدة؛ فلما تمّ عقدهم على ذلك نزعت إلى السّلطان أبي سالم في طائفة من وجوه أهل الدولة، كان منهم محمد بن عثمان بن الكاس، المستبدّ بعد ذلك بملك المغرب على سلطانه، و كان ذلك النزوع مبدأ حظّه، و فاتحة رياسته، بسعايتي له عند السّلطان؛ فلما قدمت على السّلطان بالصّفيحة، بما عندي من أخبار الدولة، و ما أجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان، و بالموعد الذي ضربوه لذلك، و استحثثته فارتحل، و لقينا البشير بإجفال منصور ابن سليمان، و فراره إلى نواحي بادس، (237) و دخول بني مرين إلى البلد الجديد، و إظهار الحسن ابن عمر دعوة السّلطان أبي سالم. ثم لقيتنا، بالقصر الكبير، (238) قبائل السّلطان، و عساكره، على راياتهم، و وزير منصور بن سليمان، و هو مسعود بن رحّو بن ماساي، فتلقّاه السّلطان بالكرامة كما يجب له، و استوزره نائبا للحسن بن يوسف بن علي بن محمد الورتاجني السابق إلى وزارته، لقيه بسبتة، (239) و قد غرّبه منصور ابن سليمان إلى الأندلس، فاستوزره و استكفاه.

و لما اجتمعت العساكر عنده بالقصر، صعد إلى فاس. و لقيه الحسن بن عمر بظاهرها، فأعطاه طاعته، و دخل إلى دار ملكه و أنا في ركابه، لخمس عشرة ليلة من نزوعي إليه، منتصف شعبان ستين و سبعمائة، فرعى لي السابقة، و استعملني في كتابة سرّه، و الترسيل عنه، و الإنشاء لمخاطباته، و كان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل، أن يشاركني أحد ممّن ينتحل الكتابة في الأسجاع، لضعف انتحالها، و خفاء

---

(237) بادس بكسر الدال، و يقال «باديس» مدينة بالمغرب الأقصى على ساحل البحر الأبيض، و يقال لها بادس فاس، تمييزا لها عن بادس الزاب. و مكانها الآن عند مدينةVilla jordana بالمغرب الخليفي، و تبعد نحو الغرب عن مدينة Vill Ahucemas61 كيلو مترا تقريبا، ياقوت 2/ 29، تاج العروس 4/ 106.

(238) القصر الكبير، و يسمّى قصر عبد الكريم: مدينة معروفة بالمغرب الأقصى بالمنطقة الخليفية، تبعد عن ساحل المحيط الأطلسي بنحو 36 كيلومترا.

(239) في العبر 7/ 305 أنه لقيه بطنجة. و انظر تفصيل هذا الحديث في العبر أيضا 7/ 304- 306.

العالي منها على أكثر الناس، بخلاف المرسل، فانفردت به يومئذ، و كان مستغربا عندهم بين أهل الصناعة.

ثم أخذت نفسي بالشعر، فانثال عليّ منه بحور، توسّطت بين الإجادة و القصور، و كان مما أنشدته إياه، ليلة المولد النبويّ من سنة اثنتين و ستين و سبعمائة:

أسرفن في هجري و في تعذيبي* * * و أطلن موقف عبرتي و نحيبي (240)

و أبين يوم البين وقفة ساعة* * * لوداع مشغوف الفؤاد (241) كئيب

للّه عهد الظاعنين و غادروا* * * قلبي رهين صبابة (242) و وجيب

(243)

غربت ركائبهم و دمعي سافح* * * فشرقت بعدهم بماء غروب (244)

يا ناقعا بالعتب غلّة شوقهم (245)* * * رحماك في عذلي و في تأنيبي

يستعذب الصّبّ الملام و إنني* * * ماء الملام لديّ غير شروب (246)

ما هاجني طرب و لا اعتاد الجوى* * * لو لا تذكّر منزل وحبيب

---

(240) النحيب: البكاء.

(241) مشغوف الفؤاد: مريضه.

(242) الصبابة: الشوق.
(243) الوجيب: الاضطراب و الخفقان.
(244) الغروب: الدموع حين تخرج من العين.
(245) نقع الماء غلته: أروى عطشه.
(246) الشروب: الذي يشرب، و في الإحاطة: الشريب؛ و هو العذب.

أهفو إلى الأطلال كانت مطلعا* * * للبدر منهم أو كناس ربيب [247]

عبثت بها أيدي البلى و تردّدت* * * في عطفها للدّهر أيّ خطوب

تبلى معاهدها و إنّ عهودها* * * ليجدّها و صفي و حسن نسيبي

و إذا الديار تعرّضت لمتيّم* * * هزّته ذكراها إلى التّشبيب

إيه عن الصّبر الجميل فإنّه* * * ألوى [248] بدين فؤادي المنهوب

لم أنسها و الدّهر يثني صرفه* * * و يغضّ طرفي حاسد و رقيب

و الدّار مونقة محاسنها بما* * * لبست من الأيام كلّ قشيب

يا سائق الأظعان يعتسف الفلا [249]* * * و يواصل الإسآد بالتّأويب

[250]

متهافتا عن رحل كل مذلل [251]* * * نشوان من أين [252] و

مس لغوب [253]

---

(247) الربيب: ولد الظبي.

(248) ألوى بالدين: مطل به.

(249) الفلا، جمع فلاة، و هي الأرض لا ماء فيها.

(250) الإسآد: سير الليل كله لا تعريس فيه، و التأويب: سير النهار لا تعريج فيه. و انظر اختلافهم في تفسير الإسآد و التأويب في لسان العرب: (سأد).
(251) المذلّل من الدواب: السهل الانقياد.
(252) الأين: الإعياء.
(253) اللغوب: التعب.

تتجاذب النفحات فضل ردائه* * * في ملتقاها من صبا و جنوب

إن هام من ظمأ الصّبابة صحبه* * * نهلوا بمورد دمعه المسكوب

أو تعترض مسراهم سدف الدّجى* * * صدعوا الدّجى بغرامه المشبوب

في كلّ شعب منية من دونها* * * هجر الأماني أو لقاء شعوب (254)

هلا عطفت صدورهنّ إلى التي* * * فيها لبانة أعين و قلوب

فتؤمّ من أكناف يثرب مأمنا* * * يكفيك ما تخشاه من تثريب

حيث النّبوة أيها مجلوّة* * * تتلو من الآثار كلّ غريب

سرّ عجيب لم يحجّبه الثرى* * * ما كان سرّ اللّه بالمحجوب

و منها بعد تعديد معجزاته (صلى الله عليه و سلم)، و الإطناب في مدحه:

إنّي دعوتك واثقا بإجابتي* * * يا خير مدعوّ و خير مجيب

قصّرت في مدحي فإن يك طيّبا* * * فبما لذكرك من أريج الطّيّب

ماذا عسى يبغي المطيل و قد حوى* * * في مدحك القرآن كلّ مطيب (255)

---

(254) شعوب كرسول: المنية.

(255) يشير إلى الآية: «و إنك لعلى خلق عظيم» 68/ 6.

يا هل تبلّغني الليالي زورة* * * تدني إليّ الفوز بالمرغوب

أمحو خطيئاتي بإخلاصي بها* * * و أحطّ أوزاري و إصر ذنوبي

في فتية هجروا المنى و تعوّدوا* * * إنضاء كلّ نجيبة و نجيب

يطوي صحائف ليلهم فوق الفلا* * * ما شئت من خبب و من تقريب (256)

إن رنّم الحادي بذكرك ردّدوا* * * أنفاس مشتاق إليك طروب

أو غرّد الرّكب الخليّ بطيبة* * * حنّوا لمغناها حنين النّيب (257)

ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم* * * إرث الخلافة في بني يعقوب

الطاعنون الخيل و هي عوابس* * * يغشى مثار النّقع كلّ سبيب (258)

و الواهبون المقربات (259) صوافنا (260)* * * من كلّ خوّار

(261) العنان لعوب

---

(256) الخبب: نوع من العدو، و هو خطو فسيح دون العنق. و التقريب: العدو دون الإسراع.

(257) النيب: جمع ناب، و هي الناقة المسنّة.

(258) السبيب: شعر الناصية و لعرف من الفرس، أو هو الخصلة من الشعر.

(259) المقربات من الخيل: التي تقرب و تكرم، و لا تترك لئلا يقرعها فحل لئيم. و انظر لسان العرب.

(260) الصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، و الجمع صوافن، و صافنات، و انظر لسان العرب.

(261) فرس خوار: لين العطف، و ذلك مما يستحسن فيه.

و المانعون الجار حتى عرضه* * * في منتدى الأعداء غير معيب

تخشى بوادرهم و يرجى حلمهم* * * و العزّ شيمة مرتجى و مهيب

و منها في ذكر إجازته البحر، و استيلائه على ملكه:

سائل به طامي العباب [262] و قد سرى* * * تزجيه ريح العزم ذات هبوب

تهديه شهب أسنّة و عزائم* * * يصد عن ليل الحادث المرهوب

حتى انجلت ظلم الضّلال بسعيه* * * وسطا الهدى بفريقها المغلوب

يا بن الألى شادوا الخلافة بالتّقى* * * و استأثروك بتاجها المعصوب

جمعوا لحفظ الدين أيّ مناقب* * * كرموا بها في مشهد و مغيب

للّه مجدك طارفا أو تالدا* * * فلقد شهدنا منهن كل عجيب

كم رهبة أو رغبة بك و العلى* * * تقتاد بالترغيب و الترهيب

لا زلت مسرورا بأشرف دولة* * * يبدو الهدى من أفقها المرقوب

تحيي المعالي غاديا أو رائحا* * * و حديد سعدك ضامن المطلوب

(262) طما البحر: ارتفع موجه.

و من قصيدة خاطبته بها عند وصول هدية ملك السودان إليه، و فيها الحيوان الغريب المسمّى بالزّرافة [263]:

قدحت يد الأشواق من زندي* * * و هفت بقلبي زفرة الوجد

و نبذت سلواني على ثقة* * * بالقرب فاستبدلت بالبعد

و لربّ وصل كنت آمله* * * فاعتضت منه بمؤلم الصّدّ

لا عهد عند الصّبر أطلبه* * * إنّ الغرام أضاع من عهدي

يلحى العذول فما أعنّفه* * * و أقول ضلّ فأبتغي رشدي

و أعارض النفحات أسألها* * * برد الجوى فتزيد في الوقد

يهدى الغرام إلى مسالكها* * * لتعلّلي بضعيف ما تهدي

يا سائق الأظعان معتسفا* * * طيّ الفلاة لطيّة الوجد

أرح الرّكاب ففي الصّبا نبأ* * * يغني عن المستنّة الجرد [264]

وسل الرّبوع برامة [265] خبرا* * * عن ساكني نجد و عن نجد

---

(263) انظر تفصيل القول عن هذه الهدية في العبر 7/ 310.

(264) استن في عدوه؛ ذهب على وجهه (جرى). و فرس أجرد: قصير الشعر.

(265) رامة، يطلق على مكانين: على منزل بينه و بينه الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة؛ و على قرية من قرى بيت المقدس. ياقوت 4/ 212.

ما لي تلام على الهوى خلقي (266)* * * و هي التي تأبى سوى الحمد

لأبيت إلا الرّشد مذ وضحت* * * بالمستعين معالم الرّشد

نعم الخليفة في هدى و تقى* * * و بناء عزّ شامخ الطّود

نجل السراة الغرّ شأنهم* * * كسب العلى بمواهب الوجد

و منها في ذكر خلوصي إليه، و ما ارتكبته فيه:

للّه مني إذ تأوّبني* * * ذكراه و هو بشاهق فرد

شهم يفلّ بواترا قضبا* * * و جموع أقيال أولي أيد

أوريت زند العزم في طلبي* * * و قضيت حقّ المجد من قصدي

و وردت عن ظمأ مناهله* * * فرويت من عزّ و من رفد

هي جنّة المأوى لمن كلفت* * * آماله بمطالب المجد

لو لم أعلّ بورد كوثرها* * * ما قلت هذي جنّة الخلد

---

(266) يؤنث ابن خلدون كلمة «خلق» ذهابا منه إلى معنى السجية.

من مبلغ قومي و دونهم* * * قذف النوى [267] و تنوفة البعد [268]

أنّى أنفت على رجائهم* * * و ملكت عزّ جميعهم وحدي

***

و رقيمة الأعطاف حالية* * * موشيّة بوشائع البرد

وحشية الأنساب ما أنست* * * في موحش البيداء بالقود

تسمو بجيد بالغ صعدا* * * شرف الصّروح بغير ما جهد

طالت رؤوس الشّامخات به* * * و لربّما قصرت عن الوهد

قطعت إليك تنائفا وصلت* * * إسآدها بالنّصّ و الوخد [269]

تخدي على استصعابها ذللا* * * و تبيت طوع القنّ و القدّ [270]

بسعودك اللائي ضمنّ لنا* * * طول الحياة بعيشه رغد

---

(267) ناقة قذوف: متقدمة في سيرها على الإبل، و النوى: البعد.

(268) التنوقة: القفر من الأرض، و التي لا ماء فيها، و الجمع تنائف.

(269) النص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها. و الوخد: ضرب من سير الإبل، و هو سعة الخطو في المشي.

(270) تخدى: تسرع. و القن: العبد. و القد بالكسر: سير يقد من جلد غير مدبوغ.

جاءتك في وفد الأحابش لا* * * يرجون غيرك مكرم الوفد

و افوك أنضاء تقلّبهم* * * أيدي السّرى بالغور و النّجد

كالطّيف يستقري مضاجعه* * * أو كالحسام يسلّ من غمد

يثنون بالحسنى التي سبقت* * * من غير إنكار و لا جحد

و يرون لحظك من وفادتهم* * * فخرا على الأتراك و الهند

يا مستعينا جلّ في شرف* * * عن رتبة المنصور و المهدي

جازاك ربّك عن خليقته* * * خير الجزاء فنعم ما يسدي

و بقيت للدنيا و ساكنها* * * في عزّة أبدا و في سعد (271)

و أنشدته في سائر أيامه غير هاتين القصيدتين كثيرا، لم يحضرني الآن شيء منه.

ثم غلب ابن مرزوق على هواه، و انفرد بمخالطته، و كبح الشكائم عن قربه، فانقبضت، و قصّرت الخطو، مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سرّه، و إنشاء مخاطباته و مراسمه.

ثم ولاني آخر الدولة خطّة المظالم، فوفّيتها حقّها، و دفعت للكثير مما أرجو ثوابه.

و لم يزل ابن مرزوق آخذا في سعايته بي و بأمثالي من أهل الدّولة، غيرة و منافسة،

---

(271) لابن زمرك: قصيدة رائية طويلة في وصف هذه الهدية. اقرأها في الاستقصا 2/ 120.

إلى أن انتقض الأمر على السّلطان بسببه. و ثار الوزير عمر بن عبد الله بدار المللك، فصار إليه الناس، و نبذوا السّلطان و بيعته، و كان في ذلك هلاكه، على ما ذكرناه في أخبارهم. (272)

و لما قام الوزير عمر بالأمر، أقرّني على ما كنت عليه، و وفّر إقطاعي، و زاد في جرايتي، و كنت أسمو، بطغيان الشباب، إلى أرفع مما كنت فيه، و أدلّ في ذلك بسابقة مودّة معه، منذ أيام السّلطان أبي عنان، و صحابة استحكم عقدها بيني و بينه، و بين الأمير أبي عبد الله صاحب بجاية، فكان ثالث أثافينا، و مصقلة فكاتنا. و اشتدّت غيرة السّلطان لذلك كما مرّ، وسطا بنا، و تغافل عن عمر بن عبد الله لمكان أبيه من ثغر بجاية، ثم حملني الإدلال عليه أيام سلطانه، و ما ارتكبه في حقّي من القصور بي عمّا أسمو إليه، إلى أن هجرته، و قعدت عن دار السّلطان، مغاضبا له، فتنكّر لي، و أقطعني جانبا من الإعراض، فطلبت الرّحلة إلى بلدي بإفريقية. و كان بنو عبد الواد قد راجعوا ملكهم بتلمسان، و المغرب الأوسط، فمنعني من ذلك، أن يغتبط أبو حمّو صاحب تلمسان بمكاني، فأقيم عنده. و لجّ في المنع من ذلك، و أبيت أنا إلا الرّحلة، و استجرت في ذلك برديفه و صديقه، الوزير مسعود بن رحّو بن ماساىٔ، و دخلت عليه يوم الفطر، سنة ثلاث و ستّين. فأنشدته:

هنيئا بصوم لا عداه قبول* * * و بشرى بعيد أنت فيه منيل

و هنّئتها من عزّة و سّعادة* * * تتابع أعوام بها و فصول

سقى اللّه دهرا أنت إنسان عينه* * * و لا مسّ ربعا في حماك محول

فعصرك ما بين الليالي مواسم* * * لها غرر و ضّاحة و حجول

---

(272) انظر ذلك في العبر 7/ 312- 314.

و جانبک المأمول للجود مشرع* * * يحوم عليه عالم و جهول

عساك، و إن ضنّ الزمان منوّلي* * * فرسم الأماني من سواك محيل

أجرني فليس الدهر لي بمسالم* * * إذا لم يكن لي في ذراك مقيل

و أولني الحسنى بما أنا آمل* * * فمثلک يولي راجيا و ينيل

و واللّه ما رمت الترحّل عن قلى* * * و لا سخطة للعيش فهو جزيل

و لا رغبة عن هذه الدار إنّها* * * لظلّ على هذا الأنام ظليل

و لكن نأى بالشّعب عني حبائب* * * شجاهن خطب للفراق طويل

يهيج بهنّ الوجد أنى نازح* * * و أن فؤادي حيث هنّ حلول

عزيز عليهن الذي قد لقيته* * * و أن اغترابي في البلاد يطول

توارت بأنبائي البقاع كأنني* * * تخطّفت أو غالت ركابي غول

ذكرتک يا مغنى الأحبّة و الهوى* * * فطارت بقلبي أنّة و عويل

و حيّيت عن شوق رباك كأنّما* * * يمثّل لي نؤي بها و طلول

أ أحبابنا و العهد بيني و بينكم* * * كريم و ما عهد الكريم يحول

إذا أنا لم ترض الحمول مدامعي* * * فلا قرّبتني للقاء حمول

إلام مقامي حيث لم ترد العلى* * * مرادي و لم تعط القياد ذلول

أجاذب فضل العمر يوما و ليلة* * * و ساء صباح بينها و أصيل

و يذهب بي ما بين يأس و مطمع* * * زمان بنيل المعلوات بخيل

تعلّلني عنه أمان خوادع* * * و يؤنسني ليّان منه مطول

أما لليالي لا تردّ خطوبها* * * ففي كبدي من وقعهنّ فلول

يروّعني من صرفها كلّ حادث* * * تكاد له صمّ الجبال تزول

أداري على الرغم العدى لا لريبة* * * يصانع واش خوفها و عذول

و أغدو بأشجاني عليلا كأنّما* * * تجود بنفسي زفرة و غليل

و إني و إن أصبحت في دار غربة* * * تحيل الليالي سلوتي و تديل

و صدتني الأيام عن خير منزل* * * عهدت به أن لا يضام نزيل

لأعلم أن الخير و الشرّ ينتهي* * * مداه و أن اللّه سوف يديل

و أني عزيز بابن ماساي مكثر* * * و إن هان أنصار و بان خليل

فأعانني الوزير مسعود عليه، حتى أذن لي في الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان، في أي مذهب أردت، فاخترت الأندلس، و صرفت ولدي و أمّهم إلى أخوالهم، أولاد القائد محمد بن الحكيم بقسنطينة، فاتح أربع و ستين. و جعلت أنا طريقي على الأندلس، و كان سلطانها أبو عبد الله المخلوع، (273) حين وفد على السّلطان أبي سالم بفاس، و أقام عنده، حصلت لي معه سابقة وصلة و وسيلة خدمة، من جهة وزيره أبي عبد الله بن الخطيب، (274) و ما كان بيني و بينه من الصحابة، فكنت أقوم بخدمته، و أعتمل في قضاء حاجاته في الدولة. و لما أجاز، باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه، حين فسد ما بين الطاغية و بين الرئيس المتوثّب عليه بالأندلس من قرابته، خلفته فيمن ترك من عياله و ولده بفاس، خير خلف، في قضاء حاجاتهم، و إدرار أرزاقهم، من المتولّين لها، و الاستخدام لهم. ثم فسد ما بين الطاغية و بينه، قبل ظفره بملكه، برجوعه عمّا اشترطه له، من التجافي عن حصون المسلمين التي تملّكها بأجلابه، ففارقه إلى بلد المسلمين، و نزل بأسجة. (275) و كتب إلى عمر بن عبد الله يطلب مصرا ينزله، من أمصار الأندلس الغربية، التي كانت ركابا لملوك المغرب في جهادهم، و خاطبني أنا في ذلك، فكنت له نعم الوسيلة عند عمر، حتى تمّ قصده من ذلك. و تجافى عن رندة و أعمالها، فنزلها و تملّكها، و كانت دار هجرته، و ركاب فتحه، و ملك منها الأندلس أواسط ثلاث و ستّين، و استوحشت أنا من عمر، إثر ذلك كما مرّ. و ارتحلت إليه، معوّلا على سوابقي عنده، فغرّب في المكافأة كما نذكر (إن شاء الله تعالى).

---

(273) سبق التعريف به في هامش ص 39.

(274) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب (713- 776) انظر بروكلمن 2/ 262، و الملحق 2/ 372 حيث ذكر المراجع عنه، و مؤلفاته.

(275) أسجةEcija) قيدها ابن خلدون بالقلم، بفتح الهمزة، و كسر السين المخففة، عرضها الشمالي 30- 37، و طولها الغربي 8- 5. تقع في الجنوب الغربي لقرطبة على بعد نحو 54 كيلومترا.

و يقال لها أيضا إستجة، و تحت هذا الاسم تجدها في الروض المعطار ص 14- 15، ياقوت 1/ 224.

الرحلة إلى الأندلس

و لمّا أجمعت الرّحلة إلى الأندلس، بعثت بأهلي و ولدي إلى أخوالهم بقسنطينة، و كتبت لهم إلى صاحبها السّلطان أبي العبّاس، من حفدة السّلطان أبي يحيى، و أني أمرّ على الأندلس، و أجيز إليه من هنالك. و سرت إلى سبتة فرضة المجاز، و كبيرها يومئذ الشريف أبو العبّاس أحمد بن الشريف الحسني، ذو النسب الواضح، السالم من الرّيبة عند كافة أهل المغرب، انتقل سلفه إلى سبتة من صقلية، (276) و أكرمهم بنو العزفيّ أولا و صاهروهم. ثم عظم صيتهم في البلد، فتنكّروا لهم. و غرّبهم يحيى العزفيّ آخرهم إلى الجزيرة، فاعترضتهم مراكب النصارى في الزّقاق، (277) فأسروهم.

و انتدب السّلطان أبو سعيد إلى فديتهم، رعاية لشرفهم، فبعث إلى النصارى في ذلك فأجابوه، و فادى هذا الرجل و أباه على ثلاثة آلاف دينار، و رجعوا إلى سبتة.

و انقرض بنو العزفيّ و دولتهم، و هلك والد الشريف، و صار هو إلى رياسة الشّورى. و لمّا كانت واقعة القيروان، و خلع أبو عنان أباه، و استولى على المغرب، و كان بسبتة عبد الله بن علي الوزير، واليا من قبل السّلطان أبي الحسن، فتمسك بدعوته، و مال أهل البلد إلى السّلطان أبي عنان، و بثّ فيهم الشريف دعوته. فثاروا بالوزير و أخرجوه، و وفدوا على أبي عنان، و أمكنوه من بلدهم، فولّى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسي، كافل تربيته ف صغره. و أفرد هذا الشريف برياسة الشّورى في سبتة، فلم يكن يقطع أمر دونه. و وفد على السّلطان بعض الأيام، فتلقّاه من الكرامة بما لا يشاركه فيه أحد من وفود الملوك و العظماء، و لم يزل على ذلك سائر أيام السّلطان و بعد وفاته. و كان معظّما، وقور المجلس، هشّ اللقاء، كريم الوفادة، متحلّيا بالعلم و الأدب، منتحلا للشّعر، غاية في الكرم و حسن العهد، و سذاجة النفس. و لمّا مررت به سنة أربع و ستّين، أنزلني ببيته إزاء المسجد الجامع، و بلوت منه ما لا يقدّر مثله من

---

(276) بفتح الصاد و القاف، أو بكسرهما، و اللام مكسورة مشددة على كلا القولين.

فتحت سنة 212.

انظر تاج العروس 7/ 404، المطرب لابن دحية ص 37 (نسخة خاصة). ياقوت 5/ 373- 377.

(277) الزقاق: هو المضيق الذي بين طنجة و جبل طارق، و عرض البحر هناك نحو سبعة عشر ميلا.

الملوك، و أركبني الحرّاقة [278] ليلة سفري، يباشر دحرجتها إلى الماء بيده، إغرابا في الفضل و المساهمة. و حططت بجبل الفتح [279] و هو يومئذ لصاحب المغرب. ثم خرجت منه إلى غرناطة، و كتبت إلى السّلطان ابن الأحمر و وزيره ابن الخطيب بشأني. و ليلة بتّ بقرب غرناطة على بريد [280] منها، لقيني كتاب ابن الخطيب يهنّئني بالقدوم و يؤنسني، و نصّه:

حللت حلول الغيث بالبلد المحل* * * على الطائر الميمون و الرّحب و السّهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه* * * من الشّيخ و الطفل المهدّإ [281] و الكهل

لقد نشأت عندي للقياك غبطة* * * تنسّي اغتباطي بالشّبيبة و الأهل

و ودّي لا يحتاج فيه لشاهد* * * و تقريري المعلوم ضرب من الجهل

أقسمت بمن حجّت قريش لبيته، و قبر صرفت، أزمّة الأحياء لميته، [282] و نور ضربت الأمثال بمشكاته وزيته. [283] لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الأمنيّة

---

(278) الحراقة: نوع من السفن الصغيرة كان يستعمل للنزهة. انظر السلوك للمقريزي ص 306.

(279) جبل الفتح: هو جبل طارق بن زياد. و هو المسمى اليومGibraltar

(280) البريد: أربعة فراسخ؛ و الفرسخ: اثنا عشر ميلا. انظر تاج العروس 2/ 398.

(281) هدأت المرأة الصبي: سكنته لينام.

(282) في القرآن: «إنك ميت و إنهم ميتون»، فلا معنى لما كتبه الشيخ العطار هنا انظر هامش ص 411 من الجزء السابع من العبر.

(283) يشير إلى الآية: «اللّه نور السموات و الأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح

المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار».

السنيّة، و العارفة الوارفة، [284] و اللطيفة المطيفة، بين رجع الشباب يقطر ماء، و يرفّ [285] نماء، و يغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة و إيماء، بحيث لا الوخط يلمّ بسياج لمّته، أو يقدح ذباله في ظلمته، أو يقوم حواريّه في ملّته، من الأحابش و أمّته، و زمانه روح وراح، و مغدى في النعيم و مراح، و قصف صراح، ورقى و جراح، و انتخاب و اقتراح، و صدور ما بها إلا انشراح، و مسرّات تردفها أفراح، و بين قدومك خليع الرّسن، ممتّعا- و الحمد للّه- باليقظة و الوسن، محكما في نسك الجنيد [286] أو فتك الحسن، [287] ممتّعا بظرف المعارف، مالئا أكفّ الصّيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الزّخارف لما اخترت الشّباب و إن شاقني زمنه، و أعياني ثمنه، و أجرت سحاب دمعي دمنه. فالحمد للّه الذي رقى جنون اغترابي، و ملّكني أزمّة آرابي، و غبّطني بمائي و ترابي، و مألف أترابي، و قد أغصنّي بلذيذ شرابي، و وقّع على سطوره المعتبرة إضرابي. و عجّلت هذه مغبّطة بمناخ المطيّة، [288] منتهى الطّية، و ملتقى للسعود غير البطية، و تهنّي الآمال الوثيرة الوطية. فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريّك، متجمّلة بزيّك، عاقلة خطا مهريّك، و مولى مكارمه نشيدة أمثالك، و مظانّ مثالك، و سيصدّق الخبر ما هنالك، و يسع فضل مجدك في التخلّف عن الإصحار، [289] لا، بل للقاء من وراء البحار، و السلام.

ثم أصبحت من الغد قادما على البلد، و ذلك ثامن ربيع الأول عام أربعة و ستين، و قد اهتزّ السّلطان لقدومي، و هيأ لي المنزل من قصوره، بفرشه و ماعونه، و أركب

---

(284) العارفة: العطية. و الوارفة: المتسعة.

(285) يقال: الشيء يرف إذا كثر ماؤه من النعمة و الغضاضة.

(286) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، سيد الصوفية و إمامهم. توفي سنة 297 أو 298.

طبقات الشافعية للسبكى 2/ 28- 37، رسالة القشيري ص 21.

(287) يريد أبا نواس: الحسن بن هانئ بن الجراح الحكمي، الشاعر الماجن المعروف (145- 200) انظر ترجمته في شرح ابن نباتة لرسالة ابن زيدون ص 170- 176.

(288) الطية: الوجهة و القصد.

(289) الإصحار: الخروج إلى الصحراء. يعتذر عن تخلفه عن الخروج للقياه بعيدا عن

المدينة.

خاصّته للقائي، تحفّيا و برّا، و مجازاة بالحسنى؛ ثم دخلت عليه فقابلني بما يناسب ذلك، و خلع عليّ و انصرفت. و خرج الوزير ابن الخطيب فشيّعني إلى مكان نزلي؛ ثم نظمني في علية أهل مجلسه، و اختصّني بالنّجيّ في خلوته، و المواكبة في ركوبه، و المواكلة و المطايبة و الفكاهة في خلوات أنسه، و أقمت على ذلك عنده، و سفرت عنه سنة خمس و ستّين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ، بطره بن الهنشه ابن أذفونش، لإتمام عقد الصلح ما بينه و بين ملوك العدوة، بهديّة فاخرة، من ثياب الحرير، و الجياد المقربات [290] بمراكب الذهب الثقيلة، فلقيت الطاغية بإشبيلية، و عاينت آثار سلفي بها، و عاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه، و أظهر الاغتباط بمكاني، و علم أولية سلفنا بإشبيلية. و أثنى عليّ عنده طبيبه إبراهيم بن زرزر اليهودي، المقدّم في الطبّ و النّجامة، و كان لقيني بمجلس السّلطان أبي عنان، و قد استدعاه يستطبّه، و هو يومئذ بدار ابن الأحمر بالأندلس. ثم نزع- بعد مهلك رضوان القائم بدولتهم- إلى الطاغية، فأقام عنده، و نظمه في أطبّائه. فلمّا قدمت أنا عليه، أثنى عليّ عنده، فطلب الطاغية منّي حينئذ المقام عنده، و أن يردّ علي تراث سلفي بإشبيلية، و كان بيد زعماء دولته، فتفاديت من ذلك بما قبله. و لم يزل على اغتباطه إلى أن انصرفت عنه، فزوّدني و حملني، [291] و اختصّني ببغلة فارهة، بمركب ثقيل و لجام ذهبيّين، أهديتهما إلى السّلطان، فأقطعني قرية إلبيرة من أراضي السّقي بمرج غرناطة، و كتب بها منشورا كان نصه [292].

ثمّ حضرت المولد النّبويّ لخامسة قدومي، و كان يحتفل في الصنيع [293] فيها

---

(290) المقربات: التي تقرب، و لا تترك بعيدة لئلا يقرعها فحل غير جيد، يفعلون ذلك ليحفظوا لها النسب الحر.

(291) أعطاني ظهرا لأركبه.

(292) بياض في جميع الأصول، و لعل ابن خلدون ترك هذا البياض ليثبت نص هذا المنشور، فعاجلته المنية قبل أن يتيسر له ذلك.

(293) الصنيع: ما اسديته من معروف إلى إنسان. و يريد ابن خلدون هنا نفس الاحتفال.

و الدّعوة، [294] و إنشاد الشعراء، اقتداء بملوك المغرب، فأنشدته ليلتئذ:

حيّ المعاهد كانت قبل تحييني* * * بواكف [295] الدّمع يرويها و يظميني

إن الألى نزحت داري و دارهم* * * تحمّلوا القلب في آثارهم دوني

وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم* * * فيهم و أسأل رسما لا يناجيني

(أمثّل الرّبع من شوق فألثمه* * * و كيف و الفكر يدنيه و يقصيني)

(و ينهب الوجد منّي كلّ لؤلؤة* * * ما زال قلبي عليها غير مأمون [296])

سقت جفوني مغاني الرّبع بعدهم* * * فالدّمع وقف على أطلاله الجون [297]

قد كان للقلب داعي الهوى شغل* * * لو أنّ قلبي إلى السّلوان يدعوني

أحبابنا هل لعهد الوصل مدّكر* * * منكم و هل نسمة عنكم تحيّيني

ما لي و للطّيف لا يعتاد زائره [298]* * * و للنّسيم عليلا يداويني

---

(294) الدعوة بالفتح في أكثر كلام العرب: طلبك الناس للطعام، و عند قبيلة

الرباب: الدعوة، بكسر الدال في الطعام. و انظر كتب اللغة.

(295) و كف الدمع: سال.

(296) سقط البيتان من الأصل، ووردا في ز ط ش، و جذوة الاقتباس و الإحاطة و مختصرها.

(297) الجون: السود.

(298) لا يزور مرة بعد الأخرى.

يا أهل نجد و ما نجد و ساكنها* * * حسنا سوى جنّة الفردوس و العين [299]

أعندكم أنني مما مرّ ذكركم* * * إلا انثنيت كأنّ الرّاح تثنيني

أصبو إلى البرق من أنحاء أرضكم* * * شوقا و لولاكم ما كان يصبيني

يا نازحا و المنى تدنيه من خلدي [300]* * * حتى لأحسبه قربا يناجيني

أسلى هواك فؤادي عن سواك و ما* * * سواك يوم بحال عنك يسليني

ترى الليالي أنستك ادّكاري يا* * * من لم تكن ذكره الأيام تنسيني

و منها في وصف الإيوان [301]* * * الذي بناه لجلوسه بين قصوره:

يا مصنعا شيّدت منه السّعود حمى* * * لا يطرق الدهر مبناه بتوهين

صرح يحار لديه الطّرف مفتتنا* * * فيما يروقك من شكل و تلوين

---

(299) جمع عيناء؛ و هي الواسعة العين من النساء.

(300) الخلد: البال.

(301) في مختصر الإحاطة: و منها في وصف المشور المبتنى لهذا العهد.

بعدا لإيوان [302] كسرى إن مشورك [303]* * * السامي لأعظم

من تلك الأواوين

ودع دمشق و مغناها فقصرك ذا* * * زأشهى إلى القلب من أبواب جيرون [304]

و منها في التعريض [305] بمنصرفي من العدوة:

من مبلغ عنّي الصّحب الألى تركوا* * * ودّي وضاع حماهم إذ أضاعوني

أنّي أويت من العليا إلى حرم* * * كادت مغانيه بالبشرى تحيّيني

و أنّني ظاعنا لم ألق بعدهم* * * دهرا أشاكي و لا خصما يشاكيني

لا كالتي أخفرت عهدي ليالي إذ* * * أقلّب الطّرف بين الخوف و الهون

***

سقيا و رعيا لأيامي التي ظفرت* * * يداي منها بحظّ غير مغبون

---

(302) هو الإيوان الذي كان بمدائن كسرى. شاهده ياقوت، و وصفه في معجم البلدان 1/ 394 و ما بعدها. و للبحتري فيه القصيدة السينية المشهورة.

(303) المشور في الاصطلاح المغربي و الأندلسي: المكان الذي يجلس فيه السّلطان فمن دونه من الحكام للحكم. و لا تزال الكلمة مستعملة في هذا المعنى بالمغرب.

(304) موضع من متنزهات دمشق أكثر الشعراء من ذكره. ياقوت 3/ 191، تاج العروس 3/ 116. و الشطر الثاني مضمن من شعر أبي قطيفة.
(305) يعني بهذه الأبيات صديقه الوزير عمر بن عبد الله، و يعرض فيها بما عامله به من الوحشة، و قد قدم بعض القول في ذلك.

أرتاد منها مليّا لا يماطلني* * * وعدا و أرجو كريما لا يعنّيني

و هاك منها قواف [306] طيّها حكم* * * مثل الأزاهر في طيّ الرّياحين

تلوح إن جليت درّا و إن تليت* * * تثني عليك بأنفاس البساتين

عانيت منها بجهدي كلّ شاردة* * * لولا سعودك ما كادت تواتيني

يمانع الفكر عنها ما تقسّمه* * * من كلّ حزن بطيّ الصّدر مكنون

لكن بسعدك ذلّت لي شواردها* * * فرضت منها بتحبير و تزيين

بقيت دهرك في أمن و في دعة* * * و دام ملكك في نصر و تمكين

و أنشدته سنة خمس و ستين في إعذار [307] ولده، و الصنيع الذي احتفل لهم فيه، و دعا إليه الجفلى [308] من نواحي الأندلس، و لم يحضرني منها إلا ما أذكره:

صحا الشوق لولا عبرة و نحيب [309]* * * و ذكرى تجدّ الوجد حين تثوب

[310]

---

(306) كذا في الأصل. و حقه أن يكون منصوبا، لأن هاك بمعنى خذ.

(307) الإعذار: الختان، ثم أطلق على طعام الختان.

(308) الجفلى، بفتحات: أن تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامة.
(309) النحيب: البكاء.
(310) تثوب، و في ط: تئوب؛ و المعنى فيهما: ترجع و تعود.

و قلب أبى إلا الوفاء بعهده* * * و إن نزحت دار و بان حبيب

و للّه منّي بعد حادثة النّوى* * * فؤاد لتذكار العهود طروب

يؤرّقه طيف الخيال إذا سرى* * * و تذكي حشاه نفحة و هبوب

خليليّ إلا تسعدا فدعا الأسى* * * فإني لما يدعو الأسى لمجيب

ألمّا على الأطلال يقض حقوقها* * * من الدّمع فيّاض الشّؤون سكوب

و لا تعذلاني في البكاء فإنها* * * حشاشة نفسي في الدموع تذوب

و منها في تقدم ولده للأعذار من غير نكول [311]:

فيمّم منه الحفل لا متقاعس* * * لخطب و لا نكس [312] اللقاء هيوب

وراح كما راح الحسام من الوغى* * * تروق حلاه و الفرند [313] خضيب

شواهد أهدتهنّ منك شمائل* * * و خلق بصفو المجد منك مشوب

---

(311) النكول: التأخر و الجبن.

(312) النكس: الرجل الضعيف، و المقصر عن غاية النجدة و الكرم.

(313) الفرند: السيف.

و منها في الثناء على ولديه:

هما النّيّران الطالعان على الهدى* * * بآيات فتح شأنهنّ عجيب

شهابان في الهيجا غمامان في النّدى* * * تسحّ المعالي منهما و تصوب

يدان لبسط المكرمات نماهما* * * إلى المجد فيّاض اليدين وهوب

و أنشدته ليلة المولد الكريم من هذه السنة:

أبى الطيف أن يعتاد إلا توهّما* * * فمن لي بأن ألقى الخيال المسلّما

و قد كنت استهديه لو كان نافعي* * * و أستمطر الأجفان لو تنقع الظّما (314)

و لكن خيال كاذب و طماعة (315)* * * تعلّل قلبا بالأماني متيّما

أيا صاحبي نجواي و الحبّ لوعة* * * تبيح بشكواها الضّمير المكتّما

خذا لفؤادي العهد من نفس الصّبا* * * و ظبي النّقا (316) و البان من أجرع الحمى

(317)

ألا صنع الشوق الذي هو صانع* * * فحبّي مقيم أقصر الشوق أو سما

(314) تروي العطش.
(315) الطماعة: الطمع.
(316) النقا: الكثيب من الرمل.
(317) الأجرع: الأرض الرملة السهلة المستوية. و انظر لسان العرب.

و إنّي ليدعوني السلوّ تعلّلا* * * و تنهاني الأشجان أن اتقدّما

لمن دمن أقفرن إلا هواتفا [318]* * * تردد في أطلالهن الترنما

عرفت بها سيما الهوى [319] و تنكّرت* * * فعجت على آياتها متوسّما

و ذو الشّوق يعتاد الرّبوع دوارسا* * * و يعرف آثار الديار توهّما

تأوّبني [320] و الليل بيني و بينه* * * و ميض بأطراف الثنايا تضرّما

أجدّ لي العهد القديم كأنّه* * * أشار بتذكار العهود فأفهما

عجبت لمرتاع الجوانح خافق* * * بكيت له خلف الدّجى و تبسما

و بتّ أروّيه كؤوس مدامعي* * * وبات يعاطيني الحديث عن الحمى

و صافحته عن رسم دار بذي الغضى [321]* * * لبست بها ثوب الشبيبة معلما

لعهدي بها تدني الظّباء أوانسا* * * و تطلع في آفاقها الغيد أنجما

---

(318) هتفت الحمامة: ناحت، و هي هاتفة، و الجمع هواتف.

(319) سيما الهوى: علامته.

(320) أتاني ليلا.
(321) ووذ الغضا: واد بنجد.

أحنّ إليها حيث سار بي الهوى* * * و أنجد رحلي في البلاد و أتهما [322]

و لمّا استقرّ، و اطمأنّت الدّار، و كان من السّلطان الاغتباط و الاستئثار و كثر الحنين إلى الأهل و التذكار، أمر باستقدام أهلي من مطرح اغترابهم [323] بقسنطينة، فبعث عنهم من جاء بهم إلى تلمسان. و أمر قائد الأسطول بالمريّة، فسار لإجازتهم في أسطوله، و احتلوا بالمرية. و استأذنت السّلطان في تلقّيهم، و قدمت بهم على الحضرة، بعد أن هيأت لهم المنزل و البستان، و دمنة الفلح، و سائر ضرورات المعاش.

و كتب الوزير ابن الخطيب عندما قاربت الحضرة، و قد كتبت إليه استأذنه في القدوم، و ما أعتمده في أحواله:

سيدي، قدمت بالطّير الميامين، على البلد الأمين، و استضفت الرّفاء إلى البنين، و متّعت بطول السنين. وصلتني البراءة [324] المعربة عن كثب اللقاء، و دنوّ المزار، و ذهاب البعد، و قرب الدار؛ و استفهم سيدي عمّا عندي في القدوم على المخدوم، و الحقّ أن يتقدم سيدي إلى الباب الكريم، في الوقت الذي يجد المجلس الجمهوري لم يفض حجيجه، [325] و لا صوّح [326] بهيجه، و يصل الأهل بعده إلى المحل الذي هيأته السعادة لاستقرارهم، و اختاره اليمن قبل اختيارهم، و السلام.

ثم لم يلبث الأعداء و أهل السّعايات أن خيّلوا الوزير ابن الخطيب من ملابستي للسلطان، و اشتماله عليّ، و حرّكوا له جواد الغيرة فتنكّر. و شممت منه رائحة

---

(322) أنجد، و أتهم: دخل نجدا، و تهامة.

(323) مطرح الاغتراب: المكان البعيد عن الأهل و العشيرة.

(324) البراءة في مصطلح المغاربة و الأندلسيين: الرسالة كيفما كان موضوعها. و لا يتقيدون فيها بالمعنى اللغوي للبراءة.

(325) الإفاضة: الدفع في السير بكثرة. و الحجيج: جمع حاج؛ يريد قبل أن يتفرق رواد المجلس السّلطاني من أهل الدولة.

(326) صوّح النبت: تم يبسه.

الانقباض، مع استبداده بالدولة، و تحكّمه في سائر أحوالها، و جاءتني كتب السّلطان أبي عبد الله صاحب بجاية، بأنّه استولى عليها في رمضان خمس و ستين.

و استدعاني إليه، فاستأذنت السّلطان ابن الأحمر في الارتحال إليه. و عمّيت عليه شأن ابن الخطيب إبقاء لمودته، فارتمض [327] لذلك، وم يسعه إلا الإسعاف، فودّع و زوّد، و كتب لي مرسوم بالتشييع من إملاء الوزير ابن الخطيب نصّه:

هذا ظهير كريم، تضمن تشييعا و ترفيعا، و إكراما و إعظاما، و كان لعمل الصّنيعة ختاما، و على الذي أحسن تماما، و أشاد للمعتمد به [328] بالاغتباط الذي راق قساما [329] و توفر أقساما، و أعلن له بالقبول إن نوى بعد النوى رجوعا أو آثر على الظعن المزمع مقاما.

أمر به، و أمضى العمل بمقتضاه و حسبه، الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أيّد الله أمره، و أعزّ نصره، و أعلى ذكره، للوليّ الجليس، الحظيّ المكين، المقرّب الأودّ الأحبّ، الفقيه الجليل، الصدر الأوحد، الرئيس العلم، الفاضل الكامل، المرفّع الأسمى، الأظهر الأرضى، الأخلص الأصفى، أبي زيد عبد الرحمن بن الشيخ الجليل، الحسيب الأصيل، الفقيه المرفّع المعظم، الصّدر الأوحد الأسمى، الأفضل الأكمل، الموقّر المبرور، أبي يحيى أبي بكر، ابن الشيخ الجليل الكبير، الرفيع الماجد، القائد الحظي، المعظم الموقر، المبرور المرحوم، أبي عبد الله بن خلدون. وصل الله له أسباب السعادة، و بلّغه من فضله أقصى الإرادة، أعلن بما عنده، أيده الله، من الاعتقاد الجميل في جانبه المرفّع، و إن كان غنيّا في الإعلان. و أعرب عن معرفته بمقداره، في الحسباء العلماء الرؤساء الأعيان، و أشاد باتصال رضاه عن مقاصده البرّة وشيمه الحسان، من لدن وفد بابه، وفادة العز الراسخ البنيان، و أقام المقام الذي عيّن له رفعة المكان، و إجلال الشان، إلى أن عزم على قصد وطنه، أبلغه الله ذلك في ظلّ اليمن

---

(327) ارتمض لكذا: حزن، و ارتمض بكذا: اشتد قلقه.

(328) كذا بالأصول.

(329) القسام: الجمال و الحسن.

و الأمان، و كفالة الرّحمن بعد الاغتباط المربى على الخبر بالعيان، و التمسّك بجواره بجهد الإمكان، ثم قبول عذره بما جبلت الأنفس عليه من الحنين إلى المعاهد و الأوطان. و بعد أن لم يذخر عنه كرامة رفيعة، و لم يحجب عنه وجه صنيعة، فولاه القيادة و السّفارة، و أحلّه جليسا معتمدا بالاستشارة، و ألبسه من الحظوة و التقريب أبهى الشارة، و جعل محلّه من حضرته مقصودا بالمثل معنيّا بالإشارة، ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضّنانة بفراقه، و يجمع له برّ الوجهة من جميع آفاقه، و يجعله بيده رتيمة خنصر، (330) و وثيقة سامع أو مبصر، فمهما لوى أخدعه (331) إلى هذه البلاد بعد قضاء وطره، و تملّيه من نهمة (332) سفره، أو نزع به حسن العهد و حنين الود، فصدر العناية به مشروح، و باب الرضا و القبول مفتوح، و ما عهده من الحظوة و البرّ ممنوح. فما كان القصد في مثله من أمجاد الأولياء ليتحوّل، و لا الاعتقاد الكريم ليتبدّل، و لا الأخير من الأحوال لينسخ الأول. على هذا فليطو ضميره، و ليرد متى شاء نميره، (333) و من وقف عليه من القواد و الأشياخ و الخدام، برّا و بحرا، على اختلاف الخطط و الرّتب، و تباين الأحوال و النّسب، أن يعرفوا حقّ هذا الاعتقاد، في كل ما يحتاج إليه من تشييع و نزول، و إعانة و قبول، و اعتناء موصول، إلى أن يكمل الغرض، و يؤدّى من امتثال هذا الأمر الواجب المفترض، بحول الله و قوّته.

و كتب في التاسع عشر من جمادى الأولى عام ستة و ستين و سبع مائة.

و بعد التاريخ العلامة بخط السّلطان، و نصّها: «صح هذا».

---

(330) الرتيمة: الخيط الذي يشد في الأصبع لتستذكر به الحاجة.

(331) الأخدعان: عرقان في موضع الحجامة من العنق، و الواحد أخدع؛ يكني بالأخدعين عن العودة إلى هذه البلاد.

(332) النهمة: الحاجة، و بلوغ الهمة في الشيء.

(333) النمير من الماء: الزاكي، الناجع.

الرحلة من الأندلس إلى بجاية، و ولاية الحجابة بها على الاستبداد

كانت بجاية ثغرا لإفريقية في دولة بني أبي حفص من الموحدين. و لما صار أمرهم للسلطان أبي بكر بن يحيى منهم، و استقلّ بملك إفريقية، ولّى في ثغر بجاية ابنه الأمير أبا زكرياء، و في ثغر قسنطينة ابنه الأمير أبا عبد الله. و كان بنو عبد الواد ملوك تلمسان و المغرب الأوسط، ينازعونه في أعماله، و يجمّرون [334] العساكر على بجاية، و يجلبون على قسنطينة، إلى أن تمسّك السّلطان أبو بكر بذمّة من السّلطان أبي الحسن، ملك المغرب الأقصى من بني مرين، و له الشّفوف على سائر ملوكهم.

و زحف السّلطان أبو الحسن إلى تلمسان، فأخذ بمخنّقها سنتين أو أزيد، و ملكها عنوة، و قتل سلطانها أبا تاشفين، و ذلك سنة سبع و ثلاثين؛ و خفّ ما كان على الموحّدين من إصر [335] بني عبد الواد، و استقامت دولتهم. ثم هلك أبو عبد الله محمد ابن السّلطان أبي يحيى بقسنطينة سنة أربعين، و خلّف سبعة من الولد، كبيرهم أبو زيد عبد الرحمن، ثم أبو العباس أحمد، فولّى الأمير أبا زيد مكان أبيه، في كفالة نبيل مولاهم. ثم توفّي الأمير أبو زكرياء ببجاية سنة ست و أربعين، و خلّف ثلاثة من الولد، كبيرهم أبو عبد الله محمد، و بعث السّلطان أبو بكر ابنه الأمير أبا حفص عليها، فمال أهل بجاية إلى الأمير أبي عبد الله بن أبي زكرياء، و انحرفوا عن الأمير عمر و أخرجوه. و بادر السّلطان فرقع هذا الخرق، بولاية أبي عبد الله عليهم كما طلبوه. ثم توفي السّلطان أبو بكر منتصف سبع و أربعين، و زحف أبو الحسن إلى إفريقية فملكها، و نقل الأمراء من بجاية و قسنطينة إلى المغرب. و أقطع لهم هنالك، إلى أن كانت حادثة القيروان، و خلع السّلطان أبو عنان أباه. و ارتحل من تلمسان، إلى فاس، فنقل معه هؤلاء الأمراء، أهل بجاية و قسنطينة، و خلطهم بنفسه، و بالغ في تكرمتهم. ثم صرفهم إلى ثغورهم، الأمير أبا عبد الله أولا، و إخوته من تلمسان، و أبا

---

(334) تجمير الجيوش: جمعهم في الثغور و حبسهم عن العودة إلى أهليهم، و هي

كلمة يستعملها ابن خلدون كثيرا.
(335) الإصر: الأمر الذي يثقل حمله.

زيد و إخوته من فاس، ليستبدّوا بثغورهم، و يخذّلوا الناس عن السّلطان أبي الحسن، فوصلوا إلى بلادهم، و ملكوها بعد أن كان الفضل ابن السّلطان أبي بكر قد استولى عليها من يد بني مرين، فانتزعوها منه. و استقرّ أبو عبد الله ببجاية، حتى إذا هلك السّلطان أبو الحسن بجبال المصامدة، و زحف أبو عنان إلى تلمسان سنة ثلاث و خمسين، فهزم ملوكها من بني عبد الواد، و أبادهم، و نزل المدية، و أطلّ على بجاية.

و بادر الأمير أبو عبد الله للقائه، وشكا إليه ما يلقاه من زبون [336] الجند و العرب، و قلّة الجباية. و خرج له عن ثغر بجاية فملكها، و أنزل عمّاله بها. و نقل الأمير أبا عبد الله معه إلى المغرب، فلم يزل عنده في حفاية [337] و كرامة. و لما قدمت على السّلطان أبي عنان آخر خمس و خمسين و استخلصني، نبضت عروق السّوابق بين سلفي و سلف الأمير أبي عبد الله، و استدعاني للصّحابة فأسرعت، و كان اللّطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك. ثم كثر المنافسون، و رفعوا إلى السّلطان، و قد طرقه مرض أرجف له الناس، فرفعوا له أن الأمير أبا عبد الله اعتزم على [338] الفرار إلى بجاية، و أنّي عاقدته على ذلك، على أن يوليني حجابته، فانبعث لها السّلطان، وسطا بنا، و اعتقلني نحوا من سنتين إلى أن هلك. و جاء السّلطان أبو سالم، و استولى على المغرب، و وليت كتابة سرّه. ثم نهض إلى تلمسان، و ملكها من يد بني عبد الواد، و أخرج منها أبا حمّو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، ثم اعتزم على الرجوع إلى فاس، و ولّى على تلمسان أبا زيّان محمد بن أبي سعيد عثمان بن السّلطان أبي تاشفين، و أمدّه بالأموال و العساكر من أهل وطنه، ليدافع أبا حمّو عن تلمسان، و يكون خالصة له. و كان الأمير أبو عبد الله صاحب بجاية معه كما ذكرناه، و الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة، بعد أن كان بنو مرين حاصروا أخاه أبا زيد بقسنطينة أعواما تباعا. ثم خرج لبعض مذاهبه إلى بونة، و ترك أخاه أبا العبّاس بها، فخلعه، و استبدّ بالأمر دونه. و خرج إلى العساكر المجمّرة عليها من بني مرين،

---

(336) يستعمل ابن خلدون الزبون اسما بمعنى الحرب.

(337) الحفاية: المبالغة في الإكرام، كالحفاوة.

(338) اعتزم على الشيء: أراد فعله، كعزم عليه.

فهزمهم، و أثخن فيهم. و نهض السّلطان إليه من فاس، سنة ثمان و خمسين، فتبرأ منه أهل البلد و أسلموه، فبعثه إلى سبتة في البحر، و اعتقله بها، حتى إذا ملك السّلطان أبو سالم سبتة عند إجازته من الأندلس سنة ستّين، أطلقه من الاعتقال، و صحبه إلى دار ملكه، و وعده بردّ بلده عليه.

فلما ولّى أبا زيّان على تلمسان، أشار عليه خاصّته و نصحاؤه، بأن يبعث هؤلاء الموحدين إلى ثغورهم: فبعث أبا عبد الله إلى بجاية، و قد كان ملكها عمّه أبو إسحق صاحب تونس، و مكفول بن تافراكين من يد بني مرين، و بعث أبا العبّاس إلى قسنطينة، و بها زعيم من زعماء بني مرين. و كتب إليه السّلطان أبو سالم أن يفرج له عنها، فملكها لوقته. و سار الأمير أبو عبد الله إلى بجاية، فطال إجلابه عليها، و معاودته حصارها. ولجّ [339] أهلها في الامتناع منه مع السّلطان أبي إسحق. و قد كان لي المقام المحمود في بعث هؤلاء الأمراء إلى بلادهم. و تولّيت كبر [340] ذلك مع خاصّة السّلطان أبي سالم و كبار أهل مجلسه، حتى تمّ القصد من ذلك. و كتب لي الأمير أبو عبد الله بخطّه عهدا بولاية الحجابة متى حصل على سلطانه، و معنى الحجابة- في دولنا بالمغرب- الاستقلال بالدولة، و الوساطة بين السّلطان و بين أهل دولته، لا يشاركه في ذلك أحد. و كان لي أخ اسمه يحيى [341] أصغر مني، فبعثته مع الأمير أبي عبد الله حافظا للرّسم، و رجعت مع السّلطان إلى فاس. ثم كان ما قدّمته من انصرافي إلى الأندلس و المقام بها، إلى أن تنكّر الوزير ابن الخطيب، و أظلم الجوّ بيني و بينه.

و بينا نحن في ذلك، وصل الخبر باستيلاء الأمير أبي عبد الله على بجاية من يد عمّه، في رمضان (سنة) [342] خمس و ستين، و كتب الأمير أبو عبد الله يستقدمني،

---

(339) لجّ: تمادى في الخصومة.

(340) الكبر: معظم الشيء، و الشرف.

(341) قتل يحيى بن خلدون هذا في سنة 780، بأمر أبي تاشفين بن أبي زيان؛ و كان مؤرخا، و أديبا؛ و يأتي في كلام ابن الخطيب ثناء على كتابته الأدبية. له كتاب «بغية الرواد، في أخبار بني عبد الواد». و انظر خبر مقتله في العبر 7/ 140.

(342) الزيادة عن ط.

فاعتزمت على ذلك، و نكر السّلطان أبو عبد الله ابن الأحمر ذلك مني، لا يظنّه لسوى ذلك، إذ لم يطلع على ما كان بيني و بين الوزير ابن الخطيب، فأمضيت العزم، و وقع منه الإسعاف، و البرّ و الإلطاف. و ركبت البحر من ساحل المرية، منتصف ست و ستين. و نزلت بجاية لخامسة من الإقلاع، فاحتفل السّلطان صاحب بجاية لقدومي، و أركب أهل دولته للقائي. و تهافت أهل البلد عليّ من كل أوب يمسحون أعطافي، و يقبّلون يديّ، و كان يوما مشهودا.

ثم وصلت إلى السّلطان فحيّا و فدّى، (343) و خلع و حمل (344)؛ و أصبحت من الغد، و قد أمر السّلطان أهل الدولة بمباكرة بابي، و استقللت بحمل ملكه، و استفرغت جهدي في سياسة أموره و تدبير سلطانه، و قدّمني للخطابة بجامع القصبة، و أنا مع ذلك، عاكف- بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة- إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة لا أنفكّ عن ذلك.

و وجدت بينه و بين ابن عمّه السّلطان أبي العبّاس صاحب قسنطينة فتنة، أحدثتها المشاحّة في حدود الأعمال من الرعايا و العمّال، و شبّ نار هذه الفتنة عرب أوطانهم من الذّواودة من رياح، تنفيقا لسوق الزّبون يمترون (345) به أموالهم. و كانوا في كلّ سنة يجمع بعضهم لبعض، فالتقوا سنة ستّ و ستّين بفرجيوة، و انقسم العرب عليهما. و كان يعقوب بن علي مع السّلطان أبي العبّاس، فانهزم السّلطان أبو عبد الله، و رجع إلى بجاية مفلولا، بعد أن كنت جمعت له أموالا كثيرة أنفق جميعها في العرب. و لمّا رجع أعوزته النفقة، فخرجت بنفسي إلى قبائل البربر بجبال بجاية المتمنّعين من المغارم منذ سنين، فدخلت بلادهم و استبحت حماهم، (346) و أخذت رهنهم على الطاعة، حتى استوفيت منهم الجباية، و كان لنا في ذلك مدد

---

(343) فدّى: قال جعلت فداك.

(344) حمله: أعطاه ظهرا يحمل عليه.

(345) يمترون به أموالهم: يستخرجونها.

(346) سقط من الأصل «و استبحت حماهم».

و إعانة؛ ثمّ بعث صاحب تلمسان إلى السّلطان (أبي عبد الله) [347] يطلب منه الصهر، فأسعفه بذلك ليصل يده به على ابن عمّه، و زوّجه ابنته، ثم نهض السّلطان أبو العبّاس سنة سبع و ستّين، و جاس أوطان بجاية، و كاتب أهل البلد، و كانوا وجلين من السّلطان أبي عبد الله، بما كان يرهف الحدّ لهم، و يشدّ وطأته عليهم؛ فأجابوه إلى الانحراف عنه، و خرج السّلطان أبو عبد الله يروم مدافعته، و نزل جبل ليزو [348] معتصما به؛ فبيّته السّلطان أبو العبّاس في عساكره و جموع الأعراب من أولاد محمد بن رياح بمكانه ذلك، بإغراء ابن صخر و قبائل سدويكش. [349] و كبسه في مخيّمه و ركض هاربا، فلحقه و قتله، و سار إلى البلد بمواعده أهلها. و جاءني الخبر بذلك، و أنا مقيم بقصبة السّلطان و قصوره، و طلب مني جماعة من أهل البلد القيام بالأمر، و البيعة لبعض الصّبيان من أبناء السّلطان، فتفاديت من ذلك، و خرجت إلى السّلطان أبي العبّاس، فأكرمني و حباني، و أمكنته من بلده، و أجرى أحوالي كلّها على معهودها. و كثرت السعاية عنده فيّ، و التّحذير من مكاني. و شعرت بذلك، فطلبت الإذن في الانصراف بعهد كان منه في ذلك، فأذن لي بعد لأي [350]؛ و خرجت إلى العرب، و نزلت على يعقوب بن علي. ثم بدا للسّلطان في أمري، و قبض على أخي، و اعتقله ببونة؛ و كبس بيوتنا يظنّ بها ذخيرة و أموالا، فأخفق ظنّه. ثم ارتحلت من أحياء يعقوب بن علي، و قصدت بسكرة، [351] لصحابة بيني

---

(347) الزيادة عن ش.

(348) جبل بضواحي مدينة بجاية. انظر بغية الرواد ليحيى ابن خلدون 2/ 17.

(349) عرفت هذه القبائل بهذا الاسم منذ القديم، و ديارها في مواطن كتامة، في البسائط الواقعة بين قسنطينة، و بجاية. و انظر العبر 6/ 149.

(350) بعد إبطاء.

(351) بسكرةBiskra) عرضها الشمالي 15- 34 و طولها الشرقي 15- 5). ضبطها ابن خلدون، بالحركات، بفتح الباء و الكاف، بينهما سين ساكنة، ثم راء مفتوحة بعدها هاء تأنيث. و هو ضبط حكاه ياقوت في معجم البلدان، و صاحب تاج العروس، كما حكيا أن هناك من يضبطها بكسر الباء و الكاف. و هي بلد بالجزائر كانت قاعدة بلاد الزاب. انظر ياقوت 2/ 182، التاج 3/ 43، بغية الرواد 2/ 183.

و بين شيخها أحمد بن يوسف بن مزنى، و بين أبيه؛ فأكرم، و برّ، و ساهم في الحادث بماله و جاهه.

مشايعة أبي [352] حمو صاحب تلمسان

كان السّلطان أبو حمّو قد التحم ما بينه و بين السّلطان أبي عبد الله صاحب بجاية بالصّهر في ابنته، و كانت عنده بتلمسان. فلمّا بلغه مقتل أبيها، و استيلاء السّلطان أبي العبّاس ابن عمّه صاحب قسنطينة على بجاية، أظهر الامتعاض لذلك. و كان أهل بجاية قد توجّسوا [353] الخيفة من سلطانهم، بإرهاف حدّه، و شدّه سطوته، فانحرفوا عنه باطنا، و كاتبوا ابن عمّه بقسنطينة كما ذكرناه.

و دسّوا للسلطان أبي حمّو بمثلها يرجون الخلاص من صاحبهم بأحدهما. فلمّا استولى السّلطان أبو العبّاس، و قتل ابن عمّه، رأوا أنّ جرحهم قد اندمل، [354] و حاجتهم قد قضيت، فاعصو صبوا عليه؛ و أظهر السّلطان أبو حمّو الامتعاض للواقعة يسرّ منه حسوا في ارتغاء، [355] و يجعله ذريعة للاستيلاء على بجاية، بما كان يرى نفسه كفؤها بعدّه و عديده، و ما سلف من قومه في حصارها، فسار من تلمسان يجرّ الشوك و المدر، [356] حتى خيّم بالرّشّة من ساحتها، و معه أحياء زغبة بجموعهم و ظعائنهم، من لدن تلمسان، إلى بلاد حصين، من بني عامر، و بني يعقوب، و سويد، و الدّيالم و العطّاف، و حصين.

---

(352) هو أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان. انظر الاستقصا 2/ 103، بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد 1/ 126- 132.

(353) توجسوا الخيفة: وقع في نفوسهم الخوف.

(354) اندمل الجرح: برئ.

(355) يشرب اللبن خفية، و يتظاهر بأنه يأخذ الرغوة. و هو مثل يضرب لمن يظهر أمرا و هو يريد غيره.

(356) ينظر إلى المثل: «جاء بالشوك و الشجر». انظر الميداني 1/ 110؛ و يكنّي

بذلك عن كثرة جيشه، فلقد كان 15 ألفا. انظر بغية الرواد 2/ 182.

و انحجر أبو العبّاس بالبلد في شرذمة من الجند، أعجله السّلطان أبو حمّو عن استيعاب الحشد، و دافع أهل البلد أحسن الدفاع. و بعث السّلطان أبو العبّاس عن أبي زيّان بن السّلطان أبي سعيد عم أبي حمّو من قسنطينة، كان معتقلا بها، و أمر مولاه و قائد عسكره بشيرا (357) أن يخرج معه في العساكر، و ساروا حتى نزلوا بني (358) عبد الجبار قبالة معسكر أبي حمّو، و كانت رجالات زغبة قد وجموا من السّلطان، و أبلغهم النذير أنّه إن ملك بجاية اعتقلهم بها، فراسلوا أبا زيان، و ركبوا إليه، و اعتقدوا معه. و خرج رجّل البلد بعض الأيام من أعلى الحصن، و دفعوا شرذمة كانت مجمّرة إزاءهم، فاقتلعوا خباءهم، و أسهلوا من تلك العقبة إلى بسيط الرّشّة.

و عاينهم العرب بأقصى مكانهم من المعسكر فأجفلوا، و تتابع الناس في الانجفال حتى أفردوا السّلطان في مخيّمه، فحمل رواحله و سار، و كضّت (359) الطرق بزحامهم، و تراكموا بعض على بعض، فهلك منهم عوالم، و أخذهم سكان الجبال من البربر بالنّهب من كلّ ناحية، و قد غشيهم الليل، فتركوا أزودتهم و رحالهم. و خلص السّلطان و من خلص منهم بعد عصب الرّيق، (360) و أصبحوا على منجاة. و قذفت بهم الطرق من كلّ ناحية إلى تلمسان، و كان السّلطان أبو حمّو قد بلغه خروجي من بجاية، و ما أحدثه السّلطان بعدي في أخي و أهلي و مخلّفي، فكتب إليّ يستقدمني قبل هذه الواقعة. و كانت الأمور قد اشتبهت، فتفاديت بالأعذار، و أقمت بأحياء يعقوب بن علي، ثم ارتحلت إلى بسكرة، فأقمت بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزنى. فلمّا وصل السّلطان أبو حمّو إلى تلمسان، و قد جزع للواقعة، أخذ في استئلاف قبائل رياح، ليجلب بهم مع عساكره على أوطان بجاية، و خاطبني في ذلك لقرب عهدي باستتباعهم، و ملك زمامهم، و رأى أن يعوّل عليّ في ذلك،

---

(357) لبشير هذا ذكر في العبر 7/ 129.

(358) في بغية الرواد: «و ابن عمه أبو زيان بن السّلطان أبي سعيد مطلّ عليه من جبل بني عبد الجبّار»، و لعله أوضح.

(359) كذا بالأصول؛ و يريد اكتظت بالظاء.

(360) عصب الريق: بفيه: إذا يبس عليه.

و استدعاني لحجابته و علامته، و كتب بخطّه مدرجة في الكتاب نصّها:

الحمد لله على ما أنعم، و الشكر لله على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرّم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، حفظه الله، على أنّك تصل إلى مقامنا الكريم، لما اختصصناكم به من الرتبة المنيعة، و المنزلة الرفيعة، و هو قلم خلافتنا، و الانتظام في سلك أوليائنا، أعلمناكم بذلك. و كتب بخطّ يده عبد الله، المتوكل على الله، موسى بن يوسف لطف الله به و خار له.

و بعده بخطّ الكاتب ما نصّه: بتاريخ السابع عشر من رجب الفرد الذي من عام تسعة و ستّين و سبعمائة عرّفنا الله خيره.

و نصّ الكتاب الذي هذه مدرجته، و هو بخطّ الكاتب: «أكرمكم الله يا فقيه أبا زيد، و والى رعايتكم. إنّا قد ثبت عندنا، و صحّ لدينا ما انطويتم عليه من المحبّة في مقامنا، و الانقطاع إلى جنابنا، و التشيّع قديما و حديثا لنا، مع ما نعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم، و معارف فقتم فيها نظراءكم، و رسوخ قدم في الفنون العلمية و الآداب العربية.

و كانت خطّة الحجابة ببابنا العليّ- أسماه الله- أكبر درجات أمثالكم، و أرفع الخطط لنظرائكم، قربا منّا، و اختصاصا بمقامنا، و اطّلاعا على خفايا أسرارنا. آثرناكم بها إيثارا، و قدّمناكم لها اصطفاء و اختيارا، فاعملوا على الوصول إلى بابنا العليّ، أسماه الله، لما لكم فيه من التّنويه، و القدر النّبيه، حاجبا لعليّ بابنا، و مستودعا لأسرارنا، و صاحب الكريمة علامتنا، إلى ما يشاكل ذلك من الإنعام العميم، و الخير الجسيم، و الاعتناء و التكريم. لا يشاركم مشارك في ذلك و لا يزاحمكم أحد، و إن وجد من أمثالك فأعلموه، و عوّلوا عليه، و الله تعالى يتولاكم، و يصل سرّاءكم، و يوالي احتفاءكم. و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته».

و تأدّت إليّ هذه الكتب السّلطانية على يد سفير من وزرائه، جاء إلى أشياخ الدّواودة في هذا الغرض، فقمت له في ذلك أحسن مقام، و شايعته أحسن مشايعة، و حملتهم على إجابة داعي السّلطان، و البدار إلى خدمته. و انحرف كبراؤهم عن خدمة السّلطان أبي العبّاس إلى خدمته، و الاعتمال في مذاهبه، و استقام غرضه من ذلك؛ و كان أخي يحيى قد خلص من اعتقاله ببونة، و قدم عليّ ببسكرة، فبعثته إلى

السّلطان أبي حمّو كالنائب عنّي في الوظيفة، متفاديا عن تجشّم أهوالها، بما كنت نزعت عن غواية الرّتب. و طال عليّ إغفال العلم، فأعرضت عن الخوض في أحوال الملوك، و بعثت الهمّة على المطالعة و التّدريس، فوصل إليه الأخ، فاستكفى به في ذلك، و دفعه إليه.

و وصلني مع هذه الكتب السّلطانيّة كتاب رسالة من الوزير أبي عبد الله بن الخطيب من غرناطة يتشوّق إليّ، و تأدّى إلى تلمسان على يد سفراء السّلطان ابن الأحمر، فبعث إليّ به من هنالك و نصّه:

بنفسي و ما نفسي عليّ بهينة* * * فينزلني عنها المكاس بأثمان (361)

حبيب نأى عنّي و صمّ لأنّتي* * * و راش (362) سهام البين عمدا فأصماني

(363)

و قد كان همّ الشّيب- لا كان- كافيا* * * فد أدّني (364) لمّا ترحّل همّان

شرعت له من دمع عيني مواردا* * * فكدّر شربي بالفراق و أظماني

و أرعيته من حسن عهدي جميمه (365)* * * فأجدب آمالي و أوحش أزماني

حلفت على ما عنده لي من رضى* * * قياسا بما عندي فأحنث أيماني

---

(361) المكاس: المماكسة، و المشاحّة في الثمن عند التبايع.

(362) راش السهم: ألصق به الريش.

(363) أصمي الصيد: رماه فقتله في مكانه.
(364) أدّني همّان: دهاني همّان.
(365) الجميم، و الجم: الكثير من كل شيء، و النبت الذي طال حتى صار مثل جمة الشعر.

و إنّي على ما نالني منه من قلى* * * لأشتاق من لقياه نغبة ظمآن [366]

سألت جنوني فيه تقريب عرشه* * * فقست بجنّ الشوق جنّ سليمان [367]

إذا ما دعا داع من القوم باسمه* * * و ثبت و ما استثبتّ شيمة هيمان

و تا للّه ما أصغيت فيه لعاذل* * * تحاميته حتى ارعوى و تحاماني

و لا استشعرت نفسي برحمة عابد* * * تظلّل يوما مثله عبد رحمان

و لا شعرت من قبله بتشوّق* * * تخلّل منها بين روح و جثمان

أما الشّوق فحدّث عن البحر و لا حرج، و أما الصّبر فاسأل به أية درج، بعد أن تجاوز اللّوى [368] و المنعرج، [369] لكن الشدّة تعشق الفرج، و المؤمن ينشق من روح اللّه الأرج، و أنّى بالصّبر على إبر الدّبر، [370] لا. بل الضرب الهبر، [371] و مطاولة اليوم و الشهر، تحت حكم القهر، و من للعين إن تسلو سلوّ المقصر، عن إنسانها المبصر، أو نذهل ذهول الزاهد، عن سرّها الرائي و المشاهد، و في الجسد بضعة يصلح إذا صلحت، فكيف حاله إن رحلت عنه و إن نزحت، و إذا كان الفراق، هو الحمام

---

(366) النغبة (بضم النون و فتحها): الجرعة من الماء.

(367) يشير إلى الآيات (37- 43) من سورة النمل.

(368) اللوى: ما التوى من الرمال، و مسترق الرمل.

(369) المنعرج: المنعطف.

(370) الدّبر، بالفتح و بكسر: الزنابير.
(371) الضرب الهبر: الذي يلقى قطعة من اللحم، و هو وصف بالمصدر.

الأوّل، فعلام المعوّل، أعيت مراوضة الفراق، عمل الرّاق، و كادت لوعة الاشتياق، أن تفضي إلى السياق. (372)

تركتموني بعد تشييعكم* * * أوسع أمر الصبر عصيانا

أقرع سنّي ندما تارة* * * و استميح الدمع أحيانا

و ربّما تعلّلت بغشيان المعاهد الخالية، و جدّدت رسوم الأسى بمباكرة الرسوم البالية، اسأل نون النّؤى (373) عن أهليه، و ميم الموقد المهجور عن مصطليه، و ثاء الأثافي (374) المثلثة عن منازل الموحّدين، و أحار و بين تلك الأطلال حيرة الملحدين، لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين، كلفت لعمر اللّه بسال (375) عن جفوني المؤرّقة، و نائم عن همومي المتجمّعة و المتفرّقة. ظعن عن ملال، لا متبرّما منا بشرّ خلال، و كدّر الوصل بعد صفائه، و ضرّج النّصل بعد عهد وفائه.

أقلّ اشتياقا أيها القلب إنّما* * * رأيتك تصفي الودّ من ليس جازيا

فها أنا أبكي عليه بدم أساله، و أندب في ربع الفراق آسى له، (376) و أشكو إليه حال قلب صدعه، و أودعه من الوجد ما أودعه، لما خدعه، ثم قلاه و ودّعه، و أنشق ريّاه أنف ارتياح قد جدعه، و أستعديه على ظلم ابتدعه.

---

(372) ساق المريض: شرع في نزع الروح.

(373) النّؤى: الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع عنها السيل.

(374) الأثافي: أحجار توضع عليها القدر، واحدها أثفية.

(375) سال: ناس.

(376) آسى له: أحزن له.

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما* * * قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي (377)

فولا عسى الرجاء و لعلّه، لا. بل شفاعة المحلّ الذي حلّه، لنشرت ألوية العتب، و بثثت كتائبها، كمناء في شعاب الكتب، تهزّ من الألفات رماحا خزر الأسنّة (378) و توتّر من النونات أمثال القسيّ المرنّة و تقود من مجموع الطّرس (379) و النّقس (380) بلقا (381) تردي (382) في الأعنّة، و لكنّه آوى إلى الحرم الأمين، و تفيأ ظلال الجوار المؤمّن من معرّة الغوار عن الشمال و اليمين، حرم الحلال المزنية، و الظّلال اليزنية، و الهمم السّنية، و الشّيم التي لا ترضى بالدّون و لا بالدّنية، حيث الرّفد الممنوح، و الطير الميامين يزجر (383) لها السّنوح (384) و المثوى الذي إليه، مهما تقارع (385) الكرام على الضيفان، (386) حول جوابي الجفان، (387) الميل و الجنوح:

---

(377) البيت لجميل بن عبد الله بن معمر العذري. انظر الأغاني بولاق 1/ 51.

(378) يقال: هم خزر العيون: أي ينظرون نظرة العداوة، و عدو أخزر العين: ينظر عن معارضة. و قد أسند ذلك إلى الرماح تجاوزا.

(379) الطرس (بالكسر): الصحيفة.

(380) النقس: المداد.

(381) جمع أبلق؛ و هو الفرس الذي لونه سواد و بياض.

(382) الرّدى: حركة الفرس بين العدو و المشي.

(383) زجر الطير: تفاءل به.

(384) سنح الطائر سنوحا: جرى على يمينك إلى يسارك، و العرب تتيامن بذلك.

(385) تقارع الكرام: ساهموا.

(386) الضيفان: جمع ضيف.

(387) الجوابي: جمع جابية؛ و هي الحوض يجبى فيه الماء للابل. و الجفان: جمع جفنة؛ و هي أعظم ما يكون من القصاع. و ابن الخطيب يشير إلى آية: «و جفان كالجوابي» 34/ 13. و عليه فتكون إضافة الجوابي إلى الجفان من إضافة المشبه به إلى المشبه. و انظر حاشية زاده على البيضاوي 8/ 193.

نسب كأنّ عليه من شمس الضّحى* * * نورا و من فلق الصّباح عمودا

و من حلّ بتلك المثابة فقد اطمأنّ جنبه، و تغمّد بالعفو ذنبه و للّه درّ القائل:

فوحقّه لقد انتدبت لوصفه* * * بالبخل لولا أنّ حمصا (388) داره

بلد متى أذكره تهتج لوعتي* * * و إذا قدحت الزّند (389) طار شراره

اللّهمّ غفرا، و أين قرارة النّخيل، (390) من مثوى الأقلف (391) البخيل، و مكذبة المخيل (392)؛ و أين ثانية هجر، (393) من متبوّأ من ألحد و فجر:

من أنكر غيثا منشؤه* * * في الأرض ينوء بمخلفها

فبنان بنى مزنى مزن* * * تنهلّ بلطف مصرّفها

---

(388) حمص(Homs) عرضها الشمالي 44- 34، و طولها الشرقي 36- 36) بلد معروف يقع في منتصف الطريق بين دمشق و حلب. فتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة 16 ه انظر ياقوت 3/ 339 تاج (حمص).

(389) قدح الزند: رام الإيراء به.

(390) يريد بسكرة لأنها كانت تسمى بسكرة النخيل لكثرة ما بها منه.

(391) الأقلف: الذي لم يختن. يريد أنه لا يقاس بلد عربي أهله كرام ببلد عجمي أهله بخلاء، و الألفّ على رواية زط: العيّ اللسان، يقال رجل ألفّ؛ إذا كان عييا لا يحسن أن يتكلم.

(392) يقول: إن هذا البلد يكذب ظن من خاله لأن ساكنيه بخلاء.

(393) بلد بالبحرين معروف، و يأتي الحديث عنه.

مزن مذ حلّ ببسكرة [394]* * * يوما نطقت بمصحّفها [395]

شكرت حتى بعبارتها* * * و بمعناها و بأحرفها

ضحكت بأبي العبّاس من ال .....* * * .... أيام ثنايا زخرفها

و تنكّرت الدّنيا حتّى* * * عرفت منه بمعرّفها

بل نقول: يا محلّ الولد، «لا أقسم بهذا البلد، و أنت حلّ بهذا البلد»، لقد حلّ بينك عرى الجلد، [396] و خلد [397] الشّوق بعدك يابن خلدون في الصّميم من الخلد [398]؛ فحيّا الله زمانا شفيت في قربك زمانته، [399] و اجتلت في صدف مجدك جمانته، [400] و قضيت في مرعى خلّتك لبانته [401]؛ و أهلا بروض أظلّت أشتات معارفك بانته، فحمائمه بعدك تندب، فيساعدها الجندب، [402] و نواسمه ترقّ

---

(394) انظر الحاشية رقم (4) في صحيفة 99، و صحيفة 57.

(395) ذلك لأن تصحيف «بسكرة»: «تشكره».

(396) الجلد (بفتح اللام): الصبر.

(397) خلد: دام.

(398) الخلد (بفتح اللام): القلب.

(399) الزمانة: العاهة.

(400) الجمانة: اللؤلؤة.

(401) اللبانة: الحاجة.

(402) الجندب: الجراد.

فتتغاشى، و عشياته تتخافت و تتلاشى، [403] و أدواحه في ارتباك، و حمائمه في مأتم ذي اشتباك؛ كأن لم تكن قمر هالات قبابه، و لم يكن أنسك شارع بابه، [404] إلى صفوة الظّرف و لبابه، و لم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه، فلهفي عليك [405] من درّة اختلستها يد النّوى، [406] و مطل [407] بردّها الدّهر و لوى، [408] و نعق الغراب ببينها في ربوع الهوى، و نطق بالزّجر [409] فما نطق عن الهوى، و بأيّ شيء يعتاض منك أيتها الرّياض، بعد أن طما نهرك الفيّاض، و فهقت [410] الحياض، و لا كان الشّاني [411] المشنوء [412] و الجرب [413] المهنوء [414]؛ من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، و شارك في الذّمّ الناقة و الجمل، و استأثر جنحه ببدر النادي لمّا كمل، نشر الشّراع

---

(403) تلاشى الشيء: اضمحلّ. تاج العروس (لشا). و التلاشي، بمعنى الاضمحلال، عاميّ لم يرد عن العرب، و من ثم خطّؤوا ابن نباته الفارقي (- 374) في قوله: «بقايا جسوم متلاشية»، و تصيدوا الأصل الذي عنه تولد التلاشي فكان «لا شيء»، على قاعدة النحت؟! و انظر تاج العروس (لمش)، (موش)، شفاء الغليل للخفاجي ص 53.

(404) باب شارع إلى كذا: مفتوح و نافذ إليه؛ يريد أن أنسك كان يشمل الناس جميعا من غير تخصيص.

(405) لهفي: حزني و حسرتي.

(406) النوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد؛ و هي مؤنثة.

(407) مل الدهر: سوف.

(408) لوى بالدين: تأخر عن أدائه.

(409) الزجر: التيمن بسنوح الطير، و التشاؤم ببروحه.

(410) فهقت: امتلأت.

(411) الشاني، و يقال شيني و شونة: المركب المعد للجهاد في البحر، و الجمع شواني. انظر تاج العروس (شون).

(412) المشنوء: المبغض.

(413) الجرب: المصاب بالجرب.

(414) المهنوء: الجمل يدهن بالهناء و هو القطران.

فراع، و واصل الإسراع، فكأنّما هو تمساح النّيل ضايق الأحباب في البرهة، و اختطف لهم من الشّط نزهة العين و عين النّزهة؛ و لجّج [415] بها و العيون تنظر، و الغمر [416] عن الاتباع يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، و التماح الأثر المنتسف، [417] (و الرجوع بملء العيبة من الخيبة، و وقر الجسرة [418] من الحسرة)؛ إنّما نشكو إلى الله البث و الحزن، و نستمطر من عبراتنا المزن، [419] و بسيف الرّجاء نصول، و إذا أشرعت لليأس أسنّة و نصول:

ما أقدر الله أن يدني على شحط [420] من داره الحزن [421] ممّن داره صول [422] فإن كان كلم [423] الفراق رغيبا، [424] لما نويت مغيبا، و جللت الوقت الهني تشغيبا، [425] فلعلّ الملتقى يكون قريبا، و حديثه يروى صحيحا غريبا. إيه سيدي! كيف حال تلك الشمائل، المزهرة الخمائل، و الشّيم، الهامية الدّيم؟ هل يمرّ ببالها من راعت بالبعد باله، و أخمدت بعاصف البين ذباله، أو ترثي لشؤون شأنها سكب

---

(415) لججت السفينة: خاصت اللجة.

(416) الغمر: الماء الكثير.

(417) المنتسف: المستأصل.

(418) الجسرة: الناقة.

(419) المزن: السحاب.

(420) الشحط: البعد.

(421) يريد حزن بني يربوع، و هو قرب «فيد» في جهة الكوفة: من أجل مرابع العرب. ورد ذكره كثيرا في شعرهم. و انظر ياقوت 3/ 270 معجم البكري 2/ 441.

(422) صول (بضم الصاد): مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب، و هو الدربند. و البيت الذي ذكره ابن الخطيب لجندح المري في جملة أبيات أوردها ياقوت 5/ 599.

(423) الكلم: الجرح.

(424) رغيبا: مرغوبا فيه.

(425) التشغيب: تهييج الشر.

لا يفتر، و شوق يبتّ حبال الصبر و يبتر، و ضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء [426] و تستر، [427] و الأمر أعظم و الله يستر، و ما الذي يضيرك، صين من لفح السّموم [428] نضيرك، [429] بعد أن أضرمت و أشعلت، و أوقدت و جعلت، و فعلت فعلتك التي فعلت، أن تترفّق بذماء، [430] أو تردّ بنغبة ماء، [431] أرماق [432] ظماء، [433] و تتعاهد المعاهد بتحيّة يشمّ عليها شذا أنفاسك، أو تنظر إلينا- على البعد- بمقلة حوراء من بياض قرطاسك، و سواد أنقاسك، [434] فربّما قنعت الأنفس المحبّة بخيال زور، و تعلّلت بنوال منزور، [435] و رضيت، لمّا لم تصد العنقاء، بزرزور:

يا من ترحّل و الرياح لأجله* * * يشتاق إن هبّت شذا ريّاها

---

(426) صنعاءSana) عرضها الشمالي 19- 15، و طولها الشرقي 14- 44) يريد بها صنعاء اليمن؛ لأنها العظمى و المشهورة، و منها كانت تجلب البرود. و انظر ياقوت 5/ 386- 394. تاج 5/ 421، معجم البكري، الامتاع و المؤانسة 1/ 85.

(427) تستر: مدينة بخوزستان من كور الأهواز فتحها أبو موسى الأشعري في خلافة عمر؛ و كانت بها مصانع للثياب و العمائم شهيرة. و قد ضبطها ابن خلدون، بالحركات، بفتح التاء الأولى، و ضم الثانية، و بينهما سين ساكنة، و لعله راعي في ذلك السجع. و المعروف أنها بضم التاء الأولى و فتح الثانية. و انظر وفيات الأعيان 1/ 273، و ياقوت 2/ 377.

(428) اللفح: الإحراق، و السموم (بالفتح): الريح الحارة.

(429) نضيرك: وجهك الحسن.

(430) الذماء (بالفتح و المد): بقية الروح.

(431) نغبة ماء: جرعة ماء.

(432) جمع رمق؛ و هو بقية الروح.

(433) جمع ظمئ (بكسر الميم)؛ و هو الذي اشتد عطشه.

(434) جمع نقس؛ و هو المداد.

(435) النوال المنزور، كالنزر: القليل.

تحيا النفوس إذا بعثت تحية* * * و إذا عزمت اقرأ «و من أحياها» (436)

و لئن أحييت بها فيما سلف نفوسا تفديك، و اللّه إلى الخير يهديك، فنحن نقول معشر موادّيك: «ثنّي و لا تجعليها بيضة الدّيك»

قد زرتنا زورة في النوم واحدة* * * ثني ... الخ

(437)؛ و عذرا فإني لم اجترئ على خطابك بالفقر الفقيرة، و أدللت لدى حجراتك برفع العقيرة، عن نشاط بعثت مرموسه، (438) و لا اغتباط بالأدب تغري بسياسته سوسة، (439) و انبساط أوحى إليّ على الفترة ناموسه، و إنّما هو اتفاق جرّته نفثة المصدور (440) و هناء (441) الجرب (442) المجدور (443)؛ و إن تعلّل به مخارق، فثمّ قياس فارق، أو لحن غنّى به بعد البعد مخارق (444)؛ و الذي هيأ هذا القدر و سبّبه، و سهّل المكروه إليّ منه و حبّبه. ما اقتضاه

---

(436) يشير إلى الآية (32) من سورة المائدة.

(437) عجز بيت لبشار بن برد، و صدره:

قد زرتنا زورة في النوم واحدة* * * ثني ... الخ

. و بيضة الديك: مثل يضرب للشيء يكون مرة واحدة لا ثانية لها، و للذي يعطى عطاء ثم لا يعود.

و انظر بجمع الأمثال 2/ 53، أمالي القالي 1/ 225، التنبيه للبكري ص 71، ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه للمحبي نسخة أيا صوفيا ورقة 1281، ثمار القلوب ص 378.

(438) المرموس: المدفون.

(439) سوسةSusa) عرضها الشمالي 00- 36، و طولها الشرقي 40- 10): مدينة معروفة بتونس، اشتهرت منذ القديم بالصناعة، و إليها تنسب الثياب السوسية، و كانت بها أيام الأغلب دار لصناعة السفن. ياقوت 5/ 173.

(440) النفث: النفخ لا ريق معه. و المصدور: من به علة في صدره.

(441) الهناء، ككتاب،: القطران.

(442) الجرب: المصاب بداء الجرب.

(443) المجدور: الذي أصابه داء الجدري.

(444) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار، مولى الرشيد يكني أبا المهنأ؛ مغن مشهور أغاني ليدن 21/ 220- 249.

الصّنو يحيى- مدّ الله حياته، و حرس من الحوادث ذاته- من خطاب ارتشف به لهذه القريحة بلالتها، [445] بعد أن رضي علالتها، [446] و رشح إلى الصهر الحضرمي سلالتها [447]؛ فلم يسع إلا إسعافه، بما أعافه، فأمليت مجيبا، ما لا يعدّ في يوم الرّهان [448] نجيبا، [449] و أسمعته وجيبا، لمّا ساجلت بهذه التّرّهات [450] سحرا عجيبا، حتّى إذا ألف القلم العريان [451] سبحه، [452] و جمح برذون الغزارة فلم أطق كبحه، [453] لم أفق من غمرة غلوّه و موقف متلوّه، إلا و قد تحيّز إلى فئتك، معتزّا بل معترّا، [454] و استقبلها ضاحكا مفترّا، [455] و هشّ لها برّا، و إن كان من الخجل مصفرّا، و ليس بأول من هجر، [456] في التماس و الوصل ممّن هجر [457] أو بعث التّمر إلى هجر، [458] و أيّ نسب بيني اليوم و بين زخرف الكلام، و إجالة جياد الأقلام، في

---

(445) البلالة: البلل، و بقية الشيء.

(446) العلالة: ما يتعلل به، و بقية الشيء.

(447) السلالة: الولد.

(448) الرهان: المسابقة على الخيل و غيرها.

(449) النجيب، من الإبل و غيرها: الكريم الحسيب.

(450) الترهات: أصلها الطرق الصغار غير الجادة؛ ثم استعيرت للأباطيل و الأقاويل الخالية من الطائل.

(451) يريد أنه متجرد مما يعوقه عن الجري.

(452) السبح: الجرى.

(453) كبح الفرس و غيره: منعه من سرعة السير.

(454) المعتر: الفقير، و المتعرّض للمعروف من غير أن يسأل.

(455) المفتر: الذي يضحك ضحكا حسنا؛ يبدي أسنانه من غير قهقهة.

(456) هجر: هذى في كلامه و خلط.

(457) من الهجر ضد الوصل.

(458) هجر: بلد بالبحرين؛ و فيها ورد المثل الذي يشير إليه الخطيب: «كجالب التمر إلى هجر»، أو «كمبضع التمر إلى هجر». و انظر مجمع الأمثال 2/ 666.

محاورة الأعلام؛ بعد أن حال الجريض، [459] دون القريض، و شغل المريض عن التّعريض [460]؛ و غلب حتى الكسل، و نصلت الشّعرات البيض كأنّها الأسل، تروع برقط [461] الحيات، سرب الحياة، [462] و تطرق بذوات الغرر و الشّيات، عند البيات [463]؛ و الشّيب الموت العاجل، و إذا ابيضّ زرع صبّحته المناجل، و المعتبر الآجل، و إذا اشتغل الشيخ بغير معاده، حكم في الظّاهر بإبعاده و أسره في ملكة عاده، فأغض أبقاك اللّه و اسمح، لمن قصّر عن المطمح، و بالعين الكليلة فالمح، و اغتنم لباس ثوب الثّواب، و اشف بعض الجوى بالجواب.

تولاك اللّه فيما استضفت و ملكت، و لا بعدت و لا هلكت، و كان لك آية سلكت؛ و وسمك من السعادة بأوضح السمات، و أتاح لقاءك من قبل الممات، و السلام الكريم يعتمد حلال [464] ولدي، و ساكن خلدي، بل أخي و إن اتّقيت عتبه [465] و سيّدي، و رحمة اللّه و بركاته، من محبّه المشتاق إليه محمد بن عبد اللّه بن الخطيب، في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني، من عام سبعين و سبعمائة.

---

(459) الجريض: من الجرض، و هو الريق يغص به. و القريض: الشعر. و حال: منع. و هو مثل يضرب للأمر كان مقدورا عليه، فحال دون القدرة عليه مانع. و في معنى المثل خلاف تجده في التاج، و اللسان، (جرض)، و انظر مجمع الأمثال 1/ 139.

(460) التعريض: إطعام العراضة؛ و هي الهدية يهديها القادم من سفر. و كأنه يريد أن المريض قد شغله مرضه عن الالتفات لهذا.

(461) جمع رقطاء؛ و هي الحية في لونها سواد و بياض.

(462) وقف على «الحياة» بالتاء مراعاة للسجع. و هي لغة جائزة و إن كانت غير راجحة؛ و قد تحدثوا عنها في باب «الوقف» من كتب النحو.

(463) جمع غرة؛ و هي البياض في جبهة الفرس. و الشيات: جمع شية؛ و هي سواد في بياض، أو بياض في سواد، و البيات: الإيقاع بالعدو ليلا، من غير أن يعلم فيؤخذ غرة. و الكلام على تشبيه الشعرات البيض بأفراس في لونها سواد و بياض.

(464) الحلال: جمع بيوت الناس، واحدتها حلة

(465) العتب: لومك إنسانا على إساءة كانت له إليك.

و كان تقدّم منه قبل هذه الرسالة كتاب آخر إليّ، بعث به إلى تلمسان، فتأخّر وصوله، حتى بعث به الأخ يحيى عند وفادته على السّلطان، و نصّ الكتاب:

يا سيدي إجلالا و اعتدادا، و أخي ودّا و اعتقادا، و محلّ ولدي شفقة سكنت منّي فؤادا. طال علي انقطاع أنبائك، و اختفاء أخبارك، فرجوت إن تبلّغ النية هذا المكتوب إليك، و تخترق به الموانع دونك، و إن كنت في مباثتك كالعاطش الذي لا يروى، و الآكل الذي لا يشبع، شأن من تجاوز الحدود الطبيعية، و العوائد المألوفة؛ فأنا الآن- بعد إنهاء التحيّة المطلوّلة الروض بماء الدموع، و تقرير الشّوق اللّزيم، (466) و شكوى البعاد الأليم، و سؤال إناحة القرب قبل الفوت من الله ميسّر العسير، و مقرّب البعيد،- أسأل عن أحوالك سؤال أبعد الناس مجالا في مجال (467) الخلوص لك، و أشدّهم حرصا على اتصال سعادتك؛ و قد اتصل بي في هذه الأيام ما جرى به القدر من تنويع الحال لديك، و استقرارك ببسكرة محلّ الغبطة بك، باللجأ إلى تلك الرّياسة الزّكية، الكريمة الأب، الشّهيرة الفضل، المعروفة القدر على البعد؛ حرسها الله ملجأ للفضلاء، و مخيّما لرجال العلياء، و مهبّا لطيب الثناء، بحوله و قوّته؛ و ما كلّ وقت تتاح فيه السلامة؛ فاحمدوا الله على الخلاص، و قاربوا (468) في معاملة الآمال، وضنّوا (469) بتلك الذات الفاضلة عن المشاقّ، و ابخلوا بها عن المتالف، فمطلوب الحريص على الدّنيا خسيس، و الموانع الحافّة جمّة، و الحاصل حسرة، و بأقلّ السّعي تحصل حالة العافية، و العاقل لا يستنكحه الاستغراق فيما آخره الموت، إنّما ينال منه الضّروريّ، و مثلك لا يعجزه- مع التماس العافية- أضعاف ما يزجّي (470) به العمر من المأكل و المشرب، و حسبنا الله.

---

(466) اللزيم: الكثير اللزوم.

(467) المحال (بالكسر): التدبير، و على رواية «مجال» يكون المجال الأول. (مصدرا)، و المجال الثاني: مكان الجولان.

(468) اقتصدوا، و اتركوا الغلوّ.

(469) ضنوا: ابخلوا.

(470) يزجّي: يتبلغ بالقوت القليل، و يجتزئ به.

و إن تشوّفت لحال المحبّ تلك السّيادة الفذّة، و البنوة البرّة، فالحال الحال، من جعل الزمام بيد القدر، و السير في مهيع الغفلة، و السّبح في تيار الشّواغل، و من وراء الأمور غيب محجوب، و أمل مكتوب، نؤمّل فيه عادة السّتر من اللّه، إلا أن الضّجر الذي تعلمونه، حفّضه اليأس لمّا عجزت الحلة، و أعوز المناص [471] و سدّت المذاهب، و الشّأن اليوم شأن النّاس فيما يقرب من الاعتدال.

و فيما يرجع إلى السّلطان- تولاه اللّه-، على أضعاف ما باشر سيدي من الإغياء [472] في البرّ و وصل سبب الالتحام، و الاشتمال، مع الاستقلال، و ما ينتجه متعوّد الظهور، و الحمد للّه.

و فيما يرجع إلى الأحباب و الأولاد، فعلى ما علمت، إلا أنّ الشّوق مخامر القلوب، و تصوّر اللقاء مما يزهّد في الوطن و حاضر النّعم. سنّى [473] اللّه ذلك على أفضل حال، و يسّره قبل الارتحال، عن دار المحال. [474]

و فيما يرجع إلى الوطن، فأحلام النائم خصبا، و هدنة و ظهورا على العدو، و حسبك بافتتاح حصن آشر، [475] و برغه [476] القاطعة بين بلاد الإسلام،

---

(471) المناص: المهرب، و الملجأ، و المفر.

(472) أغيا الرجل: بلغ الغاية في الشرف.

(473) سنّى: سهل.

(474) المحال: العذاب، و الهلاك.

(475) حصن آشر(iznajar 9) عرضه الشمالي 14- 37، و طوله الغربي 20- 4): حصن حسن حصين آهل؛ يقع في الجنوب الشرقي لحصن روطة(Rute) ، و في الشمالي الغربي للمدينة المسمّاة بمعادن الملح(las Salinas) ، و هو على ضفة أحد فروع وادي ضنيل(jenil) في نقطة الالتقاء بين حدود المقاطعات الثلاث: غرناطة، و قرطبة، و إشبيلية. و انظر وصف إفريقية و الأندلس للإدريسي ص 204، و الترجمة الفرنسية له ص 252.

(476) برغه(Burgo) عرضها الشمالي 44- 36، و طولها الغربي 5): مدينة واقعة في مرتفع بين مدينتي مالقة ورندة؛ و كانت قاعدة للنصارى يغزون منها مدينة رندة و أحوازها. جاء في بغية الرواد 2/ 178 من رسالة لابن الخطيب: «.... أمرنا أهل

الجهة الغربية، و مالقة، و رندة بمنازلة مدينة برغه؛ الشجا الذي أعيا الطبيب و أوهن الثغر القريب، و صير رندة و أحوازها، لا يطرقها إلا الطيف ..».

و وبذة، [477] و الغارين [478] و بيغه [479] و حصن السهلة، [480] في عام؛ ثم دخول بلد إطريرة [481]: بنت إشبيلية عنوة، [482] و الاستيلاء علي ما يناهز خمسة آلاف من

---

(477) وبذة (Huete عرضها الشمالي 10- 40، و طولها الغربي 44- 2): مدينة حصينة على واد بقرب أقليش. و هي بالفتح ثم بالسكون، و بالذال المعجمة.
و انظر ياقوت 8/ 396، تاج العروس 2/ 583، الروض المعطار ص 194، صفة إفريقية و الأندلس ص 175.
(478) الغارين (Algarinejo عرضه الشمالي 17- 37، و طوله الغربي 8- 4) حصن يقع في السفح الجنوبي للجبل المسمّى (« Monte frio «على أحد فروع وادي شنيل(jenil) . و المفهوم من بغية الرواد 2/ 187، في رسالة لابن الخطيب، أنه كان مركزا يغزو منه المسيحيّون بلاد الإسلام المجاورة.
(479) بيغه (Priego عرضها الشمالي 26- 37، و طوله الغربي 8- 4). و بيغو، و باغو، و باغه، و باغة، كلها أشكال لرسم هذه الكلمة؛ تجدها في نفح الطيب 1/ 94، 5 (طبع ليدن)، تاج العروس 6/ 6، المقدسي ص 223، 235، الإدريسي ص 204، بغية الرواد 2/ 179، ياقوت 2/ 339.
أما اسمها، فقد قال المقري في نفح الطيب: «و من أعمال غرناطة الكبار: عمل باغه، و العامّة يقولون بيغه؛ و إذا نسبوا إليه قالوا بيغي. و يتابع العلامتان دوزي، ودي غويه في ترجمتهما لوصف إفريقية و الأندلس للإدريسي ص 252 تحوّل هذا الاسم، فينتهيان إلى أن إحدى الصيغتين:Pego, Pege قد شكلت في النهاية الاسم الحالي، و هوPriego .
و هي مدينة جبلية صغيرة تبعد عن قرطبة 36 ميلا، نحو الجنوب الشرقي.
(480) لم أعثر على هذا المكان فيما رجعت إليه من كتب الجغرافيا و التقويم، و يفهم من رسالة لابن الخطيب وردت في بغية الرواد 2/ 180 أنه قريب من جبل الفتح (جبل طارق).
(481) إطريرة(Utrera عرضها الشمالي 14- 37، و طولها الغربي 50- 5). مدينة تقع في الجنوب الشرقي لمدينة إشبيلية، على بعد 39 كيلومترا. و قد ضبطها ابن خلدون بالحركات بكسر الهمزة، و سكون الطاء. و كذلك ضبطها ابن خلدون بالحركات بكسر الهمزة، و سكون الطاء. و كذلك ضبطها بالكلمات الزبيدي في تاج

العروس 3/ 358.
(482) ارجع إلى الحاشية رقم (19).

السّبي؛ ثم فتح دار الملك، ولدة [483] قرطبة [484]: مدينة جيان [485] عنوة في اليوم الأغر المحجل، و قتل المقاتلة، و سبي الذرية، و تعفية الآثار حتى لا يلم بها العمران، ثم افتتاح مدينة أبّدة التي تلف جيان في ملاءتها: دار التّجر، و الرّفاهية، و البنى الحافلة، و النّعم الثّرّة، نسأل اللّه- جلّ و علا- أن يصل عوائد نصره، و لا يقطع عنّا سبب رحمته، و أن ينفع بما أعان عليه من السعي في ذلك و الإعانة عليه.

و لم يتزيّد من الحوادث إلا ما علمتم، من أخذ اللّه لنسمة السّوء، و خبث الأرض، المسلوب من أثر الخير: عمر بن عبد اللّه، و تحكّم شرّ الميتة في نفسه، و إتيان النكال على حاشيته، و الاستئصال على ذاته [486]؛ و الاضطراب مستول على الوطن بعده، إلا أنّ الغرب على علاته لا يرجحه غيره.

و الأندلس اليوم شيخ غزاتها الأمير عبد الرّحمن [487] بن علي بن السّلطان أبي علي، بعد وفاة الشيخ أبي الحسن: علي بن بدر الدين [488] (رحمه اللّه). و قد استقرّ بها- بعد انصراف سيّدي- الأمير المذكور، و الوزير مسعود بن رحّو [489] و عمر بن عثمان ابن سليمان.

---

(483) اللدة: الترب.

(484) ارجع إلى الحاشية رقم (45).

(485) أبّدة (Ubeda) عرضها الشمالي 2- 38، و طولها الغربي 23- 3) بضم الهمزة و فتح الباء المشددة، ثم دال مفتوحة مهملة، (و في الروض المعطار أنها معجمة)، و بعدها هاء تأنيث: مدينة من كورة جيان، تعرف بأبدة العرب، تبعد عن مدينة جيان 75 كيلومترا نحو الشمال الشرقي.

و انظر ياقوت 1/ 73، اللباب في تهذيب الأنساب 1/ 17 صفة إفريقية و الأندلس ص 203.

(486) قتل سنة 768، و سبب مقتله مفصل في العبر 7/ 323 ن و انظر الحاشية رقم (661)، و اللمحة البدرية ص 106، و بغية الرواد 2/ 95، 101.

(487) هو عبد الرحمن بن على أبي يفلوسن بن السّلطان أبي علي أحد أمراء بني مرين؛ تولى إمارة الغزو بالأندلس بعد موت علي بن بدر الدين. و انظر العبر 7/ 378.

(488) علي بن بدر الدين بن موسى بن رحّو. لقب أبوه بهذا اللقب الشرقي على يد أحد

أشراف مكة الوافدين على المغرب. أخباره مذكورة في العبر 7/ 376- 378.
(489) مسعود بن رحّو بن علي بن ماساي، وزير الأمير عبد الرحمن المتقدم الذكر. انظر العبر 7/ 378.

و السّلطان ملك النصارى بطره، [490] قد عاد إلى ملكه بإشبيلية، و أخوه مجلب عليه بقشتالة، و قرطبة مخالفة عليه، قائمة بطائفة من كبار النصارى الخائفين على أنفسهم، داعين لأخيه، و المسلمون قد اغتنموا هبوب هذه الرّيح.

و خرق الله لهم عوائد في باب الظّهور و الخير، لم تكن تخطر في الآمال. و قد تلقّب السّلطان- أيّده الله- بعقب هذه المكيّفات، ب «الغني بالله» و صدرت عنه مخاطبات، بمجمل الفتوح و مفصّلها، يعظم الحرص على إيصالها إلى تلك الفضائل لو أمكن.

و أما ما يرجع إلى ما يتشوّف إليه ذلك الكمال من شغل الوقت، فصدرت تقاييد، و تصانيف، يقال فيها- بعد ما أعملته تلك السيادة من الانصراف- يا إبراهيم، و لا إبراهيم اليوم. [491]

منها: أن كتابا رفع إلى السّلطان في المحبّة، [492] من تصنيف ابن أبي حجلة [493] من المشارقة، أشار الأصحاب بمعارضته، فعارضته، و جعلت الموضوع أشرف، و هو محبّة الله، فجاء كتابا [494] ادّعى الأصحاب غرابته. و قد وجّه إلى المشرق صحبة

---

(490) هو Pierre le Cruel ، و أخوه، المجلب عليه، هو: le Comte Henri de Traslamar ، و انظر بغية الرواد 2/ 206.
و قشتالة(Castille) : كورة كانت تشمل مقاطعتي طليطلة(toledo) و كوينكة(Cuenca) . و انظر ياقوت 7/ 93.
(491) لعله يشير إلى قوله تعالى: [يا إبراهيم أعرض عن هذا]. آية 76 من سورة هود.
(492) هو ديوان الصبابة. و قد طبع بمصر سنة 1302 ه.
(493) أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني (725- 776) أديب صوفي؛ كان يكثر الحط على أهل «الوحدة» و خصوصا ابن الفارض؛ و عارض جميع قصائده بقصائد نبوية، و امتحن بسبب ذلك. و انظر الدرر الكامنة 1/ 329.
(494) يتحدث ابن الخطيب عن كتابه: «روضة التعريف بالحب الشريف»؛ و هو كتاب يقل أن يوجد نظيره بين كتب التصوف في المكتبة الإسلامية؛ تحدث فيه عن مذاهب الصوفية، و عن طريقة أهل «الوحدة المطلقة»، فنسبه أعداؤه إلى القول

بالحلول، فكان هذا الكتاب من أسباب محنته التي انتهت بقتله (رحمه الله). و لا تزال المكتبة الإسلامية تحتفظ بنسخ من هذا الكتاب؛ و في المجموعة القيمة من المخطوطات التي صورتها جامعة الدول العربية ثلاث نسخ خطية منه.

كتاب: «تاريخ غرناطة»، [495] و غيره من تآليفي. و تعرّف تحبيسه بخانقاه سعيد السعداء [496] من مصر؛ و انثال الناس عليه، و هو في لطافة الأغراض، يتكلّف أغراض المشارقة. من ملحه:

سلّمت لمصر في الهوى من بلد* * * يهديه هواؤه لدى استنشاقه

من ينكر دعواي فقل عنّي له* * * تكفي امرأة العزيز من عشّاقه؟

و الله يرزق الإعانة في انتساخه و توجيهه. و صدر عنّي جزء سمّيته: «الغيرة على أهل الحيرة» [497]؛ و جزء سميته: «حمل الجمهور على السّنن المشهور». [498]

---

(495) في نفح الطيب 4/ 248- 251: وصف لهذه النسخة التي أرسلها ابن الخطيب لتوقف بخانقاه سعيد السعداء، و التي لا تزال قطعة منها في مكتبة رواق المغاربة من جامع الأزهر الشريف.

و من الطريف أن ابن أبي حجلة السابق الذكر، و الذي عارض ابن الخطيب كتابه؛ هو الذي كان يتولى نظارة خانقاه سعيد السعداء في هذا الوقت. و انظر نفح الطيب أيضا 4/ 285.

(496) و الخانقاه، بالكاف، و بالقاف،(Khangah) و ترسم «خانكه» أيضا: مسكن للصوفية المنقطعين للعبادة، و الأعمال الصالحة. و هذه الخانقاه كانت دارا للأستاذ قنبر، أو «عنبر»، أحد خدام القصر أيام الفاطميين، و كان يلقب بسعيد السعداء.

و قد خصصها صلاح الدين الأيوبي سنة 569 للفقراء الصوفية الوراديين من البلاد الشاسعة، و جعل لها أوقافا، و لذلك تعرف أيضا بالخانقاه الصالحية؛ و هي أول خانقاه عملت بمصر.

انظر خطط المقريزي 4/ 273- 275، كنوز الذهب في تاريخ حلب (مخطوط 837 تاريخ تيمور)Pers, Steingass ... F . Engl .Dict.

(497) ذكره في نفح الطيب 4/ 244 في عداد مؤلفات ابن الخطيب.

(498) ذكره في النفح أيضا 4/ 244.

و الإكباب على اختصار كتاب «التّاج» (499) للجوهري، (500) و ردّ حجمه إلى مقدار الخمس، مع حفظ ترتيبه السّهل؛ و الله المعين على مشغلة تقطع بها هذه البرهة القريبة البداءة من التّتمّة، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

و المطلوب المثابرة على تعريف يصل من تلك السيادة و النبوّة، إذ لا يتعذّر وجود قافل من حجّ، أو لاحق بتلمسان. يبعثها السيد الشريف منها؛ فالنفس شديدة التعطّش، و القلوب قد بلغت- من الشّوق و الاستطلاع- الحناجر.

و الله أسأل أن يصون في البعد وديعتي منك لديه، و يلبسك العافية، و يخلّصك و إياي من الورطة، و يحملنا أجمعين على الجادّة، و يختم لنا بالسّعادة. و السّلام الكريم عودا على بدء، و رحمة الله و بركاته، من المحبّ المتشوّق، الذّاكر الدّاعي، ابن الخطيب. في الثاني من جمادى الأولى من عام تسعة و ستّين و سبعمائة. انتهى.

فأجبته عن هذه المخاطبات، و تفاديت من السّجع خشية القصور عن مساجلته، فلم يكن شأوه يلحق. و نصّ الجواب:

سيّدي مجدا و علوا، و واحدي ذخرا مرجوا، و محلّ والدي برّا و حنوّا. ما زال الشوق- مذ نأت بي و بك الدار، و استحكم بيننا البعاد- يرعي سمعي أنباءك، و يخيّل إليّ من أيدي الرياح تناول رسائلك، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع، و عهد غير مضاع، و ودّ في أجناس و أنواع، فنشر بقلبي ميت السّلو، و حشر أنواع المسرّات، و قدح للقائك زناد الأمل، و من الله أسأل الإمتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك، و يسني أمانيّ و أمانيك. و حيّيته تحيّة الهائم، لمواقع الغمائم، و المدلج، (501)

---

(499) هو كتاب «تاج اللغة، و صحاح العربية»، و قد طبع ببولاق سنة 1282 ه و لم يذكر صاحب نفح الطيب هذا المختصر- الذي يتحدث عنه ابن الخطيب هنا- بين مؤلفات ابن الخطيب.

(500) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 363 أو 400. شافه العرب العاربة في ديارهم بالبادية، بعد ما درس اللغة بالعراق رواية و دراية، ثم التزم ذكر الصحيح مما سمع، فكتب «الصحاح».
و هو لهذا كله لا يزال يتبوأ المكانة الأولى بين معاجم العربية.

انظر البغية ص 195، تاج العروس 1/ 21، 23.

(501) أدلج: سار الليل كله.

للصباح المتبلّج [502] و أملّ على مقترح الأولياء، خصوصا فيك؛ من اطمئنان الحال، و حسن القرار، و ذهاب الهواجس، و سكون النفرة، و عموما في الدولة، من رسوخ القدم، و هبوب ريح النصر، و الظهور على عدو الله، باسترجاع الحصون التي استنقذوها [503] في اعتلال الدولة، و تخريب المعاقل التي هي قواعد النصرانية، غريبة لا تثبت إلا في الحلم، و آية من آيات الله. و إنّ خبيئة هذا الفتح في طيّ العصور السابقة، إلى هذه المدّة الكريمة، لدليل على عناية الله بتلك الذّات الشريفة، حين ظهرت على يدها خوارق العادة، و ما تجدّد آخر الأيام من معجزات الملّة، و لكم فيها- و الحمد لله- بحسن التدبير، و يمن النّقيبة، [504] من حميد الأثر، و خالد الذكر، طراز [505] في حلّة الخلافة النّصرية، و تاج في مفرق الوزارة. كتبها الله لكم فيما يرضاه من عباده.

و وقفت عليه الأشراف من أهل ذا القطر المحروس؛ و أذعته في الملأ سرورا بعزّ الإسلام، و إظهارا لنعمة الله، و استطرادا لذكر الدولة المولويّة بما تستحقّه من طيب الثناء، و التماس الدعاء، و الحديث بنعمتها، و الإشادة بفضلها على الدول السالفة و الخالفة و تقدّمها، فانشرحت الصّدور حباء [506] و امتلأت القلوب إجلالا و تعظيما، و حسنت الآثار اعتقادا و دعاء.

و كان كتاب سيّدي لشرف تلك الدولة عنوانا، و لما عساه يستعجم من لغتي في مناقبها ترجمانا [507]؛ زاده الله من فضله، و أمتع المسلمين ببقائه. و بثثته [508]

---

(502) تبلج الصبح: أسفر و أضاء؛ و صبح أبلج: مشرق مضيء.

(503) استنقذوها: أنقذوها، و خلصوها.

(504) يقال: رجل ميمون النقيبة؛ أي منجح الفعال، مظفّر المطالب.

(505) الطراز: ما ينسج من الثياب للسلطان، و علم الثوب.

(506) حابى الرجل حباء: نصره، و اختصه، و مال إليه.

(507) ترجمان: بفتح التاء و الجيم، و ضم التاء و الجيم، و فتح التاء و ضم الجيم.

(508) و بثثته؛ هو معطوف على قوله قبل: «و حييته تحية الهائم». و بالأصول: «و بثته» بالإدغام؛ و لعله تحريف.

شكوى الغريب، من السوق المزعج، و الحيرة التي تكاد تذهب بالنفس أسفا، للتجافي عن مهاد الأمن، و التقويض عن دار العزّ، بين المولى المنعم، و السيد الكريم، و البلد الطيب، و الإخوان البررة، [و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير]. (509) و إن تشوّفت السيادة الكريمة إلى الحال، فعلى ما علمتم، سيرا مع الأمل، و مغالبة للأيام على الحظّ، و إقطاعا للغفلة جانب العمر:

هل نافعي و الجدّ في صبب* * * مرّي مع الآمال في صعد

رجع الله بنا إليه. و لعلّ في عظتكم النافعة، شفاء هذا الدّاء العياء إن شاء الله، على أنّ لطف الله مصاحب، و جوار هذه الرياسة المزنية- و حسبك بها علمية- عصمة وافية (510) صرفت وجه القصد إلى ذخيرتي التي كنت أعتدّها منهم كما علمتم، على حين تفاقم الخطب، و تلوّن الدهر، و الإفلات من مظانّ النّكبة، و قد رتعت (511) حولها، بعد ما جرّته الحادثة بمهلك السّلطان المرحوم على يد ابن عمّه، قريعه في الملك، و قسيمه في النّسب، و التياث الجاه، (512) و تغيّر السّلطان، و اعتقال الأخ المخلّف، و اليأس منه، لو لا تكييف الله في نجائه، (513) و العيث بعده في المنزل و الولد، و اغتصاب الضيّاع (514) المقتناة من بقايا ما متّعت به الدولة النّصرية- أبقاها الله- من النّعمة؛ فآوى إلى الوكر، (515) و ساهم في الحادث، و أشرك في الجاه و المال، و أعان على نوائب الدهر، و طلب الوتر، (516) حتى رأى الدّهر مكاني، و أمّل

---

(509) آية 188 من سورة الأعراف.

(510) وافية: بالغة تمام الكمال.

(511) طفت بها، و درت حولها؛ و في الحديث: «إنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالطه».

(512) التاث: تلطخ؛ و التياث: عطف على «ما جرته».

(513) النجاء: النجاة، و هو المصدر الممدود لنجا، و المقصور نجاة.

(514) جمع ضيعة؛ و هي العقار.

(515) وكر الطائر: عشه، و الكلام على التشبيه.

(516) طلب الثأر.

الملوك استخلاصي، و تجاروا في إتحافي. و الله المخلّص من عقال الآمال، و المرشد إلى نبذ هذه الحظوظ المورّطة.

و أنبأني سيّدي بما صدر عنه من التصانيف الغريبة، و الرسائل البليغة، في هذه الفتوحات الجليلة، و بودّي لو وقع الإتحاف بها أو بعضها، فلقد عاودني النّدم على ما فرّطت.

و أما أخبار هذا القطر فلا زيادة على ما علمتم، من استقرار السّلطان أبي إسحق ابن السّلطان أبي يحيى [517] بتونس مستبدا بأمره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكين القائم بأمره، رحمة الله عليه، مضايقا في جبابة الوطن، و أحكامه بالعرب المستظهرين بدعوته، مصانعا لهم بوفره على أمان الرّعايا و السابلة، [518] لو أمكن، حسن السياسة جهد الوقت، و من انتظام بجاية محل دولتنا في أمر صاحب قسنطينة و بونة، غلابا كما علمتم، محمّلا الدولة بصرامته وقوة شكيمته فوق طوقها، من الاستبداد و الضرب على أيدي المستغلّين من الأعراب، منتقض الطاعة أكثر أوقاته لذلك، إلا ما شمل البلاد من تغلّب العرب، و نقص الأرض من الأطراف و الوسط، و خمود ذبال الدول في كل جهة، و كلّ بداية فإلى تمام.

و أما أخبار المغرب الأقصى و الأدنى فلديكم طلعه، [519] و أما المشرق فأخبار الحاجّ هذه السنة من اختلاله، و انتقاض سلطانه، و انتزاء الجفاة على كرسيّه، و فساد المصانع و السّقايات المعدّة لوفد الله و حاجّ بيته، ما يسخن العين و يطيل البثّ، حتى لزعموا أن الهيعة [520] اتّصلت بالقاهرة أياما، و كثر الهرج [521] في طرقاتها و أسواقها،

---

(517) انظر العبر 6/ 373 و ما بعدها.

(518) السابلة: الطريق.

(519) يقال أطلعته طلعى؛ أي أبثثته سرى.

(520) الهيعة: كل ما أفزعك من صوت؛ و الصوت الشديد.

(521) الهرج: الفتنة و الاختلاط.

لما وقع بين أسندمر [522] المتغلّب بعد يلبغا [523] الخاسكي، و بين سلطانه ظاهر القلعة، من الجولة التي كانت دائرتها عليه، أجلت عن زهاء الخمسمائة قتلى، من حاشية و موالي يلبغا، و تقبّض على الباقين، فأودع منهم السجون، و صلب الكثير، و قتل أسندمر في محبسه، و ألقي زمام الدولة بيد كبير من موالي السّلطان، فقام بها مستبدا، و قادها مستقلا، و بيد اللّه تصاريف الأمور، و مظاهر الغيوب، جلّ و علا.

و رغبتي من سيدي- أبقاه اللّه- أن لا يغبّ خطابه عني، متى أمكن، يصل بذلك منه الجمّة، و أن يقبّل عنّي أقدام تلك الذات المولوية، و يعرّفه بما عندي من التشيّع لسلطانه، و الشكر لنعمته، و أن تنهوا عني لحاشيته و أهل اختصاصه، التحية، المختلسة من أنفاس الرياض، كبيرهم و صغيرهم.

و قد تأدّى مني إلى حضرته الكريمة خطاب على يد الحاجّ نافع- سلّمه اللّه- تناوله من الأخ يحيى عند لقائه إياه بتلمسان، بحضرة السّلطان أبي حمّو- أيّده اللّه- فربّما يصل، و سيّدي يوضّح من ثنائي و دعائي ما عجز عنه الكتاب. و اللّه يبقيكم ذخرا للمسلمين، و ملاذا للآملين بفضله. و السلام عليكم و على من لاذ بكم من السادة الأولاد المناجيب، و الأهل و الحاشية و الأصحاب، من المحبّ فيكم، المعتدّ بكم شيعة فضلكم، ابن خلدون، و رحمة اللّه و بركاته.

عنوانه: سيدي و عمادي، و ربّ الصنائع و الأيادي، و الفضائل الكريمة الخواتم و المبادي، إمام الأمة، علم الأئمة، تاج الملّة، فخر العلماء الجلّة، عماد الإسلام، مصطفى الملوك الكرام، نكتة الدول، كافل الإمامة، تاج الدول، أثير اللّه، وليّ أمير المسلمين الغني باللّه- أيّده اللّه- الوزير أبو عبد اللّه بن الخطيب، أبقاه اللّه، و تولّى

---

(522) في الأصلين، ش: سندمر بدون ألف في أوله؛ و هو الأمير الدوادار الكبير في دولة الأشرف، كان دويدارا عند يلبغا الناصري ثم ثار عليه. مات بالإسكندرية سنة 769. ترجمته في الدرر الكامنة 1/ 5386 و انظر ثورته في العبر 5/ 456- 7457.

(523) يلبغا بن عبد اللّه الخاصكي (الخاسكي) نسبه إلى خواص السّلطان؛ و رأيت مجظ بدر الدين العيني في «عقد الجمان» (سنة 802 ضبطه بضم الياء، و الباء و بينهما لام ساكنة، تقدمت ترجمته في ص 47. و انظر العبر 5/ 452- 453؛ حيث القول المفصل في ثورته هذه.

عن المسلمين جزاءه.

و كتب إلي من غرناطة:

يا سيّدي و وليّي، و أخي و محلّ ولدي! كان الله لكم حيث كنتم، و لا أعدمكم لطفه و عنايته. لو كان مستقرّكم بحيث يتأتّى لي إليه ترديد رسول، أو إيفاد متطلّع، أو توجيه نائب، لرجعت على نفسي باللائمة في إغفال حقّكم، و لكنّ العذر ما علمتم، و احمدوا الله على الاستقرار في كهف ذلك الفاضل الذي وسعكم كنفه.

و شملكم فضله شكر الله حسبه الذي لم يخلف، و شهرته التي لم تكذب.

و إنّي اغتنمت سفر هذا الشيخ، وافد الحرمين بمجموع الفتوح، (524) في إيصال كتابي هذا، و بودّي لو وقفتم على ما لديه من البضاعة التي أنتم رئيسها و صدرها، فيكون لكم في ذلك بعض أنس، و ربّما تأدّى ذلك في بعضه ممّا لم يختم عليه، و ظاهر الأمور نحيل عليه في تعريفكم بها، و أما البواطن فممّا لا يتأتّى كثرة و ضنانة، و أخصّ، بالصاد، ما أظن تشوّفكم إليه حالي. فاعلوا أنّي قد بلغ بي الماء الزّبى، (525) و استولى علي سوء المزاج المنحرف، و توالت الأمراض، و أعوز العلاج، لبقاء السبب، و العجز عن دفعه. و هي هذه المداخلة جعل الله العاقبة فيها إلى خير؛ و لم أترك وجها من وجوه الحيلة إلا بذلته. فما أغنى ذلك عنّي شيئا، و لو لا أنني بعدكم شغلت الفكر بهذر التأليف، مع الزّهد، و بعد العهد، و عدم الإلماع بمطالعة الكتب، لم يتمشّ حالي من طريق فساد الفكر إلى هذا الحد، و آخر ما صدر عنّي كنّاش (526) سميته

---

(524) كانت عادتهم أن يبعثوا بأخبار فتوحهم، و توسعاتهم التي تحصل في كل سنة، و في عهد كل ملك، يبعثون بها إلى الملوك المعاصرين عامة، و إلى الحرم النبوي بوجه خاص. و إلى هذا يشير ابن الخطيب.

(525) الزبى: جمع زبية؛ و هي الرابية التي لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا. و هو مثل يضرب للشيء يتجاوز الحد و يتفاقم. مجمع الأمثال 1/ 60، لسان (زبى).

(526) الكناش: الدفتر تقيد فيه الفوائد و الشوارد للضبط، يستعمله المغاربة كثيرا إلى اليوم. و انظر تاج العروس 4/ 347.

باستنزال اللطف الموجود، في أسر الوجود. [527] أمليته في هذه الأيام التي أقيم بها رسم النيابة عن السّلطان في سفره إلى الجهاد. بودّي لو وقفتم عليه. و على كتابي في المحبّة، و عسى الله أن ييسّر ذلك.

و مع هذا كلّه. و الله ما قصرت في الحرص على إيصال مكتوب إليكم. إما من جهة أخيكم، أو من جهة السيّد الشّريف أبي عبد الله. حتى من المغرب إذا سمعت الرّكب يتوجّه منه فلا أدري هل بلغكم شيء من ذلك أم لا. و الأحوال كلّها على ما تركتموها عليه. و أحبابكم بخير، على ما علمتم من الشوق و التشوف و الارتماض [528] لمفارقتكم. و لا حول و لا قوّة إلا بالله.

و الله يحفظكم، و يكون لكم، و يتولّى أموركم، و السلام عليكم و رحمة الله. من المحبّ الواحش الشّيخ ابن الخطيب. في غرة ربيع الثاني من عام أحد و سبعين و سبعمائة.

و بباطنه مدرجة نصّها:

سيّدي رضي الله عنكم. استقرّ بتلمسان، في سبيل تقلّب و مطاوعة مزاج تعرفونه. صاحبنا المقدّم في صنعة الطب أبو عبد الله الشّقوري. فإن اتّصل بكم فأعينوه على ما يقف عليه اختياره و هذا لا يحتاج معه إلى مثلكم. [529]

عنوانه: سيّدي و محلّ أخي. الفقيه الجليل. الصدر الكبير المعظم، الرئيس الحاجب، العالم الفاضل، الوزير ابن خلدون. وصل الله سعده، و حرس مجده، بمنّه.

و إنما طولت بذكر هذه المخاطبات، و إن كانت، فيما يظهر، خارجة عن غرض الكتاب. لأن فيها كثيرا من أخباري. و شرح حالي. فيستوفي ذلك منها من يتشوف إليه من المطالعين للكتاب.

---

(527) ذكره المقري في نفح الطيب 4/ 244، بين مؤلفات ابن الخطيب بهذا العنوان: «استنزال اللطف الموجود، في سر الوجود».

(528) الحزن لمفارقتكم.

(529) كذا في الأصول؛ و المراد أن ما يختاره لا يحتاج في اختياره إلى مثلكم.

ثم إن السّلطان أبا حمّو لم يزل معتملا في الإجلاب على بجاية. و استئلاف قبائل رياح [530] لذلك، و معوّلا على مشايعتي فيه، و وصل يده مع ذلك بالسّلطان أبي إسحاق ابن السّلطان أبي بكر صاحب تونس من بني أبي حفص، لما كان بينه و بين أبي العباس [531] صاحب بجاية و قسنطينة، و هو ابن أخيه، من العداوة التي تقتضيها مقاسمة النسب و الملك، و كان يوفد رسله عليه في كل وقت، و يمرون بي، و أنا ببسكرة، فأؤكد الوصلة [532] بمخاطبة كل منهما، و كان أبو زيّان [533] ابن عم السّلطان أبي حمّو بعد إجفاله عن بجاية، و اختلال معسكره، قد سار في أثره إلى تلمسان، و أجلب على نواحيها، فلم يظفر بشيء، و عاد إلى بلاد حصين، فأقام بينهم، و اشتملوا عليه، و نجم [534] النفاق في سائر أعمال المغرب الأوسط، و اختلف أحياء زغبة على السّلطان، و انتبذ الكثير عنه إلى القفر. و لم يزل يستألفهم حتى اجتمع له الكثير منهم، فخرج في عساكره في منتصف تسع و ستين [535] إلى حصين و أبي زيّان، و اعتصموا بجبل تيطري، [536] و بعث إليّ في استنفار الدّواودة للأخذ بحجزتهم [537] من جهة الصحراء، و كتب يستدعي أشياخهم: يعقوب بن علي كبير

---

(530) هم من أعز قبائل بني هلال، و أكثرهم جمعا. و قد أطال ابن خلدون القول في قبائل رياح، و ما كان لها من الأحداث في المغرب في العبر 6/ 31- 40.

(531) هو أبو العباس بن أبي عبد الله بن أبي بكر. انظر بعض أخباره في العبر 6/ 369- 370.

(532) الوصلة (بالضم): الاتصال، و كل ما اتصل بشيء، فالذي بينهما وصلة.

(533) أبو زيان؛ هو محمد بن السّلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن.

و انظر أخباره في العبر 7/ 125- 139، و بغية الرواد 2/ 184، 185، و الاستقصا 2/ 138 و ما بعدها.

(534) نجم: طلع و ظهر.

(535) انظر تفصيل هذه الحوادث في بغية الرواد 2/ 199 سنة 769.

(536) هو جبل أشير الذي كانت فيه المدينة (أشير)؛ و قد بنى زيرى بن مناد الضنهاجي، حيث أسس مدينة أشير، في هذا الجبل حصنا حصينا، و صفه يحيى بن خلدون في بغية الرواد 2/ 185 بقوله:

«معقل تيطرى المشهور الحصانة، الآخذ من الصحراء و التل، و المزاحم بمناكبه السحاب». و انظر العبر 6/ 64.

(537) الحجزة «بالضم»: معقد الإزار.

أولاد محمد، و عثمان بن يوسف كبير أولاد سباع بن يحيى. و كتب إلى ابن مزنى قعيدة وطنهم بإمدادهم في ذلك، فأمدّهم، و سرنا مغرّبين إليه، حتى نزلنا القطفا قبلة تيطري، و قد أحاط السّلطان به من جانب التل، على أنه إذا فرغ من شأنهم سار معنا إلى بجاية و بلغ الخبر إلى صاحب بجاية أبي العباس، فاستألف من بقي من قبائل رياح، و عسكر بطرف ثنية القصاب المفضية إلى المسيلة. و بينما نحن على ذلك اجتمع المخالفون من زغبة، و هم خالد بن عامر كبير بني عامر و أولاد عريف كبراء سويد، و نهضوا إلينا بمكاننا من القطفا، فأجفلت أحياء الدّواودة، و تأخرنا إلى المسيلة، ثم إلى الزّاب. و سارت زغبة إلى تيطري، و اجتمعوا مع أبي زيّان و حصين، و هجموا على معسكر السّلطان أبي حمّو ففلّوه و رجع منهزما إلى تلمسان. و لم يزل من بعد ذلك على استئلاف زعبة و رياح يؤمّل الظّفر بوطنه و ابن عمّه، و الكرّة على بجاية عاما فعاما، و أنا على حالي في مشايعته، و إيلاف ما بينه و بين الدّواودة، و السّلطان أبي إسحاق صاحب تونس، و ابنه خالد من بعده. ثم دخلت زغبة في طاعته، و اجتمعوا على خدمته، و نهض من تلمسان لشفاء نفسه من حصين و بجاية، و ذلك في أخريات إحدى و سبعين، فوفدت عليه بطائفة من الدّواودة أولاد عثمان بن يوسف بن سليمان لنشارف أحواله، و نطالعه بما يرسم لهم في خدمته، فلقيناه بالبطحاء، و ضرب لنا موعدا بالجزائر، انصرف به العرب إلى أهليهم، و تخلّفت بعدهم لقضاء بعض الأغراض و اللحاق بهم، وصلّيت به عيد الفطر على البطحاء، و خطبت به، و أنشدته عند انصرافه من المصلّى أهنيه بالعيد، و أحرّضه:

هذي الديار فحيّهنّ صباحا* * * وقف المطايا [538] بينهنّ طلاحا

[539]

لا تسأل الأطلال إن لم تروها* * * عبرات عينك واكفا ممتاحا

---

(538) جمع مطية: و هي الناقة أو البعير يمتطي ظهره.

(539) جمع طلح «بالكسر»: و هي الناقة أضمرها الكلال، و أجهدها الإعياء من طول

السفر.

فلقد أخذن على جفونك موثقا* * * أن لا يرين مع البعاد شحاحا

إيه عن الحيّ الجميع و ربّما* * * طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا

و منازل للظّاعنين استعجمت* * * حزنا و كانت بالسّرور فصاحا

و هي طويلة، و لم يبق في حفظي منها إلا هذا.

و بينما نحن في ذلك، بلغ الخبر بأن السّلطان عبد العزيز (540) صاحب المغرب الأقصى من بني مرين، قد استولى على جبل عامر بن محمد الهنتاتي بمراكش، و كان آخذا بمخنّقه (541) منذ حول، و ساقه إلى فاس فقتله بالعذاب، و أنه عازم على النهوض إلى تلمسان، لما سلف من السّلطان أبي حمّو أثناء حصار السّلطان عبد العزيز لعامر في جبله، من الإجلاب على ثغور المغرب، و لحين وصول هذا الخبر؛ أضرب السّلطان أبو حمّو عن ذلك الشأن الذي كان فيه، و كرّ راجعا إلى تلمسان.

و أخذ في أسباب الخروج إلى الصحراء، مع شيعة بني عامر من أحياء زغبة، فاستألف، و جمع، و شدّ الرّحال، و قضى عيد الأضحى، و طلبت منه الإذن في الانصراف إلى الأندلس، لتعذّر الوجهة إلى بلاد رياح، و قد أظلم الجوّ بالفتنة، و انقطعت السّبل، فأذن لي، و حمّلني رسالة فيما بينه و بين السّلطان ابن الأحمر.

و انصرفت إلى المرسى بهنين؛ و جاءه الخبر بنزول صاحب لمغرب تازا في عساكره، فأجفل بعده من تلمسان، ذاهبا إلى الصحراء عن طريق البطحاء. و تعذّر عليّ ركوب البحر من هنين فأقصرت، و تأدّى الخبر إلى السّلطان عبد العزيز بأنّي مقيم بهنين، و أن معي وديعة احتملتها إلى صاحب بالأندلس، تخيّل ذلك بعض الغواة، فكتب

---

(540) هو أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس بن أبي سالم المريني ولي سنة 796 بعد وفاة أبيه أبي سالم، و توفي سنة 799. انظر الاستقصا 2/ 841 و ما بعدها.

(541) المخنق: موضع الخنق من العنق.

إلى السّلطان عبد العزيز فأنفذ من وقته سرية (542) من تازا (543) تعترضني لاسترجاع تلك الوديعة، و استمرّ هو إلى تلمسان، و وافتني السرية بهنين و كشفوا الخبر فلم يقفوا على صحته، و حملوني إلى السّلطان، فلقيته قريبا من تلمسان، و استكشفني عن ذلك الخبر، فأعلمته بيقينه. و عنّفني على مفارقة دارهم، فاعتذرت له بما كان من عمر بن عبد الله المستبدّ عليهم، و شهد لي كبير مجلسه، و وليّ أبيه و ابن وليّه:

و نزمار بن عريف، و وزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة، و احتفّت الألطاف.

و سألني في ذلك المجلس عن أمر بجاية، و أفهمني أنه يروم تملّكها. فهوّنت عليه السبيل إلى ذلك، فسرّ به، و أقمت تلك الليلة في الاعتقال. ثم أطلقني من الغد، فعمدت إلى رباط الشيخ الولي أبي مدين، و نزلت بجواره مؤثرا للتّخلّي و الانقطاع للعلم لو تركت له.

---

(542) السرية: قطعة من الجيش. و يقال: خير السرايا أربع مئة.

(543) تازا (تازة)Taza) عرضها الشمالي 4- 34، و طولها الغربي 4): مدينة في المغرب الأقصى، تبعد عن فاس نحو الشرق 127 كيلو مترا؛ و هي إحدى المدن الحربية القديمة بالمغرب؛ أسست قبل الفتح الإسلامي بكثير. و لمكانتها الحربية اتخذها الحسن بن إدريس الثاني مقرّا حربيا، و عنى بها عبد المؤمن الموحدي فجعلها حصنا مانعا، و في أيام المرنيين اتخذها أبو يعقوب المريني عاصمته، و قاعدة لغزو تلمسان، و لا تزال حتى اليوم مركزا حربيا يحسب له حسابه. و قد نسب إلى تازا علماء كثير. انظر تاج العروس 4/ 12.

مشايعة السّلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بني عبد الواد

و لما دخل السّلطان عبد العزيز تلمسان، و استولى عليها، و بلغ خبره إلى أبي حمّو و هو بالبطحاء، فأجفل من هنالك، و خرج في قومه و شيعته من بني عامر، ذاهبا إلى بلاد رياح، فسرّح السّلطان وزيره أبا بكر بن غازي في العساكر لاتباعه. (544) و جمع عليه أحياء زغبة و المعقل باستئلاف وليّه و نزمار (545) و تدبيره؛ ثم أعمل السّلطان نظره و رأى أن يقدّمني أمامه إلى بلاد رياح لأوطّد أمره، و أحملهم على مناصرته، و شفاء نفسه من عدوّه، بما كان السّلطان آنس منّي من استتباع رياح، و تصريفهم فيما أريده من مذاهب الطاعة، فاستدعاني من خلوتي بالعبّاد عند رباط الوليّ أبي مدين. (546) و أنا قد أخذت في تدريس العلم، و اعتزمت على الانقطاع، فآنسني، و قرّبني، و دعاني إلى ما ذهب إليه من ذلك فلم يسعني إلا إجابته، و خلع عليّ، و حملني، و كتب إلى شيوخ الدّواودة بامتثال ما ألقيه إليهم من أوامره. و كتب إلى يعقوب بن علي، و ابن مزنى بمساعدتي على ذلك، و أن يحاولوا على استخلاص أبي حمّو من بين أحياء بني عامر، و يحولوه إلى حي يعقوب بن علي؛ فودعته و انصرفت في عاشوراء اثنين و سبعين، فلحقت الوزير في عساكره و أحياء العرب من المعقل و زغبة على البطحاء. و لقيته، و دفعت إليه كتاب السّلطان، و تقدّمت أمامه. و شيّعني و نزمار يومئذ، و أوصاني بأخيه محمد. و قد كان أبو حمّو قبض عليه عندما أحسّ منهم بالخلاف، و أنهم يرومون الرحلة إلى المغرب. و أخرجه معه من تلمسان مقيدا، و احتمله في معسكره، فأكد عليّ و نزمار يومئذ في المحاولة على استخلاصه بما

---

(544) ذكرت هذه الأحداث مفصلة في العبر 7/ 329 و ما بعدها.

(545) هو الشيخ أبو يعقوب و نزمار بن عريف بن يحيى. كان ولي بني مرين فعهدوا إليه بمنصب الشوار، و الوزارة. و جاءت أخباره متفرقة في العبر 7/ 329، 330 و ما بعدها.

(546) أبو مدين: شعيب بن الحسن الأندلسي. صوفي شهير، يعرف بأبي مدين الغوث. له ترجمة مطولة في البستان ص 108- 114، و جذوة الاقتباس ص 332، أحمد بابا

ص 127.

أمكن. و بعث معي ابن أخيه عيسى في جماعة من سويد يبذرق [547] بي و يتقدم إلى أحياء حصين بإخراج أبي زيّان من بينهم، فسرنا جميعا، و انتهينا إلى أحياء حصين، و أخبرهم فرح بن عيسى بوصية عمّه و نزمار إليهم، فنبذوا إلى أبي زيّان عهده، و بعثوا معه منهم من أوصله إلى بلاد رياح، و نزل على أولاد يحيى بن علي بن سباع، و توغّلوا به في القفر، و استمريت أنا ذاهبا إلى بلاد رياح؛ فلما انتهيت إلى المسيلة [548] ألفيت السّلطان أبا حمّو و أحياء رياح معسكرين قريبا منها في وطن أولاد سباع بن يحيى من الدّواودة، و قد تساتلوا [549] إليه، و بذل فيهم العطاء ليجتمعوا إليه. فلمّا سمعوا بمكاني بالمسيلة، جاؤوا إليّ فحملتهم على طاعة السّلطان عبد العزيز، و أوفدت أعيانهم و شيوخهم على الوزير أبي بكر بن غازي، فلقوه ببلاد الدّيالم عند نهر واصل، فأتوه طاعتهم، و دعوه إلى دخول بلادهم في اتباع عدوه، و نهض معهم، و تقدّمت أنا من المسيلة إلى بسكرة، فلقيت بها يعقوب بن علي. و اتفق هو و ابن مزنى على طاعة السّلطان، و بعث ابنه محمّدا للقاء أبي حمّو و أمير بني عامر خالد بن عامر، يدعوهم إلى نزول وطنه، و البعد به عن بلاد السّلطان عبد العزيز، فوجده متدلّيا من المسيلة إلى الصّحراء. و لقيه على الدّوسن [550] و بات ليلته يعرض عليهم التحول من وطن أولاد سباع إلى وطنهم بشرقيّ الزّاب. و أصبح يومه كذلك، فما راعهم آخر النّهار إلا انتشار العجاج خارجا إليهم من أفواه الثّنية، فركبوا يستشرفون، و إذا بهوادي الخيل طالعة من الثّنية، و عساكر بني مرين و المعقل و زغبة

---

(547) البذرقة، بالذال المعجمة، و بالمهملة أيضا: الخفارة؛ و المبذرق: الخفير. و انظر ص 56.

(548) المسيلة، بالفتح ثم الكسر، و الياء الساكنة بعدها لام: مدينة بالجزائر؛ كانت تسمى بالمحمدية نسبة إلى أبي القاسم محمد بن المهدي الفاطمي «القائم» الذي اختطها سنة 315. و هي واقعة شمال شط الحضنةChott el Hodna ، بعيدة عنه بنحو 38 كيلومترا؛ و في الشرق، إلى الجنوب قليلا، من مدينة أشيرAchir ، و بينهما نحو 87 كيلومترا.

(549) تساتل القوم: خرجوا متتابعين واحدا بعد واحد.

(550) الدوسنED -Dousen قرية من قرى الزاب تبعد 60 كيلومترا إلى الجنوب الغربي من بسكرة.

انظر ترجمة بغية الرواد 2/ 295.

متتالية أمام الوزير أبي بكر بن غازي، قد دلّ بهم الطريق و فد أولاد سباع الذين بعثتهم من المسيلة؛ فلما أشرفوا على المخيّم، أغاروا عليه مع غروب الشمس، فأجفل بنو عامر، و انتهب مخيّم السّلطان أبي حمّو و رحائله و أمواله. و نجا بنفسه تحت الليل، و تمزّق شمل ولده و حرمه، حتى خلصوا إليه بعد أيام، و اجتمعوا بقصور مصاب [551] من بلاد الصحراء و امتلأت أيدي العساكر و العرب من نهابهم. و انطلق محمد بن عريف في تلك العيهة. أطلقه الموكلون به، و جاء إلى الوزير و أخيه و نزمار، و تلقّوه بما يجب له. و أقام الوزير أبو بكر بن غازي على الدّوسن أياما أراح فيها. و بعث إليه ابن مزنى بطاعته، و أرغد له من الزاد و العلوفة، [552] و ارتحل راجعا إلى المغرب، و تخلّفت بعده أياما عند أهلي ببسكرة. ثم ارتحلت إلى السّلطان في وفد عظيم من الدّواودة، يقدمهم أبو دينار [553] أخو يعقوب بن علي، و جماعة من أعيانهم، فسابقنا الوزير إلى تلمسان، و قدمنا على السّلطان، فوسعنا من حبائه [554] و تكرمته، و نزله ما بعد العهد بمثله. ثم جاء من بعدنا الوزير أبو بكر بن غازي على الصحراء، بعد أن مرّ بقصور بني عامر [555] هنالك فخرّبها، و كان يوم قدومه على السّلطان يوما مشهودا، و أذن بعدها لوفود الدّواودة بالانصراف إلى بلادهم. و قد كان ينتظر بهم قدوم الوزير، و وليّه و نزمار بن عريف، فودّعوه، و بالغ في الإحسان إليهم، و انصرفوا إلى بلادهم. ثم أعمل نظره في إخراج أبي زيّان من بين أحياء الدّواودة لما خشي من رجوعه إلى حصين، فوامرني

---

(551) رسمه على قاعدته، التي قررها صدر المقدمة، بصورة صاد وسطها زاي، إشارة إلى أن الصادي تنطق مشمة بالزاي؛ و مكان قصور مصاب جنوب المكان المسمى:Laghuat ، و شمالGhardaia بالجزائر، و أظن أنها كانت تقع على الوادي المسمى.W .Nessa

(552) العلوفة (بالضم): العلف.

(553) هو أبو دينار يعقوب بن علي بن أحمد؛ شيخ قبائل رياح. له في الأحداث السياسية بالمغرب في هذا العهد الآثار البعيدة المدى. انظر بغية الرواد 2/ 201، 113، و العبر 7/ 330.

(554) الحباء (بالكسر): العطاء.

(555) كانت هذه القصور كما يفهم من حديث ابن خلدون عنها- بالصحراء، في جهة

القبلة من الجبل المسمّى بجبل راشد. و انظر العبر 7/ 133، 329.

في ذلك، و أطلقني إليهم في محاولة انصرافه عنهم، فانطلقت لذلك؛ و كان أحياء حصين قد توجّسوا الخيفة من السّلطان و تنكّروا له، و انصرفوا إلى أهلهم بعد مرجعهم من غزاتهممع الوزير، و بادروا باستدعاء أبي زيّان من مكانه عند أولاد يحيى [556] بن علي، و أنزلوه بينهم، و اشتملوا عليه، و عادوا إلى الخلاف الذي كانوا عليه أيام أبي حمّو، و اشتعل المغرب الأوسط نارا. و نجم صبيّ من بيت الملك في مغراوة، و هو حمزة ابن علي بن راشد [557]؛ فرّ من معسكر الوزير ابن غازي أيام مقامه عليها فاستولى على شلف، و بلاد قومه. [558] و بعث السّلطان وزيره عمر بن مسعود [559] في العساكر لمنازلته، و أعيا داؤه، و انقطعت أنا ببسكرة، و حال ذلك ما بيني و بين السّلطان إلا بالكتاب و الرسالة. و بلغني في تلك الأيام و أنا ببسكرة مفر الوزير ابن الخطيب من الأندلس، [560] و قدومه على السّلطان بتلمسان، توجّس الخيفة من سلطانه، بما كان له من الاستبداد عليه، و كثرة السّعاية من البطانة فيه، فأعمل الرّحلة إلى الثغور المغربية لمطالعتها بإذن سلطانه، فلما حاذى جبل الفتح [561] قفل الفرضة، [562] دخل إلى الجبل، و بيده عهد السّلطان عبد العزيز إلى القائد هنالك

---

(556) هم أولاد يحيى بن علي بن سباع من الدواودة. انظر العبر 7/ 132.

(557) هو حمزة بن علي بن راشد من آل ثابت بن منديل؛ أمير من أمراء مقراوة. كان أبوه علي أميرا، و جدّه راشد أميرا أيضا؛ و حارب ملوك بني عبد الواد بني راشد هؤلاء و صالحوهم؛ و كانت العلاقات بينهم لا تحسن إلا لتسوء من جديد. فثورة حمزة هذه ليست جديدة على هذا البيت. انظر العبر 7/ 133، 330، 331.

(558) يريد بلاد مغراوة، و يأتي قوله الصريح في هذا، و انظر العبر 7/ 330.

(559) هو عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة. انظر العبر 7/ 330.

(560) قد فصل ابن خلدون الحديث عن مفر ابن الخطيب، و قدومه إلى تلمسان، و بيّن الدواعي السياسية التي دفعته إلى الفرار في العبر 8/ 332- 336، 7/ 341- 342.

(561) يريد جبل طارق. و قد تقدم في ص 82، و يسمى جبل الفتح؛ سماه بذلك عبد المؤمن بن علي عاهل الدولة الموحدية- حين نزل به قاصدا بلاد الأندلس للجهاد. انظر المعجب للمراكشي ص 137 و سير النبلاء للذهبي نسخة أحمد الثالث 10/ 1910 أ: ورقة 200 ظ، في ترجمة عبد المؤمن.

(562) فرضة البحر (بالضم): محط السفن.

بقبوله. و أجاز البحر من حينه إلى سبتة، و سار إلى السّلطان بتلمسان، و قدم عليهما في يوم مشهود، و تلقّاه السّلطان من الحظوة و التقريب و إدرار النّعم بما لا يعهد مثله.

و كتب إليّ من تلمسان يعرّفني بخبره، و يلمّ ببعض العتاب على ما بلغه من حديثي الأول بالأندلس. و لم يحضرني الآن كتابه، فكان جوابي عنه ما نصّه:

الحمد لله و لا قوّة إلا بالله، و لا رادّ لما قضاه الله.

يا سيدي و نعم الذّخر الأبدي، و العروة الوثقى التي اعتلقتها يدي، [563] أسلم عليكم سلام القدوم، على المخدوم، و الخضوع، للملك المتبوع، لا بل أحيّيكم تحية المشوق، للمعشوق، و المدلج، [564] للصباح المتبلّج، [565] و أقرّر ما أنتم أعلم بصحيح عقدي في من حبّي لكم، و معرفتي بمقداركم، و ذهابي إلى أبعد الغايات في تعظيمكم، و الثّناء عليكم، و الإشادة في الآفاق بمنقاقبكم، ديدنا [566] معروفا، و سجيّة [567] راسخة، يعلم الله و كفى به شهيدا، و بهذا كما في علمكم قسما [568] ما اختلف لي فيه أول و آخر، و لا شاهد و لا غائب. و أنتم أعلم بما في نفسي، و أكبر شهادة [569] في خفايا ضميري. و لو كنت ذاك، فقد سلف من حقوقكم، و جميل أخذكم، و اجتلاب الحظّ- لو هيّأه القدر- بمساعيكم، و إيثاري بالمكان من سلطانكم، و دولتكم، ما يستلين معاطف القلوب، و يستل [570] سخائم

---

(563) اعتلق الشيء، و به: أحبه؛ كتعلقه، و تعلق به.

(564) أدلج: سار الليل كله، أو جزءا منه.

(565) تبلج الصبح: أسفر و أضاء.

(566) الديدن: العادة.

(567) السجية: الخلق.

(568) الكلام على معنى: «و بهذا، كما في علمكم، أقسم قسما الخ».

(569) الشهادة: الحضور؛ و ليس يبعد أن يكون أصل الكلام: «و أكبر شهادة بما في خفايا ضميري»، فسقطت كلمة «بما» من الأصول.

(570) استلان الشيء: ألانه. (أساس). و معاطف القلوب: مثانيها؛ و من كلامهم: «رزقك الله عيشا تلين لك مثانيه و معاطفه». يريد: أسديت إلي من خيرك ما من

شأنه أن يصل إلى أعماق القلوب.
(و انظر اللسان (ثنى).

الهواجس، [571] فأنا أحاشيكم من استشعار نبوة، [572] أو إحقاق ظن [573]؛ و لو تعلّق بقلب ساق حرّ ذرء و ذرء، [574] فحاش لله أن يقدح في الخلوص [575] لكم، أو يرجع سوابقكم، [576] إنما هو خبيئة الفؤاد إلى الحشر أو اللقاء. و والله و جميع ما يقسم به، ما اطّلع على مستكنّه مني غير صديقي و صديقكم الملابس- كان- لي و لكم الحكيم الفاضل العلم أبي عبد الله الشّقوري أعزّه الله. نفثة مصدور، و مباثة [577] خلوص، إذ أنا أعلم الناس بمكانه منكم، و قد علم ما كان مني حين مفارقة صاحب تلمسان، و اضمحلال أمره، من إجماع الأمر على الرّحلة إليكم، و الخفوف [578] إلى حاضرة البحر للإجازة إلى عدوتكم، تعرّضت فيها للتّهم، و وقفت بمجال الظنون، حتّى تورّطت في الهلكة بما ارتفع عنّي مما لم آته، و لا طويت العقد عليه، لولا حلم مولانا الخليفة، و حسن رأيه في و ثبات بصيرته، لكنت في الهالكين الأولين؛ كل ذلك شوقا إلى لقائكم، و تمثّلا لأنسكم، فلا تظنّوا بي الظنون، و لا تصدّقوا في التّوهّمات، فأنا من علمتم صداقة، و سذاجة، و خلوصا، و اتّفاق ظاهر و باطن، أثبت الناس عهدا، و أحفظهم غيبا، و أعرفهم بوزن الإخوان و مزايا الفضلاء؛ و لأمر ما تأخّر كتابي من تلمسان فإنّي كنت أستشعر ممن استضافني ريبا بخطاب

---

(571) السخائم: الضغائن، و الموجدة في النفس. و الهواجس الخواطر.

(572) أحاشيكم: أنزهكم. و استشعار النبوة: إضمارها. و النبوة: الجفوة.

(573) يقول: إني أجلّكم أن تصدقوا في الظنون، فتحولوها إلى يقين ثابت و حقيقة واقعة.

(574) ساق حر: ذكر القمارى، و من خلقه الوفاء. و بلغني ذرء من خبر: قليل منه. و أرجو أن يكون المعنى: إن وفائي لك بحيث لا تلحقه الريبة، و لو جاز أن يتعلق بقلب ساق حر، و قد سار المثل بوفائه، قليل جدا من عدم الوفاء، فمعاذ الله أن يتعلّق بقلبي هذا القليل فيقدح في حفظي لعهد الأخوة.

(575) خلص الشيء خلوصا: صار خالصا، و يستعمله ابن خلدون بمعنى الإخلاص.

(576) جمع سابقة؛ و هي ما تسبق الناس إليه. يريد: أياديكم التي أسديتموها إلي.

(577) المباثة: مصدر ميمي بمعنى البث؛ و هو أن تظهر لغيرك ما عندك من سر.

(578) الخفوف: سرعة السير.

سواه، خصوصا جهتكم، لقديم ما بين الدولتين من الاتحاد و المظاهرة و اتصال اليد، مع أن الرّسول تردّد إليّ، و أعلمني اهتمامكم و اهتمام السّلطان، تولاه اللّه، باستكشاف ما انبهم [579] من حالي؛ فلم أترك شيئا مما أعلم تشوّفكم إليه إلا و كشفت له قناعه، و أمّنته على بلاغه [580]؛ و لم أزل بعد انتياش [581] مولانا الخليفة لذمائي، و جذبه بضبعيّ [582] سابحا في تيار الشواغل كما علمتم القاطعة حتى عن الفكر.

و سقطت إليّ بمحل خدمتي من هذه القاصية أخبار خلوصكم [583] إلى المغرب، قبل وصول راجلي [584] إلى الحضرة، غير جلية و لا ملتئمة و لم يتعيّن ملقى العصا و لا مستقرّ النوى، [585] فأرجيت [586] الخطاب إلى استجلائها؛ و أفدت [587] في كتابكم العزيز عليّ، الجاري على سنن الفضل، و مذهب المجد، غريب ما كيّفه القدر من تنويع الحال لديكم؛ و عجبت من تأتّي [588] أملكم الشارد فيه كما كنّا نستبعده عند المفاوضة؛ فحمدت اللّه لكم على الخلاص من ورطة الدول على أحسن الوجوه، و أجمل المخارج الحميدة العواقب في الدنيا و الدين، العائدة بحسن المآل في المخلّف:

---

(579) في الأصلين: «أبهم»، و كتب بخطه في حاشية أصل أياصوفية: «انبهم»، و وضع عليها علامتي البدلية و الصحة: «ب» و «صح».
و قد تبع النحاة في استعمال «انبهم»؛ و لم يسمع من العرب. و الصواب استبهم. و انظر تاج العروس (بهم).
(580) البلاغ: الإبلاغ؛ و في القرآن: «فهل على الرسل إلا البلاغ المبين».
(581) الانتياش: الإنقاذ من الهلكة.
(582) الضبع: العضد؛ و أخذ بضبعيه: أي بعضديه.
(583) خلص إليه: وصل إليه.
(584) الراجل: خلاف الفارس؛ و هو من ليس له ظهر يركبه في سفره.
(585) مستقر النوى: مكان الإقامة؛ يقال: استقرت نواهم: أي أقاموا.
(586) أرجيت، و أرجأت: أخرت. يهمز و لا يهمز.
(587) أفدت: استفدت.
(588) تأتي الأمر: تهيأ؛ و التأتي التهيؤ.

من أهل و ولد و متاع و أثر، بعد أن رضتم جموح [589] الأيام، و توقّلتم قلل [590] العزّ، و قدتم الدنيا بحذافيرها، [591] و أخذتم بآفاق السماء على أهلها؛ و هنيئا فقد نالت نفسكم التّواقة أبعد أمانيها، ثم تاقت إلى ما عند اللّه؛ و أشهد لما

لما أغفلت شكرك فاصطنعني* * * فكيف و من عطائك جلّ مالي

[592] ألهمتم للإعراض عن الدنيا و نزع اليد من حطامها عند الإصحاب [593] و الإقبال، و نهى [594] الآمال، إلا جذبا و عناية من اللّه، و حبّا؛ و إذا أراد اللّه أمرا يسّر أسبابه.

و اتّصل بي ما كان من تحفّي [595] المثابة [596] المولوية بكم، و اهتزاز الدولة لقدومكم؛ و مثل تلك الخلافة، أيّدها اللّه، من يثابر على المفاخر، و يستأثر بالأخاير.

و ليت ذلك عند إقبالكم على الحظ، و أنسكم باجتلاب الآمال، حتى يحسن المتاع بكم، و يتجمّل السرير الملوكي بمكانكم، فالظن إن هذا الباعث الذي هزم الآمال، و نبذ الحظوظ، و هوّن المفارق العزيز، يسومكم الفرار إلى اللّه، حتى يأخذ بيدكم إلي

---

(589) راض الدابة: ذللها. و فرس جموح: عادته أن يركب رأسه فلا يثنيه راكبه. يريد ذللتم الأيام التي لا تسير وفق رغبات الناس، و جعلتموها تسير حسب رغبتكم.

(590) توقل في الجبل: صعد فيه؛ و قلة كل شيء: أعلاه.

(591) بحذافيرها: بأسرها.

(592) أدخل ابن خلدون لام الابتداء على «ما» النافية؛ و هو استعمال شاذ. و قد ورد هذا الاستعمال في قول الشاعر.

لما أغفلت شكرك فاصطنعني* * * فكيف و من عطائك جلّ مالي

و فتوى النحاة في ذلك: أن «ما» النافية، أشبهت «ما» التي بمعنى الذي، فجاز أن تدخل عليها لام الابتداء. و انظر شرح الرضى على الكافية 2/ 356، و الخزانة 4/ 331.

(593) الإصحاب: الانقياد من بعد صعوبة. يعني: أعرضت عن الدنيا عند انقيادها لك و إقبالها عليك.

(594) جمع نهية؛ و هي غاية الشيء.

(595) التحفى، و الاحتفاء: المبالغة في الإكرام.

(596) المثابة: الموضع يثاب، أي يرجع إليه مرة بعد بعد أخرى. و في القرآن: [و إذ جعلنا البيت مثابة للناس].

فضاء المجاهدة، [597] و يستوي بكم على جودي [598] الرياضة. [599] و الله يهدي للتي هي أقوم. و كأنّي بالأقدام [600] نقلت، و البصائر [601] بإلهام الحق صقلت، و المقامات [602] خلفت بعد أن استقبلت، [603] و العرفان شيمت أنواره و بوارقه، و الوصول انكشفت حقائقه لمّا ارتفعت عوائقه. و أما حالي، و الظنّ بكم الاهتمام بها، و البحث عنها، فغير خفية بالباب المولوي- أعلاه الله- و مظهرها في طاعته، و مصدرها عن أمره، و تصاريفها في خدمته، و الزعم أنّي قمت القام المحمود في التشيع، و الانحياش، [604] و استمالة الكافّة، إلى المناصحة، و مخالطة القلوب للولاية، و ما يتشوّفه مجدكم و يتطلّع إليه فضلكم و اهتمامكم، من خاصّيّها في

---

(597) الفضاء: المستوى من الأرض المتسع. و المجاهدة: أن تحمل النفس على المشاق البدنية، و مخالفة الهوى. و انظر رسالة القشيرى ص 56 و تعريفات ابن العربي ص 5.

(598) الجودى: جبل مطل على جزيرة ابن عمر؛ و في قول ابن خلدون هذا: إشارة إلى ما يقال عند قول الله تعالى: [و استوت على الجودي] من رسو سفينة نوح (عليه السلام) على جبل الجودي عند الطوفان. و انظر معجم البلدان 3/ 162، الدر المنثور للسيوطي 3/ 335، تفسير الألوسي 3/ 570.

(599) الرياضة: تهذيب الأخلاق النفسية.

(600) جمع قدم، و هي السابقة التي تثبت للعبد في علم الحق. و يكنى عنها بالقدم، لأن القدم آخر شيء في الصورة، و هذه السابقة آخر ما يقرب به العبد من الحق. و انظر القاشاني: «اصطلاحات الصوفية» 77- 1 نسخة الأزهر، تعريفات الجرجاني ص 115.

(601) جمع بصيرة؛ و هي قوة للقلب المنوّر بنور القدس، يرى بها حقائق الأشياء و بواطنها؛ و هي للقلب بمنزلة البصر للنفس. انظر تعريفات الجرجاني ص 31 و القاشاني 47 ظ (نسخة الأزهر).

(602) جمع مقام؛ و هو الموضع يقيم فيه السالك مشتغلا بالرياضة استعدادا لتخطيه بعد استيفاء رسومه.

و انظر رسالة القشيري ص 37.

(603) يريد: استقبلتها، فأديت واجباتها، و تجاوزتها فصارت خلفك؛ ذلك لأن عزمك

الصادق، سوف ينقلك من مقام إلى مقام أعلى منه، و يصل بك إلى الله في الزمن القصير.

(604) الانحياز: التصرف في الأمور.

النفس و الولد، فجهينة خبره [605] مؤدّي كتابي إليكم، ناشئ تأديبي، و ثمرة تربيتي، فسهّلوا له الإذن، و ألينوا له جانب النجوى، [606] حتى يؤدي ما عندي و ما عندكم، و خذوه بأعقاب الأحاديث أن يقف عند مبادئها، و ائتمنوه على ما تحدّثون، فليس بظنين [607] على السر.

و تشوّفي لما يرجع به إليكم سيدي و صديقي و صديقكم المغرب في المجد و الفضل، المساهم في الشدائد، كبير المغرب، و ظهير الدولة، أبو يحيى بن أبي مدين [608]- كان الله له- في شأن الولد و المخلف، تشوّف الصّديق لكم، الضّنين [609] على الأيام بقلامة الظّفر من ذات يدكم، فأطلعوني طلع ذلك [610] و لا يهمّكم؛ فالفراق الواقع حسن، و السّلطان كبير، و الأثر جميل، و العدوّ الساعي قليل و حقير، و النّية صالحة، و العمل خالص، و من كان لله كان الله له.

و استطلاع الرياسة المزنية الكافلة- كافأ الله يدها البيضاء- عني و عنكم إلى مثله من أحوالكم استطلاع من يسترجح وزانكم، و يشكر الزمان على ولاده [611] لمثلكم.

و قد قررت لعلومه من مناقبكم، و بعد شأوكم، و غريب منحاكم، ما شهدت به آثاركم الشائعة، الخالدة في الرسائل المتأدّية، و على ألسنة الصادر و الوارد من الكافّة،

---

(605) يشير إلى المثل: «عند جهينة الخبر اليقين». و في مجمع الأمثال 1/ 304، و تاج العروس «جفن»، «جهن» شرح واف لمعنى هذا المثل.

(606) النجوى: ما ينفرد به الجماعة، و الاثنان (من ديث) سرّا كان أو ظاهرا.

(607) رجل ظنين: متهم. و هو ينظر إلى قول الله تعالى: [و ما هو على الغيب بظنين] (آية 24 من سورة التكوير)، في قراءة أبي عمرو بن العلاء، و الكسائي، و ابن كثير. و انظر شرح الشاطبية لابن القاصح ص 295.

(608) هو أبو يحيى بن أبي مدين، كان السّلطان عبد العزيز المريني. سفر عنه لإحضار أولاد ابن الخطيب من الأندلس إلى المغرب. و انظر العبر 7/ 335.

(609) الضنين: البخيل.

(610) يقال: أطلعته طلعي؛ أي أبثثته سري.

(611) الولاد، بالكسر: الولادة.

من حمل الدولة، و استقامة السياسة، و وقفته على سلامكم، و هو يراجعكم بالتحية، و يساهمكم بالدعاء.

و سلامي على سيدي، و فلذة كبدي [612] و محل ولدي، الفقيه الزكي الصدر أبي الحسن نجلكم، أعزّه الله، و قد وقع مني موقع البشرى حلوله من الدولة بالمكان العزيز، و الرّتبة النابهة، و الله يلحفكم جميعا رداء العافية و الستر و يمهّد لكم محلّ الغبطة و الأمن، و يحفظ عليكم ما أسبغ من نعمته، و يجريكم على عوائد لطفه و عنايته، و السلام الكريم يخصّكم من المحبّ الشاكر الدّاعي الشائق شيعة فضلكم:

عبد الرحمن بن خلدون، و رحمة الله و بركاته في يوم الفطر عام اثنين و سبعين و سبع مائة.

و كان بعث إليّ مع كتابه نسخة كتابه إلى سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس، عند ما دخل جبل الفتح، و صار إلى إيالة [613] بني مرين، فخاطبه من هنالك بهذا الكتاب، فرأيت أن أثبته هنا و إن لم يكن من غرض التأليف لغربته، و نهايته في الجودة، و إن مثله لا يهمل من مثل هذا الكتاب، مع ما فيه من زيادة الاطلاع على أخبار الدول في تفاصيل أحوالها. و نص الكتاب:

بانوا فمن كان باكيا يبكي* * * هذي ركاب [614] السّرى بلا شكّ

فمن ظهور الرّكاب [615] معملة* * * إلى بطون الرّبى [616]

إلى الفلك

---

(612) قطعة كبدي.

(613) الإيالة، بكسر الهمزة: الولاية؛ يقال: آل على القوم أولا، و إيالا، و إيالة بمعنى ولي عليهم. و انظر تفصيل خبر انتقاله إلى المغرب في العبر 7/ 335.

(614) الركاب، بكسر الراء: جمع راكب؛ و السرى، كهدى: سير عامة الليل.

(615) الركاب، ككتاب: الإبل التي تحمل القوم، واحدتها راحلة، و لا واحد لها من لفظها.

(616) جمع ربوة؛ و هي ما ارتفع من الأرض.

تصدّع الشّمل مثلما انحدرت* * * إلى صبوب [617] جواهر السّلك

من النّوى [618] قبل لم أزل حذرا* * * هذي النّوى جلّ مالك الملك

مولاي. كان الله لكم و تولّى أمركم. أسلم عليكم سلام الوداع، و أدعو الله في تيسير اللقاء و الاجتماع، بعد التفرق و الانصداع، و أقرّر لديكم أن الإنسان أسير الأقدار، مسلوب الاختيار، متقلّب في حكم الخواطر و الأفكار، و أن لا بدّ لكل أول من آخر، و أن التفرق لمّا لزم كلّ اثنين بموت أو في حياة، و لم يكن منه بدّ، كان خير أنواعه الواقعة بين الأحباب، ما وقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشّرور.

و يعلم مولاي حال عبده منذ وصل إليكم من المغرب بولدكم، [619] و مقامه لديكم بحال قلق و قلعة، [620] لو لا تعليلكم، و وعدكم، و ارتقاب اللطائف في تقليب قلبكم، و قطع مراحل الأيام حريصا على استكمال سنّكم، و نهوض ولدكم و اضطلاعهم بأمركم، و تمكّن هدنة وطنكم، و ما تحمّل في ذلك من ترك غرضه لغرضكم، و ما استقرّ بيده من عهودكم، و أن العبد الآن لما تسبّب لكم في الهدنة من بعد الظهور و العز، و نجح السّعي، و تأتّى لسنين كثيرة الصّلح، و من بعد أن لم يبق لكم بالأندلس مشغب من القرابة، و تحرك لمطالعة الثغور الغربية، و قرب من فرضة

---

(617) الصبوب، بالضم: الموضع المنحدر، كالصبب؛ و به فسر وصف النبي (صلى الله عليه و سلم): «كأنما ينحط من صبب».

(618) النوى، مؤنثة: الوجه الذي ينتويه المسافر من قرب أو بعد ..

(619) حين خلع ابن الأحمر، انتقل بأهله و ولده إلى السّلطان أبي سالم المريني بالمغرب، يستغيث به لإرجاع ملكه، و كان بصحبته ابن الخطيب؛ و قد أكرم نزلهم الملك المريني. و حين عاد لابن الأحمر ملكه، ذهب إلى الأندلس، و ترك أهله و ولده في ضيافة بني مرين، و بعد استقراره بدار ملكه، لحق به ابن الخطيب و معه ولده. إلى هذا يشير في هذه الرسالة. و انظر العبر 7/ 306، 334.

(620) يقال: مكان قلعة (كهمزة): ليس بمستوطن، و هو على قلعة: أي رحلة.

المجاز، [621] و اتصال الأرض ببلاد المشرق، طرقته الأفكار، و زعزعت صبره رياح الخواطر، و تذكّر إشراف العمر على التّمام، و عواقب الاستغراق، و سيرة الفضلاء عند شمول البياض، فغلبته حال شديدة هزمت التّعشق [622] بالشمل الجميع، و الوطن المليح، و الجاه الكبير، و السّلطان القليل النظير، و عمل بمقتضى قوله: «موتوا قبل أن تموتوا». [623] فإن صحّت هذه الحال المرجوّ من إمداد الله، تنقّلت الأقدام إلى أمام، و قوي التّعلق بعروة الله الوثقى، و إن وقع العجز، و افتضح العزم، فالله يعاملنا بلطفه.

و هذا المرتكب مرام صعب، لكن سهّله عليّ أمور: منها أن الانصراف لما لم يكن منه بدّ، لم يتعين على غير هذه الصورة، إذ كان عندكم من باب المحال. و منها أن مولاي لو سمح لي في غرض الانصراف، لم تكن لي قدرة على موقف وداعه، لا و الله! و لكان الموت أسبق إلي، و كفى بهذه الوسيلة الحبّية- التي يعرفها- وسيلة.

و منها حرصي على أن يظهر صدق دعواي فيما كنت أهتف به، و أظنّ أنّي لا أصدق. و منها اغتنام المفارقة في زمن الأمان، و الهدنة الطويلة، و الاستغناء، إذ كان الانصراف المفروض ضروريا قبيحا في غير هذه الحال. و منها- و هو أقوى الأعذار- أنني مهما لم أطق تمام هذا الأمر، أو ضاق ذرعي به، لعجز، أو مرض، أو خوف طريق، أو نفاد زاد، أو شوق غالب، رجعت رجوع الأب الشفيق، إلى الولد البرّ الرّضي، إذ لم أخلّف ورائي مانعا من الرجوع، من قول قبيح أو فعل، بل خلّفت الوسائل المرعية، و الآثار الخالدة، و السّير الجميلة، و انصرفت بقصد شريف فقت به أشياخي، و كبار وطني، و أهل طوري، و تركتكم على أتمّ ما أرضاه، مثنيا عليكم،

---

(621) يريد: الميناء الذي يجاز منه إلى المغرب من الأندلس؛ و هو جبل طارق.

(622) التعشق: اللزوم للشيء من غير مفارقة.

(623) في «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص 206، و «التخريجات المختصرة» لأبي الحسن بن ناصر الدين (نسخة نور عثمانية رقم 717) ورقة 86 ظ، و «موضوعات» على القاري ص 87- كلهم نقلا عن ابن حجر العسقلاني: «أنه حديث غير ثابت»؛ و أضاف على القاري قوله: «قلت: هو من كلام الصوفية، و المعنى: موتوا اختيارا قبل أن تموتوا اضطرارا؛ و المقصود بالموت الاختياري: ترك الشهوات، و ما يترتّب عليها من الزلات و الغفلات».

داعيا لكم. و إن فسح الله في الأمد، و قضى الحاجة، فأملى العودة إلى ولدي و تربتي، و إن قطع الأجل، فأرجو أن أكون ممّن وقع أجره على الله. (624)

فإن كان تصرفي صوابا، و جاريا على السداد، فلا يلام من أصاب، و إن كان عن حمق، و فساد عقل، فلا يلام من اختلّ عقله، و فسد مزاجه، بل يعذر، و يشفق عليه، و يرحم، و إن لم يعط مولاي أمري حقّه من العدل، و جلبت الذّنوب، و حشرت بعدي العيوب، فحياؤه و تناصفه ينكر ذلك، و يستحضر الحسنات، من التربّية و التعليم و خدمة السلف و تخليد الآثار و تسمية الولد و تلقيب السّلطان، و الإرشاد للأعمال الصّالحة و المداخة و الملابسة، لم يتخلّل ذلك قطّ خيانة في مال و لا سرّ، و لا غشّ في تدبير. و لا تعلّق به عار، و لا كدّره نقص، و لا حمل عليه خوف منكم، و لا طمع فيما بيدكم، فإن لم تكن هذه دواعي الرّعي و الوصلة و الإبقاء، ففيم تكون بين بني آدم.

و أنا قد رحلت. فلا أوصيكم بمال، فهو عندي أهون متروك، و لا بولد فهم رجالكم، و خدّامكم، و ممّن يحرص مثلكم على الاستكثار منهم، و لا بعيال، فهي من مربيات بيتكم، و خواصّ داركم؛ إنّما أوصيكم بحظّي العزيز- كان- عليّ بوطنكم، و هو أنتم، فأنا أوصيكم بكم، فارعوني فيكم خاصّة، أوصيكم بتقوى الله، و العمل لغد، و قبض عنان اللهو في موطن الجدّ، و الحياء من الله الذي محّص و أقال، و أعاد النعمة بعد زوالها (625) «لينظر كيف تعملون». (626) و أطلب منكم عوض ما وفّرته عليكم، من زاد طريق، و مكافأة، و إعانة، زادا سهلا عليكم، و هو أن تقولوا لي: غفر الله لك ما ضيّعت من حقّي خطأ أو عمدا؛ و إذا فعلتم ذلك فقد رضيت.

و اعلموا أيضا على جهة النصيحة أن ابن الخطيب مشهور في كل قطر، و عند كل

---

(624) يشير إلى قول الله تعالى: وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ آية 100 من سورة النساء.

(625) يشير إلى حادثة خلع ابن الأحمر عن ملكه، و التجائه إلى بني مرين بالمغرب لإعادة ملكه إليه.

و الحديث في ذلك مفصّل في العبر 7/ 306- 309، 333/ 334.

(626) اقتباس من الآية 129 من سورة الأعراف.

ملك، و اعتقاده، و برّه، و السؤال عنه، و ذكره بالجميل، و الإذن في زيارته، نجابة منكم، وسعة ذرع [627] و دهاء، فإنّما كان ابن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت، ثم أقشعت، [628] و تركت الأزاهر تفوح، و المحاسن تلوح، و مثاله معكم مثال المرضعة أرضعت السياسة، و التّدبير الميمون، ثم رقدتكم في مهد الصّلح و الأمان، و غطّتكم بقناع العافية، و انصرفت إلى الحمّام تغسل اللبن و الوضر، و تعود، فإن وجدت الرّضيع نائما فحسن، أو قد انتبه فلم تتركه إلا في حدّ الفطام. و نختم لكم هذه الغزارة [629] بالحلف الأكيد: إني ما تركت لكم وجه نصيحة في دين، و لا في دنيا، إلا وقد وفّيتها لكم، و لا فارقتكم إلا عن عجز، و من ظنّ خلاف هذا فقد ظلمني و ظلمكم، و اللّه يرشدكم و يتولّى أمركم. و نقول: خاطركم في ركوب البحر.

انتهت نسخة الكتاب، و في طيّها هذه الأبيات:

صاب [630] مزن [631] الدموع من جفن صبّك

[632]* * * عند ما استروح [633] الصبا من مهبّك

كيف يسلو يا جنّتي عنك قلب* * * كان قبل الوجود جنّ بحبّك

ثم قل كيف كان بعد انتشاء ال* * * روح [634] من أنسك الشّهيّ و قربك

---

(627) يقال: رجل واسع الذّرع، و الذراع: أي متسع الخلق.

(628) أقشع السحاب: تفرق و أقلع.

(629) الغزارة: الكثرة من كل شيء؛ و يريد هنا: الكثرة من الكلام ليس تحتها طائل. و «العرارة»، بالعين المهملة: سواء الخلق.

(630) صاب المطر، يصوب: نزل.

(631) المزن: السحاب.

(632) الصب: العاشق.

(633) استروح: اشتم.

(634) انتشاء الروح: سكر الروح، من انتشى بمعنى سكر.

لم يدع بيتك المنيع حماه* * * لسواه إلا إلى بيت ربك

أول عذري الرّضا فما جئت بدعا* * * دمت و الفضل و الرّضا من دأبك

و إذا ما ادّعيت كربا لفقدي* * * أين كربي و وحشتي من كربك

ولدي في ذراك [635] و كري [636] في دو* * * حك

[637] لحدي و تربتي في تربك

يا زمانا أغرى الفراق بشملي* * * ليتني أهبتي أخذت [638] لحربك

أركبتني صروفك الصّعب [639] حتى* * * جئت بالبين و هو أصعب صعبك

و كتب آخر النّسخة يخاطبني:

هذا ما تيسّر، و اللّه وليّ الخيرة لي و لكم من هذا الخباط [640] الذي لا نسبة بينه و بين أولي الكمال. ردّنا اللّه إليه، و أخلص توكّلنا عليه، و صرف الرّغبة إلى ما لديه.

و في طيّ النسخة مدرجة نصّها:

رضي اللّه عن سيادتكم. أونسكم بما صدر منّي أثناء هذا الواقع مما استحضره الولد في الوقت، و هو يسلّم عليكم بما يجب لكم، و قد حصل من حظوة هذا المقام الكريم

---

(635) في ذراك: في كنفك.

(636) و كر الطائر: عشه.

(637) جمع دوحة؛ و هي الشجرة العظيمة.

(638) أخذ أهبته: أعد عدته.

(639) ركب الصعب و الذلول: الأمر الشديد و السهل.
(640) الخباط، كغراب: داء مثل الجنون.

على حظّ وافر، و أجزل إحسانه، و نوّه بجرايته، و أثبت الفرسان خلفه. و الحمد لله انتهى.

ثم اتّصل مقامي ببسكرة، و المغرب الأوسط مضطرب بالفتنة المانعة من الاتّصال بالسّلطان عبد العزيز، و حمزة بن علي بن راشد ببلاد مغراوة، و الوزير عمر بن مسعود في العساكر يحاصره بحصن تاجحمومت، و أبو زيّان العبد الوادي ببلاد حصين، و هم مشتملون عليه و قائمون بدعوته.

ثم سخط السّلطان وزيره عمر بن مسعود، و نكر منه تقصيره في أمر حمزة و أصحابه، فاستدعاه إلى تلمسان، و قبض عليه، و بعث به إلى فاس معتقلا، فحبس هناك، و جهّز العساكر مع الوزير أبي بكر بن غازي، فنهض إليه، و حاصره ففرّ من الحصن، و لحق بمليانة مجتازا عليها، فأنذر به عاملها فتقبّض عليه، و سيق إلى الوزير في جماعة من أصحابه، فضرب أعناقهم، و صلبهم عظة و مزدجرا لأهل الفتنة.

ثم أوعز السّلطان إلى الوزير بالمسير إلى حصين، و أبي زيّان، فسار في العسكر، و استنفر أحياء العرب من زغبة فأوعبهم، و نهض إلى حصين، فامتنعوا بجبل تيطري، و نزل الوزير بعساكره و من معه من أحياء زغبة على الجبل تيطري من جهة التل، فأخذ بمخنّقهم، و كاتب السّلطان أشياخ الدّواودة من رياح بالمسير إلى حصار تيطري من جهة القبلة. و كاتب أحمد بن مزنى صاحب بسكرة بإمدادهم بأعطياتهم و كتب إليّ يأمرني بالمسير بهم لذلك، فاجتمعوا عليّ، و سرت بهم أول سنة أربع و سبعين، حتى نزلنا بالقطفة، (641) و وفدت، في جماعة منهم، على الوزير بمكانه من حصار تيطري، فحدّ لهم حدود الخدمة، و شارطهم على الجزاء. و رجعنا إلى أحيائهم بالقطفة، فاشتدّوا في حصار الجبل، و ألجؤوهم بسوامهم (642) و ظهرهم (643) إلى قنّته،

---

(641) تقع القطفة شرقي مدينة مليانة؛ و في بغية الرواد 2/ 81: «... نزلوا القطفة من بلاد حصين، فرحل مشرقا إليهم، و نزل مليانة».

(642) السوام، و السائمة: الإبل الراعية، و المال الرّاعي.

(643) الظهر: الركاب التي تحمل الإنسان في السفر.

فهلك لهم الخفّ و الحافر، [644] و ضاق ذرعهم [645] بالحصار من كلّ جانب، و راسل بعضهم في الطاعة خفية، فارتاب بعضهم من بعض، فانفضّوا ليلا من الجبل، و أبو زيّان معهم، ذاهبين إلى الصحراء؛ و استولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلّفهم.

و لما بلغوا مأمنهم من القفر، نبذوا إلى أبي زيّان عهده. [646] فلحق بجبال غمّرة، و وفد أعيانهم على السّلطان عبد العزيز بتلمسان، و فاءوا إلى طاعته، فتقبّل فيئتهم، و أعادهم إلى أوطانهم. و تقدّم إليّ الوزير- عن أمر السّلطان- بالمسير مع أولاد يحيى بن علي بن سباع، للقبض على أبي زيّان في جبل غمّرة، وفاء بحقّ الطاعة، لأن غمّرة من رعاياهم، فمضينا لذلك، نجده عندهم، و أخبرونا أنّه ارتحل عنهم إلى بلد واركلا [647] من مدن الصحراء، فنزل على صاحبها أبي بكر بن سليمان، فانصرفنا من هنالك. و مضى أولاد يحيى بن علي إلى أحيائهم، و رجعت أنا إلى أهلي ببسكرة، و خاطبت السّلطان بما وقع في ذلك، و أقمت منتظرا أوامره حتى جاءني استدعاؤه إلى حضرته، فارتحلت إليه.

فصل

و كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات اللّه في النظم و النثر، و المعارف و الأدب، لا ساجل مداه، [648] و لا يهتدى فيها بمثل هداه.

---

(644) الخف للبعير و الناقة، بمنزلة الحافر للفرس. و في الحديث: «لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر»؛ فالخف الإبل. و الحافر الفرس، و النصل السهم يرمي به. و يكون الحافر للخيل و البغال و الحمير.

(645) ضاق به ذرعا: مثل يضرب للذي سقطت قوته دون بلوغ الأمر، و الاقتدار عليه.

(646) نبذ العهد: نقضه، و ألقاه إلى من كان بينه و بينه.

(647) واركلا(Wargla) عرضها الشمالي 32، و طولها الشرقي 25- 5): مدينة بصحراء الجزائر في جنوب مدينةTuggurt ، و يصل بينهما طريق تسلكه القوافل. و تقع في واحة بها ماء و كلأ و نخيل؛ و بها تسمى الناحية كلها. و يقال لها:

«واركلان»، و «وارجلن». انظر ياقوت 8/ 414، الإدريسي ص 120 بغية الرواد 2/ 23، 23.

(648) المدى: الغاية.

فممّا كتب عن سلطانه إلى سلطان تونس جوابا عن كتاب وصل إليه مصحوبا بهدية من الخيل و الرّقيق، فراجعهم عنه بما نصّه إلى آخره:

الخلافة التي ارتفع في عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف، و استقلّت مباني فخرها الشائع، و عزّها الذائع، على ما أسّسه الأسلاف و وجب لحقّها الجازم، و فرضها اللازم، الاعتراف، و وسعت الآملين لها الجوانب الرحيبة و الأكناف، فامتزاجنا بعلائها (649) المنيف، و ولائها الشريف، كما امتزج الماء و السّلاف، و ثناؤنا على مجدها الكريم و فضلها العميم، كما تأرجت الرياض الأفواف، (650) لما زارها الغمام الوكّاف، (651) و دعاؤنا بطول بقائها، و اتصال علائها، يسمو به إلى قرع أبواب السموات العلا الاستشراف، (652) و حرصنا على توفية حقوقها العظيمة، و فواضلها (653) العميمة، لا تحصره الحدود، و لا تدركه الأوصاف، و إن عذر في التّقصير عن نيل ذلك المرام الكبير الحقّ و الإنصاف. خلافة وجهة تعظيمنا إذ توجّهت الوجوه، و من نؤثره إذا أهمّنا ما نرجوه، و نفدّيه و نبدّيه (654) إذ استمنح

---

(649) العلاء: الشرف.

(650) كذا بالأصول؛ و لعل أصل الكلام: «الرياض بالأفواف»؛ و الفوف، بالضم: الزهر، و الجمع أفواف.

(651) و كف الماء: سال.

(652) الاستشراف: التطلع إلى الشيء.

(653) الفواضل: الأيادي الجميلة.

(654) فداه: قال له جعلت فداك؛ و نبديه: نبرزه. و لعل المعنى: نضعه في مكان بارز ممتاز.

المحبوب و استدفع المكروه، السّلطان الكذا بن أبي اسحق ابن السّلطان الكذا، [655] أبي يحيى بن أبي بكر ابن السّلطان الكذا، أبي زكرياء ابن السّلطان الكذا، أبي إسحاق ابن الأمير الكذا، أبي زكرياء ابن الشيخ الكذا، أبي محمد بن عبد الواحد ابن أبي حفص، أبقاه الله و مقامه مقام إبراهيم رزقا و أمانا. لا يخض جلب الثمرات إله وقتا و لا يعين زمانا، و كان على من يتخطف الناس من حوله [656] مؤيّدا بالله معانا.

معظّم قدره العالي على الأقدار، و مقابل داعي حقّه بالابتدار، المثني على معاليه المخلّدة الآثار، في أصونة [657] النّظام و النّثار، [658] ثناء الروضة المعطار، على الأمطار،

---

(655) أدخل ابن الخطيب «أل» على «كذا» الموضوعة للكناية عما لم يرد المتكلم ذكره. و قد شاع في رسائله هذا الاستعمال؛ فقد ورد في الاستقصا 2/ 96، نفح الطيب- أزهرية 4/ 137. و المكنّى عنه في هذه الرسالة هي الأوصاف التي حلّى بها سلطان تونس، و نصّها حسبما وردت في ريحانة الكتاب لابن الخطيب ورقة 25 أو صبح الأعشى 6/ 536: «الخليفة، الجليل، الكبير، الشهير، الإمام، الهمام، الأعلى، الأوحد، الأصعد، الأسمى، الأعدل، الأفضل، الأسنى، الأطهر، الأظهر، الأرضى، الأحفل، الأكمل، أمير المؤمنين أبي إسحاق بن الخليفة الإمام، البطل الهمام، عين الأعيان، و واحد الزمان، الكبير الشهير، الطاهر الظاهر، الأوحد، الأعلى، الحسيب، الأصيل، الأسمى، العادل، الحافل، الفاضل، المعظّم، الموقر، الماجد، الكامل، الأرضى، المقدس، أمير المؤمنين أبي يحيى، أبي بكر بن السّلطان الكبير، الجليل، الرفيع، الماجد، الظاهر، الطاهر، المعظم، الموقر، الأسمى، المقدس، المرحوم أبي زكريا بن الخليفة الإمام المجاهد الهمام، (الشهير، الخطير، بطل الميدان، مفخر الزمان، الطاهر الظاهر، الأمضى، المقدس، الأرضى، أمير المؤمنين أبي إسحاق بن الخليفة) الهمام، الإمام، ذي الشهرة الجامحة، و المفاخر الواضحة، علم الأعلام، فخر السيوف و الأقلام، المعظم، الممجّد، المقدس الأرضى، أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي عبد الله بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبيحفص الخ».
و قد وضع بين قوسين ما أضيف من الريحانة إلى النص المروي في صبح الأعشى.
(656) إشارته إلى الآيات 35- 37 من سورة إبراهيم واضحة.
(657) جمع صوان؛ و هو ما صنت به الشيء.

(658) النثار: النثر.

الداعي إلى الله بطول بقائه في عصمة منسدلة الأستار، و عزّة ثابتة المركز مستقيمة المدار، و أن يختم له بعد بلوغ غايات الحال، و نهاية الأعمال، بالزّلفى و عقبى الدار.

(عبد الله الغنيّ بالله أمير المسلمين، محمد بن مولانا أمير المسلمين، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر). (659)

سلام كريم كما حملت أحاديث الأزهار نسمات الأسحار، و روت ثغور الأقاحي و البهار، عن مسلسلات الأنهار، و تجلّى على منصّة الاشتهار، وجه عروس النهار، يخصّ خلافتكم الكريمة النّجار، العزيزة الجار، و رحمة الله و بركاته.

أما بعد حمد الله الذي أخفى حكمته البالغة عن أذهان البشر، فعجزت عن قياسها، و جعل الأرواح «أجنادا مجنّدة»- كما ورد في الخبر (660)- تحن إلى أجناسها، منجد هذه الملّة من أوليائه الجلّة بمن يروض الآمال بعد شماسها، (661) و ييسّر الأغراض قبل التماسها، و يعنى بتجديد المودّات في ذاته و ابتغاء مرضاته على حين أخلاق لباسها، الملك الحقّ، واصل الأسباب (بحوله) بعد انتكاث أمراسها، (662) و مغني النفوس بطوله، بعد إفلاسها حمدا يدرّ أخلاف (663) النّعم بعد إبساسها، (664) و ينشر رمم الآمال من أرماسها، (665) و يقدّس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاسها. (666)

---

(659) الزيادة عن نثير الجمان؛ و هي ضرورية.

(660) يشير إلى الحديث: «الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف» الذي أخرجه مسلم في «الأدب» من صحيحه. و انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص 23/ 24.

(661) شمست الدابة شماسا: شردت و جمحت.

(662) جمع مرس؛ و هو الحبل. و انتكث الحبل: انتقض بعد أن كان مبرما.

(663) الأخلاف، جمع خلف (بالكسر)؛ و هو الضرع.

(664) أبس بالناقة: دعا ولدها لتدر على حالبها.

(665) جمع رمس؛ و هو القبر.

(666) الإبلاس: القنوط، و قطع الرجاء.

و الصلاة و السلام على سيّدنا و مولانا محمّد رسوله سراج الهداية و نبراسها [667] عند اقتناء الأنوار و اقتباسها، مطهّر الأرض من أوضارها و أدناسها، و مصطفى اللّه من بين ناسها، و سيّد الرّسل الكرام ما بين شيثها و إلياسها، الآتي مهيمنا على آثارها، في حين فترتها [668] و من بعد نصرتها و استيئاسها، [669] مرغم الضّراغم في أخياسها، [670] بعد افترارها و افتراسها، [671] و معفر أجرام الأصنام و مصمت أجراسها.

و الرضا عن آله و أصحابه و عترته و أحزابه، حماة شرعته البيضاء و حرّاسها، و ملقحي غراسها، ليوث الوغى عند احتدام [672] مراسها، [673] و رهبان الدّجى تتكفّل مناجاة السّميع العليم، في وحشة الليل البهيم بإيناسها، و تفاوح نسيم الأسحار، عند الاستغفار، بطيب أنفاسها.

و الدّعاء لخلافتكم العلية المستنصرية بالصّنائع التي تشعشع أيدي العزّة القعساء [674] من أكواسها، و لا زالت العصمة الإلهية كفيلة باحترامها و احتراسها، و أنباء الفتوح، المؤيّدة بالملائكة و الرّوح، ريحان جلاسها و آيات المفاخر التي ترك الأول للآخر، مكتتبة الأسطار بأطراسها، و ميادين الوجود مجالا لجياد جودها و باسها، و العزّ و العدل منسوبين لفسطاطها [675] و قسطاسها، و صفيحة [676] النصر العزيز تقبض

---

(667) النبراس (بالكسر): المصباح.

(668) الفترة: ما بين كل نبيين، أو رسولين من زمان انقطعت فيه الرسالة.

(669) استيأس: يئس؛ و ابن الخطيب ينظر إلى الآية: حَتّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا ....

(670) جمع خيس؛ و هو موضع الأسد.

(671) افتر الأسد: أبدى أسنانه؛ يريد بعد أن كانت تفتر عن أسنانها و تفترس.

(672) الاحتدام: شدة الحر، و احتدمت النار: التهبت.

(673) المراس: المضاربة.

(674) عزة قعساء: ثابتة.

(675) الفسطاط: المدينة، و مجتمع أهل المصر حول جامعهم.

(676) الصفيحة: السيف العريض.

كفّها، المؤيّدة بالله، على رياسها، (677) عند اهتياج أضدادها، و شره (678) أنكاسها، (679) لانتهاب البلاد و انتهاسها (680) و هبوب رياح رياحها و تمرد مرداسها. (681)

فإنا كتبناه إليكم- كتب الله لكم من كتائب نصره أمدادا تذعن أعناق الأنام، لطاعة ملككم المنصور الأعلام، عند إحساسها، (682) و آتاكم من آيات العنايات، آية تضرب الصخرة الصمّاء، ممّن عصاها بعصاها، فتبادر بانبجاسها، (683)- من حمراء غرناطة، حرسها الله، و أيام الإسلام، بعناية الملك العلام، تحتفل وفود الملائكة الكرام، لولائمها و أعراسها، و طواعين الطّعان، في عدوّ الدين المعان، تجدّد عهدها

---

(677) رئاس السيف، و رياسه: مقبضه، و قائمه.

(678) الشره: شدة الحرص، و أسوؤه.

(679) الأنكاس: جمع نكس؛ و هو الرجل الضعيف.

(680) انتهس اللحم: أخذه بمقدم أسنانه. و المراد الاستيلاء على الأراضي و انتقاصها من الأطراف، فعل من يتنقص قطعة اللحم بالأكل.

(681) رياح من أكثر القبائل الهلالية جمعا، و أوفرهم عددا. و أبوهم: رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر. و الرياسة على رياح في عهد ابن خلدون لأبناء داود بن مرداس بن رياح؛ و إلى داود هذا تنتسب «الدّواودة».

و قد أفاض الحديث عن هذه القبائل، و عما كان لها من آثار في المغرب، و عن منازلها و رؤسائها- ابن خلدون في العبر 6/ 31- 37.

(682) الإحساس: الرؤية و العلم.

(683) انبجس الماء: تفجر؛ و في الكلام معنى الآية:

... وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ، فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً الخ. 160 من سورة الأعراف.

بعام عمواسها. [684]

و الحمد للّه حمدا معادا يقيّد شوارد النّعم، و يستدرّ مواهب الجود و الكرم و يؤمّن من انتكاث الجدود [685] و انتكاسها، [686] وليّ الآمال و مكاسها، [687] و خلافتكم هي المثابة التي يزهى الوجود بمحاسن مجدها، زهو الرياض بوردها و آسها، و تستمدّ أضواء الفضائل من مقباسها، [688] و تروي رواة الإفادة، و الإجادة غريب الوجادة، [689] عن ضحّاكها و عبّاسها. [690] و إلى هذا أعلى اللّه معارج قدركم، و قد فعل، و أنطق بحجج فخركم من احتفى و انتعل، فإنّه وصلنا كتابكم الذي حسبناه، على صنائع اللّه لنا، تميمة [691] لا تلقع [692] بعدها عين، و جعلناه- على حلل مواهبه- قلادة لا يحتاج معها زين، و دعوناه من جيب الكنانة [693] آية بيضاء الكتابة، لم يبق معها شكّ و لا

---

(684) عمواس، بفتح العين و الميم، و بسكون الميم مع فتح العين أو كسرها: قرية بفلسطين بين الرملة و بيت المقدس. و فيها وقع الطاعون الذي كان في سنة 18 ه، مات فيه كثير من الناس، و يقال إنه أول طاعون كان في الإسلام. و انظر تاريخ الطبري 4/ 201- 203، معجم البكري 3/ 971، ياقوت 6/ 225، تاج العروس (عمس).

(685) انتكث: انصرف. و الجد: الحظ و البخت، و الجمع: الجدود.

(686) انتكس: انقلب على رأسه، و خاب و خسر.

(687) المكاس: المشاحة، و المشاكسة.

(688) أقبس فلان: أعطى نارا، و المقباس: ما قبست به النار.

(689) الوجادة (بالكسر): أن تجد بخط غيرك شيئا، فتقول عند الرواية: وجدت بخط فلان كذا؛ و حينذاك يقال: «هذه رواية بالوجادة». و للمحدثين في كيفية التحديث عن طريق الوجادة، و درجة الثقة بها، و شروطها؛ تفصيل تجده في (فتح المغيث) للعراقي 3/ 15 و ما بعدها.

(690) المسمون ب «الضحاك»، و «عباس» من المحدثين كثير، و ليس يريد ابن الخطيب أحدا منهم بعينه، و إنما يقصد إلى «الطباق» بين ضحاك، و عباس.

(691) التميمة: عوذة تعلق على الإنسان يتعوذ بها.

(692) لقعة بعينه: أصابه بها، و يقول أبو عبيدة: إن اللقع لم يسمع إلا في الإصابة

بالعين.
(693) الكنانة: جعبة السهام تتخذ من جلود لا خشب فيها.

مين، و قرأنا منه وثيقة ودّ هضم فيها عن غريم الزمان دين، و رأينا منه إنشاء، خدم اليراع بين يديه و شاء، و احتزم بهميان [694] عقدته مشّاء، و سئل عن معانيه الاختراع فقال: «إنا أنشأناهن إنشاء»، فأهلا به من عربي أبي يصف السانح و البانة، [695] و يبين فيحسن الإبانة، أدى الأمانة، و سئل عن حيّه فانتمى إلى كنانة، [696] و أفصح و هو لا ينبس، [697] و تهللت قسماته و ليل حبه يعبس، و كأن خاتمه المقفل على صوانه، [698] المتحف بباكر الورد في غير أوانه، رعف من مسك عنوانه، و لله من قلم دبّج تلك الحلل، و نقع بمجاج [699] الدواة المستمدّة من عين الحياة الغلل، [700] فلقد تخارق في الجود، مقتديا بالخلافة التي خلد فخرها في الوجود، فجاد بسرّ البيان و لبابه، و سمح في سبيل الكرم حتى بماء شبابه، و جمع لفرط بشاشته و فهامته، بعد شهادة السيف بشهامته، فمشى من الترحيب، في الطّرس الرحيب، على أمّ هامته.

و أكرم به من حكيم، أفصح بملغوز [701] الإكسير، [702] في اللفظ اليسير، و شرح

---

(694) الهميان (بالكسر): المنطقة؛ و الكلام على تشبيه القلم المتخذ من القصب، و في وسطه عقدة، بالرجل قد اتخذ منطقة في وسطه.

(695) السانح: ما أتاك من عن يمينك من ظبي أو طير؛ و هو مما يتيمنون به. و البانة واحدة البان؛ و هو شجر يسمو و يطول في استواء مثل نبات الأثل، و يتخذ منه دهن.

(696) كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو القبيلة؛ و هو الجد الرابع للرسول (صلى الله عليه و سلم).

(697) ما نبس بكلمة: أي ما تكلم.

(698) الصوان: ما تصون به الشيء.

(699) مجاج الدواة: ما تمجه.

(700) نقع الماء غلته: أروى عطشه.

(701) كذا في الأصول. و الصواب «ملغز»، لأن فعله رباعي.

(702) الإكسير: الكيمياء، و هي كلمة مولدة. و لأهل الصنعة في الإكسير كلام مغلق طويل فيه العجب. و يطلقون الإكسير أيضا على «الحجر المكرم»؛ و هو المادة

التي تلقى على المواد حال ذوبانها، فتحولها إلى ذهب أو فضة بزعمهم. و انظر تاج العروس (كسر) و شفاء الغليل ص 16.

بلسان الخبير، سرّ صناعة التدبير، [703] كأنما خدم الملكة الساحرة [704] بتلك البلاد، قبل اشتجار الجلاد، [705] فآثرته بالطارف من سحرها و التلاد، أو عثر بالمعلّقة، و تيك القديمة المطلّقة، بدفينة دار، أو كنز تحت جدار، أو ظفر لباني الحنايا، [706] قبل أن تقطع به عن أمانيه المنايا، ببديعة، أو خلف جرجير [707] الروم، قبل منازلة القروم،

---

(703) صناعة التدبير: يعني بها تحويل المعادن إلى الذهب أو الفضة؛ و تلك كانت، و لا تزال، مشكلة المشتغلين بعلم الكيمياء القديم.

(704) يعني بالملكة الساحرة الكاهنة البربرية، من قبيلة جراوة إحدى قبائل زناتة. كانت لها معرفة بالكهانة، و معرفة الغيب، فاستبدت بالرياسة على البربر، و ملكتهم 35 سنة، و كان لها ثلاثة من الأبناء رؤساء في قومهم. و لقد قاومت الفتح الإسلامي في المغرب مدة، و حين انهزمت و أيقنت بانتهاء أمرها، عند ما أصيبت بجروح قاتلة في بعض المعارك، أوصت أولادها بالإسلام فأسلموا، و كان لهم أثر طيب في استقرار الإسلام في المغرب. انظر العبر 7/ 8- 9.

(705) اشتجر القوم: تشابكوا، و تشاجروا بالرماح: تطاعنوا. و الجلاد: الضرب بالسيف.

(706) الحنايا: جمع حنية، و هي القوس. و يريد بها: مجرى الماء الذي اجتلب إلى «قرطاجنة»، و وضع على أعمدة عالية، عقدت بأقواس وصلت بين عدة جبال منحازة بعضها من بعض، ثم أجرى الماء فوق هذه «الحنايا» العالية. و كانت المسافة بين قرطاجنة، و بين منبع الماء ثلاثة أيام؛ و لا تزال بقايا هذه الحنايا موضع العبرة من مشاهديها. انظر ياقوت 7/ 52- 53.

(707)(Gregoire)

هو البطريق الذي كانت له الولاية على المغرب من قبل الإمبراطور البيزنطي. و قد انفصل عن بيزنطة، و استقل بالمغرب عند الفتح الإسلامي؛ و العرب يسمونه جرجير، و ابن الخطيب يشير إلى ما كان من الحوادث بين الجيش الإسلامي، و بين جرجير أيام الفتح. و

انظر:La Grande Encyclopedie Vol.23 p.264

على وديعة، أو أسلمه بن أبي سرح، [708] في نشب للفتح و سرح، [709] أو حتم له روح ابن حاتم [710] ببلوغ المطلب، أو غلب الحظوظ بخدمة آل الأغلب، [711] أو خصّه زيادة الله بمزيد، [712] أو شارك الشّيعة في أمر أبي يزيد، [713] أو سار على منهاج، في

---

(708) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح؛ كان أحد كتاب الوحي للرسول (صلى الله عليه و سلم)، ثم ارتد، و أهدر دمه يوم فتح مكة؛ و كان محمد بن أبي بكر الصديق يقول عنه حين ولى مصر: إنه لم يعد إلى الإسلام بعد ردته. ابن الأثير 3/ 57، 82.
و هو أخو عثمان رضى الله عنه من الرضاعة، ولاه مصر بعد عزل عمرو بن العاص، ثم أمره أن يغزو إفريقية سنة 25 ه، على أن له من الغنيمة خمس الخمس. انظر العبر 2/ 128، 139 (القسم الثاني).
(709) النشب: المال و العقار؛ و السرح: المال يسام في المرعى، يعدى به ويراح. و قد صالح أهل إفريقية عبد الله بن أبي سرح على مليونين و خمسمائة ألف دينار، و بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، و سهم الراجل ألفا، و قد أصبح هذا المبلغ مضرب المثل، و إلى ذلك ينظر ابن الخطيب. انظر العبر 2/ 129 (القسم الثاني).
(710) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن الملّهب بن أبي صفرة؛ كان من الكرماء الأجواد. ولي الكوفة، ثم السند، ثم البصرة أيام المهدي؛ و ولي إفريقية أيام الرشيد، و بها توفي سنة 174. وفيات الأعيان 1/ 235.
(711) هو الأغلب بن سالم، أحد الذين قاموا مع أبي مسلم الخراساني بالدعوة العباسية، و تولى الأغلب أيام المنصور ولاية القيروان؛ و ابنه إبراهيم بن الأغلب، هو رأس دولة الأغالبة بتونس، التي تبتدئ سنة 184 ه، و تنتهي سنة 296 ه.
(712) زيادة الله هو ثاني ملوك بني الأغلب، (201- 223) قلده الخليفة المأمون العباسي.
(713) هو أبو يزيد: مخلد بن كيداد (أو كنداد) بن سعد الله بن مغيث اليفرني، و قد عرف أيضا بصاحب الحمار: عالم شهير من علماء البربر؛ أخذ العلم بتوزر عن مشيختها، و رأس في الفتيا، و قرأ مذهب الإباضية و صدق فيه، ثم لقي عمارا الأعمى الصّفرى النكاري فتلقّن عنه، و عن مشيخة النكارية بتيهرت، مذهب النكارية. و طارده الشيعة فخرج عليهم سنة 302، و كانت بينه و بينهم حروب. انظر العبر 6/ 105، 7/ 31- 17.

مناصحة بني صنهاج، [714] و فضح بتخليد أمداحهم كلّ هاج.

و أعجب به، و قد عزّز منه مثنى البيان بثالث، فجلب سحر الأسماع، و استرقاق الطباع، بين مثان للإبداع و مثالث، كيف اقتدر على هذا المحيد، و ناصح مع التثليث مقام التوحيد، نستغفر الله وليّ العون، على الصّمت و الصون، فالقلم هو الموحّد قبل الكون، و المتّصف من صفات السّادة، أولي العبادة، بضمور الجسم و صفرة اللون، إنما هي كرامة فاروقية، و أثارة [715] من حديث سارية [716] و بقية، سفر وجهها في الأعقاب، بعد طول الانتقاب، و تداول الأحقاب، و لسان مناب، عن كريم جناب، و إصابة السهم لسواه محسوبة، و إلى الرامي الذي سدّده منسوبة، و لا تنكر على الغمام بارقة، و لا على المتحقّقين بمقام التوحيد كرامة خارقة، فما شاءه الفضل من غرائب برّ وجد، و محاريب خلق كريم ركع الشّكر فيها و سجد، حديقة بيان استثارت نواسم الإبداع من مهبّها، و استزارت غمائم الطباع من مصبّها، فآتت أكلها مرتين بإذن ربّها، لا. بل كتيبة عزّ طاعنت بقنا [717] الألفات سطورها، فلا يرومها النقد و لا يطورها، [718] و نزعت عن قسي النونات خطوطها، و اصطفت من بياض الطّرس، و سواد النّقس، بلق [719] تحوطها.

---

(714) تحدّث ابن خلدون عن الدولة الصنهاجية في المغرب- في العبر 6/ 152-162.

(715) الأثارة: البقية.

(716) يشير إلى قصة سارية بن زنيم بن عمر بن عبد الله بن جابر الكناني أمير الجيش الإسلامي في وقعة «نهاوند»؛ فقد كمن له العدو في جبل، و لم يكن قد علم به، فناداه عمر رضى الله عنه من فوق المنبر بالمدينة يحذره: «يا سارية الجبل الجبل!»، فسمع سارية صوت عمر. و هي كرامة ذكروها للفاروق رضى الله عنه. انظر رسالة القشيرى ص 187 طبع بولاق سنة 1287 ه، تاج العروس (سرى).

(717) جمع قناة؛ و هي الرمح.

(718) لا يطور: لا يحوم حولها.

(719) الطرس: الورق. و النقس: الحبر. و بلق: جمع أبلق، أو بلقاء؛ و هي الخيول التي في لونها سواد و بياض.

فما كأس المدير، على الغدير، [720] بين الخورنق [721] و السّدير، [722] تقامر بنرد [723] الحباب، عقول ذوي الألباب، و تغرق كسرى في العباب، [724] و تهدي، و هي الشمطاء [725]- نشاط الشباب؛ و قد أسرج ابن سريج [726] و ألجم، و أفصح الغريض [727] بعد ما جمجم، و أعرب النّاي [728] الأعجم، و وقّع معبد [729] بالقضيب، و شرعت في حساب العقد [730] بنان الكفّ الخضيب، و كأنّ الأنامل فوق

---

(720) يشير إلى قصة امرئ القيس يوم الغدير، و هو يوم دارة جلجل؛ و هي مفصلة في الأغاني بولاق 19/ 27.

(721) الخورنق: قصر النعمان بن المنذر بظاهر الحيرة؛ جاء ذكره في شعر عدي بن زيد، و المنخل اليشكري. و حوله قصص طريفة تجدها في ياقوت 3/ 482، و البكري 2/ 515 و المعرّب ص 126، و الأغاني طبع دار الكتب 2/ 144، و تاريخ الطبري 2/ 72، و الخزانة 1/ 142.

(722) السدير: قصر للنعمان أيضا بالحيرة، قريب من الخورنق. ياقوت 5/ 54.

(723) النرد: أعجمي معرّب، و ورد في الحديث «نردشير»؛ و هو نوع مما يقامر به.

(724) بنى كسرى أبرويز- فوق دجلة- بناء اتخذه لمجالس أنسه، ففاضت دجلة و أغرقته مرات، أنقذ كسرى فيها من الغرق- و إلى ذلك يشير ابن الخطيب. انظر الطبري 2/ 144- 145.

(725) امرأة شمطاء: بيضاء الشعر؛ و يكنى بذلك عن قدم الخمر.

(726) أبو يحيى عبيد الله بن سريج المغنّي المعروف: أخباره في الأغاني بولاق 1/ 97- 99.

(727) أبو يزيد، و أبو مروان: عبد الملك. و لقب بالغريض لأنه كان طري الوجه غض الشباب؛ و هو من مولدي البربر. أخذ الغناء عن ابن سريج، و عارضه في كل أصواته. انظر الأغاني بولاق 2/ 128.

(728) الناي: المزمار. مفاتيح العلوم ص 137.

(729) هو معبد بن وهب المغني المعروف. غنى في دولة بني أمية، و مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق. و انظر الأغاني بولاق 1/ 19.

(730) حساب العقد، و يسمى حساب العقود أيضا: نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين، و يقال له حساب اليد؛ و في الحديث: «و عقد عقد تسعين». و قد ألفوا فيه رسائل و

أراجيز، منها أرجوزة أبي الحسن علي الشهير بابن المغربي، و شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان العوفي. و انظر خزانة الأدب للبغدادي 3/ 147.

مثالث العود و مثانيه، [731] و عند إغراء الثقيل بثانية، [732] و إجابة صدى الغناء بين مغانيه، المراود تشرع في الوشي، أو العناكب تسرع في المشي، و ما المخبر بنيل الرّغائب، أو قدوم الحبيب الغائب، لا. بل إشارة البشير، بكمّ المشير، على العشير، بأجلب للسرور، من زائره المتلقّى بالبرور، و أدعى للحبور، من سفيره المبهج السفور، فلم نر مثله من كتيبة كتاب تجنب [733] الجرد، تمرح في الأرسان، [734] و تتشوف مجالي ظهورها إلى عرائس الفرسان، و تهزّ معاطف [735] الارتياح، من صهيلها الصراح، بالنغمات الحسان، إذا أوجست الصريخ نازعت أفناء الأعنّة، و كاثرت بأسنّة آذانها مشرعة الأسنّة، فإن ادّعى الظليم [736] أشكالها فهو ظالم، أو نازعها الظبي هواديها [737] و أكفالها فهو هاذ أو حالم، و إن سئل الأصمعي [738] عن عيوب

---

(731) أوتار العود أربعة: أغلظها البم، و الذي يليه المثلث (بفتح الميم و تخفيف اللام على مثال مطلب)، و الذي يلي المثلث: المثنى (بوزن معنى)، و الجمع مثالث و مثاني. و انظر مفاتيح العلوم ص 137.

(732) كذا في الأصول؛ و لعل أصل القول: «الثقيل الأول بثانية». و الثقيل الأول: إيقاع موسيقي تتوالى فيه ثلاث نقرات ثقيلة؛ و في الثقيل الثاني تتوالى نقرتان ثقيلتان ثم واحدة خفيفة. و انظر مفاتيح العلوم ص 141.

(733) من الجنب: و هو أن تجنب فرسا عريا عند الرهان إلى الفرس الذي تسابق عليه، فإذا فتر المركوب، تحولت إلى المجنوب. و يريد أن هذه الرسالة بمنزلة خيول احتياطية.

(734) جمع رسن؛ و هو الحبل يتخذ زماما للدابة و غيرها.

(735) المعاطف: الأردية؛ و العرب تضع الرداء موضع البهجة، و الحسن، و البهاء، و النعمة.

(736) الظليم: فرس فضالة بن هند بن شريك الأسدي.

(737) هوادي الخيل: أعناقها.

(738) عبد الملك بن قريب، اللغوي المشهور (122- 216)، على خلاف في المولد و الوفاة. و ابن الخطيب يشير إلى ما عرف عن الأصمعي من خبرته الواسعة بالخيل؛ و له في ذلك مع أبي عبيدة معمّر بن المثنى قصّة طريفة. انظرها في ترجمة الأصمعي في وفيات ابن خلكان 1/ 362.

الغرر و الأوضاح، [739] قال مشيرا إلى وجوهها الصّباح [740]:

جلدة بين العين و الأنف سالم [741]

من كل عبل الشّوى، [742] مسابق للنجم إذا هوى، سامي التّليل، [743] عريض ما تحت الشّليل، [744] ممسوحة أعطافه بمنديل النّسيم البليل.

من أحمر كالمدام، تجلى على النّدام، [745] عقب الفدام، [746] أتحف لونه بالورد، في زمن البرد، و حيّي أفق محيّاه بكوكب السعد، و تشوف الواصفون إلى عدّ محاسنه فأعيت على العدّ، بحر يساجل البحر عند المدّ، و ريح تباري الرّيح عند الشّدّ، [747]

---

(739) جمع غرة: و هي البياض؛ و الوضح: البياض أيضا. و يكنى به في الفرس عن البرص، و الجمع أوضاح.

(740) وجه صبيح: جميل، و الجمع صباح.

(741) شطر بيت قاله عبد الله بن عمر لما لامه الناس في حب ابنه سالم، و أوله:

يديرونني عن سالم و أريغهم* و جلدة الخ.

و جعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه و أنفه. و في الحديث: «لا تؤذوا عمارا، فإنما عمار جلدة ما بين عينيّ».

و سالم هذا، و يكنى أبا عمر، و أبا المنذر، من خيار الناس، و فقهائهم. مات بالمدينة سنة 106. انظر المعارف لابن قتيبة ص 93 طبع جوتنجن سنة 1850 و لسان العرب (سلم) 15/ 191، و الرسالة العثمانية للجاحظ ورقة 107 ب (نسخة كوبريلي رقم 815).

(742) شوى الفرس: قوائمه؛ و عبل اشوى: غليظ القوائم.

(743) التليل: العنق.

(744) الشليل: الحلس، و الكساء الذي يجعل تحت الرحل.

(745) جمع نديم: و هو الشريب الذي ينادمك.

(746) الفدام: الخرقة التي يضعها الساقي من الأعاجم، و المجوس على فمه عند السقى. و كانت عادتهم، إذا سقوا، أن يفدّموا أفواههم. و فدام الإبريق، و الكوز: المصفاة التي توضع عليه.

(747) الشّدّ: العدو.

بالذراع الأشدّ [748]؛ حكم له مدير فلك الكفل باعتدال فصل القدّ، و ميّزه قدره المميّز عند الاستباق، بقصب السّباق، [749] عند اعتبار الحد، و ولّد مختطّ غرّته أشكال الجمال، على الكمال، بين البياض و الحمرة و نقاء الخد، و حفظ رواية الخلق الوجيه، [750] عن جدّه الوجيه، [751] و لا تنكر الرواية على الحافظ ابن الجدّ. [752]

و أشقر، أبى الخلق، و الوجه الطلق أن يحقر، كأنما صيغ من العسجد، و طرف بالدّر و أنعل بالزبرجد، و وسم في الحديث بسمة اليمن و البركة، [753] و اختصّ بفلج [754] الخصام، عند اشتجار المعركة، و انفرد بمضاعف السهام، المنكسرة على الهام، في الفرائض المشتركة، [755] و اتّصف فلك كفله بحركتي الإرادة و الطبع من أصناف

---

(748) الأشدّ: الأقوى؛ يقال حلبتها بالساعد الأشدّ، أي حين لم أقدر على الرفق، أخذت الأمر بالشدة و القوة.

(749) كانت الغاية التي يحددونها للسباق تذرع بالقصب، ثم تركز القصبة في منتهى الغاية؛ فمن سبق اقتلعها و أخذها، ليعلم الناس أنه السابق من غير نزاع، و يقال: حاز أو أحرز قصبة السبق. تاج (قصب).

(750) الخلق الوجيه: الحميد، و الوجيه من تكون له خصال حميدة.

(751) الوجيه: فرس من خيل العرب نجيب؛ و يأتي ذكره مرة أخرى.

(752) يومئ ابن الخطيب إلى أبي بكر محمد بن عبد الله بن فرج الفهري المعروف بابن الجد (496- 586). أصله من «لبلة»، و استوطن إشبيلية، و عاصر ابن رشد الفقيه، و أبا بكر بن العربي. و انظر الديباج ص 302.

(753) يشير إلى حديث: «إن يمن الخيل في شقرتها»، رواه الإمام أحمد في المسند 2/ 272.

(754) الفلج: الظفر و الفوز.

(755) يومئ إلى المعاني التي تعارفها الفقهاء بينهم في باب «التوارث» من الفقه الإسلامي؛ فالسهم:

النصيب الذي فرضه الشارع للوارث، و انكسار السهام يكون حيث تضيق التركة على استيفاء الفرائض كاملة، و يتقرر العول.

الحركة، [756] أصغى إلى السماء بأذن ملهم، و أغرى لسان الصّهيل- عند التباس معاني الهمز و التّسهيل- ببيان المبهم، و فتنت العيون من ذهب جسمه، و لجين نجمه، بالدّينار و الدّرهم، فإن انقضّ فرجم، أو ريح لها حجم، و إن اعترض فشفق لاح به للنّجم نجم. [757]

و أصفر قيّد الأوابد الحرّة، و أمسك المحاسن و أطلق الغرّة، و سئل من أنت في قواد الكتائب، و أولي الأخبار العجائب؟ فقال: أنا المهلّب بن أبي صفرة، [758] نرجس هذه الألوان، في رياض الأكوان، تحثى به وجوه الحرب العوان، [759] أغار بنخوة الصائل، [760] على معصفرات الأصائل، [761] فارتداها، و عمد إلى خيوط شعاع الشمس، عند جانحة الأمس، فألحم منها حلّته و أسداها، و استعدت عليه تلك المحاسن فما أعداها، فهو أصيل تمسّك بذيل الليل عرفه و ذيله، و كوكب يطلعه من القتام ليله، فيحسده فرقد [762] الأفق و سهيله. [763]

---

(756) الحركتان: الطبيعية، و الإرادية معا؛ مبدؤهما أمر داخلي غير خارج عن ذات المتحرك، ثم تمتاز الحركة الإرادية بخضوعها لإرادة المتحرك و ميله. أما الطبيعية فلا إرادة فيها و لا شعور، و ذلك مثل طلب الجسم الثقيل للجهة السفلى. و انظر تعريفات الجرجاني ص 58.

(757) النجم: الثريا؛ و المعنى المراد- فيما أرجو-: لاح للثريا بهذا الفرس المعترض في الأفق نجم آخر هو غرته. و قد سميت الغرة نجما في شعر لابن نباته أورده عبد القاهر في أسرار البلاغة ص 233، ثم إنه قد قال في وصفه: «وفتنت العيون من ذهب جسمه، و لجين نجمه، بالدينار و الدرهم».

(758) أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي. له مع الخوارج حروب و مواقع ظهرت فيها شجاعته. و قد ذكر أغلبها أبو العباس المبرد في «الكامل». و انظر الوفيات 2/ 191- 195.

(759) الحرب العوان: الحرب التي سبقتها حرب أخرى.

(760) النخوة: العظمة، و الكبر؛ و الصائل: المستطيل المتوثب.

(761) الأصيل: العشى، و الجمع الأصائل.

(762) الفرقد: واحد الفرقدين؛ و هم كوكبان من صورة بنات نعش الصغرى؛ و يقال

الفرقد على الكوكبين معا.

(763) سهيل: كوكب من الكواكب الجنوبية؛ و لذلك لا يراه سكان البلدان الشمالية مثل خراسان، و أرمينية.

و أشهب تغشّى من لونه مفاضة، و تسربل منه لامة فضفاضة، قد احتفل زينه، لمّا رقم بالنّبال لجينه، فهو الأشمط، الذي حقه لا يغمط، و الدّارع [764] المسارع، و الأعزل الذارع، [765] و راقي الهضاب الفارع، [766] و مكتوب الكتيبة البارع. و أكرم به من مرتاض سالك، و مجتهد على غايات السابقين الأولين متهالك، و أشهب [767] يروي من الخليفة، في الشّيم المنيفة، عن مالك.

و حباريّ [768] كلما سابق و بارى، استعار جناح الحبارى، فإذا أعملت الحسبة، قيل من هنا جاءت النّسبة، طرد النّمر، لما عظم أمره و أمر، [769] فنسخ وجوده بعدمه، و ابتزّه الفروة ملطّخة بدمه، و كأنّ مضاعف الورد نثر عليه من طبقه، أو الفلك، لما ذهب الحلك، مزج فيه بياض صبحه بحمرة شفقه.

و قرطاسيّ حقّه لا يجهل، «متى ما ترقّى العين فيه تسفّل» [770]، إن نزع عنه جلّه [771]، فهو نجم كلّه، انفرد بمادة الألوان، قبل أن تشوبها يد الأكوان، أو تمزجها

---

(764) رجل دارع: ذو درع.

(765) ذرع: أسرع؛ كأنه لسرعته يقيس المسافات بالذراع.

(766) الفارع: المرتفع الهيّئ الحسن. و البارع: التام في كل فضيلة.

(767) يورّي بأشهب بن عبد العزيز المالكي أبو عمر المصري. و قد تقدم في ص 25.

(768) الحباريّ: لونه لون الحبارى. و الحبارى بضم الحاء، و فتح الباء المخففة، وراء مفتوحة بعد ألف: طائر رمادي اللون؛ و هو أشدّ الطير طيرانا، و أبعدها شوطا. و لذلك يقول: إن سرعة هذا الفرس تأتي من شبهة بالحبارى الذي له هذه الصفة. و انظر حياة الحيوان للدميري 1/ 196.

(769) أمر: ارتفع شأنه.

(770) عجز بيت لامرئ القيس و صدره:

و رحنا يكاد الطرف يقصر دونه* متى الخ

و في الأصول: «.... فيه تسهل». و المثبت رواية الديوان، و شرحه للبطليوسي ص 34 طبع التقدم سنة 1323 ه.

(771) جلّ الفرس، و جلّه: الغطاء الذي تلبسه إياه لتصونه.

أقلام الملوان [772]، يتقدم الكتيبة منه لواء ناصع، أو أبيض مناصع [773]، لبس وقار المشيب، في ريعان العمر القشيب، و أنصتت الآذان من صهيله المطيل المطيب، لما ارتدى بالبياض إلى نغمة الخطيب، و إن تعتّب منه للتأخير متعتّب، قلنا: الواو لا ترتّب [774]، ما بين فحل و حرّة، و بهرمانة [775] و درّة، و يا لله من ابتسام غرّة، و وضوح يمن في طرّة [776]، و بهجة للعين و قرّة، و إن ولع الناس بامتداح القديم، و خصّوا الحديث بفري الأديم،

أغرى الناس بامتداح القديم* * * و بذم الحديث غير الذميم

[777] و أوجب المتعصّب، و إن أبى المنصب، مرتبة التقديم، و طمح إلى رتبة المخدوم طرف الخديم، و قورن المثري بالعديم، و بخس في سوق الكسد الكيل، و دجا الليل، و ظهر في فلك الإنصاف الميل، لمّا تذوكرت الخيل، فجيء

---

(772) الملوان: الليل و النهار.

(773) الناصع: الخالص من كل شيء؛ و المناصع: المجالس. جمع منصع.

(774) يشير إلى قول النحاة: إن العطف بالواو لا يفيد ترتيبا بين معطوفاتها.

(775) البهرمان: نبات بأرض العرب يصبغ به، و يقال له العصفر؛ و لونه دون الأرجوان في الحمرة.

(776) الطرة: الناصية، و الاشارة إلى الحديث: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» واضحة. و انظر سنن ابن ماجة 2/ 94.

(777) الأديم: الجلد؛ و فريه: قطعه. و هو يشير إلى قول ابن شرف القيرواني:

أغرى الناس بامتداح القديم* * * و بذم الحديث غير الذميم

ليس إلا لأنهم حسدوا الحيّ ورقوا على العظام الرميم

انظر «ألف با» للبلوى 1/ 59- 60. و في مقدمة تاج العروس 1/ 29 أنهما لابن رشيق و هو خطأ. و انظر طراز المجالس ص 121.

بالوجيه [778] و الخطار [779]، و الذائد [780] و ذي الخمار [781]، و داحس [782] و السكب [783]، و الأبجر [784] و زاد الركب [785]، و الجموح [786] و اليحموم [787]، و الكميت [788]

---

(778) الوجيه: فرس لغنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان. و هو مما سمى من جياد الفحول، و الإناث المنجبات. تاج (وجه)، مخصص 6/ 195، ابن الكلبى ص 22.

(779) الخطار: فرس حذيفة بن بدر الفزاري. و له ذكر في حرب داحس و الغبراء. المخصص 6/ 196، تاج (خطر، دخس)، ابن الكلبي ص 70.

(780) الذائد: فرس نجيب من نسل الحرون، و من أبنائه أشقر مروان. ابن الكلبى ص 45، 44، تاج (ذاد).

(781) ذو الخمار: فرس للزبير بن العوام، و لمالك بن نويرة الشاعر. و انظر المخصص 6/ 194، ابن الكلبى ص 63، تاج (خمر).

(782) داحس: فرس قيس بن زهير بن جذيمة العبسي. له ذكر في حرب داحس و الغبراء المخصص 6/ 196، تاج (دحس)، ابن الكلبي ص 24، 29. و انظر مجمع الأمثال: «أشأم من داحس» 1/ 256.

(783) السكب: من أفراس النبي (صلى الله عليه و سلم)، و هو أول فرس ملكه. انظر المخصص 6/ 193، ابن الكلبي ص 8، تاج (سكب).

(784) الأبجر: من خيل غطفان بن سعد، و هو فرس عنترة بن شداد العبسي. ابن الكلبي ص 69، تاج (بجر).

(785) زاد الركب: فرس للأزد، و هو من أقدم فرسان العرب. ابن الكلبي ص 14، 18، 19.

(786) الجموح (كصبور): فرس مسلم بن عمرو الباهلي، و فرس للحكم بن عرعرة النميري تاج (جمح)، ابن الكلبي ص 45.

(787) اليحموم: فرس النعمان بن المنذر، و لذلك كان يقال للنعمان فارس اليحموم. و سمى باليحموم عدة أفراس. تاج 8/ 261، خزانة الأدب 1/ 545، ابن الكلبي ص 92.

(788) الكميت: فرس المعجب بن سفيان (أوشييم) الضبى. و ذكر في تاج العروس في (كمت) عشرة أفراس باسم الكميت، مع أسماء أصحابها. و انظر المخصص 6/ 195.

و مكتوم [789]، و الأعوج [790] و حلوان [791]، و لاحق [792] و الغضبان [793]، و عفزر

و طاب عن اللعاب نفسا و ربه* * * و غادر قيسا في المكر و عفرزا

[794] و الزعفران [795] و المحبّر [796] و اللّعّاب [797]، و الأغر [798] و الغراب [799]، و شعلة [800]

---

(789) مكتوم: فرس لغني بن أعصر، من جياد الفحول. تاج (كتم)، ابن الكلبي ص 22.

(790) أعوج (بلا لام): فرس لبني هلال؛ تنسب إلي الأعوجيات، كان لكندة فأخذته سليم، ثم صار إلى بني هلال، بعد أن كان لبني آكل المرار. تاج (عوج).

(791) لم أجد فيما رجعت إليه من المراجع فرسا بهذا الاسم.

(792) لاحق: هناك أفراس كثيرة تسمى بلاحق، و المشهورة منها الذي يعد من سوابق الخيل في الجاهلية فرس لغني بن أعصر، و هو لاحق الأكبر. المخصص 6/ 194، 196، ابن الكلبي ص 22، تاج (لحق).

(793) لم أجد فيما رجعت إليه من المراجع فرسا بهذا الاسم.

(794) عفزر (كجعفر): السابق السريع؛ و هو فرس سالم بن عامر بن عريب الكناني أخي قيس؛ له ذكر في ديوان هذيل. تاج (آخر عفر). و في الأصول: «عفرز» بتقديم الراء على الزاي؛ و قد ورد كذلك بخط مرتضى الزبيدي في هذا البيت:

و طاب عن اللعاب نفسا و ربه* * * و غادر قيسا في المكر و عفرزا

و قد نبه مصحح التاج على أنه تصحيف انظر التاج (لعب).

(795) الزعفران: فرس لعمير بن الحباب، و لآخرين. مخصص 6/ 196، تاج (الزعفران) ابن الكلبي ص 71.

(796) المحبر: فرس لضرار بن الأزور الأسدي، و لمالك بن نويرة. مخصص 6/ 194، ابن الكلبي ص 56، لسان (حبر).

(797) اللعاب (ككتان): اسم فرس لعله لهذيل. تاج (لعب)، مخصص 6/ 198.
(798) الأغر: اسم يقع على أفراس كثيرة، ذكر معظمها في القاموس و شرحه (غر). و انظر المخصص 6/ 195، 196.
(799) الغراب: فرس لغني بن أعصر؛ و كان العباس بن مرداس يفتخر بما صار إليه من بنات الغراب، انظر المخصص 6/ 196، ابن الكلبي ص 22.
(800) شعلة (بالضم، و بلا لم): فرس قيس بن سباح. تاج (شعل)، ابن الكلبي ص 97.

و العقاب [801]، و الفياض [802] و اليعبوب [803]، و المذهب [804] و اليعسوب [805]، و الصّموت [806] و القطيب [807]، و هيدب [808] و الصّبيب [809]، و أهلوب [810]

---

(801) العقاب: فرس مرداس بن جعونة، من خيل غني بن أعصر، و لطفيل الغنوي. المخصص 6/ 197، و ابن الكلبي ص 68.

(802) الفياض: فرس لبني جعدة، و قد ورد ذكره في شعر النابغة الجعدي. ابن الكلبي ص 26، 15، أبو عبيدة ص 67.

(803) اليعبوب: فرس للربيع بن زياد، و كان يقال للربيع فارس اليعبوب. ابن الكلبي ص 71، خزانة الأدب 1/ 25، مخصص 6/ 196.

(804) المذهب: فرس لأبرهة بن عمر، و لغني بن أعصر، و لبني عبس. مخصص 6/ 196، 197، ابن الكلبي ص 22.

(805) اليعسوب: فرس للنبي (صلى الله عليه و سلم)، و للزبير بن العوام، و هو من بنات «العسجدي».

مخصص 6/ 193، ابن الكلبي ص 20، 30.

(806) الصموت: اسم واقع على أفراس كثيرة، منها فرس لعباس بن مرداس السلمى ابن الكلبي ص 71.

(807) القطيب: فرس صرد بن حمزة بن شداد اليربوعي، سابق به فرس أبي سواج الضبي. لسان (برا)، مخصص 6/ 195، 198، ابن الكلبي ص 61.

(808) هيدب: فرس عبد بن عمرو بن راشد بن جزء بن كعب. مخصص 6/ 197 ابن الكلبي ص 91، 92.

(809) الصبيب (كزبير): فرس من خيل العرب معروف. تاج (صبب).

(810) أهلوب (كأسلوب): فرس ربيعة بن عمرو. مخصص 6/ 196. تاج (الهلب).

و هدّاج [811]، و الحرون [812] و خراج [813]، و علوى [814] و الجناح [815]، و الأحوى [816] و مجاح [817]، و العصا [818] و النّعامة [819]، و البلقاء [820] و الحمامة [821]، و سكاب [822]

---

(811) هداج: فرس الريب بن شريق. تاج (هدج).

(812) الحرون: فرس لعقبة بن مدلج، و لعمرو بن مسلم الباهلي، اشتراه من رجل من بني هلال، و لجزء بن شريح بن الأحوص. مخصص 6/ 195 ابن الكلبي ص 117.

(813) خراج (كقطام): فرس جريبة بن الأشيم الأسدي. تاج (خرج) مخصص 6/ 194، ابن الكلبي ص 55.

(814) علوى: فرس خفاف بن ندبة، و قيل لخفاف بن عمير. و كانت علوى من سوابق الخيل عند العرب. تاج (علو).

(815) الجناح: فرس لعكاشة بن محصن، و لمحمد بن مسلمة الأنصاري، و لحذلم بن خالد بن عمر الفقعسي. مخصص 6/ 194، ابن الكلبي ص 107، 56.

(816) الأحوى: فرس لقبيصة بن ضرار الضبي، و لعامر بن الطفيل. تاج، لسان (حوا)، مخصص 6/ 195، ابن الكلبي ص 52.

(817) مجاح (كتاب): فرس مالك بن عوف النضري (أو النصري)، و يقال له فارس مجاح. مخصص 6/ 194، ابن الكلبي ص 70، تاج (مجح).

(818) العصا: فرس لجذيمة بن الأبرش، و هي بنت العصية، و فيهما ورد المثل: «لا تلد العصا غير العصية»، و «إن العصا من العصية». مخصص 6/ 196، ابن الكلبي ص 94، تاج (عصا).

(819) النعامة: فرس للحارث بن عباد، و لمسافع بن عبد العزى، و لغيرهما. مخصص 6/ 194، ابن الكلبي ص 106، تاج (نعم).

(820) البلقاء: فرس للأحوص بن جعفر، و لقيس بن عيزارة الهذلي الشاعر، و لسعد بن أبي وقاص. تاج (بلق).

(821) الحمامة: فرس لإياس بن قبيصة، و لقراد بن يزيد. تاج (حم).

(822) سكاب: فرس لعبيدة بن ربيعة، و للأجدع بن مالك. مخصص 6/ 105، ابن الكلبي ص 100.

و الجرادة [823]، و خوصاء [824] و العرادة [825]، فكم بين الشاهد و الغائب، و الفروض و الرّغائب [826]، و فرق ما بين الأثر و العيان، غنيّ عن البيان، و شتّان بين الصريح و المشتبه، و للّه درّ القائل:

«خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به» [827]

و الناسخ [828] يختلف به الحكم، و شرّ الدواب عند التفضيل بين هذه الدّوابّ الصّمّ البكم، [829] إلا ما ركبه نبيّ، أو كان له يوم الافتخار برهان خفيّ [830] و مفضّل

---

(823) الجرادة: فرس لعبد اللّه بن شرحبيل الهلالي، و لسلامة بن نهار بن أبي الأسود بن حمران بن عمرو بن الحارث السدوسي، و لعبادة الأنصاري. مخصص 6/ 196، ابن الكلبي ص 93، 74.

(824) الخوصاء: فرس توبة بن الحمير، و له فيها شعر. مخصص 6/ 196، ابن الكلبي ص 77.

(825) العرادة (كسحابة): فرس لكلحبة العرني؛ و هو هبيرة بن عبد اللّه بن عبد مناف العرني، و لآخرين. مخصص 6/ 195، ابن الكلبي ص 47، تاج (عرد)، (كلحبة).

(826) الرغائب: جمع رغيبة، و هي الأمر المرغوب فيه. و في الحديث لابن عمر لا تدع ركعتي الفجر، فإن فيهما الرغائب؛ أي ما يرغب فيه من الثواب العظيم. تاج (رغب)، الدر الثمين شرح المورد المعين 2/ 12.

(827) صدر بيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة؛ و عجزه عن شرح العكبري 2/ 68 طبع الشرفية سنة 1308 ه:

(*) «.... في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل»

(828) النسخ في مصطلح أهل أصول الفقه: إنهاء حكم شرعي ثبت بنص شرعي، و إحلال حكم آخر بدله بنص شرعي جاء دليلا على انتهاء الحكم الأول و الناسخ: هو النص الأخير الذي بمقتضاه يرتفع الحكم الأول، و يلغي النص السابق. و انظر شرح تنقيح القرافي ص 132.

(829) الاشارة إلى الآية 22 من سورة الأنفال. و يريد: إن فضل خيولك هذه من الوضوح بحيث لا يخفى إلا على من كانت هذه حالته من تعطل آلات التمييز مع تملكها. و تلك هي حالة من وصفتهم الآية المشار إليها، و ما سبقها، و لحقها من الآيات.

(830) خفيّ: خاف مستور، يريد لا فضل لقديم من الخيل على محدث منها، إلا أن يجيء التفضيل من حيث إن نبيا من الأنبياء ركب فرسا، فيفضل بهذا الاعتبار.

ما سمع على ما رأى غبيّ، فلو أنصفت محاسنها التي وصفت، لأقضمت [831] حبّ القلوب علفا، و أوردت ماء الشبيبة نطفا، [832] و اتخذت لها من عذر [833] الخدود الملاح عذر موشية، [834] و علّلت بصفير ألحان القيان كلّ عشية، و أنعلت بالأهلّة، و غطيت بالرياض بدل الأجلّة. [835]

إلى الرقيق، [836] الخليق بالحسن الحقيق، يسوقه إلى مثوى الرّعاية روقة [837] الفتيان رعاته، و يهدي عقيقها من سبجه [838] أشكالا تشهد للمخترع سبحانه بإحكام مخترعاته، وقفت ناظر الاستحسان لا يريم، [839] لما بهره منظرها الوسيم، و تخامل الظّليم، [840] و تضاؤل الريم [841] و أخرس مفوّه [842] اللسان، و هو بملكات البيان، الحفيظ العليم، و ناب لسان الحال، عن لسان المقال، عند الاعتقال، [843] فقال يخاطب المقام الذي أطلعت أزهارها غمائم جوده، و اقتضت اختيارها بركات وجوده: لو علمنا أيها الملك الأصيل، الذي كرم منه الإجمال و التفصيل، أن الثّناء يوازيها، لكلنا لك بكيلك، أو الشّكر يعادلها و يجازيها، لتعرّضنا بالوشل [844] إلى

---

(831) القضم: أكل القضيم، و هو شعير الدابة، و أقضم الدابة: قدم لها القضيم.
(832) النطفة: الماء الصافي؛ و الجمع نطف.
(833) العذار: خط لحية الغلام؛ و الجمع عذر.
(834) العذار من اللجام: السيران اللذان يجتمعان عند قفا الفرس؛ و الجمع عذر.
(835) جل الدابة: ما تغطى به، و الجمع جلال؛ و جمع جلال: أجلّة.
(836) الرقيق: الضعف لا صبر له على شدة البرد، و نحوه.
(837) الروقة من الغلمان: الملاح منهم؛ يقال غلمان روقة: أي حسان، و المفرد رائق.
(838) السبج: خرز أسود.
(839) لا يريم: لا يبرح.
(840) الظليم: ذكر النعام؛ و فرس فضالة بن شريك الأسدي.
(841) الريم: الظبي الخالص البياض.
(842) رجل مفوّه: يجيد القول.
(843) اعتقل لسانه: حبس، و لم يقدر على الكلام.
(844) الوشل: الماء القليل.

نيل نيلك، [845] أو قلنا هي التي أشار إليها مستصرخ سلفك المستنصر [846] بقوله:

أدرك بخيلك، [847] حين شرق بدمعه الشّرق، [848] و انهزم الجمع و استولى الفرق، و اتسع فيه- و الحكم للّه- الخرق [849] و رأى إن مقام التوحيد بالمظاهرة على التّثليث، و حزبه الخبيث، الأولى و الأحقّ.

و الآن قد أغنى اللّه بتلك النّية، عن اتّخاذ الطّوال الردينيّة، [850] و بالدّعاء من تلك المثابة الدينية إلى ربّ البنيّة، [851] عن الأمداد السّنيّة و الأجواد تخوض بحر الماء إلى بحر المنية، و عن الجرد العربية، في مقاود الليوث الأبيّة، و جدّد برسم هذه الهديّة، مراسيم العهود الودّية، و الذمم الموحّدية، لتكون علامة على الأصل، و مكذّبة لدعوى الوقف و الفصل، و إشعارا بالألفة التي لا تزال ألفها ألف الوصل، و لأمها حراما على النّصل. [852]

و حضر بين يدينا رسولكم، فقرّر من فضلكم ما لا ينكره من عرف علوّ مقداركم، و أصالة داركم، و فلك إبداركم، و قطب مداركم، و أجبناه عنه بجهد [853] ما كنّا لنقنع

---

(845) النيل: نهر مصر حماها اللّه. و النيل (بالفتح): العطاء.

(846) هو أبو بكر يحيى بن عبد الواحد الحفصي. و انظر الحاشية رقم (2) ص 9.

(847) يشير إلى قصيدة ابن الأبار التي مطلعها: «أدرك بخيلك خيل اللّه أندلسا». و انظر ص 9.

(848) يريد شرق الأندلس.

(849) يشير إلى المثل: «اتسع الخرق على الراقع» الذي يقال عند استفحال الأمر، و العجز عن إصلاحه.

تاج (خرق).

(850) الردينية: منسوبة إلى ردينة، و هي امرأة السمهري؛ و كانا يقومان الرماح و القنا بخط هجر؛ فيقال:

الرماح الردينية، و الخطية؛ نسبة إلى الشخص تارة، و إلى الموضع أخرى.

(851) البنية: الكعبة، و كانت تسمى بنية إبراهيم؛ و كثر قسمهم بها فيقولون: «لا و

رب هذه البنية».

(852) اللام: جمع لأمة؛ و هي الدرع. و النصل: حديدة السهم و الرمح. و انظر اللسان (نصل).

(853) الجهد (بالفتح): المشقة.

من جناه [854] المهتصر، [855] بالمقتضب المختصر، و لا لنقابل طول طوله [856] بالقصر، لولا طروّ الحصر. [857]

و قد كان بين الأسلاف- رحمة الله عليهم و رضوانه- ودّ أبرمت من أجل الله معاقده، [858] و وثرت للخلوص، [859] الجليّ النصوص، مضاجعه القارّة و مراقده، و تعاهد بالجميل يوجع لفقده فاقده، أبى الله إلا أن يكون لكم الفضل في تجديده، و العطف بتوكيده، فنحن الآن لا ندري أيّ مكارمكم نذكر، أو أيّ فواضلكم نشرح أو نشكر، أمفاتحتكم التي هي في الحقيقة عندنا فتح، أم هديتكم، و في وصفها للأقلام سبح، [860] و لعدوّ الإسلام بحكمة حكمتها كبح، [861] إنّما نكل الشّكر لمن يوفّي جزاء الأعمال البرّة، و لا يبخس مثقال الذّرّة و لا أدنى من مثقال الذّرّة، ذي الرحمة الثّرّة، [862] و الألطاف المتّصلة المستمرّة، لا إله إلا هو.

و إن تشوّفتم إلى الأحوال الراهنة، و أسباب الكفر الواهية- بقدرة الله- الواهنة، [863] فنحن نطرفكم بطرفها، [864] و نطلعكم على سبيل الإجمال بطرفها، و هو أننا لما أعادنا من التّمحيص، إلى مثابة التّخصيص، من بعد المرام العويص، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة، و وقفنا على سبيله مساعي الحياة القصيرة، و رأينا

---

(854) الجنى: ما يجتنى من الشجر و غيره.
(855) المهتصر: الممال؛ يقال هصرت الغصن: إذا أملته إليك.
(856) الطول (بالضم): خلاف العرض. و الطّول (بالفتح): النعمة و الفضل.
(857) الحصر: العىّ، و عدم القدرة على الإبانة.
(858) المعاقد: مواضع العقد.
(859) وثر الفراش (بالضم): وطؤ ولان.
(860) السبح: الجرى.
(861) كبح الفرس: جذبه إليه باللجام يمنعه عن الجري.
(862) الرحمة الثرة: الغزيرة الكثيرة.
(863) و هي، و وهن: ضعف.
(864) جمع طرفة (بالضم)؛ و هي أن يعطي المرء ما لم يملكه فيعجبه.

كما نقل إلينا، و كرّر على من قبلنا و علينا- أن الدنيا- و إن غرّ الغرور [865] و أنام على سرر الغفلة السّرور، فلم ينفع الخطور [866] على أجداث [867] الأحباب و المرور جسر يعبر، و متاع لا يغبط من حبي به و لا يحبر، [868] إنّما هو خبر يخبر، و أن الحسرة بمقدار ما على تركه يجبر، و أن الأعمار أحلام، و أن الناس نيام، و ربّما رحل الراحل عن الخان، [869] و قد جلّله بالأذى و الدخان، أو ترك به طيبا، و ثناء يقوم بعد للآتي خطيبا، فجعلنا العدل في الأمور ملاكا، [870] و التفقّد للثغور مسواكا، و ضجيع المهاد، حديث الجهاد، و أحكامه مناط الاجتهاد، و قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ [871] من حجج الاستشهاد، و بادرنا رمق [872] الحصون المضاعة و جنح [873] التّقية [874] دامس، [875] و عواريها [876] لا تردّ يد لامس، [877] و ساكنها بائس، و الأعصم [878] في شعفاتها [879] من العصمة يائس، فزيّنّا ببيض الشرفات ثناياها،

---

(865) الغرور (بالفتح): الشيطان؛ و في القرآن: «وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ»*.

(866) الخطور: التبختر في المشي.

(867) جمع جدث: و هو القبر.

(868) يحبر: ينعم و يسر و يكرم.

(869) الخان: المكان الذي ينزله الناس في المدن، و الطرق، و هو الفندق. و انظر المعرّب ص 239.

(870) ملاك الأمر: ما يقوم به ذلك الأمر.

(871) يشير إلى الآيات (10- 13) من سورة الصف.

(872) الرمق: بقية الحياة و الروح. و في الكلام تجوّز.

(873) جنح الطريق: جانبه، و جنح القوم: ناحيتهم.

(874) التقية: الحفظ.

(875) ليل دامس: مظلم.

(876) جمع عارية؛ و هي المتجردة من الثياب. و العورات: الخلل في الثغر و غيره، يتخوف منه في الحروب.

(877) يقال للمرأة تزنّ بالفجور: لا ترد يد لامس؛ أي لا ترد من يريدها عن نفسها.

(878) الأعصم: الوعل، و عصمته: بياض في رجله.

(879) الشعفات، جمع شعفة؛ و هي رؤس الجبال.

و أفعمنا بالعذب الفرات ركاياها و غشّينا بالصفيح المضاعف أبوابها، و احتسبنا عند موفّي الأجور ثوابها، و بيّضنا بناصع الكلس [880] أثوابها، فهي اليوم توهم حس العيان، أنّها قطع من بيض العنان، [881] و تكاد تناول قرص البدر بالبنان، متكفّلة للمؤمنين من فزع الدنيا و الآخرة بالأمان، و أقرضنا الله قرضا، و أوسعنا مدوّنة الجيش [882] عرضا، و فرضنا إنصافه مع الأهلّة فرضا، و استندنا من التّوكل على الله الغنيّ الحميد إلى ظل لواء، و نبذنا إلى الطّاغية عهده على سواء [883] و قلنا: ربّنا أنت العزيز، و كلّ جبّار لعزّك ذليل، و حزبك هو الكثير، و ما سواه قليل، أنت الكافي، و وعدك الوعد الوافي، فأفض [884] علينا مدارع [885] الصّابرين، و اكتبنا من الفائزين بحظوظ رضاك الظّافرين، و ثبّت أقدمنا و انصرنا على القوم الكافرين.

فتحركنا أول الحركات، و فاتحة مصحف البركات، في خفّ [886] من الحشود، و اقتصار على ما بحضرتنا من العساكر المظفّرة و الجنود، إلى حصن آشر البازي المطلّ، و ركاب العدو الضالّ المضلّ، و مهدي نفثات [887] الصّل، [888] على امتناعه و ارتفاعه، و سمو يفاعه، [889] و ما بذل العدو فيه من استعداده، و توفير أسلحته و أزواده،

---

(880) الكلس؛ يشبه الجصّ؛ يبيض به، و يتخذ للبناء بين الآجر، و اللّبن.

(881) العنان: السحاب.

(882) يريد الجيش الرسمي الذي كان مدونا في سجلات الدولة. و في مقدمة الإحاطة 1/ 19، 36 وصف للجيش الأندلسي، و سلاحه، و أقسامه، و ذكر لمقدار ما كان يأخذه كل شهر. و انظر اللمحة البدرية ص 27.

(883) نبذ العهد: نقضه، و ألقاه إلى من كان بينه و بينه. و التعبير مقتبس من الآية 58 من سورة الأنفال.

(884) أفض: أفرغ.

(885) جمع مدرع: و هو ضرب من الثياب. و الكلام على التوسّع.

(886) الخف: الخفيف.

(887) نفثت الحية السم: إذا لسعت بأنفها، فإذا عضت بنابها قيل: نشطت.

(888) الصل (بالكسر): الحية التي لا تنفع فيها الرقية.

(889) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

و انتخاب أنجاده، فصلينا بنفسنا ناره، و زاحمنا عليه الشهداء نصابر أواره [890] و نلقى بالجوارح العزيزة سهامه المسمومة، و جلامده الملمومة [891] و أحجاره، حتى فرعنا [892] بحول من لا حول و لا قوة إلا به- أبراجه المنيعة و أسواره، و كففنا عن البلاد و العباد أضراره، بعد أن استضفنا إليه حصن السّهلة جاره؛ و رحلنا عنه بعد أن شحنّاه رابطة و حامية، و أزوادا نامية، و عملنا بيدنا في رمّ ما ثلم القتال، و بقر من بطون مسابقة الرجال، و اقتدينا بنبينا- (صلوات الله عليه و سلامه) - في الخندق [893] لما حمى ذلك المجال، و وقع الارتجاز المنقول حديثه و الارتجال، [894] و ما كان ليقرّ للإسلام مع تركه القرار، و قد كتب الجوار، و تداعى الدّعرة [895] و تعاوى الشّرار. [896]

و قد كنّا أغرينا من بالجهة الغربية من المسلمين بمدينة برغه التي سدّت بين القاعدتين رندة و مالقة الطّريق، و ألبست ذلّ الفراق ذلك الفريق، و منعتهما أن يسيغا الرّيق، فلا سبيل إلى الإلمام، لطيف المنام، إلا في الأحلام، و لا رسالة إلا في أجنحة هدل [897] الحمام، فيسّر الله فتحها، و عجّل منحها، بعد حرب انبتّت فيها

---

(890) الأوار (بالضم): حرارة النار، و الشمس، و العطش.

(891) جلامدة، جمع جلمد؛ و هو الصخر. و الملمومة: المستديرة الصلبة.

(892) فرعنا: علونا، و يجوز أن يكون المعنى «فرعنا: فتحنا»، من افترع بمعنى افتضّ.

(893) كانت غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة. و انظر الروض الأنف 3/ 187 الطبري 3/ 43.

(894) نقل السّهيلي في الروض الأنف عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مل النهدي: أن النبي (صلى الله عليه و سلم) كان يرتجز يوم الخندق فيقول:

* بسم الإله و به بدينا** و لو عبدنا غيره شقينا** فحبّذا ربا وحب دينا* و انظر سيرة ابن هشام 3/ 227، 228. و في أحكام القرآن لابن العربي المعافري 2/ 192- 195 بحث قيّم في أن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال شعرا أو لم يقله.

(895) رجل داعر (بالمهملة): يسرق، و يزني، و يؤذي الناس؛ و الجمع دعرة.

(896) تعاوت الشرار: تجمعت للفتنة؛ و تعاووا عليه: تعاونوا و تساعدوا.

(897) الهديل: ذكر الحمام. و الجمع هدل، كسرير و سرر.

النحور، و تزيّنت الحور. و تبع هذه الأم بنات شهيرة، و بقع للزّرع و الضّرع خيره، [898] فشفي الثّغر من بؤسه، و تهلّل وجه الإسلام بتلك الناحية الناجية بعد عبوسه.

ثم أعملنا الحركة إلى مدينة إطريرة، على بعد المدى، و تغلغلها في بلاد العدا، و اقتحام هول الفلا و غول الرّدى؛ مدينة تبنّتها حمص [899] فأوسعت الدار، و أغلت الشّوار، [900] و راعت الاستكثار، و بسطت الاعتمار، [901] رجّح لدينا قصدها على البعد، و الطريق الجعد، ما آسفت [902] به المسلمين من استئصال طائفة من أسراهم، مرّوا بها آمنين، و بطائرها المشؤوم متيمّنين، قد أنهكهم [903] الاعتقال، و القيود الثقال، و أضرعهم الإسار و جلّلهم الانكسار، فجدّلوهم [904] في مصرع واحد، و تركوهم عبرة للرائي و المشاهد، و أهدوا بوقيعتهم إلى الإسلام ثكل الواجد، [905] و ترة الماجد، [906] فكبسناها كبسا، و فجأناها بإلهام من لا يضلّ و لا ينسى، و صبّحتها الخيل، ثم تلاحق الرجل لمّا جنّ الليل، و حاق بها الويل، فأبيح منها الذّمار، [907]

---

(898) الخيره: المختار من كل شيء؛ يريد: بقاع مختارة للزرع و الضرع.

(899) يريد إشبيلية؛ سماها حمص جند بني أمية الذي نزل بها حين جاء من حمص الشام و قد فعلوا ذلك في كثير من مدن الأندلس. و انظر ياقوت 3/ 342.

(900) الشوار: متاع البيت؛ و يريد به ما تعارف عليه الفقهاء، مما يشترى من الصداق الذي يدفعه الزوج، و تجهز به الزوجة من حلي، و غطاء، و وطاء الخ؛ ذلك لأنه جعل «حمص» أمّا لإطريرة قد زوجتها و جهزتها، فتغالت- لما في الأم من حب لابنتها- في هذا الجهاز الخ. فجاء بالألفاظ الفقهية بمعانيها التي اصطلحوا عليها. و انظر شرح تحفة الحكام 1/ 326.

(901) يريد بالاعتمار: الاستعمار، و الاستغلال.

(902) آسفت: أغضبت؛ و المعنى متصل بالآية: [فلما آسفونا انتقمنا منهم].

(903) أنهكهم: أجهدهم، و أضناهم.

(904) فجدّلوهم: صرعوهم.

(905) الثكل: فقد المرأة ولدها، و فقد الرجل ولده أيضا. و الواجد: الحزين.

(906) الترة: الذحل و الثأر. و الماجد: الكريم، و من له آباء متقدمون في الشرف.

(907) الذمار: ما وراء الرجل مما يحق له أن يحميه. و الدمار (بالمهملة): الهلاك.

و أخذها الدّمار، و محقت من مصانعها البيض الأهلّة و خسفت الأقمار، و شفيت [908] من دماء أهلها الضلوع الحرار، [909] و سلطت على هياكلها النار، و استولى على الآلاف العديدة من سبيها الإسار، و انتهى إلى إشبيلية الثّكلى المغار [910] فجلّل وجوه من بها من كبار النصرانية الصّغار، [911] و استولت الأيدي على ما لا يسعه الوصف و لا تقلّه [912] الأوقار. [913]

وعدنا و الأرض تموج سبيا، لم نترك بعفرّين شبلا [914] و لا بوجرة ظبيا، [915] و العقائل [916] حسرى، و العيون يبهرها الصّنع الأسرى [917] و صبح السّرى قد حمد من بعد المسرى، [918] سُبْحانَ الّذِي أَسْرى، [919] و لسان الحمية ينادي، في تلك الكنائس المخربة و النوادي: يا لثارات الأسرى!

---

(908) شفيت: عولجت.

(909) الضّلوع الحرار: العطشى.

(910) المغار: مصدر ميمي بمعنى الإغارة.

(911) جلل وجوههم: عم وجوههم. و الصغار: الذّل.

(912) أقلّ الشيء: أطاق حمله.

(913) الأوقار، جمع وقر؛ و هو الحمل. و أكثر ما يستعمل في حمل البغل و الحمار.

(914) عفرين (بكسر العين و الفاء و تشديد الراء): بلد تكثر فيه الأسود و الشبل: ولد الأسد.

(915) وجرة: فلاة بوسط نجد، لا تخلو من شجر، و مياه، و مرعى. و الوحش فيها كثير. (تاج- وجر).

(916) جمع عقلة؛ و هي المرأة الكريمة، النفيسة.

(917) الصنع الأسرى: الأشرف، و الأرفع.

(918) ينظر إلى المثل: «عند الصباح يحمد القوم السّرى»، الذي يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة. انظر الميداني 2/ 304.

(919) اقتباس من الآية 1 من سورة الإسراء. و أسرى: سار ليلا.

و لم يكن إلا أن نفلت الأنفال، [920] و وسمت بالأوضاح الأغفال، [921] و تميّزت الهوادي و الأكفال، [922] و كان إلى غزو مدينة جيّان الاحتفال، قدنا إليها الجرد [923] تلاعب الظلال نشاطا، و الأبطال تقتحم الأخطار رضى بما عند الله و اغتباطا، و المهنّدة الدّلق [924] تسبق إلى الرقاب استلالا و اختراطا، و استكثرنا من عدد القتال احتياطا، و أزحنا العلل عمّن أراد جهادا منجيا غباره من دخان جهنم و رباطا، و نادينا الجهاد! الجهاد! يا أمّة الجهاد! راية النبيّ الهاد! الجنّة تحت ظلال السيوف الحداد!، فهزّ النداء إلى الله تعالى كل عامر و غامر، [925] و ائتمر الجمّ من دعوى الحقّ إلى أمر آمر، و أتى الناس من الفجوج [926] العميقة رجالا و على كل ضامر، [927] و كاثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعدّا، و سدّت الحشود مسالك الطريق العريضة سدّا، و مدّ بحرها الزاخر مدّا، فلا يجد لها الناظر و لا المناظر حدّا.

و هذه المدينة هي الأمّ الولود، و الجنّة التي في النّار لسكّانها من الكفّار الخلود، و كرسيّ الملك، و مجنّبة [928] الوسطى من السلك، بات بالمزايا العديدة و نجحت،

---

(920) الأنفال، جمع نفل؛ و هو الغنيمة. و نفلت: أعطيت.

(921) الأوضاح، جمع وضح؛ و هو البياض. و الأغفال: جمع غفل؛ و هي الناقة و الدابة لا توسم لئلا تجب عليها صدقة، و في الحديث: (يا رسول الله إني رجل مغفل، فأين أسم إبلي)، أي صاحب إبل أغفال لا سمات عليها.

(922) هوادي كل شيء: أوائله. يريد: تميز الشجعان الذين كانوا يتصدرون المعركة، من الأكفال (جمع كفل): و هم الذين يكونون في مؤخر الموقعة همتهم التأخر، و الفرار.

(923) جمع أجرد؛ و هو الفرس القصير الشعر، و ذلك من علامات العتق و الكرم.

(924) سيف دلق: سهل الخروج من غمده؛ و الجمع: دلق.

(925) العامر من الأرض: المستغل. و الغامر: الذي يغمره الماء؛ و يراد به الأرض التي لم تستعمر. يريد:
أقبل الناس من كل جانب.

(926) جمع فج؛ و هو الطريق البعيد، و الواسع، و الذي بين جبلين.

(927) الجمل الضّامر: الخفيف الجسم.

(928) المجنّبة: التي تأخذ مكانها جانب الجوهرة الوسطى من العقد. يريد أن مدينة جيان تحتل المرتبة الثانية بالقياس إلى حضرة الملك.

و عند الوزان بغيرها من أمّات [929] البلدان، رجحت، غاب الأسود، و جحر الحيّات السّود، و منصّب [930] التّماثيل الهائلة، و معلّق النّواقيس الصّائلة. [931]

فأدنينا إليها المراحل، و عنينا ببحار المحلات المستقلات منها السّاحل، [932] و لما أكثبنا [933] جوارها، و كدنا نلتمح [934] نارها، تحرّكنا إليها و وشاح [935] الأفق المرقوم، بزهر النجوم، قد دار دائره، و الليل من خوف الصباح، على سطحه المستباح، قد شابت غدائره، و النّسر [936] يرفرف باليمن طائره، و السّماك الرّامح [937] يثأر بعزّ

---

(929) أمات، جمع أم؛ و يغلب أن تأتي جمعا لأم ما لا يعقل. و انظر اللسان «أم»، «أمه».

(930) منصّب: اسم مكان، بمعنى الموضع الذي أقيمت فيه هذه التماثيل.

(931) لعله يريد المصلصلة، بمعنى المصوتة. أما الصائلة: فمن صال إذا تطاول و بغى، و ترفّع.

(932) أحل فلان أهله بمكان كذا: جعلهم يحلونه. و استقل القوم: ذهبوا و ارتحلوا. و أرجو أن يكون المعنى:
و قصدنا ضواحي جيان برواحلنا التي تحلنا و تقلنا، و التي تشبه- بما كثرت- بحارا.

(933) أكثب: قارب، ودنا من الشيء.

(934) التمحه: أبصره بنظر خفيف.

(935) الوشاح: شيء ينسج عريضا من أديم، و يرصع بالجواهر، و تشده المرأة بين عاتقها و كشحها.

(936) النسران: كوكبان شآميان؛ أحدهما واقع، و الآخر طائر. فالواقع كوكب نيّر، خلفه كوكبان أصغر منه، يكوّنان معه صورة الأثافي؛ و يقولون: هما جناحاه، و قد ضمّهما إليه حين وقع. و أما الطائر؛ فهو إزاء النسر الواقع في ناحية الشمال، و تفصل بينهما المجرة؛ و هو كوكب منير بين كوكبين تخيلوهما جناحيه قد نشرهما. و انظر كتاب «الأنواء» لابن قتيبة ص 133 (نسخة خاصة)، لسان (نسر).

(937) السماك الرامح: نجم نير شمالي، خلفه كوكبان بمنزلة الرمح له. و هو نجم لا نوء له و يقابله السماك الأعزل؛ و هو من منازل القمر.

الإسلام ثائره، و النعائم راعدة [938] فرائص [939] الجسد، من خوف الأسد، [940] و القوس [941] يرسل سهم السّعادة، [942] بوتر العادة، إلى أهداف النعم المعادة،

---

(938) النعائم: منزلة من منازل القمر؛ و هي أربعة كواكب مربعة على طرف المجرة. و هناك نعائم واردة، و نعائم صادرة؛ فالواردة منها هي التي ترد في نهر المجرة، و الصادرة قد وردت و صدرت، أي رجعت عنها. و انظر «الأنواء» لابن قتيبة ص 68 (نسخة خاصة)، لسان «نعم».

(939) راعدة الفرائص: فزعة، مرتجفة. و الفرائص، جمع فريصة، و هي مرجع الكتف إلى الخاصرة في وسط الجنب.

(940) الأسد: أحد البروج الشمالية الاثنى عشر. و كواكبه 34 كوكبا. و انظر «الصور السمائية» للصوفي 105 أ- 112 ب (نسخة خاصة).

(941) القوس، و يسمى الرامي: أحد البروج الشمالية الاثنى عشر من البروج الجنوبية؛ و هو كوكبة على صورة شخص نصفه الأعلى إنسان، بيده قوس يرمي به، و النصف الأسفل منه على صورة فرس.

و كواكبه 31 كوكبا، و يقع خلف كوكبة العقرب. و انظر «الصور السمائية» للصوفي 171 م- 175 ب (نسخة خاصة).

(942) السهم- في مصطلح المنجمين: عبارة عن موضع في دائرة فلك البروج، يقع بين طولي كوكبين من الكواكب السيارة. و لهم في استخراجه طرق حسابية معروفة؛ و لهذا الموضع المعين دلالة خاصة.

و أقوى السهام: سهم السعادة، و سهم الغيب. و انظر شرح «اللمعة» في حل الكواكب السبعة ص 125 (نسخة خاصة).

و الجوزاء [943] عابرة نهر المجرة، [944] و الزهرة [945] تغار من الشّعرى العبور [946] بالضّرّة، و عطارد [947] يسدي في حبل الحروب، على البلد المحروب [948] و يلحمه، و يناظر على أشكالها الهندسية فيفحمه، و الأحمر [949] يبهر، و بعلمه الأبيض يغري و ينهر، و المشتري يبدئ في فضل الجهاد و يعيد، و يزاحم في الحلقات، على ما للسعادة من

---

(943) الجوزاء، و تسمى التوأمين: برج من بروج الشمس الشمالية؛ و هي صورة إنسانين رأسهما، و سائر كواكبهما في الشمال و المشرق عن المجرة، و أرجلهما إلى الجنوب و المغرب في نفس المجرة؛ و هما كالمتعانقين. كواكبها 25 كوكبا. و انظر «الصور السمائية» للصوفي ورقة 100 (نسخة خاصة).

(944) المجرة: البياض الذي يرى في السماء، و تسمى عند العوام بسبيل النبّانين؛ و هي كواكب صغار، متقاربة، متشابكة لا تتمايز حسا، بل هي لشدة تكاثفها و صغرها صارت كأنها لطخات سحابية؛ و العرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم فيها. و انظر شرح المواقف 2/ 328، عجائب المخلوقات للقزويني 1/ 32 و ما بعدها.

(945) الزّهره، كتؤدة: نجم أبيض مضيء من الكواكب السبعة السيارة، و يسميها المنجمون السعد الأصغر، لأنها في السعادة دون المشتري. و لهم فيما لها من خواص مزاعم، تجد بعضها في عجائب المخلوقات 1/ 34، 35. و انظر تاج العروس (زهر).

(946) الشعري العبور (بكسر الشين): كوكب نير من كوكبة الجوزاء، في حجم الزهرة و نورها تقريبا؛ يقال لها الشعري العبور، و مرزم الشعري؛ ذكرت في القرآن: وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى (49 من سورة النجم).

و قد عبدها قوم من العرب في الجاهلية. و سميت العبور لأنها- فيما يزعمون- عبرت السماء عرضا، و لم يعبرها غيرها، فلذلك عبدوها. و انظر كتاب «الأنواء» ص 43 (نسخة خاصة)، تاج العروس (شعر).

(947) عطارد، و يسمى- في عرف أهل المغرب- الكاتب: كوكب من السبعة السيارة. و اقترانه بزحل يدل على الخسف و الزلزال، و بالمريخ يدل على الشدائد. (عن شرح منظومة ابن أبي الرجال في أحكام النجوم).

(948) المحروب: المسلوب المال، المنهوب.

(949) الأحمر، و هو المريخ: دليل على الحروب و أصحابها؛ فإذا كان في البرج الرابع

من الطالع، دلّ ذلك على كثرة القتل في الحروب، و شدة الهول. (عن شرح منظومة ابن أبي الرجال).

الصفقات، و يزيد، [950] و زحل [951] عن الطالع [952] منزحل، [953] و عن العاشر [954] مرتحل، و في زلق السعود و حل، و البدر يطالع حجر المنجنيق، [955] كيف يهوي إلى النيق، [956] و مطلع الشمس يرقب، و جدار الأفق يكاد بالعيون عنها ينقب.

و لمّا فشا سرّ الصباح، و اهتزّت أعطاف الرّايات بتحيّات مبشّرات الرياح، أطلنا [957] عليها إطلال الأسود على الفرائس، و الفحول على العرائس، فنظرنا منظرنا منظرا يروع بأسا و منعة، [958] و يروق وضعا و صنعة، تلفعت [959] معاقله الشم للسحاب ببرود، و وردت من غدر المزن في برود، [960] و أشرعت لاقتطاف أزهار النجوم و الذراع بين النّطاق معاصم رود، [961] و بلدا يعيي الماسح و الذّارع، [962] و ينتظم المحاني

---

(950) زحل، و المشتري، و المريخ، إذا اقترنت بعضها ببعض، أو تناظرت؛ بأن كانت ناظرة بعضها إلى بعض نظر عداوة، و ذلك عند التربيع و المقابلة- إذا حصل ذلك عند حلول الشمس برأس الحمل، فإن ذلك يدل على وقوع حرب. (عن شرح منظومة ابن أبي الرجال).

(951) زحل، و هو كيوان: إذا اتصل به القمر اتصال عداوة، فإن ذلك يدل على البلايا و الرزايا. (عن شرح منظومة ابن أبي الرجال).

(952) الطالع: هو البرج الذي على الأفق الشرقي.

(953) زحل عن كاه: زلّ، و حاد.

(954) العاشر: هو البرج الذي يقع فوق سمت الرأس.

(955) المنجيق (بفتح الميم و كسرها): آلة لرمي الحجارة على العدو في الحرب. و انظر شفاء الغليل ص 133، و المعرب للجواليقي ص 306، و ما بعدها.

(956) النيق: أرفع موضع في الجبل.

(957) أطللنا عليها: أشرفنا عليها.

(958) منعة: قوة تمنع من يريده بسوء.

(959) تلفع: تلحف.

(960) البرود من الشراب: ما يبرد الغلة.

(961) رخصة ناعمة.

(962) مسح الأرض: قاس مساحتها. و ذرعها: قاسها بالذراع.

و الأجارع، [963] فقلنا: اللهمّ نفّله أيدي عبادك، و أرنا فيه آية من آيات جهادك، و نزلنا بساحتها العريضة المتون، نزول الغيث الهتون، و تيمّنا من فحصها بسورة التين و الزيتون، متبرّئة من من أمان الرّحمن للبلد المفتون، و أعجلنا الناس بحمية نفوسهم النّفيسة، و سجية شجاعتهم البئيسة، [964] عن أن تبوّأ [965] للقتال المقاعد، [966] و تدني بإسماع شهير النفير منهم الأباعد، و قبل أن يلتقي الخديم بالمخدوم، و يركع المنجنيق ركعتي القدوم، فدفعوا من أصحر إليهم من الفرسان. و سبق إلى حومة الميدان، [967] حتى أحجروهم في البلد، و سلبوهم لباس الجلد، [968] في موقف يذهل الوالد عن الولد، صابت السّهام فيه غماما، [969] و طارت كأسراب الحمام تهدى حماما، [970] و أضحت القنا قصدا، [971] بعد أن كانت شهابا رصدا، و ماج بحر القتام [972] بأمواج النّصول، و أخذ الأرض الرجفان لزلزال الصّياح الموصول، فلا ترى إلا شهيدا تظلّل مصرعه الحور، [973] و صريعا تقذف به إلى الساحل تلك البحور،

---

(963) المحاني، جمع محنية؛ و هي منعرج الوادي، و ما انحنى من الأرض. و الأجارع، جمع أجرع؛ و هي الأرض الطيبة المنبت، و الأرض فيها حزونة.

(964) الشديدة البأس.

(965) تبوأ: تهيأ.

(966) المقاعد: مواقف للقتال تعين لكل واحد من المقاتلين؛ يعني عجلنا بالهجوم قبل أن يتخذ كل مقاتل مكانا معينا. و الإشارة إلى الآية وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ (121 من سورة آل عمران) واضحة. و انظر حاشية القاضي زاده على البيضاوي 3/ 130/ 132.

(967) حومة الميدان: أشد موضع فيه وقت القتال.

(968) الجلد: القوة، و الصبر.

(969) صابت السهام غماما: نزلت كالغمام لكثرتها.

(970) الحمام (بالكسر): قضاء الموت و قدره.

(971) قصدا: قطعا؛ يقال: القنا قصد أي مكسورة.

(972) القتام: الغبار.

(973) جمع حوراء؛ و هي التي اشتد بياض عينها، و سواد سوادها.

و نواشب [974] تبأى [975] بها الوجوه الوجيهة عند الله و النّحور، فالمقضب، [976] فوده [977] يخضب، و الأسمر، غصنه يستثمر، و المغفر، [978] حماه يخفر، و ظهور القسي تقصم، [979] و عصم الجند الكوافر تفصم، [980] و ورق اليلب [981] في المنقلب يسقط، و البيض تكتب و السّمر تنقط، [982] فاقتحم الرّبض الأعظم لحينه، و أظهر الله لعيون المبصرين و المستبصرين عزّة دينه، و تبرّأ الشيطان من خدينه، [983] و نهب الكفّار و خذلوا، و بكلّ مرصد جدّلوا، ثم دخل البلد بعده غلابا، و جلّل [984] قتلا و استلابا، فلا تسل إلا الظّبا [985] و الأسل [986] عن قيام ساعته، و هول يومها و شناعته، و تخريب المبائت [987] و المباني، و غنى الأيدي من خزائن تلك المغاني، و نقل الوجود الأول إلى

---

(974) نواشب: سهام ناشبة في وجوه المحاربين، أو في أعناقهم.

(975) تبأى بها: تنشق.

(976) سيف مقضب؛ قطاع.

(977) الفود؛ معظم شعر اللمة مما يلي الأذن. و إسناد ذلك للسيف على جهة التوسع.

(978) المغفر: ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد و نحوه.

(979) تقصم: تكسر.

(980) عصم الكوافر: جمع عصمة، و أصل العصمة الحبل، و كل ما أمسك شيئا فقد عصمه، و الكوافر جمع كافرة. و يريد هنا أن الجند جماعات، فصح له جمع فاعل على فواعل. تفصم: تقطع و تنفصل. و اقتباسه من الآية: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ» واضح.

(981) اليلب: الدروع، و الدرق.

(982) البيض: السيوف. و السمر: الرماح.

(983) الخدين: الصديق.

(984) جلل قتلا: عمه القتل.

(985) الظبا، جمع ظبة؛ و هي حد السيف، و السّنان، و النصل، و الخنجر، و نحوها.

(986) الأسل: عيدان طوال دقاق مستوية لا ورق لها؛ و تسمى الرماح، و القنا أسلا على التشبيه بها في الطول، و الاستواء، و الدقة.

(987) المبائت، جمع مبيت، مكان البيتوتة.

الوجود الثاني، [988] و تخارق السيف فجاء بغير المعتاد، و نهلت القنا الرّدينية من الدماء، حتى كادت تورق كالأغصان المغترسة و الأوتاد، و همت أفلاك القسيّ و سحّت، و أرنّت حتى بحّت، و نفدت موادّها فشحّت، مما ألحّت، و سدّت المسالك جثث القتلى فمنعت العابر، و استأصل الله من عدوه الشأفة و قطع الدابر، [989] و أزلف الشهيد و أحسب الصّابر، [990] و سبقت رسل الفتح الذي لم يسمع بمثله في الزمن الغابر. تنقل البشرى من أفواه المحابر، إلى آذان المنابر.

أقمنا بها أياما نعقر الأشجار، [991] و نستأصل بالتخريب الوجار، [992] و لسان الانتقام من عبدة الأصنام، ينادي: يا لثارات الإسكندرية [993] تشفيا من الفجار، [994] و رعيا لحق الجار؛ و قفلنا و أجنحة الرّايات، برياح العنايات، خافقه،

---

(988) يعني بالوجود الأول: الوجود الخارجي، و هو المرئي بالعين الملموس. أما الوجود الثاني فهو الوجود الذهني؛ و المعنى أن هذه المدينة قد أصبحت موجودة في الأذهان صورتها بعد ان كانت موجودة بالعين. و انظر معيار العلم للغزالي ص 37. و شرح المقاصد للسعد 1/ 57 (طبع استانبول سنة 1277 ه).

(989) الشأفة: الأصل، و استأصل الله شأفته أي أصله. و قطع الدابر: استأصل آخرهم.

(990) أزلف الشهيد: قربه إليه. و أحسب الصابر: أعطاه ما يرضى، أو أعطاه حتى قال حسبى.

(991) نعقر الأشجار: نقطع رؤوسها، فتيبس.

(992) الوجار (بالكسر و بفتح): جحر الضبع، و الأسد، و الثعلب، و الذئب و نحوها.

(993) يشير ابن الخطيب إلى «الواقعة» التي حدثت بالأسكندرية سنة 767، و مجملها أن حاكم قبرص، انتهز غيبة حاكم الإسكندرية في الحجاز للحج، فهاجم البلد في أسطول بلغت قطعه نحو 70 فيما قالوا، و قد خرج أهل الإسكندرية للنزهة غير مقدرين للخطر، و كانت الحامية الموجودة قليله، و الأسوار و الحصون خالية من المدافعين، فهاجم العدو الأهالي العزل الآمنين، ففروا إلى المدينة، و أغلقوا عليهم الأبواب، فأحرقها العدو و اقتحم البلد عليهم ... فكانت مذابح هتكت فيها حرمات. و انظر تفصيلها في العبر 5/ 454.

(994) شبّه مهاجمة الاسكندرية الآمنة بحرب «الفجار»، التي سميت بذلك لما استحل

فيها من حرمات، حيث كانت في الأشهر الحرم.

و أوفاق، [995] التّوفيق، الناشئة من خطوط الطريق، موافقة، و أسواق العزّ بالله نافقه، و حملاء الرّفق مصاحبة- و الحمد لله- مرافقة، و قد ضاقت ذروع الجبال، عن أعناق الصّهب السّبال، [996] و رفعت على الأكفال، ردفاء كرائم الأنفال، و قلقلت من النواقيس أجرام الجبال، بالهندام [997] و الاحتيال؛ و هلك بمهلك هذه الأمّ بنات كنّ يرتضعن ثديّها الحوافل، [998] و يستوثرن حجرها الكافل، شمل التخريب أسوارها، و عجّلت النّار بوارها.

ثم تحرّكنا بعدها حركة الفتح، و أرسلنا دلاء الأدلاء [999] قبل المتح، [1000] فبشّرت بالمنح، و قصدنا مدينة أبّدة، و هي ثانية الجناحين، و كبرى الأختين، و مساهمة جيّان في حين الحين، [1001] مدينة أخذت عرض الفضاء الأخرق، [1002] و تمشّت فيه

---

(995) أوفاق، جمع وفق؛ و هي مربعات تحتوي على بيوت مربعة صغيرة، و توضع في تلك البيوت أرقام، أو حروف، على نظام بحيث لا يتكرر عدد في بيتين، و بحيث يكون مجموع أضلاع المربع، و مجموع أقطاره متساويا؛ و يسمى الوفق- بعد ذلك- بما في أحد أضلاعه من بيوت؛ فيقال: المثلث، و المربع، و المخمس الخ؛ و قد يحتوي على مئة من البيوت فيقال: الوفق المئيني. و يقول أصحاب الأوفاق: إن للاعداد- في هذا الوضع- خواص روحانية، و آثارا عجيبة، إذا اختير للعمل بها وقت مناسب، و ساعة شريفة. و كلام ابن الخطيب على التشبيه و التجوز.

(996) الصّهب: جمع أصهب، و هو الأبيض تخالطه حمرة. و السبال: جمع سبلة؛ و هي اللحية، أو ما على الشارب من شعر؛ و يقال للأعداء عامة هم صهب السبال؛ ذلك لأن الصّهوبة في الروم، و قد كانوا أعداء العرب؛ ثم قالوا لكل الأعداء: هم صهب السبال.

(997) الهندام آلة يحتال بها على رفع أو تحريك الأشياء الثقيلة التي لا تستطيع قوى الإنسان المجردة أن ترفعها، أو تحركها. و قد وصف هذه الآلة ابن خلدون في آخر فصل البناء من مقدمته.

(998) الحوافل: جمع حافلة، و هي الناقة الممتلئ ضرعها لبنا.

(999) جمع دلو؛ و هي ما يستقى به. و الأدلاء: جمع دليل، و هو المرشد. و يريد: قدمنا- قبل بدء القتال- طلائع لتكشف ما عند العدو من استعداد.

(1000) المتح: الاستقاء.
(1001) الحين: الهلاك.
(1002) الأخرق: البعيد الواسع.

أرباضها تمشّي الكتابة الجامحة في المهرق، [1003] المشتملة على المتاجر و المكاسب، و الوضع المتناسب، و الفلح المعيي ريعه [1004] عمل الحاسب و كوارة [1005] الدّبر [1006] اللاسب [1007] المتعدّدة اليعاسب، [1008] فأناخ العفاء [1009] بربوعها العامرة، و دارت كؤوس عقار [1010] الحتوف، [1011] ببنان السيوف، على متديّريها المعاقرة، [1012] و صبّحتها طلائع الفاقرة، [1013] و أغريت ببطون أسوارها عوج المعاول [1014] الباقرة، [1015] و دخلت مدينتها عنوة السيف، في أسرع من خطرة الطيف، و لا تسأل عن الكيف، فلم يبلغ العفاء من مدينة حافلة، و عقيلة في حلل المحاسن رافله، [1016] ما بلغ من هذه البائسة [1017] التي سجدت لآلهة النّيران أبراجها، و تضاءل [1018]

(1003) المهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها.

(1004) الريع: النماء، و الزيادة؛ و أرض مربعة: مخصبة؛ و هذا هو المراد هنا.

(1005) الكوار، و الكوارة: شيء يتخذ للنحل من القضبان.

(1006) الدّبر: النحل.

(1007) لسبته النحلة؛ لسعته.

(1008) اليعسوب: أمير النحل. و حق الجمع يعاسيب.

(1009) أناخ الجمل: برك. و العفاء: المحو، و الإزالة.

(1010) العقار: الخمر.

(1011) الحتوف: جمع حتف؛ و هو الموت.

(1012) معاقر الخمر: مدمنها، و الجمع: معاقرة: و لعله يريد بمتديريها، دياريها.

(1013) الفاقرة: الداهية الكاسرة.

(1014) جمع معول؛ و هو الحديدة تنقر بها الجبال. أو هو الفأس.

(1015) بقر الشيء بقرا: فتحه، و وسّعه، و شقه.

(1016) امرأة رافلة: تجر ذيلها جرا حسنا إذا مشت.

(1017) البائسة: الفقيرة، و التي نزلت بهابلية ترحم من أجلها.

(1018) تضاءل: تصاغر و ذلّ.

بالرّغام [1019] معراجها، و ضفت [1020] على أعطافها [1021] ملابس الخذلان، و أقفر من كنائسها كناس [1022] الغزلان.

ثم أهبنا لغزو أم القرى الكافرة، و خزائن المزاين [1023] الوافرة، و ربّة الشهرة السافرة، [1024] و الأنباء المسافرة، قرطبة، و ما أدراك ما هيه! ذات الأرجاء الحالية [1025] الكاسية، [1026] و الأطواد الراسخة الراسية، و المباني المباهية، و الزهراء [1027] الزاهية، و المحاسن غير المتناهية، [1028] حيث هالة بدر السماء قد استدارت من السور المشيد البناء دارا، و نهر المجرّة من نهرها الفياض، المسلول حسامه من غمود الغياض، [1029] قد لصق بها جارا، و فلك الدولاب، المعتدل الانقلاب، قد استقام مدارا، و رجع

(1019) الرّغام (بالفتح): التراب.

(1020) ثوب ضاف: سابغ طويل.

(1021) عطفا كل شيء: جانباه، و الجمع أعطاف.

(1022) الكناس: موضع في الشجر يستكنّ فيه الظّبي و يستقر، إذا اشتدّ الحر.

(1023) المزاين: ما يتزين به.

(1024) السافرة: الذاهبة كل مذهب.

(1025) الحالية: التي لبست حليا.

(1026) الكاسية: المكتسية.

(1027) الزّهراء: مدينة في شمال قرطبة على بعد ثلاثة أميال منها، تحت جبل العروس؛ بناها الناصر المرواني أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أول سنة 325 ه، و سماها باسم جارية كان يحبها، اشتهت أن يبني لها مدينة في جبل العروس، و يسميها باسمها. و قد وصفها المقري في نفح الطيب 1/ 344- 374 طبع ليدن. و انظر الروض المعطار ص 95.

(1028) قد وصف المقري في النفح 1/ 297 و ما بعدها طبع ليدن- نقلا عن ابن سعيد، و الحميري في الروض المعطار ص 153- 158، مدينة قرطبة بما يحسن الاطلاع عليه، لتقدير وصفها في كلام ابن الخطيب هنا.

(1029) الغيضة: مغيض ماء يجتمع، فينبت فيه الشجر؛ و جمعها غياض.

الحنين اشتياقا إلى الحبيب الأول وادّكارا

نقّل فؤادك حيث شيئت من الهوى* * * ما الحبّ إلا للحبيب الأول

(1030) حيث الطود كالتاج، يزدان بلجين العذب المجاج، (1031) فيزري بتاج كسرى (1032) و دارا، (1033) حيث قسيّ الجسور (1034) المديدة، كأنّها عوج (1035) المطيّ العديدة، تعبر النهر قطارا، حيث آثار (1036)

(1030) يريد أن قرطبة دائمة الحنين إلى الحكم الإسلامي الذي انتظمها منذ الفتح حتى سنة 633 ه، حيث سقطت في أيدي الإسبان، (نفح الطيب 1/ 297 و ما بعدها طبع ليدن)؛ و هو في ذلك ينظر إلى قول أبي تمام: (ديوان ص 457).

نقّل فؤادك حيث شيئت من الهوى* * * ما الحبّ إلا للحبيب الأول

(1031) المجاج: العسل، و مجاج المزن: مطرها.

(1032) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان. كان معاصرا للنعمان بن المنذر. و لما قتل كسرى النعمان بن المنذر أراد الاستيلاء على تركته، فكان ذلك سبب حرب «ذي قار». و انظر مروج الذهب للمسعودي طبع باريس 3/ 302- 209، 2/ 186. و الطبري 2/ 137- 156، و الشريشي 2/ 78.

(1033) هكذا يسميه المؤرخون المسلمون، و اسمه اليونانيDarius ، و يسمى في الفارسيةDaryavesh، Darayavaush في النصوص القديمة. و المراد به الابن الأكبر لHystapses و هو من أبعد ملوك فارس صيتا، بل من أعظم الحكام الذين أنتجهم الشرق القديم. أحدث في إمبراطوريته (521- 485) المتباعدة الأطراف، نظما و قوانين لا تزال موضع الإعجاب و التقدير حتى اليوم. انظر تاريخ الطبري 2/ 6 و ما بعدها، شرح الشريشي 2/ 80، و انظر أيضا:

The Martyrdom of man, by Winwood Reade p. 55- 26, Encyclopaedia Britannica. Vol. 7 p. 95.

(1034) الذي نعرف أن على نهر قرطبة جسرين، بنى الأعظم منهما- بأمر عمر بن عبد العزيز- السمح بن مالك الخولاني، أو عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقي؛ و كانوا يسمّونه قنطرة الوادي، و كانت أقواسه سبعة عشر قوسا، سعة الواحدة منها خمسون شبرا.

نفح الطيب 1/ 226، 246 بولاق 1/ 96 ليدن، الروض المعطار ص 156، 158.

(1035) جمع عوجاء؛ و هي الضامرة من الإبل. و المطىّ؛ جمع مطية؛ و هي ما يمتطى ظهره.

(1036) من آثاره: المنية المعروفة بالعامرية، و المدينة «الزاهرة» التي اتخذها مقرا لحكمه، و الزيادة التي أضافها لمسجد قرطبة في الناحية الشرقية منه. و انظر نفح الطيب 1/ 260، 274- 277 بولاق.

العامريّ [1037] المجاهد،

ألم ترني بعت المقامة بالسرى* * * و لين الحشايا بالخيول الضّوامر

و بدلت بعد الزعفران و طيبه* * * صدى الدرع من مستحكمات المسامر

فلا تحسبوا أني شغلت بلذة* * * و لكن أطعت اللّه في كل كافر

[1038] تعبق [1039] بين تلك المعاهد، شذى معطارا، حيث كرائم السحائب، تزور عرائس الرياض الحبائب، فتحمل لها من الدرّ نثارا، حيث شمول الشّمال [1040] تدار على الأدواح، [1041] بالغدو و الرواح، فترى الغصون سكارى، و ما هي بسكارى، حيث أيدي الافتتاح، تفتضّ من شقائق [1042] البطاح، أبكارا، حيث ثغور الأقاح [1043] الباسم، تقبّلها بالسحر زوار النّواسم، فتخفق قلوب

(1037) هو محمد بن عبد اللّه بن أبي عامر بن محمد بن عبد اللّه بن عامر المعافري، دخل جدّه الأندلس مع طارق بن زياد. و استوزره الحكم المستنصر لابنه هشام، فلما مات حجبه ابن أبي عامر، و استولى على الدولة، و أمر بأن يحيا بتحية الملوك، و تسمّى بالحاجب المنصور. توفي مبطونا بمدينة سالم، بأقصى ثغور المسلمين سنة 393 أو 39. له ترجمة ضافية في نفح الطيب 1/ 188 و ما بعدها، المعجب للمراكشي ص 17- 25 طبع مصر سنة 1324 ه، العبر لابن خلدون 4/ 147- 148.

(1038) كان المنصور بن أبي عامر محبا للجهاد؛ غزا بنفسه- مدّة ملكه- نيفا و خمسين غزوة، لم تنتكس له فيها راية، و لا فل له فيها جيش. و من شعره في ذلك:

ألم ترني بعت المقامة بالسرى* * * و لين الحشايا بالخيول الضّوامر

و بدلت بعد الزعفران و طيبه* * * صدى الدرع من

فلا تحسبوا أني شغلت بلذة* * * و لكن أطعت الله في كل كافر

و كان يأمر أن ينفض غبار ثيابه التي حضر فيها القتال، و أن يجمع و يحتفظ به؛ فلمّا حضرته الوفاة أمر أن ينشر على كفنه إذا وضع في قبره. (رحمه الله). العبر 4/ 148، نفح 1/ 188، 193- 194 بولاق، المعجب للمراكشي ص 24، يتيمة الدهر 2/ 54.

(1039) عبق الطيب: فاح و انتشر. (تاج).

(1040) الشمول: الخمر. و الشمال: الريح تهب من القطب؛ و يقال: خمر مشمولة إذا ضربتها ريح الشمال فأصبحت باردة الطعم.

(1041) جمع دوحة: و هي الشجرة العظيمة المتسعة.

(1042) يريد شقائق النعمان، و تسمى الشّقر أيضا؛ و هي نور أحمر؛ و النعمان اسم الدم، فشبهت حمرتها بحمرة الدم، و سميت شقائق النعمان، و غلب عليها اسم الشقائق.

(1043) جمع أقحوان؛ و هو نبت طيب الريح، له نور أصفر، و حواليه ورق أبيض، كأنه ثغر جارية حدثة السن، و انظر مفردات ابن البيطار 1/ 48. و الصواب: «الأقاح البواسم».

النجوم الغيارى، حيث المصلّى [1044] العتيق، قد رحب مجالا و طال منارا، [1045] و أزرى ببلاط الوليد [1046] احتقارا، حيث الظهور [1047] المثارة بسلاح [1048] الفلاح، تجبّ عن مثل أسنمة [1049] المهارى، [1050] و البطون [1051] كأنها لتدميث [1052] الغمائم، بطون العذارى، و الأدواح العالية، تخترق أعلامها الهادية، بالجداول الحيارى. [1053] فما شئت من جوّ بقيل، [1054] و معرّس للحسن و مقيل، و مالك

(1044) يريد جامع قرطبة و قد وصفه الحميري في الروض المعطار مفصلا ص 153- 155، و انظر نفح الطيب 1/ 358- 360 طبع ليدن.

(1045) وصف منارة جامع قرطبة وصفا دقيقا، و قاسها كذلك، الحميرى في الروض المعطار ص 155- 156.

(1046) كان الوليد بن عبد الملك من أفضل خلفاء بني أمية؛ أعطى المجذّمين، و قال لهم لا تسألوا الناس، و أعطى كل مقعد خادما، و كل ضرير قائدا؛ و كان صاحب بناء و اتخاذ المصانع و الضياع؛ و كان الناس يلتقون في زمانه، فإنّما يسأل بعضهم بعضا عن البناء و المصانع؛ و بنى المساجد: مسجد المدينة، و مسجد دمشق، فأنفق عليه أموالا عظيمة، و أحضر له الصناع من بلاد الروم و من سائر بلاد الإسلام، و كانت العرب تسميه بلاط الوليد. و انظر تاريخ الطبري 8/ 58- 97 و تاريخ أبي الفداء 1/ 210، مقدمة ابن خلدون ص 310 طبع بيروت.

(1047) الظهر من الأرض. ما غلظ و ارتفع.

(1048) أثار الأرض بالسن- و هي الحديدة التي تحرث بها الأرض- إذا قلبها على الحب بعد ما فتحت مرة، و في القرآن: وَ أَثارُوا الْأَرْضَ: حرثوها وزرعوها، و استخرجوا منها بركاتها.

(1049) جب السنام: قطعه. و سنام الناقة: أعلى ظهرها؛ و الجمع أسنمة.

(1050) إبل مهرية: منسوبة إلى مهرة بن حيدان أبي قبيلة، و هم حي عظيم؛ و الجمع مهارى.

(1051) جمع بطن؛ و البطن من الأرض: ما لان و سهل و اطمأن.

(1052) دمث الشيء: مرسه حتى لآن.

(1053) الحيارى: جمع حيران؛ و هو المتردد في الأمر، لا يدري وجهة يهتدي إليها. و يريد أن الجداول لالتوائها، و كثرة منعطفاتها، تشبه في سيرها شخصا حيران قد

التبست عليه السبل.

(1054) الجو: المنخفض من الأرض. و البقيل: المكان ذو البقل؛ و كل نبات اخضرت به الأرض فهو بقل.

للعقل و عقيل، [1055] و خمائل، كم فيها للبلابل، من قال و قيل، و خفيف يجاوز بثقيل؛ و سنابل تحكي من فوق سوقها، و قصب بسوقها، الهمزات على الألفات، و العصافير البديعة الصّفات، فوق القضب المؤتلفات، تميل لهبوب الصّبا و الجنوب، مالئة الجيوب، بدرّ الحبوب، و بطاح لا تعرف عين المحل، [1056] فتطلبه بالذّحل، [1057] و لا تصرف في خدمة بيض قباب الأزهار، عند افتتاح السّوسن و البهار، [1058] غير العبدان من سودان النّحل، و بحر الفلاحة الذي لا يدرك ساحله، و لا يبلغ الطّية [1059] البعيدة راحله، إلى الوادي، و سمر النّوادي، [1060] و قرار دموع الغوادي، [1061] للتّجاسر على تخطّيه، عند تمطّيه، [1062] الجسر العادي، و الوطن الذي ليس من عمرو و لا زيد، و الفرا الذي في جوفه كلّ صيد، [1063] أقلّ كرسيّه خلافة الإسلام، و أغار

(1055) يوري بمالك و عقيل ابني فارج بن مالك؛ نديمي جذيمة الأبرش؛ و لهما مع عمرو بن عدى خبر تجد تفصيله في الشريشي 2/ 3- 5، و تاريخ الطبري 2/ 30- 31.

(1056) المحل: الجدب؛ و هو انقطاع المطر.

(1057) الذحل: الثأر.

(1058) البهار- عند أهل المغرب-: نبات طيب الريح، له قضبان خضر، في رؤوسها أقماع يخرج منها نور ينبسط منه ورق أبيض، و في وسط البياض دائرة صفراء من ورق صغير. و هذه هي الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس، حيث قالوا: هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر. فالبهار عند أهل المغرب هو النرجس عند أهل المشرق. و انظر الشريشي 1/ 41- 45.

(1059) الطية: الناحية.

(1060) السمر: الحديث بالليل. و النادي: المجلس، و الجمع: نوادي.

(1061) الغادية: السحابة تنشأ فتمطر غدوة، و الجمع غوادي.

(1062) تمطيه: امتداده. و كنى به عن امتلاء النهر بالمياه أيام الشتاء.

(1063) الفرا: الحمار الوحشي؛ و هو من أعظم ما يصطاده الناس، و في الكلام إشارة إلى المثل: «كل الصيد في جوف الفرا» الذي يضرب لما يفضل على غيره. ميداني 2/ 55.

بالرّصافة [1064] و الجسر [1065] دار السّلام، [1066] و ما عسى أن تطنب في وصفه ألسنة الأقلام أو تعبّر به عن ذلك الكمال فنون الكلام.

فأعملنا إليها السّرى و السّير، و قدنا إليها الخيل قد عقد الله في نواصيها الخير. [1067] و لما وقفنا بظاهرها المبهت المعجب، و اصطففنا بخارجها المنبت المنجب، و القلوب تلتمس الإعانة من منعم مجزل، و تستنزل مدد الملائكة من منجد منزل، و الركائب واقفة من خلفنا بمعزل، تتناشد في معاهد الإسلام:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل [1068]

برز من حاميتها المحاميه، و وقود النار الحاميه، و بقية السّيف الوافرة على الحصاد النّامية، قطع الغمائم الهامية، و أمواج البحور الطامية، و استجنّت [1069] بظلال أبطال المجال، أعداد الرجال، النّاشبة [1070] و الرامية، و تصدّى للنّزال، من صناديدها [1071] الصهب السبال، أمثال الهضاب الراسية، تجنّها [1072] جنن [1073] السوابغ الكاسية،

(1064) الرصافة: قصر بناه عبد الرحمن الداخل، في الشمال الغربي لقرطبة، و اتخذه لسكناه، نقل إليه من الشام كثيرا من أشجار الفاكهة و الزهور؛ و سماه باسم رصافة جده هشام بن عبد الملك. نفح الطيب بولاق 1/ 220 و ما بعدها. معجم البلدان 4/ 257.

(1065) يريد جسر قرطبة و قد مرّ.

(1066) يريد بغداد؛ و سماها مدينة السلام أبو جعفر المنصور، و كان ذلك سنة 146 ه انظر تاريخ بغداد 1/ 66- 67، شريشي 1/ 215.

(1067) إشارة إلى حديث البخاري: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». الجمع الصحيح 4/ 187 طبع الآستانة.

(1068) مطلع المعلقة المشهورة لامرئ القيس.

(1069) استجنت: استترت.

(1070) الناشبة: قوم يرمون بالنشاب؛ و هي السهام.

(1071) الصنديد: السيد الشجاع. و الجمع صناديد.

(1072) تجنها: تسترها.

(1073) الجنن: جمع جنة، و هي السترة.

و قواميسها [1074] المفادية للصلبان يوم بوسها بنفوسها المواسية، [1075] و خنازيرها التي عدتها [1076] عن قبول حجج اللّه و رسوله، ستور الظّلم الغاشية، و صخور القلوب القاسية، فكان بين الفريقين أمام جسرها الذي فرق البحر، و حلّى بلجينه، و لآلئ زينه، منها النّحر، حرب لم تنسج الأزمان على منوالها، [1077] و لا أتت الأيام الحبالى بمثل أجنّة [1078] أهوالها، من قاسها بالفجار [1079] أفك و فجر، [1080] أو مثّلها بجفر الهباءة [1081] خرف و هجر، [1082] و من شبّهها بحرب داحس و الغبراء، [1083] فما عرف الخبر، فليسأل من جرّب و خبر، و من نظرها بيوم شعب جبله [1084] فهو ذو

(1074) القواميس، جمع قومس (بوزن جوهر)؛ و هو مرافق الملك، و نديمة، و الأمير.

(1075) المواسي: المعين.

(1076) عديته فتعدى: أي تجاوز الحد الذي حدّ له.

(1077) المنوال: المنسج تنسج عليه الثياب. يريد لم تأت الأيام بمثل هذه الحروب.

(1078) جمع حبلى. و الأجنحة جمع جنين.

(1079) حروب الفجار عدة؛ و أشهرها- و هي آخرها- تلك التي كانت بين قريش و كنانة، و بين هوازن.

و قد شهدها النبي (صلى الله عليه و سلم)، و قال: كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار. و سميت فجارا لما استحلوا فيها من حرمة الأشهر الحرم. و انظر العقد الفريد 3/ 368- 37، أغاني بولاق 19/ 74- 80، سيرة ابن هشام 1/ 195- 198، خزانة الأدب 2/ 54، ميداني 2/ 260.

(1080) أفك: كذب. و فجر: مال عن الحق.

(1081) جفر الهباءة: يوم كان لعبس على ذبيان، سمى بالموضع الذي كانت فيه موقعتهم؛ و هو مستنقع في أرض غطفان. العقد الفريد 3/ 316- 317، ياقوت 8/ 440، الميداني 2/ 269.

(1082) خرف: فسد عقله. هجر: خلط في كلامه و هذى.

(1083) داحس و الغبراء: يوم من أشهر أيامهم، بلغ من بعد أثره أن اتخذوه مبدءا من مبادئ تواريخهم في الجاهلية؛ و يقال إنه دام أربعين سنة. و كان بين عبس و ذبيان.

و داحس و الغبراء: فرسان، و سمي اليوم بهما لما أنه كان بسببهما، و انظر العقد الفريد 3/ 313- 314، الفتح القسى ص 5.

(1084) كان يوم شعب جبلة لعامر و عبس على ذيبان، و كان- فيما يقول أبو عبيدة- قبل الإسلام بأربعين سنة؛ و شعب جبلة: هضبة حمراء بنجد. و انظر العقد الفريد 3/ 307- 310، ياقوت 3/ 51.

بله، [1085] أو عادلها ببطن عاقل، [1086] فغير عاقل، أو احتجّ بيوم ذي قار، [1087] فهو إلى المعرفة ذو افتقار، أو ناضل بيوم الكديد، [1088] فسهمه غير السّديد، إنّما كان مقاما غير معتاد، و مرعى نفوس سلم يف بوصفه لسان مرتاد [1089] و زلزال جبال أوتاد، [1090] و متلف [1091] مذخور لسلطان الشيطان و عتاد، [1092] أعلم [1093] فيه البطل الباسل، [1094] و تورد الأبيض الباتر، [1095] و تأوّد الأسمر [1096] العاسل، [1097] و دوّم الجلمد [1098] المتكاسل، و انبعث من حدب [1099] الحنيّة، [1100] إلى هدف

(1085) البله: الغفلة.

(1086) بطن عاقل: يوم كان لذبيان على بني عامر، (أو كان بين بني خثعم، و بني حنظلة)، ذكر سببه في العقد الفريد 3/ 305- 306، و انظر مجمع الأمثال 2/ 264.

(1087) يوم ذي قار: يوم مشهور كان أيام النبي (صلى الله عليه و سلم)، و أثر عنه أنه قال: «إنه أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم». و تفصيل أخباره، و أسبابه، مذكورة في العقد 3/ 374- 378.

(1088) كان يوم الكديد لسليم على كنانة، و فيه قتل ربيعة بن مكدّم، فارس كنانة. و انظر العقد الفريد 3/ 326.

(1089) المرتاد و الرائد: الذي يتقدم القوم في التماس النجعة و اختيار المرعى الحسن.

(1090) أوتاد الأرض: جبالها.

(1091) المتلف: المفازة، و القفز؛ سمي بذلك لأنه يتلف سالكه.

(1092) العتاد: العدّة تعدّها لأمر ما.

(1093) أعلم الفارس: جعل لنفسه علامة الشجعان، و أعلم نفسه: و سمها بسيما الحرب.

(1094) الباسل: الشجاع.

(1095) تورّد: أحمرّ. الأبيض الباتر: السيف القاطع.

(1096) تأود: أعوجّ و انثنى. الأسمر: الرمح.

(1097) عسل الرمح: اضطرب و اهتز، و رمح عاسل: مضطرب لدن.

(1098) دوّم: تحرك و دار. و الجلمد: الصخر.

(1099) تقوسها و انعطافها.

(1100) الحنية: القوس؛ فعيله بمعنى مفعولة؛ و أكثر ما تكون حنية عند توتيرها، و الرمي بها.

الرّميّة، [1101] الناشر النّاسل، [1102] و رويت لمرسلات السّهام المراسل، [1103] ثم أفضى أمر الرماح إلى التشاجر و الارتباك، و نشبت الأسنّة في الدّروع نشب السمك في الشباك، ثم اختلط المرعيّ بالهمل، [1104] و عزل الرّدينيّ عن العمل، و عادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد أن شقّت غدر السّوابغ خلجانا، و اتحدت جداول الدّروع، فصارت بحرا، و كان التعانق فلا ترى إلا نحرا يلازم نحرا، عناق وداع، و موقف شمل ذي انصداع، و إجابة مناد إلى فراق الأبد وداع، و استكشفت مآل الصبر الأنفس الشّفّافة، [1105] و هبّت بريح النصر الطلائع المبشّرة الهفّافة، [1106] ثم أمدّ السّيل ذلك العباب، و صقل الاستبصار الألباب، و استخلص العزم صفوة اللّباب، و قال لسان النصر: «ادخلوا عليهم الباب»، فأصبحت طوائف الكفّار، حصائد مناجل الشّفار، فمغافرهم قد رضيت حرماتها بالإخفار، [1107] و رؤوسهم محطوطة في غير مقام الاستغفار، و علت الرّايات من فوق تلك الأبراج المستطرقة و الأسوار، و رفرف على المدينة جناح البوار، لو لا الانتهاء إلى الحدّ و المقدار، و الوقوف عند اختفاء سرّ الأقدار.

ثم عبرنا نهرها، و شددنا بأيدي الله قهرها، وضيّقنا حصرها، و أدرنا بلآلئ القباب البيض خصرها، و أقمنا بها أياما تحوم عقبان البنود على فريستها حياما، [1108] و ترمي الأدواح ببوارها، و تسلّط النيران على أقطارها، فلو لا عائق المط، لحصلنا من فتح ذلك

(1101) الرميّه: الطريدة التي يرميها الصائد.

(1102) الناشر: المعنز. و الناسل: المسرع.

(1103) يورى بالحديث: المرسل» عند المحدثين. و انظر فتح المغيث 1/ 67 و ما بعدها.

(1104) هو مثل؛ و المرعيّ: الإبل التي لها راع، و الهمل: الضوال من النعم لا راعي لها.

(1105) أنفس شفافة: فاضلة.

(1106) الهفافة: السريعة المرور في هبوبها.

(1107) أخفرت الرجل: إذا: نقضت عهده، و ذمامه. و الهمزة فيه للإزالة؛ أي أزلت

خفارته.
(1108) حام الطائر حول الماء حياما: دوّم و دار.

الوطن على الوطر، فرأينا أن نروضها بالاجتثاث [1109] و الانتساف، [1110] و نوالي على زروعها و ربوعها كرات رياح الاعتساف، حتى يتهيّأ للإسلام لوك طعمتها، و يتهنّا بفضل الله إرث نعمتها، ثم كانت من موقفها الإفاضة [1111] من بعد نحر النحور، و قذف جمار الدمار على العدو المدحور، و تدافعت خلفنا السّيّقات [1112] المتّسقات تدافع أمواج البحور.

و بعد أن ألححنا على جنّاتها المصحرة، [1113] و كرومها المستبحرة إلحاح الغريم، [1114] و عوّضناها المنظر الكريه من المنظر الكريم، و طاف عليها طائف من ربّنا فأصبحت كالصّريم، [1115] و أغرينا حلاق [1116] النّار بجمم الجميم، [1117] و راكمنا في أحواف أجرافها [1118] غمائم الدخان، يذكر طيبه البان بيوم الغميم، [1119] و أرسلنا رياح الغارات ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ، [1120] و استقبلنا

(1109) الاجتثاث: انتزاع الشجر من أصوله.

(1110) انتساف الزرع: اقتلاعه.

(1111) الإفاضة: الدفع في السير بكثرة؛ و لا يكون إلا عن تفرق جمع. و في «الإفاضة» و «النحر»، و «رمي الجمار» تورية واضحة بالمعاني الإسلامية المتعارفة في باب «الحج».

(1112) السيقات: ما استاقه العدو من الدواب، و يقال لما سيق من النهب فطرد، سيقة.

(1113) المتسعة؛ يقال أصحر المكان: أي اتسع.

(1114) الغريم: الذي له الدّين.

(1115) الصريم: الليل، و أصبحت كالصريم: احترقت و صارت في مثل سواده؛ و الإشارة إلى الآية [فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ].

(1116) حلاق الشعر: إزالته الموسى. و الكلام على تشبيه إحراق النبات بحلق شعر الرأس.

(1117) الجمم: جمع جمة؛ و هي الشعر الكثير. و الجميم نبت يطول حتى يصير مثل جمة الشعر.

(1118) الأحواف، جمع حوف و هو الناحية. و الأجراف جمع جرف؛ و هو ما أكل

السيل من أسفل شق الوادي، و عرض الجبل. و يريد الأمكنة الغائرة، و المطمئنة.

(1119) الغميم: موضع بين مكة و المدينة. و يوم الغميم: من الأيام التي كانت بين كنانة و خزاعة و انظر سيرة ابن هشام 4/ 34- 35.

(1120) الرميم: البالي. الآية (42) من سورة الذاريات.

الوادي يهول مدّا، و يروع سيفه الصقيل حدّا، فيسّره الله من بعد الإعواز، و انطلقت على الفرصة بتلك الفرضة أيدي الانتهاز، و سألنا من سائله أسد بن الفرات [1121] فأفتى برجحان الجواز، فعمّ الاكتساح و الاستباح جميع الأحواز [1122] فأذيل [1123] المصون، و انتهبت القرى، و هدّت الحصون، و اجتثّت الأصول، و حطّمت الغصون، و لم نرفع عنها إلى اليوم غارة تصابحها بالبوس، و تطلع عليها غررها الضاحكة باليوم العبوس، فهي الآن مجرى السّوابق و مجرّ العوالي، [1124] على التوالي، و الحسرات تتجدّد في أطلالها البوالي، و كأنّ بها قد ضرعت، و إلى الدعوة المحمّديّة أسرعت، بقدرة من لو أنزل القرآن على الجبال لخشعت من خشية الله و تصدّعت، [1125] و عزّة من أذعنت الجبابرة لعزّه و خضعت، و عدنا و البنود لا يعرف اللفّ نشرها، و الوجوه المجاهدة لا يخالط التّقطيب بشرها، و الأيدي بالعروة الوثقى متعلّقه، و الألسن بشكر نعم الله منطلقه، و السيوف في مضاجع الغمود قلقه، و سرابيل الدّروع [1126] خلقه، [1127] و الجياد من ردّها إلى المرابط و الأواري، [1128] ردّ العواري، حنقه، و بعبرات الغيظ المكظوم مختنقة، تنظر إلينا نظر العاتب، و تعود من ميادين الاختيال و المراح،

(1121) يورى بأسد بن الفرات بن سنان: أبي عبد الله الفقيه المالكي المشهور (145-) على خلاف في المولد و الوفاة. و انظر ترتيب المدارك مخطوطة دار الكتب 1/ 118، معالم الإيمان 2/ 2- 17، ديباج 98.

(1122) الأحواز: ضواحي المدينة و أطرافها.

(1123) أذيل: أهين.

(1124) أجرّه المرح: طعنه بد و تركه فيه يجرّه و العالية: أعلى القناة، و الجمع: العوالي. و مجرّ العوالي:

المكان الذي يقع فيه الإجرار و الطعن.

(1125) اقتباس من الآية 21 من سورة الحشر.

(1126) السرابيل: الدروع، و كل ما لبس فهو سربال.

(1127) الخلق: البالي؛ يقال ثوب خلق، وجبة خلق بالتذكير فيهما، و أنكر الكسائي أن تكون العرب قالت «خلقة»، و عن التهذيب أنه لا يجوز أن يقال ذلك. و انظر اللسان.

(1128) الأواري: جمع آري؛ و هو مربط الدابة و محبسها.

تحت حلل السّلاح، عود الصّبيان إلى المكاتب، و الطّبل بلسان العزّ هادر، [1129] و العزم إلى منادي العود الحميد مبادر، [1130] و وجود نوع الرماح، من بعد ذلك الكفاح نادر، و القاسم يرتّب بين يديه من السّبي النّوادر، و وارد مناهل الأجور، غير المحلاء [1131] و لا المهجور، غير صادر، [1132] و مناظر الفصل الآتي، عقب أخيه الشّاتي، على المطلوب المواتي مصادر [1133] و الله على تيسير الصّعاب، و تخويل المنن الرّغاب، [1134] قادر، لا إله إلا هو. فما أجمل لنا صنعه الحفيّ، [1135] و أكرم بنا لطفه الخفيّ، اللّهمّ لا نحصي ثناء عليك، و لا نلجأ منك إلا إليك، و لا نلتمس خير الدنيا و الآخرة إلا لديك، فأعد علينا عوائد نصرك، يا مبدئ يا معيد، و أعنّا من وسائل شكرك، على ما ينثال به المزيد، يا حيّ يا قيّوم يا فعّالا لما يريد. [1136]

و قارنت رسالتكم الميمونة لدينا حذق فتح [1137] بعيد صيته [1138] مشرئبّ ليته، [1139] و فخر من فوق النجوم العواتم [1140] مبيته، عجبنا من تأتّي أمله الشّارد،

(1129) هادر: يردد صوته.

(1130) بادره الأمر: عاجله.

(1131) حلأ الماشية عن الماء: صدّها و حبسها عن الورود.

(1132) الوارد الذي يرد الماء. و الصادر: الذي رجع من الماء بعد الورود.

(1133) مصادر: مراجع؛ صادره على كذا: راجعه.

(1134) الرغيبة: العطاء الكثير، و الأمر المرغوب فيه، و الجمع رغاب.

(1135) الصنع الحفي: اللطيف.

(1136) في الأصلين «يا فعال لما يريد». و المنادى هنا مما يجب فيه النصب، فلذلك أثبتت رواية صبح الأعشى.

(1137) حذق الغلام القرآن حذقا. مهر فيه؛ و يقال لليوم الذي يختم فيه القرآن: هذا يوم حذاق، و العادة أن يحتفل بهذا اليوم.

(1138) بعيد الصيت، مشتهر الذكر بين الناس.

(1139) اشرأب: ارتفع و علا. و الليت بالكسر: صفحة العنق.

(1140) النجوم العواتم: التي تظلم من الغبرة التي في السماء؛ و يكون ذلك في زمن الجدب؛ لأن نجوم الشتاء أشد إضاءة لنقاء السماء.

و قلنا: البركة في قدم الوارد، و هو أن ملك النصارى لاطفنا بجملة من الحصون كانت من مملكة الإسلام قد غصبت، و التماثيل (1141) فيها ببيوت الله قد نصبت أدالها (1142) الله- بمحاولتنا- الطيّب من الخبيث، و التّوحيد في التّثليث، و عاد إليها الإسلام عود الأب الغائب، إلى البنات الحبائب، يسأل عن شؤونها، و يمسح دموع الرّقّة من جفونها، و هي للروم خطّة خسف (1143) قلّما ارتكبوها فيما نعلم من العهود، و نادرة من نوادر الوجود. و الى الله علينا و عليكم عوارف (1144) الجود، و جعلنا في محاريب الشكر من الرّكّع السّجود.

عرّفناكم بمجملات أمور تحتها تفسير، و يمن من الله و تيسير، إذ استيفاء الجزئيّات عسير لنسرّكم بما منح الله دينكم، و نتوّج بعزّ الملّة الحنيفية جبينكم، و نخطب بعده دعاءكم و تأمينكم، فإنّ دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب سلاح ماض، و كفيل بالمواهب المسؤولة من المنعم الوهّاب متقاض، (1145) و أنتم أولى من ساهم في برّ، و عاقل الله بخلوص سرّ، و أين يذهب الفضل عن بيتكم، و هو صفة حيّكم، و تراث ميتكم، و لكم مزية القدم، و رسوخ القدم، و الخلافة مقرّها إيوانكم، و أصحاب الإمام مالك- رضي الله عنه- مستقرّها قيروانكم، و هجّير المنابر (1146) ذكر إمامكم، و التّوحيد إعلام أعلامكم، و الوقائع الشّهيرة في الكفر منسوبة إلى أيامكم، و الصّحابة الكرام فتحة أوطانكم، و سلالة الفاروق (عليه السلام) و شائج سلطانكم (1147)؛ و نحن نستكثر من بركة خطابكم، و وصلة جنابكم، و لو لا الأعذار لوالينا بالمتزيدات تعريف أبوابكم.

(1141) التماثيل: الأصنام.

(1142) أدالها الله: أبدلها.

(1143) الخطة: الطريقة. و الخسف: الذل، و تحميل الإنسان ما يكره.

(1144) العوارف: جمع عارفة، و هي العطية.

(1145) تقاضاه الدين: قبضه منه.

(1146) هجيرا المنابر: شأنها و دأبها.

(1147) يريد أن الحفصيين من سلالة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ و قد رأى بعض المؤرخين ذلك. و تقدم في حاشية سابقة إيماء إلى هذا.

و الله- عزّ و جلّ- يتولّى عنّا من شكركم المحتوم، ما قصّر المكتوب منه عن المكتوم، و يبقيكم لإقامة الرّسوم، و يحلّ محبّتكم من القلوب محلّ الأرواح من الجسوم، و هو سبحانه يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و يوالي نعمه عندكم.

و السلام الكريم، الطيّب الزكي المبارك البرّ العميم، يخصّكم كثيرا أثيرا، ما أطلع الصّبح وجها منيرا، بعد أن أرسل النّسيم سفيرا، و كان الوميض [1148] الباسم لأكواس الغمائم، [1149] على أزهار الكمائم، [1150] مديرا؛ و رحمة الله و بركاته.

و كتب إليّ يهنّئني بمولود، و يعاتب على تأخير الخبر بولاده عنه [1151]:

هنيئا أبا الفضل الرضا و أبا زيد* * * و أمّنت من بغي يخاف و من كيد

بطالع يمن طال في السعد شأوه [1152]* * * فما هو من عمرو الرّجال و لا زيد

و قيّد بشكر الله أنعمه التي* * * أوابدها [1153] تأبى سوى الشكر من قيد

أهلا بدرّيّ المكاتب، [1154] و صدريّ المراتب، و عتبى الزّمن [1155] العاتب [1156]

(1148) الوميض: اللامع من البرق لمعا خفيا.

(1149) شبه القطرات من الماء تنثرها الغمائم على الزهور، بكؤوس الخمر تدار على الشاربين.

(1150) الكمائم: جمع كمامة، و هي غطاء النّور و برعومته.

(1151) قدم لها ابن الخطيب في ريحانة الكتاب (ورقة 182 أ من 85 ش أدب) بقوله: و من ذلك في مخاطبة صاحب قلم الإنشاء أبي زيد ابن خلدون.

(1152) الشأو: الشوط و الغاية.

(1153) جمع آبدة، و هي في الأصل البهيمة توحشت، و نفرت من الأنس.

(1154) كوكب دري: ثاقب شديد الإنارة، عظيم المقدار.

(1155) أعتبه: أزال عتبه؛ و العتبى: اسم من الإعتاب. و في المثل: «لك العتبى و لا أعود». أي لك مني أن أرضيك؛ يقوله التائب المعتذر. و انظر مجمع الأمثال 2/ 102.

(1156) الزمن العاتب: الغاضب.

و بكر المشتري و الكاتب، [1157] و مرحبا بالطالع، في أسعد المطالع، و الثاقب، [1158] في أجلى المراقب، و سهلا بغنيّ البشير، و عزّة الأهل و العشير، و تاج الفخر الذي يقصر عنه كسرى و أردشير، [1159] الآن اعتضدت الحلة الحضرمية [1160] بالفارس، و أمن السّارح [1161] في حمى الحارس، و سعدت بالمنبر الكبير، أفلاك التدوير، [1162] من حلقات المدارس، و قرّت بالجنيالكريم عين الغارس، و احتقرت أنظار الآبلي [1163] و أبحاث ابن الدّارس، و قيل للمشكلات: طالما ألفت الخمرة، [1164] و أمضيت على الأذهان الإمرة، [1165] فتأهّبي للغارة المبيحة لحماك، و تحيّزي إلى فئة البطل المستأثر

(1157) كان ابن الخطيب شغوفا بأن يوريّ في كتابته بمصطلحات العلوم؛ و هو هنا ناظر إلى ما اصطلح عليه المنجّمون من أن القمر إذا اتصل- و هو في البروج الصاعدة- بالمشتري، و هو كوكب سعد، و بالكاتب- و هو عطارد في عرف أهل المغرب- دلّ ذلك على أن المولود ذكر، و أنّ حظّه من العلوم العقلية، و النقلية كبير. (عن شرح منظومة ابن أبي الرجال).

(1158) الثاقب: المرتفع.

(1159) هو أردشير بن بابك؛ أول ملوك الدولة الساسانية (226- 241 م). و قد قيده ابن خلدون في العبر (2/ 169 قسم أول)، نقلا عن الدارقطني، بالراء المهملة. و قد ورد في الأصلين، و تاريخ أبي الفداء:

«أزدشير» بالزاي. و هو تصحيف قديم؛ فقد قال ابن حجر: «و سمعت من يذكره بالزاي». و انظر تاج العروس 2/ 288، الطبري 2/ 56، مروج الذهب طبع باريس 2/ 150. و ما بعدها.

(1160) الحلة: البيت؛ و الجمع الحلال. و الحضرمية نسبة إلى حضرموت؛ حيث ينتهي نسب ابن خلدون.

(1161) السارح: الذي يغدو عليك و يروح.

(1162) فلك التدوير- لكل كوكب- هو فلك صغير لا يحيط بالأرض، و فيه يكون مسير الكوكب.

و انظر مفاتيح العلوم ص 222، سلّم الأفلاك ص 25.

(1163) تقدم التعريف في السابق.

(1164) الخمرة: الاستتار، و الاختفاء.
(1165) الإمرة: الإمارة.

برشف لماك. و لله من نصبة [1166] احتفى فيها المشتري و احتفل، و كفى سنيّ تربيتها و كفل، و اختال عطارد في حلل الجذل لها و رفل، و اتّضحت الحدود، [1167] و تهلّلت الوجوه، [1168] و تنافست المثلثات [1169] تؤمّل الحظّ و ترجوه، و نبّه البيت على [1170]

(1166) النصبة الفلكية: هي الهيئة التي يكون عليها الفلك حين طلب دلالته على الحوادث. و انظر صفحة 23.

(1167) قسم المنجمون درجات كل برج من البروج الاثنى عشر، بين الكواكب الخمسة المتحيرة، قسمة غير متساوية، و جعلوا كل قسم منها يخصّ كوكبا من الكواكب الخمسة، و سمّوه حدّ ذلك الكوكب. و انظر تفصيل ذلك في: «رسالة التقويم» للطوسي، الفصل 20 (نسخة خاصة)، مفاتيح العلوم ص 226، علم الفلك لنلينو ص 197.

(1168) و قسموا كذلك كل برج إلى ثلاثة أقسام متساوية، و سموا كل قسم منها وجها، ثم فرقوها على الكواكب المتحيرة، و ابتدأوا من برج الحمل، و جعلوا لكل وجه منها كوكبا من السبعة السيارة، سموه صاحب ذلك الوجه. و انظر الطوسي، الفصل 21، شرح «اللمعة» ص 120، مفاتيح العلوم ص 226، نلينو: علم الفلك ص 197.

(1169) البروج الاثنا عشر تنقسم إلى أربعة أقسام- بعدد الطبائع الأربع، و كل ثلاثة بروج منها تتفق في طبيعة واحدة من الطبائع الأربع تسمى مثلثة، فيقال: مثلثة نارية، أو ترابية، أو هوائية، أو مائية؛ و يختصّ بكل مثلثة ثلاثة كواكب من السيارة تسمى أربابها؛ يكون أحدها صاحب المثلث المقدم بالنهار، و الثاني المقدم بالليل، و الثالث شريكهما في الليل و النهار. و معنى ذلك أن الكوكب إذا كان في واحد من هذه البروج التي تكون مثلثته، قيل إنه في مثلثته، أي إنه في وضع له فيه حظوقوة.
الطوسي، الفصل 19، شرح اللمعة ص 119، مفاتيح العلوم ص 225، نلينو ص 192.

(1170) بيت الكوكب: محل أمنه، و صحته، و سلامته؛ و لكل من النيرين: الشمس و القمر، بيت واحد. أما بقية الكواكب الخمسة المتحيرة، فكل واحد منها له بيتان. و انظر تفصيل قولهم في ذلك في رسالة الطوسي، انفصل 17، شرح اللمعة ص 119، مفاتيح العلوم ص 225.

واجبه، و أشار لحظ الشّرف [1171] بحاجبه، و أسرع نيّر النّوبة [1172] في الأوبة، [1173] قائما في الاعتذار مقام التّوبة، و استأثر بالبروج المولّدة بيت البنين، [1174] و تخطّت خطا القمر رأس الجوزهرّ [1175] و ذنب التّنّين، و ساوق منها حكم الأصل، حذوك النّعل بالنّعل، تحويل السّنين، [1176] و حقّق هذا المولود بين المواليد نسبة عمر الوالد، فتجاوز درجة المئين، و اقترن بعاشره [1177] السّعدان [1178] اقتران الجسد، و ثبت بدقيقة مركزه قلب الأسد، و سرق من بيت أعدائه [1179] خرثيّ [1180] الغلّ و الحسد، و نظّفت

(1171) شرف الكوكب: محل عزّه، و علوه، و سعادته؛ و لكل من الكواكب السبعة برج فيه شرفه، و البرج كله شرف لذلك الكوكب، إلا أن أقوى شرفه درجات معينة من ذلك البرج تنسب إلى ذلك الكوكب و تختصّ به، فيقال حين يحلّ بها: إنه في شرفه. و انظر التفصيل في رسالة الطوسي، الفصل 18، شرح اللمعة ص 118، مفاتيح العلوم ص 225.

(1172) نير النوبة يكون في الغالب الهيلاج (دليل العمر)، و هو بالنهار الشمس، و بالليل القمر.

(1173) الأوبة: الرجوع و العودة.

(1174) البيت الذي له دلالة على الأولاد- و يسمى بيت البنين أيضا-: هو البرج الخامس من البيوت الاثنى عشر و الابتداء في العد من البرج الطالع، و هو الواقع على الأفق الشرقي؛ و يزعمون أنّه مهما كان الخامس أحد البروج الشمالية، دلّ ذلك على كثرة النسل. (عن شرح منظومة ابن أبي الرجال)، و انظر الطوسي، الفصل 25، مفاتيح العلوم ص 227.

(1175) النقطتان اللتان يتقاطع عليهما فلك البروج مع فلك أي كوكب، تسميان العقدتين و نقطة التقاطع الشمالية منهما، يسمونها الجوزهر، و نقطة الرأس، و التي تقابلها تسمى النوبهر، و نقطة الذنب.

و الجوزهر الذي يقصدونه، و الذي دونوا حركته في التقاويم و الأزياج، هو جوزهر القمر خاصة.

الطوسي، الفصل 10، مفاتيح العلوم ص 220- 221.

(1176) هو تحصيل الحركة الوسطى للشمس عند حلولها برأس أحد الفصول

الأربعة. و لهم في ذلک طرق حسابية معروفة. و انظر شرح اللمعة ص 221- 224.
(1177) العاشر: هو بيت السّلطان. الطوسي، الفصل 25.
(1178) السعدان: المشتري و الزهرة، و أكبرهما المشتري. الطوسي، الفصل 24.
(1179) بيت الأعداء؛ هو البيت الثاني عشر. الطوسي، الفصل 25، مفاتيح العلوم ص 228.
(1180) الخرثى (بالضم): أثاث البيت، أو أردأ المتاع.

طرق التّسيير، [1181] كما نفعل بين يدي الساعة عند المسير، و سقط الشيخ الهرم من الدرج في البير، و دفع المقاتل [1182] إلى الوبال [1183] الكبير:

لم لا ينال العلا أو يعقد التّاج* * * و المشتري طالع و الشّمس هيلاج [1184]

و السّعد يركض في ميدانها مرحا* * * جذلان و الفلك الدّوّار هملاج [1185]

كأن به- و الله يهديه- قد انتقل من مهد التنويم، إلى النهج القويم، و من أريكة الذراع، إلى تصريف اليراع، [1186] و من كتد [1187] الدّاية، [1188] إلى مقام الهداية، و الغاية المختطفة [1189] البداية، جعل الله وقايته عليه عوذة، [1190] و قسم حسدته

(1181) التسيير: أن ينظركم بين الهيلاج (دليل العمر)، و بين السّعد أو النحس، فيؤخذ لكلّ درجة سنة؛ و يقال تصيبه السعادة أو النحس إلى كذا و كذا سنة. مفاتيح العلوم ص 231.

(1182) في مباهج الفكر 1/ 29 (نسخة كوبريلي):

«و أهل المغرب يسمون زحل مقاتلا، و المريخ الأحمر، و عطارد الكاتب».

(1183) الوبال: هو البرج المقابل لبيت الكوكب؛ و هو البرج السابع من كل بيت، و يسمى نظيره، و مقابله؛ و ذلك أن يكون بينهما سنة بروج، و هي نصف الفلك. الطوسي، الفصل 17.

(1184) الهيلاج: دليل العمر؛ و الهياليج خمسة: الشمس، و القمر، و الطالع، و سهم السعادة، و جزء الاجتماع و الاستقبال. و إنما كانت أدلة العمر لأنها تسيّر إلى السعود و النحوس. (انظر الحاشية رقم 6). مفاتيح العلوم ص 230- 231.

(1185) الهملاج: المركب الحسن السير، و المسرع. يقول: لم لا ينال العلا، و قد اتخذ الفلك مركبا له.

(1186) يعني بأريكة الذراع عهد الطفولة. و اليراع: القصب؛ و يريد: الأقلام.

(1187) الكتد: مجمع الكتفين من الإنسان، و كاهله.

(1188) الداية: الظئر.

(1189) يريد أن سيبلغ الغاية في الفضل في الزمن القصير.
(1190) العوذة: ما يعلق على الإنسان ليقيه من العين و نحوها.

قسمة محرّم اللّحم، بين منخنقة [1191] و نطيحة [1192] و متردّية [1193] و موقوذة، [1194] و حفظ هلاله في البدار [1195] إلى تمّه و بعد تمّه، و أقرّ به عين أبيه و أمّه، غير أنّي- و الله يغفر لسيّدي- بيد أنّي راكع في سبيل الشّكر و ساجد، فأنا عاتب و واجد، إذ كان ظنّي أنّ البريد بهذا الخبر إليّ يعمل، و أنّ إتحافي به لا يهمل، فانعكست القضيّة، و رابت الحال المرضيّة، و فضلت الأمور الذّاتية الأمور العرضيّة، و الحكم جازم، و أحد الفرضين لازم، إما عدم السّوية، [1196] و يعارضه اعتناء حبله مغار، [1197] و عهدة سلم لم يدخلها جزية و لا صغار، أو جهل بمقدار الهبة، و يعارضه علم بمقدار الحقوق، و رضى مناف للعقوق، فوقع الإشكال، و ربّما لطف عذر كان عليه الاتكال. و إذا لم يبشّر مثلي بمنحة الله قبل تلك الذّات السّرية، الخليقة بالنّعم الحرية، فمن الذي يبشّر، و على من يعرض بزّها [1198] أو ينشر، و هي التي واصلت التّفقّد، [1199] و بهرجت [1200] المعاملة و أبت أن تنقد، و أنّست الغربة و جرحها غير مندمل، [1201] و نفّست الكربة و جنحها [1202] على الجوانح [1203] مشتمل، فمتى

(1191) المنخنقة: الشاة، و غيرها؛ تخنق بحبل أو غيره.

(1192) النطيحة. الشاة تنطحها الأخرى بقرونها؛ فعيلة بمعنى مفعولة.

(1193) المتردية: الساقطة من جبل، أو في بئر.

(1194) الموقوذة: المقتولة ضربا بالخشب أو بالحجر. و كل هذه الأصناف قد حرّم أكله القرآن على المسلم.

و انظر الآية رقم 3 من سورة المائدة، و أحكام القرآن لابن العربي 1/ 232، 223.

(1195) يدعو له بأن يصاحبه الحفظ في سائر أطوار نموّه إلى أن يكتمل.

(1196) السوية: العدل، و النصفة.

(1197) حبل مغار: محكم الفتل.

(1198) البز: الثياب.

(1199) التفقد: التعرف لأحوال الناس، و تعهدها.

(1200) بهرج: عدل عن الطريق المسلوك.

(1201) اندمل الجرح: برئ.

(1202) الجنح: الظلمة.

(1203) الجوانح: الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر.

فرض نسيان الحقوق لم ينلني فرض، و لا شهد به عليّ سماء و لا أرض، و إن قصّر فيما يجب لسيدي عمل، لم يقصّر رجاء و لا أمل، ولي في شرح حمده ناقة و جمل. (1204) و منه جلّ و علا نسأل أن يريه قرّة العين في نفسه و ماله و بنيه، و يجعل أكبر عطايا الهيالج (1205) أصغر سنيه، و يقلّد عواتق (1206) الكواكب البابانية (1207) حمائل أمانيه. و إن تشوّف سبيلي لحال وليّه، فخلوة طيّبة، و رحمة من جانب الله صيّبة، و برق يشام، (1208) فيقال: حدّث ما وراءك يا هشام. و لله درّ شيخنا إذ يقول:

لا بارك الله فيّ إن لم* * * أصرّف النّفس في الأهمّ
و كثّر الله في همومي* * * إن كان غير الخلاص همّي

و إن أنعم سيّدي بالإلماع بحاله، و حال الولد المبارك، فذلك من غرر إحسانه، و منزلته في لحظ لحظي بمنزلة إنسانه، و السّلام.

(1204) هو عكس لمعنى المثل: «لا ناقتي في هذا، و لا جملي»، الذي يضرب للتبري من الشيء، و انظر الميداني 2/ 113، 114.

(1205) ورد شرح له في حاشية سابقة.

(1206) العواتق: جمع عاتق؛ و هو ما بين المنكب و العنق.

(1207) الكواكب البيانيات (أو البابانية): هي التي لا تنزل الشمس بها، و لا القمر.

(1208) شام البرق: نظر إلى سحابته أين تمطر.

العودة إلى المغرب الأقصى

و لمّا كنت في الاعتمال في مشايعة السّلطان عبد العزيز ملك المغرب، [1209] كما ذكرت تفاصيله، و أنا مقيم ببسكرة في جوار صاحبها أحمد بن يوسف بن مزنى، و هو صاحب زمام رياح، و أكثر عطائهم من السّلطان مفترض عليه في جباية الزّاب، [1210] و هم يرجعون إليه في الكثير من أمورهم، فلم أشعر إلا و قد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب، و وغر صدره، [1211] و صدّق في ظنونه و توهّماته، و طاوع الوشاة فيما يوردون على سمعه من التقوّل و الاختلاق، و جاش صدره بذلك؛ فكتب إلى و نزمار بن عريف، [1212] وليّ السّلطان، و صاحب شواره، يتنفّس الصّعداء من ذلك، فأنهاه إلى السّلطان، فاستدعاني لوقته، و ارتحلت من بسكرة بالأهل و الولد، في يوم المولد الكريم، سنة أربع و سبعين، متوجّها إلى السّلطان، و قد كان طرقه المرض؛ فما هو إلا أن وصلت مليانة من أعمال المغرب الأوسط، فلقيني هنالك

(1209) هو أبو فارس؛ عبد العزيز بن أبي الحسن بن أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني، بويع سنة 767، و توفي سنة 774. من ألمع ملوك بني مرين؛ أعاد إلى الدولة قوتها و شبابها، و أزال عنها حجر المستبدّين؛ و إلى أبي فارس هذا أهدى ابن خلدون مقدمته، و لا تزال صيغة الإهداء محفوظة بديباجة النسخة المطبوعة ببولاق. و انظر العبر 7/ 376، جذوة الاقتباس ص 268، نثر فرائد الجمان، ورقة 27.

(1210) بلاد الزاب: منطقة واسعة كانت تشغل المساحة الواقعة في جنوب جبال أوراس، و تشمل بسكرة، و ما حولها. و انظر خريطة الجزائر للادريسي رقم 51، 52، و ياقوت 4/ 365. و بغية الرواد 2/ 23، و الترجمة الفرنسية 2/ 26.

(1211) وغر صدره: امتلأ غيظا و حقدا.

(1212) تقدم التعريف بونزمار.

خبر وفاته، و أنّ ابنه أبا بكر السّعيد [1213] نصب بعده للأمر، في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي [1214] و أنّه ارتحل إلى المغرب الأقصى مغذّا السير إلى فاس، و كان على مليانة يومئذ علي بن حسّون بن أبي علي الياطي من قوّاد السّلطان و موالي بيته، فارتحلت معه إلى أحياء العطّاف، و نزلنا على أولاد يعقوب ابن موسى من أمرائهم، و بذرق بي بعضهم إلى حلّة أولاد عريف: أمراء سويد، [1215] ثم لحق بنا بعد أيام، عليّ بن حسّون في عسكره، و ارتحلنا جميعا إلى المغرب على طريق الصحراء، و كان أبو حمّو قد رجع بعد مهلك السّلطان من مكان انتباذه بالقفر في تيكورارين [1216] إلى تلمسان، فاستولى عليها و على سائر أعماله، فأوعز إلى بني يغمور من شيوخ عبيد

(1213) السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن. كناه ابن خلدون هنا، و في العبر 7/ 351 «أبا بكر». و في الجذوة لابن القاضي، و الاستقصا للناصري: أنّ كنيته «أبو زيّان». بويع- و هو صبي لم يعد سنه الخامسة- سنة 774، و خلع سنة 776. و انظر العبر 7/ 336، 351، جذوة الاقتباس ص 130، الاستقصا 2/ 133.

(1214) تقدم التعريف به. و انظر جذوة الاقتباس ص 131.

(1215) أولاد عريف هؤلاء: عرب من سويد، ينتهي نسبهم إلى زغبة؛ ورثوا الرياسة على قومهم منذ القديم. و اتصل عريف ببني مرين ملوك المغرب، و سفر عن أبي الحسن المرين إلى الحفصيين، و بني الأحمر، و إلى المماليك بمصر. و في العبر 6/ 44- 48، تفصيل واف لأخبارهم و مواطنهم.

(1216) تيكورارين(Tigourerin) جمع للكلمة البربرية تاجرارت، أوTigourart ، عرضها الشمالي نحو 32- 40، و طولها الغربي نحو 5- 30): تقع في الجزء الشمالي الشرقي لواحات توات Touat . و يقول ابن خلدون: إنّها في شرق تلمسان على عشر مراحل منها؛ و هي قصور كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من المغرب إلى الشرق؛ و كانت مركزا تجاريا هاما، تنزله القوافل التي تأتي من السودان إلى المغرب، و التي تذهب من المغرب إلى السودان. و انظر بغية الرواد 2/ 261، و الترجمة الفرنسية 2/ 318، و ترجمة مقدّمة ابن خلدون 1/ 115 الحاشية رقم 4. و معنى تاجرارت (بالجيم المعقودة):

المحلة، أو المجتمع في لغة البربر. و انظر «الروض الهتون» ص 5.

الله (من) [1217] المعقل أن يعترضونا بحدود بلادهم من رأس العين [1218] مخرج وادي زا [1219] فاعترضونا هنالك، فنجا من نجا منّا على خيولهم إلى جبل دبدو، [1220] و انتهبوا جميع ما كان معنا، و أرجلوا الكثير من الفرسان و كنت فيهم، و بقيت يومين في قفره، ضاحيا [1221] عاريا إلى أن خلصت إلى العمران، و لحقت بأصحابي بجبل دبدو، و وقع في خلال ذلك من الألطاف ما لا يعبّر عنه، و لا يسع الوفاء بشكره. ثم سرنا إلى فاس، و وفدت على الوزير أبي بكر، و ابن عمّه محمد بن عثمان بفاس، في جمادى من السّنة، و كان لي معه قديم صحبة و اختصاص، منذ نزع معي إلى السّلطان أبي سالم بجبل الصّفيحة، عند إجازته من الأندلس، لطلب ملكه، كما مرّ في غير موضع من الكتاب، [1222] فلقيني من برّ الوزير و كرامته، و توفير جرايته و إقطاعه، فوق ما أحتسب، و أقمت بمكاني من دولتهم أثير المحلّ، نابه الرّتبة، عريض الجاه، منوّه المجلس. ثم انصرم فصل الشّتاء، و حدث بين الوزير أبي

(1217) الزيادة عن العبر 7/ 336، 440.

(1218) يعرف رأس العين الآن بعين بني مطهر(Beni mat'har Ain) ؛ و هي منابع تقع في شرق مدينة دبدو، و بها مركز حربي تابع لبركان(Berguent) و انظر بغية الرواد- الترجمة الفرنسية 2/ 62.

(1219) كتبه ابن خلدون صادا في وسطها زاي- إشارة إلى أن نطقه بين الصاد و الزاي. و يقع هذا الوادي في جنوب عين البرديل- عن يمين وادي ملوية- بنحو 51 كيلومترا. و انظر بغية الرواد- الترجمة الفرنسية 2/ 299، 300.

(1220) مدينة قرب الحدود الشرقية للمغرب الأقصى، تبعد عن مدينة تاوريرتTaurirt نحو الجنوب الغربي بنحو 52 كيلومترا، و عن مدينة كرسيفGuercif نحو الجنوب بما يقرب من 51 كيلومترا.

و قد احتلها الفرنسيون منذ سنة 1911 م. و انظر ما كتبهNehlil في:

Notice sur Ies tribus de la region de Debdou, dans le Bull. .De la Soc. de Geog. d'Alger, ler tirm 1191 P. 04- 76

و انظر:Caur. A, Par EncycloPedie de I'Islam

(1221) الضاحي: الذي لا يستره حائط و لا غيره، فيصيبه حرّ الشمس و أذاها.

(1222) انظر مثلا العبر 7/ 304- 306.

بكر بن غازي، و بين السّلطان ابن الأحمر، منافرة بسبب ابن الخطيب، [1223] و ما دعا إليه ابن الأحمر من إبعاثه عنهم، و أنف الوزير من ذلك، فأظلم الجو بينهما، و أخذ الوزير في تجهيز بعض القرابة من بني الأحمر، للإجلاب على الأندلس، فبادر ابن الأحمر إلى إطلاق الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلّوسن من ولد السّلطان أبي علي، و الوزير مسعود بن رحّو بن ماساي، [1224] كان حبسهما أيام السّلطان عبد العزيز، و بإشارته بذلك لابن الخطيب حين كان في وزارته بالأندلس، [1225] فأطلقهما الآن، و بعثهما لطلب الملك بالمغرب، و أجازهما في الأسطول إلى سواحل غساسة، [1226] فنزلوا بها، و لحقوا بقبائل بطوية هنالك، فاشتملوا عليهم، و قاموا بدعوة الأمير عبد الرحمن، و نهض ابن الأحمر من غرناطة في عساكر الأندلس، فنزل على جبل الفتح يحاصره، و بلغت الأخبار بذلك إلى الوزير أبي بكر بن غازي القائم بدولة بني مرين، فجهّز لحينه ابن عمّه محمد بن الكاس [1227] إلى سبتة لإمداد الحامية الذين لهم بالجبل، و نهض هو في العساكر إلى بطوّية لقتال الأمير عبد الرحمن، فوجده قد ملك تازى، فأقام عليها يحاصره، [1228] و كان السّلطان عبد

(1223) انظر القول المفصّل في هذا في العبر 7/ 332- 336، 341- 342، الاستقصا 2/ 132.

(1224) هو مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي. تولى محاربة أبي حمو، و إخراجه من تلمسان سنة 760 في أيام أبي عنان. له في حوادث المغرب مواقف تجدها في الاستقصا 2/ 103، 104، 132. و رحو- في اللغة البربرية- تصغير عبد الرحمن.

(1225) كان ذلك سنة 774 ه. و انظر خبره بأوسع ممّا هنا في العبر 7/ 338.

(1226) تقع أرض غساسة عند مصب وادي ملوية، و هناك أيضا كانت قبائل بطوية. و انظر العبر 6/ 101، 102.

(1227) هو محمد بن عثمان بن الكاس المجدولي. له ترجمة في جذوة الاقتباس ص 55. و في العبر 7/ 351، بعض أخباره، و مقتله.

(1228) يختلف المعنى قليلا عما هنا في رواية العبر، التي يقول فيها: «... و نازل عبد الرحمن ببطوية، و قاتله أياما، ثم رجع إلى تازا، ثم إلى فاس، و دخل الأمير عبد الرحمن تازا الخ». العبر 7/ 338.

العزيز قد جمع شبابا من بني أبيه المرشّحين، فحبسهم بطنجة، [1229] فلمّا وافى محمد بن الكاس سبتة، وقعت المراسلة بينه و بين ابن الأحمر، و عتب كلّ منهما صاحبه على ما كان منه، و اشتدّ عذل ابن الأحمر على إخلائهم الكرسي من كفئه، و نصبهم السعيد ابن عبد العزيز صبيّا لم يثغر، فاستعتب له محمد، و استقال من ذلك، فحمله ابن الأحمر على أن يبايع لأحد الأبناء المحبوسين بطنجة، و قد كان الوزير أبو بكر أوصاه أيضا بأنّه إن تضايق عليه الأمر من الأمير عبد الرحمن، فيفرّج عنه بالبيعة لأحد أولئك الأبناء.

و كان محمد بن الكاس قد استوزره السّلطان أبو سالم لابنه أحمد أيام ملكه، فبادر من وقته إلى طنجة، و أخرج أحمد ابن السّلطان أبي سالم [1230] من محبسه، و بايع له، و سار به إلى سبتة، و كتب لابن الأحمر يعرّفه بذلك، و يطلب منه المدد على أن ينزل له عن جبل الفتح، فأمدّه بما شاء من المال و العسكر، و استولى على جبل الفتح، و شحنه بحاميته، و كان أحمد ابن السّلطان أبي سالم، قد تعاهد مع بني أبيه في محبسهم، على أنّ من صار الملك إليه منهم، يجيز الباقين إلى الأندلس، فلمّا بويع له ذهب إلى الوفاء لهم بعهدهم، و أجازهم جميعا، فنزلوا على السّلطان ابن الأحمر، فأكرم نزلهم و وفر جراياتهم. و بلغ الخبر بذلك كلّه إلى الوزير أبي بكر بمكانه من حصار الأمير عبد الرحمن بتازة، فأخذه المقيم المقعد من فعلة ابن عمّه، و قوّض [1231] راجعا إلى دار الملك، و عسكر بكدية العرائس من ظاهرها،

(1229) انظر مفصل هذه الأحداث في العبر 7/ 338- 341. و طنجة (Tanger) ، عرضها الشمالي 35- 48، و طولها الغربي 5- 48): مدينة معروفة بالمغرب الأقصى، واقعة على المحيط الأطلنطي، يفصلها عن أوروبا مضيق جبل طارق الذي يبعد عنها شمالا بنحو 18 ميلا.

(1230) هو السّلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم: إبراهيم بن سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني يلقب بالمستنصر بالله. بويع بطنجة سنة 775، و تمت له البيعة العامة بالمدينة البيضاء من فاس الجديد سنة 779؛ و خلع سنة 786. و في سجن أبي العباس هذا، مات ابن الخطيب السلماني لسان الدين. و انظر سلوة الأنفاس 3/ 166، الاستقصا 2/ 133، 136، 139.

(1231) قوض خيامه: هدمها، و الجيش: فرّقه.

و توعّد ابن عمّه محمد بن عثمان، فاعتذر بأنّه إنّما امتثل وصيّته، فاستشاط و تهدّده، و اتّسع الخرق بينهما، و ارتحل محمد بن عثمان بسلطانه و مدده من عسكر الأندلس إلى أن احتلّ بجبل زرهون (1232) المطلّ على مكناسة، (1233) و عسكر به، و اشتملوا عليه، و زحف إليهم الوزير أبو بكر، و صعد الجبل، فقاتلوه و هزموه، و رجع إلى مكانه بظاهر دار الملك. و كان السّلطان ابن الأحمر قد أوصى محمد بن عثمان بالاستعانة بالأمير عبد الرحمن، و الاعتضاد به، و مساهمته في جانب من أعمال المغرب يستبدّ به لنفسه، فراسله محمّد بن عثمان في ذلك، و استدعاه، و استمدّه.

و كان و نزمار بن عريف وليّ سلفهم قد أظلم الجوّ بينه و بين الوزير أبي بكر، لأنه سأله و هو يحاصر تازى- في الصلح مع الأمير عبد الرحمن فامتنع و اتّهمه بمداخلته، و الميل له، فاعتزم على القبض عليه، و دسّ إليه بذلك بعض عيونه، فركب الليل، و لحق بأحياء الأحلاف من المعقل، (1234) و كانوا شيعة للأمير عبد الرحمن، و معهم عليّ بن عمر الويعلاني (1235) كبير بني ورتاجّن، كان انتقض على الوزير ابن غازي،

(1232) جبل واقع في شمال مدينة مكناسة الزيتون، على بعد نحو 30 كيلومترا منها، و به مدفن المولى إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب. و بالجبل تقع مدينة و ليلىVolubilis التاريخية.

(1233) مكناسةMekness) عرضها الشمالي 34، و طولها الغربي 5- 33): مدينة قديمة أسستها قبيلة مكناسة البربرية قبل الإسلام؛ و قد ازدهرت أيام بني مرين، فبنوا فيها المساجد، و الفنادق، و المدارس؛ و لا تزال مدرسة أبي عنان بها تلفت الأنظار، و لا سيما أبوابها النحاسية الزخرفة. و قد اتخذها السّلطان المولى إسمعيل العلوي عاصمة ملكة سنة 1084 ه. و لمكناسة- من بين مدن المغرب تاريخ حافل، و لذلك حظيت بعناية المؤرّخين فكتبوا في تاريخها ما خلّد مآثرها. و آخر من خصّها بالبحث المؤرخ الضليع، المرحوم المولى عبد الرحمن بن زيدان المتوفى سنة 1365 ه؛ فقد ألف فيها كتابه الحافل الذي سمّاه: «إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس» و قد طبع منه خمس مجلدات بالمغرب.

(1234) يرجح ابن خلدون- في المعقل- أنهم من عرب اليمن؛ و هم من أوفر القبائل

عددا بالمغرب الأقصى، و كانت مساكنهم موزعة من تلمسان إلى البحر المحيط؛ و قد ملكوا قصور زناته التي كانت بالصحراء، و التي منها قصور «تيكورارين». و انظر العبر 6/ 58- 70.

(1235) في العبر 7/ 340: علي بن عمر بن ويعلان، شيخ بني مرين.

و لحق بالسوس، [1236] ثم خاض القفر إلى هؤلاء الأحلاف، فنزل بينهم مقيما لدعوة الأمير عبد الرحمن. فجاءهم و نزمار مفلتا من حبالة الوزير أبي بكر، و حرّضهم على ما هم فيه، ثم بلّغهم خبر السّلطان أحمد بن أبي سالم، و وزيره محمد بن عثمان، و جاءهم وافد الأمير عبد الرحمن يستدعيهم، و خرج من تازى فلقيهم، و نزل بين أحيائهم، و رحلوا جميعا إلى إمداد السّلطان أبي العبّاس، حتى انتهوا إلى صفووى.

ثم اجتمعوا جميعا على وادي النجا، و تعاقدوا على شأنهم، و أصبحوا من الغد على التعبئة، كلّ من ناحيته.

و ركب الوزير أبو بكر لقتالهم فلم يطق، و ولّى منهزما، فانحجر بالبلد الجديد، [1237] و خيّم القوم بكدية العرائس محاصرين له، و ذلك أيام عيد الفطر من خمس و سبعين، فحاصروها ثلاثة أشهر، و أخذوا بمخنّقها إلى أن جهد الحصار الوزير و من معه، فأذعن للصلح على خلع الصبي المنصوب السعيد ابن السّلطان عبد العزيز، و خروجه إلى السّلطان أبي العبّاس ابن عمّه، و البيعة له، [1238] و كان السّلطان أبو العبّاس، و الأمير عبد الرحمن، قد تعاهدوا- عند الاجتماع بوادي النجا- على التعاون و التناصر، على أن الملك للسّلطان أبي العبّاس بسائر أعمال المغرب، و أن

(1236) السوس: إقليم واسع خصب؛ يقع في جنوب مدينة مراكش وراء جبال الأطلس، و يتخلّله واد عظيم يسمى وادي سوس، تتفرع منه فروع عدّة؛ و حول الوادي و فروعه مزارع واسعة، بها أشجار و نخل. و بإقليم السوس مدن كبيرة؛ منها تارودانتTaroudant ، و تزنيتTizit ، و على ساحلي البحر المحيط، حيث مصب وادي سوس، تقع مدينة أجاديرAgadir . و انظر العبر 6/ 100، 274. أما ياقوت فليس في كلامه عن «سوس» ما يعوّل عليه.

(1237) تسمى أيضا المدينة البيضاء، و فاس الجديد، بناها يعقوب بن عبد الحق المريني على وادي فاس ملاصقة؛ و كان ذلك سنة 764 ه. و انظر الاستقصا 2/ 22، العبر 7/ 194- 195.

(1238) الزيادة عن ط.

للأمير عبد الرحمن بلدا سجلماسة (1239) و درعة، (1240) و الأعمال التي كانت لجدّه السّلطان أبي علي أخي السّلطان أبي الحسن، ثم بدا للأمير عبد الرّحمن في ذلك أيام الحصار، و اشتطّ بطلب مراكش و أعمالها، (1241) فأغضوا له في ذلك، و شارطوه عليه حتى يتمّ لهم الفتح، فلمّا انعقد ما بين السّلطان أبي العبّاس، و الوزير أبي بكر، و خرج إليه من البلد الجديد، و خلع سلطانه الصبيّ المنصوب، و دخل السّلطان أبو العبّاس إلى دار الملك، فاتح ستّ و سبعين، و ارتحل الأمير عبد الرحمن يغذّ السّير إلى مرّاكش، و بدا للسّلطان أبي العبّاس، و وزيره محمد بن عثمان في شأنه، فسرّحوا العساكر في اتّباعه، و انتهوا خلفه إلى وادي بهت، (1242) فواقفوه ساعة من نهار، ثم أحجموا عنه، و ولّوا على راياتهم و سار هو إلى مرّاكش، و رجع عنه وزيره مسعود بن ماساي، بعد أن طلب منه الإجازة إلى الأندلس يتودّع بها، فسرّحه لذلك، و سار إلى مرّاكش فملكها.

و أمّا أنا فكنت مقيما بفاس، في ظلّ الدولة و عنايتها، منذ قدمت على الوزير سنة أربع و سبعين كما مرّ، عاكفا على قراءة العلم و تدريسه، فلمّا جاء السّلطان أبو العبّاس، و الأمير عبد الرحمن، و عسكروا بكدية العرائس، و خرج أهل الدولة إليهم،

(1239) تقدم تحديدها.

(1240) درعة (و تنطق اليوم درا، و لذلك تكتب على الخرائط(Dra : مقاطعة كبيرة خصبة وراء جبال الأطلس، تقع في شرق إقليم السوس، و تمتد من شرقه إلى جنوبه، حيث تتصل بالبحر المحيط، و تفصل بينها و بين إقليم سلسلة السوس جبال الأطلس الخارجيةAnte Atlas ؛ و في هذه المقاطعة واد كبير تمده روافد تتفرع من جبال الأطلس، و حول الوادي و فروعه، تقوم قرى المقاطعة، و مدنها الصغيرة؛ و أكبر هذه المدن ورزازتourzazate التي تقع في السفح الجنوبي لجبال الأطلس مرتفعة عن سطح البحر بنحو 1500 متر؛ و سكان هذه المقاطعة خليط من العرب و بربر صنهاجة. و هذا الإقليم هو الموطن الأصلي لدولة السعديين بالمغرب. و انظر العبر 6/ 362، 363، الاستقصا 3/ 2. و ما في ياقوت عن «درعة» أيضا ليس بشيء.

(1241) في العبر 7/ 341: «و اشترط عليه الأمير عبد الرحمن التجافي له عن أعمال مراكش، و أن يبدلوه بها من سجلماسة».

(1242) في «المعجب» لعبد الواحد المراكشي ص 243: «و فيما بين مكناسة، و سلا نهر يدعى بهتا، ينصب إلى البحر الأعظم أيضا»؛ و يسمى اليوم oued Beht ينبع بالقرب من مدينة أزرو Azrou ، ثم يتصل بوادي سبو Sebou شمال Port Lyautey ، حيث ينصب وادي سبو في المحيط الأطلسي.

من الفقهاء و الكتّاب، و الجند، و أذن للنّاس جميعا في مباكرة أبواب السّلطانين من غير نكير في ذلك، فكنت أباكرهما معا. و كان بيني و بين الوزير محمد بن عثمان ما مرّ ذكره قبل هذا، فكان يظهر لي رعاية ذلك، و يكثر من المواعيد، و كان الأمير عبد الرحمن يميل إليّ و يستدعيني أكثر أوقاته يشاورني في أحواله؛ فغصّ بذلك الوزير محمّد بن عثمان، و أغرى سلطانه فقبض عليّ، و سمع الأمير عبد الرحمن بذلك، و علم أنّي إنّما أوتيت من جرّاه، فحلف ليقوّضنّ خيامه، و بعث وزيره مسعود بن ماساي لذلك، فأطلقوني من الغد، ثم كان افتراقهما لثالثه. و دخل السّلطان أبو العبّاس دار الملك، و سار الأمير عبد الرحمن إلى مرّاكش، و كنت أنا يومئذ مستوحشا، فصحبت الأمير عبد الرحمن معتزما على الإجازة إلى الأندلس من ساحل أسفي، (1243) معوّلا في ذلك على صحابة الوزير مسعود بن ماساي لهواي فيه، فلمّا رجع مسعود انثنى عزمي في ذلك، و لحقنا بونزمار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف (1244) لنقدّمه وسيلة إلى السّلطان أبي العبّاس، صاحب فاس في الجواز إلى الأندلس، و وافينا عنده داعي السّلطان فصحبناه إلى فاس، و استأذنه في شأني، فأذن لي بعد مطاولة، و على كره من الوزير محمّد بن عثمان، و سليمان بن

(1243) أسفيSafi) عرضها الشمالي 32- 14، و طولها الغربي 9- 15): مدينة في المغرب الأقصى، تقع على ساحل المحيط، بينها و بين مراكش 154 كيلومترا نحو الشمال الغربي. و قد ضبطها ابن خلدون بالحركات بهمزة مفتوح بعدها سين كذلك، ثم فاء مكسورة بعدها ياء؛ و هو الضبط الذي ذكره ياقوت بالكلمات 1/ 232.

(1244) كرسيفGuercif) عرضها الشمالي 34- 12، و طولها الغربي 5): مدينة واقعة على نهر ملوية، في الشرق من مدينة تازا على بعد 68 كيلومترا تقريبا، و يمر بها الخط الحديدي الذي يصلها بمدينة تاوريرتTaourirt ، ثم بمدينة وجدةOujda .

داود بن أعراب، [1245] و رجال الدّولة.

و كان الأخ يحيى لمّا رحل السّلطان أبو حمّو من تلمسان، رجع عنه من بلاد زغبة [1246] إلى السّلطان عبد العزيز فاستقرّ في خدمته، و بعده في خدمة ابنه محمّد السّعيد المنصوب مكانه. و لمّا استولى السّلطان أبو العبّاس على البلد الجديد، استأذن الأخ في اللحاق بتلمسان، فأذن له، و قدم على السّلطان أبي حمّو، فأعاده إلى كتابة سرّه كما كان أوّل مرّة، و أذن لي أنا بعده، فانطلقت إلى الأندلس بقصد القرار و الدّعة، إلى أن كان ما نذكر.

الإجازة ثانية إلى الأندلس ثم إلى تلمسان و اللحاق بأحياء العرب و المقامة عند أولاد عريف

و لمّا كان ما قصصته من تنكّر السّلطان أبي العبّاس صاحب فاس، و الذهاب مع الأمير عبد الرّحمن، ثم الرجوع عنه إلى و نزمار بن عريف، طلبا لوسيلته في انصرافي إلى الأندلس بقصد القرار و الانقباض، و العكوف على قراءة العلم، فتمّ ذلك، و وقع الإسعاف به بعد الامتناع، و أجزت إلى الأندلس في ربيع (سنة) [1247] ستّ و سبعين، و لقيني السّلطان بالبرّ و الكرامة و حسن النّزل على عادته، و كنت لقيت بجبل الفتح كاتب السّلطان ابن الأحمر، من بعد ابن الخطيب، الفقيه أبا عبد الله

(1245) سليمان بن داود هذا: هو الذي قتل رجاله بأمره ابن الخطيب. و انظر بعض أخباره في العبر 7/ 314- 343، 7/ 298.

(1246) تغلبت قبائل زغبة أو أمرها على نواحي قابس، ثم كانت أيام الموحدين متفرقة بين تلمسان و المسلية، و أقطعهم الموحدون نواحي بحاية. و انظر العبر 6/ 40 و ما بعدها.

(1247) الزيادة عن ط.

بن زمرك، (1248) ذاهبا إلى فاس في غرض التهنئة، و أجاز إلى سبتة في أسطوله، و أوصيته بإجازة أهلي و ولدي إلى غرناطة، فلمّا وصل إلى فاس، و تحدّث مع أهل الدّولة في إجازتهم، تنكّروا لذلك، و ساءهم استقراري بالأندلس، و اتّهموا أنّي ربّما أحمل السّلطان ابن الأحمر على الميل إلى الأمير عبد الرحمن، الذي اتّهموني بملابسته، و منعوا أهلي من اللّحاق بي، و خاطبوا السّلطان ابن الأحمر في أن يرجعني إليهم، فأبى من ذلك، فطلبوا منه أن يجيزني إلى عدوة تلمسان، و كان مسعود بن ماساي قد أذنوا له في اللّحاق بالأندلس، فحملوه على مشافهة السّلطان بذلك، و أبدوا له أنّي كنت ساعيا في خلاص ابن الخطيب، و كانوا قد اعتقلوه لأوّل استيلائهم على البلد الجديد و ظفرهم به، و بعث إليّ ابن الخطيب من محبسه مستصرخا بي، و متوسّلا. فخاطبت في شأنه أهل الدّولة، و عوّلت فيه منهم على و نزمار، و ابن ماساي، فلم تنجح تلك السّعاية، و قتل ابن الخطيب بمحبسه، فلمّا قدم ابن ماساي على السّلطان ابن الأحمر- و قد أغروه بي- فألقى إلى السّلطان ما كان منّي في شأن ابن الخطيب، فاستوحش لذلك، و أسعفهم بإجازتي إلى العدوة، و نزلت بهنين، و الجوّ بيني و بين السّلطان أبي حمّو مظلم، بما كان مني في إجلاب العرب عليه بالزّاب كما مرّ. فأوعز بمقامي بهنين، ثم وفد عليه محمّد بن عريف فعذله في شأني فبعث عنّي إلى تلمسان، و استقررت بها بالعبّاد، و لحق بي أهلي و ولدي من فاس، و أقاموا معي، و ذلك في عيد الفطر سنة ستّ و سبعين، و أخذت في بثّ العلم، و عرض للسّلطان أبي حمّو أثناء ذلك رأي في الدّواودة، و حاجة إلى استئلافهم، فاستدعاني، و كلّفني السّفارة إليهم في هذا الغرض، فاستوحشت منه،

(1248) أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي المعروف بابن زمرك. له ترجمة حافلة في أزهار الرياض 3/ 7- 206، و في الإحاطة 2/ 221- 240، و نفح الطيب 4/ 679- 755 طبع بولاق. و انظر ص 76.

و زمرك بفتح الزاي و الراء، بينهما ميم ساكنة؛ و قد اضطرب ضبط ابن خلدون له؛ فضبطه هنا بفتح الزاي و الميم، و سكون الراء، و في مكان آخر بفتح الزاي و الراء و سكون الميم بينهما. و الضبط الذي رجحته يستند إلى سجعة؛ فقد ألف أحد أمراء بني الأحمر كتابا سماه: «البقيّة و المدرك، من كلام ابن زمرك».

و نكرته على نفسي، لما آثرته من التخلّي و الانقطاع، و أجبته إلى ذلك ظاهرا، و خرجت مسافرا من تلمسان حتى انتهيت إلى البطحاء، [1249] فعدلت ذات اليمين إلى منداس، [1250] و لحقت بأحياء أولاد عريف قبلة جبل كزول، [1251] فتلقّوني بالتّحفّي و الكرامة، و أقمت بينهم أياما حتى بعثوا عن أهلي و ولدي من تلمسان، و أحسنوا العذر إلى السّلطان عنّي في العجز عن قضاء خدمته، و أنزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة، [1252] من بلاد بني توجين [1253] التي صارت لهم بإقطاع

(1249) كان موقع البطحاء البسيط الذي بين مدينةRelizane ، و بسيط وادي شلف. و انظر ما سبق من القول في (البطحاء، شلف)، و بغية الرواد، الترجمة الفرنسية 2/ 97.

(1250) منداس: ضبطها بالحركات بفتح الميم و الدال، و بينهما نون ساكنة؛ و بعد الدال ألف بعدها سين مفتوحة، و تكتب اليوم:mendes ؛ و هي قرية تقع الآن غرب تيارتTiaret في جنوب مدينةRelizane بينIouarsenis ، و جزول. و انظر ترجمة بغية الرواد 2/ 246- 248، و ترجمة مقدمة ابن خلدون LXVII/1 .

(1251) يقع جبل كزول في الجنوب الغربي لمدينة تيارتTiaret على بعد 10 كيلومترات.

(1252) قلعة ابن سلامة (أو بني سلامة) هذه، و تسمى قلعة تاوغزوتTaoughzout ؛ تقع في مقاطعة و هرانOran من بلاد الجزائرAlger ، و تبعد بنحو ستة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من مدينةFrenda (ذات العرض الشمالي 35- 6، و الطول الشرقي 1- 25) التي تقع على وادي التحت-et Tahet ؛ كما تبعد عن مدينة تيارتTiaret في الجنوب الغربي أيضا بتسع مراحل.

أما سلامة الذي تنسب إليه، أو إلى بنيه، القلعة؛ فهو سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس بني يدللتن من بطون توجين. سكن تاوغزوت، و اختط بها القلعة، فنسبت إليه، و إلى بنيه، و كانت من قبل رباطا لبعض العرب المنقطعين من سويد. انظر العبر 7/ 136، 163؛ بغية الرواد (الترجمة) 2/ 307، مقدمة ابن خلدون (الترجمة) LVII/1 الحاشية رقم 3.

(1253) كان لبني توجين من الأراضي ما بين قلعة سعيدةSaida) حيث العرض الشمالي 34- 50، و الطول الشرقي 10) في الغرب، إلى المديةMedea) حيث العرض

الشمالي 36- 11 و الطول الشرقي 2- 51) في الشرق؛ و كانت لهم قلعة ابن سلامة، و منداس، و وانشريس. و انظر العبر 6/ 45.

السّلطان، [1254] فأقمت بها أربعة أعوام، متخلّيا عن الشواغل كلّها، و شرعت في تأليف هذا الكتاب، و أنا مقيم بها، و أكملت المقدّمة منه على ذلك النحو الغريب، الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة، فسالت فيها شآبيب الكلام و المعاني على الفكر، حتى امتخضت زبدتها، و تألّفت نتائجها، و كانت من بعد ذلك الفيئة إلى تونس كما نذكره.

الفيئة إلى السّلطان أبي العباس بتونس و المقام بها

و لما نزلت بقلعة ابن سلامة بين أحياء أولاد عريف، و سكنت منها بقصر أبي بكر بن عريف الذي اختطّه بها، و كان من أحفل المساكن و أوثقها. ثم طال مقامي هنالك، و أنا مستوحش من دولة المغرب و تلمسان، و عاكف على تأليف هذا الكتاب، و قد فرغت من مقدّمته لى أخبار العرب و البربر و زناتة، و تشوّفت إلى مطالعة الكتب و الدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار، بعد أن أمليت الكثير من حفظي، و أردت التّنقيح و التّصحيح، ثم طرقني مرض أوفى بي على الثّنيّة، لولا ما تدارك من لطف الله، فحدث عندي ميل إلى مراجعة السّلطان أبي العبّاس، و الرحلة إلى تونس، حيث قرار آبائي و مساكنهم، و آثارهم، و قبورهم، فبادرت إلى خطاب السّلطان بالفيئة إلى طاعته و المراجعة، و انتظرت، فما كان غير بعيد، و إذا بخطابه و عهوده بالأمان، و الاستحثاث للقدوم، فكان الخفوف للرحلة، فظعنت عن أولاد عريف مع عرب الأخضر من بادية رياح، كانوا هنالك ينتجعون الميرة بمنداس. و ارتحلنا في رجب سنة ثمانين، و سلكنا القفر إلى الدّوسن من أطراف الزّاب. ثم صعدت إلى التّل مع حاشية يعقوب بن علي وجدتهم بفرفار، [1255] الضيعة التي اختطّها بالزّاب،

(1254) في العبر 6/ 46: «و أقطع السّلطان أبو عنان، و نزمار بن عريف «السرسو» (Pl .du Sersou) ، و قلعة ابن سلامة، و كثيرا من بلاد توجين».

(1255) فرفار(Farfar) : واحة صغيرة تقع على بعد 33 كيلومترا من مدينة بسكرة، في الجنوب الغربي لها.

فرحلتهم معي إلى أن نزلنا عليه بضاحية قسنطينة، و معه صاحبها الأمير إبراهيم بن السّلطان أبي العبّاس بمخيمه، و في عسكره فحضرت عنده، و قسم لي من برّه، و كرامته فوق الرضى، و أذن لي في الدخول إلى قسنطينة، و إقامة أهلي في كفالة إحسانه، بينما أصل إلى حضرة أبيه. و بعث يعقوب بن علي معي ابن أخيه أبي دينار في جماعة من قومهم، و سرنا إلى السّلطان أبي العبّاس، و هو يومئذ قد خرج من تونس في العساكر إلى بلاد الجريد، (1256) لاستنزال شيوخها عن كراسي الفتنة التي كانوا عليها، فوافيته بظاهر سوسة، فحيّا وفادتي، و برّ مقدمي، و بالغ في تأنيسي، و شاورني في مهمّات أموره، ثم ردّني إلى تونس، و أوعز إلى نائبه بها مولاه فارح (1257) بتهيئة المنزل، و الكفاية في الجراية، و العلوفة، و جزيل الإحسان، فرجعت إلى تونس في شعبان من السّنة، و آويت إلى ظلّ ظليل من عناية السّلطان و حرمته، و بعثت عن الأهل و الولد، و جمعت شملهم في مرعى تلك النّعمة، و ألقيت عصا التّسيار، و طالت غيبة السّلطان إلى أن افتتح أمصار الجريد، و ذهب فلّهم في النواحي، و لحق زعيمهم يحيى بن يملول (1258) ببسكرة، و نزل على صهره ابن مزني، و قسم السّلطان بلاد الجريد بين ولده، فأنزل ابنه محمد المنتصر (1259)

(1256) بلاد الجريد، و تسمى الجريد أيضا: مقاطعة في القسم الجنوبي للملكة التونسية.

(1257) فارح بن مهدي الحاجب، من موالي السّلطان أبي سعيد بن أبي سالم. كان مجربا للأمور، عارقا، مجيدا في التدبير، متسما بالأمانة. له ترجمة في جذوة الاقتباس ص 316، و العبر 7/ 353 و ما بعدها، و الاستقصا 2/ 146.

(1258) يحيى بن محمد بن أحمد بن يملول أمير توزر. يرجع نسبهم- فيما يقولون- إلى تنوخ من طوالع العرب الداخلة للمغرب؛ و أخبارهم مفصلة في العبر 6/ 412- 41. و قد ضبط ابن خلدون «يملول» بفتح الياء و سكون الميم، و ضم اللام بعدها واو، فلام؛ و تنطق اليوم إملول بهمزة مكسورة بدل الياء؛ و هي قاعدة صوتية تكاد تطرد في النطق المغربي فيما أوله ياء، و ما قبل آخره حرف مد؛ فيقولون في مثل: يكون، و يدوم، و يموت، و يعيش و يطير، و يقول، و ينام: إكون، إدوم، إموت، إعيش، إطير، إقول، إنام- بهمزات مكسورات بدل الياء.

(1259) انظر بعض أخباره في العبر 6/ 398.

بتوزر، [1260] و جعل نفطة، [1261] و نفزاوة [1262] من أعماله، و أنزل ابنه أبا بكر بقفصة، [1263] و عاد إلى تونس مظفّرا، ماهدا، فأقبل عليّ، و استدناني لمجالسته، و النّجيّ في خلوته، فغصّ بطانته بذلك، و أفاضوا في السّعايات عند السّلطان فلم تنجح، و كانوا يعكفون على إمام الجامع، و شيخ الفتيا، محمد بن عرفة، [1264] و كانت في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المربى بمجالس الشيوخ، فكثيرا ما كان يظهر شفوفي عليه، و إن كان أسنّ منّي، [1265] فاسودّت تلك النّكتة في قلبه، و لم تفارقه. و لمّا قدمت تونس انثال عليّ طلبة العلم من أصحابه و سواهم، يطلبون الإفادة و الاشتغال، و أسعفتهم بذلك، فعظم عليه. و كان يسرّ التّنفير إلى الكثير منهم فلم يقبلوا، و اشتدّت غيرته، و وافق ذلك اجتماع البطانة إليه، فاتّفقوا على شأنهم في التأليب عليّ، و السعاية بي، و السّلطان خلال ذلك معرض عنهم في

(1260) توزرTozeur) عرضها الشمالي 34، و طولها الشرقي 8- 10)؛ ضبطها ابن خلدون بضم التاء، (و في ياقوت بفتحها)، و سكون الواو بعدها زاي مفتوحة: مدينة واقعة على الحافة الشمالية لشط الجريدChott El -Djerid ، بينها و بين نفطة عشرة فراسخ (مرحلة). و انظر ياقوت 2/ 428، 8/ 304.

(1261) نفطة، بفتح النون، و سكون الفاء بعدها طاء مفتوحة، ثم هاء تأنيث: مدينة من مدن بلاد الجريد بجنوب تونس؛ تبعد عن توزر بعشرة فراسخ. و انظر ياقوت 8/ 304.

(1262) نفزاوة. ضبطها ابن خلدون بفتح النون (و في ياقوت بكسرها)، و يتفقان على تسكين الفاء، و بينها و بين نفطة مرحلة واحدة. و انظر ياقوت 8/ 304.

(1263) قفصةGafsa) عرضها الشمالي 34- 22، و طولها الشرقي 8- 29): مدينة من مدن الجريد في الشمال الشرقي لتوزر، و تبعد عن نفطة مرحلتين. و انظر ياقوت 8/ 304.

(1264) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (716- 803). يتبوّأ المكانة العالية بين علماء المالكية؛ درس بالزيتونة، و أمّ بها خمسين عاما. دخل مصر حاجّا سنة 792 ه، و أجاز ابن حجر العسقلاني؛ و له تآليف. ترجمته في الضوء اللامع 9/ 240- 242، الديباج ص 337، نيل الابتهاج ص 274، طبقات القراء 2/ 243.

(1265) ولد ابن عرفة قبل ابن خلدون بست عشرة سنة حيث كانت ولادته عام 716،

و ولادة ابن خلدون عام 732.

ذلك، و قد كلّفني بالإكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوّفه إلى المعارف و الأخبار، و اقتناء الفضائل، فأكملت منه أخبار البربر، و زناته. و كتبت من أخبار الدّولتين و ما قبل الإسلام ما وصل إليّ منها، و أكملت منه نسخة رفعتها إلى خزانته، و كان ممّا يغرون به السّلطان عليّ، قعودي عن امتداحه، فإنّي كنت قد أهملت الشّعر و انتحاله جملة، و تفرّغت للعلم فقط، (1266) فكانوا يقولون له إنّما ترك ذلك استهانة بسلطانك، لكثرة امتداحه للملوك قبلك، و تنسّمت ذلك عنهم من جهة بعض الصّديق من بطانتهم، فلمّا رفعت له الكتاب، و توّجته باسمه، أنشدته ذلك اليوم، هذه القصيدة أمتدحه، و أذكر سيره و فتوحاته، و أعتذر عن انتحال الشّعر، و أستعطفه بهدية الكتاب إليه، و هي هذه:

هل غير بابك للغريب مؤمّل* * * أو عن جنابك للأماني معدل

هي همة بعثت إليك على النّوى* * * عزما كما شحذ الحسام الصّيقل (1267)

متبوّأ الدّنيا و منتجع المنى* * * و الغيث حيث العارض المتهلّل

حيث القصور الزّاهرات منيفة* * * تعنى بها زهر النجوم و تحفل

حيث الخيام البيض يرفع للعلا* * * و المكرمات طرافها المتهدّل (1268)

(1266) استعمل ابن خلدون «قط» في الإثبات، و هو استعمال جائز، وردت به أحاديث صحيحة. و انظر تاج العروس «قط»، شرح درة الغواص ص 29- 31.

(1267) الصيقل (كحيدر): شحاذ السيوف، و جلّاؤها.

(1268) الطراف: بيت من أدم؛ و الطراف من الخباء: ما رفعت من نواحيه لتنظر إلى

خارج.

حيث الحمى للعزّ في ساحاته* * * ظلّ أفاءته الوشيج الذّبّل (1269)

حيث الكرام ينوب عن نار القرى* * * عرف الكباء بحيّهم و المندل) (1270)

حيث الرّماح يكاد يورق عودها* * * ممّا تعلّ من الدماء و تنهل

حيث الجياد أملّهنّ بنو الوغى* * * ممّا أطالوا في المغار و أوغلوا

حيث الوجوه الغرّ قنّعها الحيا* * * و البشر في صفحاتها يتهلّل

حيث الملوك الصّيد و النّفر الألى* * * عزّ الجوار لديهم و المنزل

من شيعة المهدي بل من شيعة التّوحيد (1271) جاء به الكتاب يفصّل

بل شيعة الرحمن ألقى حبّهم* * * في خلقه فسموا بذاك و فضّلوا

شادوا على التّقوى مباني عزّهم* * * للّه ما شادوا بذاك و أثّلوا

(1269) الوشيج: أصلب القنا. و الذبل، جمع ذابل؛ و هو القنا الدقيق اللاصق القشر؛ و ذلك أمتن ما يكون.

(1270) الكباء: المتبخر به كالمندل.

(1271) يريد مهدي الموحدين؛ و هو محمد بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية بالمغرب. انظر ترجمته في المعجب للمراكشي 115- 125، الوفيات 2/ 41، طبقات الشافعية 4/ 71، 5/ 70، العبر 6/ 225.

و قد جعل أصل دعوته نفي التجسيم الذي آل إليه مذهب أهل المغرب حيث تركوا

التأويل في المتشابه من النصوص الشرعية؛ و سمى دعوته دعوة أهل التوحيد، و أتباعه بالموحدين. و انظر العبر 6/ 266.

قوم أبو حفص [1272] أب لهم و ما* * * أدراك و الفاروق [1273] جدّ أوّل

نسب كما اطّردت أنابيب القنا [1274]* * * و أتى على تقويمهنّ معدّل

سام على هام الزمان كأنّه* * * للفخر تاج بالبدور مكلّل

فضل الأنام حديثهم و قديمهم* * * و لأنت إن فضلوا أعزّ و أفضل

و بنوا على قلل النجوم و وطّدوا* * * و بناؤك العالي أشدّ و أطول

و لقد أقول لخائض بحر الفلا* * * و الليل مزبدّ الجوانب أليل [1275]

ماض على غول الدّجى لا يتّقي* * * تيها و ذابله ذبال مشعل [1276]

متقلب فوق الرّحال كأنّه* * * طيف بأطراف المهاد موكّل

(1272) هو أبو حفص عمر بن عبد الله الصنهاجي، و يعرف بأزناج، و عمر و مزال؛ و كان يسمى قبل «فصكة»، أو «فار صكات»، فسماه ابن تومرت عمر و يعرفونه بعمر انيتي، من أهل تينملل من قبيلة مسكّالة. كان من أوائل أصحاب ابن تومرث منشئ دولة الموحدين، و وزر لعبد المؤمن بن علي و إليه تنتسب الدولة الحفصية. و انظر العبر 6/ 275، المعجب ص 125 و ما بعدها.

(1273) ذكر ابن خلدون في العبر 6/ 275: أن نسب الحفصيين ينتهي إلى عمر بن الخطاب و نقل ذلك عن ابن نخيل و غيره من الموحدين و إلى ذلك يشير هنا.

(1274) أنبوب الرمح، و القصبة: كعبهما. و الجمع أنابيب.

(1275) بحر مزبد: مائج يقذف بالزبد؛ و الكلام على التوسع. وليل أليل: شديد طويل.
(1276) الذابل: القنا الدقيق اللّاصق الليط. و الذبال، جمع ذبالة؛ و هي الفتيلة.

يبغي منال الفوز من طرق الغنى* * * و يرود مخصبها الذي لا يمحل

أرح الرّكاب فقد ظفرت بواهب* * * يعطي عطاء المنعمين فيجزل

للّه من خلق كريم في النّدى* * * كالرّوض حيّاه ندى مخضل

هذا أمير المؤمنين إمامنا* * * في الدّين و الدّنيا إليه الموئل

هذا أبو العبّاس خير خليفة* * * شهدت له الشّيم التي لا تجهل

مستنصر باللّه في قهر العدا* * * و على إعانة ربّه متوكّل

سبق الملوك إلى لعلا متمهّلا* * * للّه منك السابق المتمهّل

فلأنت أعلى المالكين و إن غدوا* * * يتسابقون إلى العلاء و أكمل

قايس قديما منكم بقديمهم* * * فالأمر فيه واضح لا يجهل

دانوا لقومكم بأقوم طاعة* * * هي عروة الدين التي لا تفصل

سائل تلمسانا بها و زناتة* * * و مرين قبلهم كما قد ينقل

و اسأل بأندلس مدائن ملكها* * * تخبرك حين استيأسوا و استوهلوا

و اسأل بذا مرّاكشا و قصورها* * * و لقد تجيب رسومها من يسأل

يا أيها الملك الذي في نعته* * * ملء القلوب و فوق ما يتمثّل

للّه منك مؤيّد، عزماته* * * تمضي كما يمضي القضاء المرسل

جئت الزمان بحيث أعضل خطبه* * * فافترّ عنه و هو أكلح أعصل (1277)

و الشمل من أبنائه متصدّع* * * و حمى خلافته مضاع مهمل

و الخلق قد صرفوا إليك قلوبهم* * * ورجوا صلاح الحال منك و أمّلوا

فعجلته لمّا انتدبت لأمره* * * بالبأس و العزم الذي لا يمهل

ذلّلت منه جامحا لا ينثني* * * سهّلت وعرا كاد لا يتسهّل

و ألنت من شرس العتاة و ذدتّهم* * * عن ذلك الحرم الذي قد حلّلوا

كانت لصولة صولة و لقومه* * * يعدوا ذؤيب بها و تسطو المعقل

و مهلهل تسدي و تلحم في التي* * * ما أحكموها بعد فهي مهلهل

المراد بصولة هنا صولة بن خالد بن حمزة أمير أولاد أبي الليل. و ذؤيب: هو ابن عمّه أحمد بن حمزة. و المعقل فريق من العرب من أحلافهم. و مهلهل: هم بنو

(1277) الكلوح: تكشر في عبوس، و دهر كالح على المثل. و أعصل: معوج شديد

ملتو.

مهلهل ابن قاسم أنظارهم و أقتالهم. (1278) ثم رجعت إلى وصف العرب و أحيائهم:

عجب الأنام لشأنهم بادون قد* * * قذفت بحيّهم المطيّ الذلّل

رفعوا القباب على العماد و عندها* * * الجرد السّلاهب (1279) و الرّماح العسّل

(1280)

في كلّ ظامي التّرب متّقد الحصى* * * تهوي للجّته الظّماء فتنهل

جنّ شرابهم السّراب ورزقهم* * * رمح يروح به الكميّ و منصل

حيّ حلول بالعراء و دونهم* * * قذف النوى (1281) إن يظعنوا أو يقبلوا

كانوا يروعون الملوك بما بدوا* * * و غدت ترفّه بالنعيم و تخضل

فبدوت لا تلوي على دعة و لا* * * تأوي إلى ظلل القصور تهدّل

طورا يصافحك الهجير و تارة* * * فيه بخفّاق البنود تظلّل

و إذا تعاطي ضمّرا يوم الوغى* * * كأس النّجيع فبالصّهيل تعلّل

(1278) جمع نظر؛ كمثل وزنا و معنى. و الأقتال؛ جمع قتل (بكسر القاف)؛ و هو القرن في القتال و غيره.

(1279) السلاهب، جمع سلهب: و هو الطويل العظيم من الخيل.
(1280) رمح عاسل: لدن مضطرب؛ و الجمع عسّل.
(1281) نية قذف (بضمتين): بعيدة. و النوى، و النية: الوجه ينويه المسافر من قرب أو بعد. و هي مؤنثة.
و هذا التفسير أنسب من الذي مرّ في سابقا.

مخشوشنا في العزّ معتملا له* * * في مثل هذا يحسن المستعمل

تفري حشا البيداء لا يسري بها* * * ركب و لا يهوي إليها جحفل

و تجرّ أذيال الكتائب فوقها* * * تختال في السّمر الطوال و ترفل

ترميهم منها بكلّ مدجّج* * * شاكي السلاح إذا استعار الأعزل

و بكلّ أسمر غصنه متأوّد* * * و بكلّ أبيض شطّه متهدّل

حتى تفرّق ذلك الجمع الألى* * * عصفت بهم ريح الجلاد فزلزلوا

ثم استملتهم بأنعمك التي* * * خضعوا لعزّك بعدها و تذلّلوا

و نزعت من أهل الجريد غواية* * * كانت بهم أبدا تجدّ و تهزل

خرّبت من بنيانها ما شيّدوا* * * و قطعت من أسبابها ما أصّلوا

و نظمت من أمصاره و ثغوره* * * للملك عقدا بالفتوح يفصّل

فسددتّ مطلع النفاق و أنت لا* * * تنبو ظباك و لا العزيمة تنكل (1282)

بشكيمة مرهوبة و سياسة* * * تجري كما يجري فرات سلسل

(1282) تنكل: تجين، و تنكص.

عذب الزمان لها ولذّ مذاقه* * * من بعد ما قد مرّ منه الحنظل

فضوى الأنام لعزّ أروع مالک* * * سهل الخليقة، ماجد متفضّل

و تطابقت فيک القلوب على الرّضى* * * سيّان منها الطفل و المتكهّل

يا مالكا وسع الزمان و أهله* * * دعة و أمنا فوق ما قد أمّلوا

فالأرض لا يخشى بها غول و لا* * * يغدو بساحتها الهزبر المشبل

و السّفر يجتابون كلّ تنوفة (1283)* * * سرب القطا ما راعهنّ الأجدل

(1284)

سبحان من بعلاك قد أحيا المنى* * * و أعاد حلي الجيد و هو معطّل

سبحان من بهداك أوضح للورى* * * قصد السّبيل فأبصر المتأمّل (1285)

فكأنّما الدنيا عروس تجتلى* * * فتميس في حلل الجمال و ترفل

و كأنّ مطبقة البلاد بعد له* * * عادت فسيحا ليس فيه مجهل

و كأنّ أنوار الكواكب ضوعفت* * * من نور غرّته التي هي أجمل

(1283) التنوفة: القفر من الأرض لا ماء فيه.
(1284) الأجدل: الصقر.
(1285) سقط هذا البيت من ط.

و كأنّما رفع الحجاب لناظر* * * فرأى الحقيقة في الذي يتخيّل

و منها في العذر عن مدحه:

مولاي غاضت فكرتي و تبلّدت* * * منّي الطّباع فكلّ شيء مشكل

تسمو إلى درك الحقائق همّتي* * * فأصدّ عن إدراكهنّ و أعزل

و أجد ليلي في امتراء قريحتي (1286)* * * و تعود غورا بينما تسترسل

فأبيت يعتلج الكلام بخاطري* * * و النظم يشرد و القوافي تجفل

من بعد حول أنتقيه و لم يكن* * * في الشعر حولي يعاب و يهمل (1287)

فأصونه عن أهله متواريا* * * أن لا يضمّهم و شعري محفل

و هي البضاعة في القبول نفاقها* * * سيّان فيها الفحل و المتطفّل

و بنات فكري إن أتتك كليلة* * * مرهاء (1288) تخطر في القصور و تخطل

(1286) امتراء القريحة: استدرارها.

(1287) يشير إلى ما عرف عن زهير بن أبي سلمى الشاعر، من أنه عمل سبع قصائد

في سبع سنين، فكانت تسمى حوليات زهير، لأنه يحوك القصيدة في سنة. و انظر الخصائص لابن جني 1/ 330، ثمار القلوب للثعالبي ص 171.

(1288) امرأة مرهاء: غير مكتحلة؛ و عين مرهاء: خالية من الكحل. و يريد أن قصيدته هذه، تنقصها الزينة و الاحتفال.

فلها الفخار إذا منحت قبولها* * * و أنا على ذاك البليغ المقول

و منها في ذكر الكتاب المؤلّف لخزانته:

و إليك من سير الزمان و أهله* * * عبرا يدين بفضلها من يعدل

صحفا تترجم عن أحاديث الألى* * * غبروا فتجمل عنهم و تفصّل

تبدي التبابع و العمالق سرّها* * * و ثمود قبلهم و عاد الأول (1289)

و القائمون بملّة الإسلام من* * * مضر و بربرهم إذا ما حصّلوا (1290)

لخّصت كتب الأولين لجمعها* * * و أتيت أولها بما قد أغفلوا

و ألنت حوشيّ الكلام كأنّما* * * شرد اللّغات بها لنطقي ذلّل

أهديت منه إلى علاك جواهرا* * * مكنونة و كواكبا لا تأفل (1291)

و جعلته لصوان ملكك مفخرا* * * يبأى (1292) النّدي به و يزهو المحفل

(1289) سقط البيت من الظاهري.

(1290) سقط البيت من الظاهري.

(1291) سقط هذا البيت من ط.

(1292) يبأى: يفخر.

و اللّه ما أسرفت فيما قلته* * * شيئا و لا الإسراف مما يجمل

و لأنت أرسخ في المعارف رتبة* * * من أن يموّه عنده متطفّل

فملاك كلّ فضيلة و حقيقة* * * بيديك تعرف وضعها إن بدّلوا

و الحقّ عندك في الأمور مقدّم* * * أبدا فماذا يدّعيه المبطل

و اللّه أعطاك التي لا فوقها* * * فاحكم بما ترضى فأنت الأعدل

أبقاك ربّك للعباد تربّهم* * * فاللّه يخلقهم و رعيك يكفل

و كنت لما انصرفت عنه من معسكره على سوسة [1293] إلى تونس، بلغني- و أنا مقيم بها- أنّه أصابه في طريقه مرض، و عقبه إبلال، فخاطبته بهذه القصيدة:

ضحكت وجوه الدّهر بعد عبوس* * * و تجلّلتنا رحمة من بوس

و توضّحت غرر البشائر بعد ما* * * انبهمت [1294] فأطلعا حداة العيس

[1295]

صدعوا بها ليل الهموم كأنّما* * * صدعوا الظلام بجذوة المقبوس

(1293) تقدم تحديد «سوسة».

(1294) سبق القول فيما في استعمال كلمة «انبهم».

(1295) جمع أعيسن أو عيساء؛ و هي التي في لونها أدمة.

فكأنّهم بثّوا حياة في الورى* * * نشرت لها الآمال من مرموس (1296)

قرّت عيون الخلق منها بالتي* * * أضفت من النعماء خير لبوس

فكأنّ قومي نادمتهم قرقف (1297)* * * شربوا النعيم لها بغير كؤوس

يتمايلون من المسرّة و الرّضى* * * و يقابلون أهلّة بشموس

من راكب وافى يحيّي راكبا* * * و جليس أنس قاده لجليس

و مشفّع للّه يؤنس عنده* * * أثر الهدى في المعهد المأنوس

يعتدّ منها رحمة قدسية* * * فيبوء للرّحمن بالتّقديس

طبّ بإخلاص الدّعاء و إنّه* * * يشفي من الداء العياء و يوسي

(و المعني به إمام الجامع الأعظم، جامع الزّيتونة بتونس). (1298)

يا ابن الخلائف و الذين بنورهم* * * نهجت سبيل الحقّ بعد دروس

و النّاصر الدّين القويم بعزمة* * * طرد استقامتها بغير عكوس

(1296) المرموس: المقبور.

(1297) القرقف: الخمر.

(1298) ساقط من طب.

هجر المنى فيها و لذّات المنى* * * في لذّة التهجير و التغليس (1299)

حاط الرّعية بالسّياسة فانضوت* * * منه لإكرم مالك و سؤوس

أسد يحامي عن حمى أشباله* * * حتى ضووا منه لأمنع خيس (1300)

قسما بموشي البطاح و قد غدت* * * تختال زهوا في ثياب عروس

و الماثلات من الحنايا جثّما* * * يخبرن عن طسم وفلّ جديس (1301)

خوص (1302) مضمرة البطون كأنّها* * * أنضاء (1303) ركب

في الفلاة حبيس (1304)

(1299) التهجير إلى الصلاة: التبكير و المبادرة إليها؛ و في الحديث: لو يعلم الناس ما في التهجير لاستبقوا إليه. و التغليس: السير إلى الصلاة الصبح وقت الغلس، و هو ظلمة آخر الليل. فلا يزال الحديث عن التبكير إلى الصلاة. و وصف السّلطان أبي العباس بذلك إطراء له.

(1300) ضووا: لجأوا، و الخيس؛ موضع الأسد.

(1301) طسم و جديس: حيان من العرب البائدة؛ كان مسكنهما البحرين، و اليمامة. و قد أوقع حسان بن تبع بقبيلة جديس، و إلى ذلك ينظر ابن خلدون. و انظر الطبري 2/ 38- 39، مروج الذهب طبع باريس 3/ 103- 106.

(1302) خوص: لونها أشهب، مثلما يصبح لون الرأس عند ما يستوي فيه سواد الشعر و

بياضه. و انظر اللسان 8/ 298.
(1303) جمع نضو؛ و هو المهزول.
(1304) حبيس: محبوس.

و خز البلى منها الغوارب (1305) و الذّرى (1306)* * * فلفتن

خزرا بالعيون الشّوس (1307)

لبقاك حرز للأنام و عصمة* * * و حياة أرواح لنا و نفوس

و لأنت كافل ديننا بحماية* * * لولاك ضيّع عهدها و تنوسي

اللّه أعطاك التي لا فوقها* * * و حباك حظّا ليس بالموكوس (1308)

تعنو القلوب إليك قبل وجوهنا* * * سيّان من رأس و من مرؤوس

فإذا أقمت فإنّ رعبك راحل* * * يحمي على الأعداء كلّ و طيس

و إذا رحلت فللسّعادة آية* * * تقتادها في موكب و خميس

و إذا الأدلّة في الكمال تطابقت* * * جاءت بمسموع لها و مقيس

فانعم بملكك دولة عادية (1309)* * * تشقي الأعادي بالعذاب البيس

و إليكها منّي على خجل بها* * * عذراء قد حليت بكلّ نفيس

(1305) الغوارب: جمع غارب، و هو مقدم سنام البعير.

(1306) جمع ذروة؛ و هي أعلى سنام البعير؛ يعني أن البلى قد عمها.

(1307) الشوس: جمع شوساء النظر بمؤخّر العين غيظا.

(1308) الموكوس: المنقوص.

(1309) نسبة إلى عاد الأمة المعروفة. و يريد أنها طويلة الأمد.

عذرا فقد طمس الشّباب و نوره* * * و أضاء صبح الشّيب عند طموس

لو لا عنايتك التي أوليتني* * * ما كنت أعنى بعدها بطروس

و اللّه ما أبقت ممارسة النّوى* * * منّي سوى مرس أحمّ دريس (1310)

أنحى الزمان عليّ في الأدب الذي* * * دارسته بمجامع و دروس

فسطا على وفري و روع مأمني* * * و اجتثّ من دوح النشاط غروسي

و رضاك رحمتي التي أعتدّها* * * تحيي منى نفسي و تذهب بوسي

ثم كثرت سعاية البطانة بكلّ نوع من أنواع السعايات، و ابن عرفة يزيد في إغرائهم متى اجتمعوا إليه، إلى أن أغروا السّلطان بسفري معه، و لقّنوا النائب بتونس القائد فارح من موالي السّلطان أن يتفادى من مقامتي معه، خشية على أمره مني بزعمه، و تواطؤوا على أن يشهد ابن عرفة بذلك للسّلطان، فشهد به في غيبة مني، و نكر السّلطان عليهم ذلك، ثم بعث إليّ و أمرني بالسفر معه، فسارعت إلى الامتثال، و قد شقّ ذلك عليّ، إلا أنّي لم أجد محيصا عنه، (1311) فخرجت معه، و انتهيت إلى تبسة، وسط تلول إفريقية، و كان منحدرا في عساكره و تواليفه من العرب إلى توزر، لأن ابن يملول كان أجلب عليها سنة ثلاث و ثمانين، و استنقذها من يد ابنه، فسار السّلطان إليه، و شرّده عنها، و أعاد إليها ابنه و أولياءه. و لما نهض من تبسه، رجّعني إلى تونس، فأقمت بضيعتي الرّياحين من نواحيها لضمّ زروعي بها،

(1310) المرس (بفتح الميم و الراء): الحبل. و الأحم: الأسود. و الدريس: الخلق.

(1311) الزيادة عن طب.

إلى أن قفل السّلطان ظافرا منصورا، فصحبته إلى تونس.

و لمّا كان شهر شعبان من سنة أربع و ثمانين، أجمع السّلطان الحركة إلى الزّاب، بما كان صاحبه ابن مزنى قد آوى ابن يملول إليه، و مهّد له في جواره، فخشيت أن يعود في شأني ما كان في السفرة قبلها. و كانت بالمرسى سفينة لتجار الإسكندرية قد شحنها التّجار بأمتعهم و عروضهم، و هي مقلعة إلى الإسكندرية، فتطارحت على السّلطان، و توسلت إليه في تخلية سبيلي لقضاء فرضي، فأذن لي في ذلك، و خرجت إلى المرسى، و الناس متسايلون على أثري من أعيان الدولة و البلد و طلبة العلم. فودّعتهم، و ركبت البحر منتصف شعبان من السنة، و قوّضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه، و تفرّغت لتجديد ما كان عندي من آثار العلم، و الله ولي الأمور سبحانه.

الرحلة إلى المشرق و ولاية القضاء بمصر (1312)

و لمّا رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع و ثمانين، أقمنا في البحر نحوا من أربعين ليلة، ثم وافينا مرسى الإسكندرية يوم الفطر. و لعشر ليال من جلوس الملك الظاهر (1313) على التّخت، و اقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاوون، (1314) و كنّا على ترقب ذلك، لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموّه لذلك، و تمهيده له.

(1312) من هنا إلى قوله: «... و الحاضرون بذلك» «في نهاية الفقرة الرابعة القادمة» قد نقله المقري في نفح الطيب 3/ 136 بولاق.

(1313) أبو سعيد برقوق بن أنص، و يعرف ببرقوق العثماني نسبة إلى فخر الدين عثمان بن مسافر. تولى الملك في المرة الأولى سنة 784؛ و ثار عليه يلبغا الناصري، ففر ثم، سجن بالكرك، ثم بالإسكندرية .... ثم عاد إلى ملكه في سنة 792، و استبد بالملك حتى مات سنة 801. له ترجمة واسعة في المنهل الصافي ورقة 316 من نسخة دار الكتب، خطط المقريزي بولاق 2/ 241 و ما بعدها، العبر لابن خلدون 5/ 467- 472. و انظر السلوك 110 أ (نسخة الفاتح).

(1314) انظر أخبار بني قلاوون في الخطط للمقريزي 2/ 236- 242 بولاق.

و أقمت بالإسكندرية شهرا لتهيئة أسباب الحجّ و لم يقدر عامئذ، فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة، فرأيت حضرة الدنيا، و بستان العالم، و محشر الأمم، و مدرج الذّرّ [1315] من البشر، و إيوان الإسلام، و كرسي الملك، تلوح القصور و الأواوين في جوّه، و تزهر الخوانك [1316] و المدارس بآفاقه، و تضيء البدور و الكواكب من علمائه، قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنّة [1317] و مدفع مياه السماء، يسقيهم النّهل و العلل سيحه [1318] و يجني إليهم الثّمرات و الخيرات ثجّه، [1319] و مررت في سكك المدينة تغصّ بزحام المارّة، و أسواقها تزخر بالنعم. و ما زلنا نحدّث عن هذا البلد، و بعد مداه في العمران، و اتساع الأحوال، و لقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا و أصحابنا، حاجّهم و تاجرهم، بالحديث عنه. سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس، و كبير العلماء بالمغرب، أبا عبد الله المقري، [1320] (مقدمه من الحجّ سنة أربعين [1321])، فقلت له: كيف هذه القاهرة؟ فقال: من لم يرها لم يعرف عزّ الإسلام.

و سألت شيخنا أبا العبّاس بن إدريس [1322] كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال:

(1315) المدرج: الطريق. و الذر: النمل الأحمر الصغير.

(1316) جمع خانقاه، و تقدمت كلمة عنها.

(1317) يشير ابن خلدون هنا إلى ما يقص حول نهر النيل من أنه أحد أنهار الجنة، كدجلة و الفرات، و سيحان. و انظر الباب الأول من كتاب: «معرفة نيل مصر» للعماد الأقفهي (مخطوطة بمكتبة بغداد لي وهبي رقم 1027)، و خطط المقريزي 1/ 80- 81 طبع مصر سنة 1324. على أن ابن خلدون لم يلتفت إلى هذا حين تحدث عن هذه الأنهار في مقدمته؛ و قد نقد ياقوت هذه الأقاصيص بأنها «حديث خرافة».

(1318) السيح: الماء الجاري على وجه الأرض.

(1319) الثج: الصب الكثير. و في القرآن: «وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً» و ثجيج الوادي: سيله.

(1320) مرت له ترجمة.

(1321) الزيادة عن الظاهري.

(1322) هو أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي المالكي المتوفى بعد سنة 067، له ترجمة في الديباج ص 81، و نيل الابتهاج ص 71.

كأنّما انطلق أهله من الحساب، يشير إلى كثرة أممه و أمنهم العواقب. (1323)

و حضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس، الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجي (1324) بمجلس السّلطان أبي عنان، منصرفه من السّفارة عنه إلى ملوك مصر، و تأدية رسالته النبوية (1325) إلى الضريح الكريم، سنة ست و خمسين و سأله عن القاهرة فقال:

أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار: إن الذي يتخيّله الإنسان، فإنّما يراه دون الصّورة التي تخيّلها، اتساع الخيال عن كلّ محسوس، إلا القاهرة، فإنّها أوسع من كل ما يتخيّل فيها. فأعجب السّلطان و الحاضرون بذلك.

و لما دخلتها، أقمت أياما، و انثال عليّ طلبة العلم بها، يلتمسون الإفادة مع قلّة البضاعة، و لم يوسعوني عذرا، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر منها. (1326)

ثم كان الاتصال بالسّلطان، فأبرّ اللّقاء، و أنس الغربة، و وفّر الجراية من صدقاته، شأنه مع أهل العلم، و انتظرت لحاق أهلي و ولدي من تونس، و قد صدّهم السّلطان هنالك عن السفر، اغتباطا بعودي إليه، فطلبت من السّلطان صاحب مصر الشّفاعة إليه في تخلية سبيلهم، فخاطبه في ذلك بما نصّه. (1327)

(1323) يقول المقريزي: «.... قال شيخنا الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (رحمه الله تعالى):
أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب». و انظر الخطط 1/ 79 طبع صر سنة 1324.

(1324) أبو القاسم محمد بن يحيى. مرت ترجمته في السابق.

(1325) هي رسالة اعتادوا أن يكتبوها في مناسبات مختلفة، و يبعثوا بها إلى قبر الرسول (صلى الله عليه و سلم)؛ يحملها رسول خاص إلى الروضة الشريفة حيث تقرأ قرب القبر النبوي الكريم. و في نفح الطيب أمثلة لهذا النوع من الرسائل.

(1326) جاء في «السلوك» 111 ب «نسخة الفاتح»: «و في هذا الشهر (رمضان)، قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب، و اتصل بالأمير الطنبغا الجوباني و تصدى للاشتغال بالجامع الأزهر، فأقبل الناس عليه، و أعجبوا به». و الصحيح أنه دخل القاهرة فيما بين 21 شوال و أول ذي القعدة.

(1327) سقط نص هذه الرسالة مما عدا نسخة «طب» من الأصول.

بسم الله الرحمن الرحيم. (1328)

عبد الله و وليه أخوه برقوق، (1329) (1330)

السّلطان الأعظم، المالك الملك الظاهر، السيّد الأجلّ، العالم العادل، المؤيّد المجاهد، المرابط المثاغر، المظفّر، الشّاهنشاه، سيف الدنيا و الدين، سلطان الإسلام و المسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب و العجم و الترك، اسكندر الزمان، مولي الإحسان، مملّك أصحاب التّخوت و الأسرّة و التّيجان، واهب الأقاليم و الأقطار، مبيد الطّغاة و البغاة و الكفّار، ملك البحرين، مسلك سبيل القبلتين، خادم الحرمين الشريفين، ظلّ الله في أرضه، القائم بسنّته و فرضه، سلطان البسيطة مؤمّن الأرض المحيطة، سيّد الملوك و السّلاطين، قسيم (1331) أمير المؤمنين، (1332) أبو سعيد برقوق ابن الشهيد شرف الدنيا و الدين أبي

(1328) حافظت في هذه الرسالة على الطريقة الرسمية التي كانت متبعة في ذلك العهد، و التي يقول عنها القلقشندي في صبح الأعشى (7/ 378)، في رسم المكاتبة إلى صاحب فاس، و غيره من ملوك المغرب:

«... و هو أن يكتب بعد البسملة، بحيث يكون تحتها سواء، في الجانب الأيمن من غير بياض، ما مثاله: «عبد الله و وليه». ثم يخلي مقدار بيت العلامة، ثم يكتب الألقاب الشريفة من أول السطر مسامتا للبسملة، و هي: السّلطان الأعظم الخ».

(1329) في خطط المقريزي 2/ 211 بولاق: «و أما البريد، و خلاص الحقوق و الظلامات، فإنه (السّلطان) يكتب أيضا اسمه، و ربما كرم المكتوب إليه، فكتب إليه: «أخوه فلان، أو والده فلان، و أخوه».

(1330) هذا البياض هو بيت العلامة، و كانت علامة الناصر محمد بن قلاوون: «الله أملى»، و عمل ذلك الملوك بعده. و انظر خطط المقريزي 2/ 211 بولاق، و الاستقصا 2/ 72، صبح الأعشى 7/ 378.

(1331) القسيم بمعنى المقاسم؛ و المراد أنه قاسم أمير المؤمنين الملك، و ساهمه في الأمر، فصارا فيه مشتركين. و انظر صبح الأعشى 7/ 65، 113.

(1332) هو المتوكل على الله، أبو عبد الله محمد بن المعتضد الخليفة العباسي. ولي سنة 763 ه و امتدت أيامه 45 سنة، حبس فيها و خلع؛ و مات سنة 808 ه. و انظر

«تاريخ الخلفاء» ص 202، 302.

المعالي أنس. [1333] خلّد الله سلطانه، و نصر جيوشه و أعوانه- يخصّ الحضرة السنية السرية، المظفّرة الميمونة، المنصورة المصونة، حضرة السّلطان العالم، العادل المؤيّد، المجاهد الأوحد، أبي العبّاس، ذخر الإسلام و المسلمين، عدّة الدنيا و الدين، قدوة الموحدين، ناصر الغزاة و المجاهدين، سيف جماعة الشاكرين، صلاح الدول. لا زالت مملكته بقوّته عامرة، و مهابته لنفوس الجبابرة قاهرة، و معدلته تبوّئه غرفات العزّ في الدنيا و الآخرة. سلام صفا ورده و ضفا برده، و ثناء فاح ندّه، و لاح سعده، و وداد زاد وجده و جاد جدّه.

أما بعد حمد الله الذي جعل القلوب أجنادا مجنّدة، و أسباب الوداد على البعاد مؤكّدة، و وسائل المحبّة بين الملوك في كلّ يوم مجدّدة، و الصلاة و السلام على سيّدنا و مولانا محمّد عبده و رسوله، الذي نصره الله بالرّعب مسيرة شهر و أيّده [1334] و أعلى به منار الدين و شيّده، و على آله و أصحابه الذين اقتفوا طريقه و سؤدده، صلاة دائمة مؤبّدة. فإننا نوضح لعلمه الكريم، أن الله- و له الحمد- جعل جبلتنا الشريفة مجبولة على تعظيم العلم الشّريف و أهله، و رفعة شأنه، و نشر أعلامه، و محبّة أهله و خدّامه، و تيسير مقاصدهم و تحقيق أملهم، و الإحسان إليهم، و التقرّب إلى الله بذلك في السّر و العلانية، فإن العلماء رضي الله عنهم ورثة الأنبياء و قرّة عين الأولياء، و هداة خلق الله في أرضه، لا سيّما من رزقه الله الدراية فيما علمه من ذلك، و هداه للدخول إليه من أحسن المسالك، مثل من سطّرنا هذه المكاتبة بسببه:

المجلس [1335] السّامي، الشّيخي، الأجلّي، الكبيري، العالمي، الفاضلي، الأثيلي،

(1333) هو سيف الدين أنص الجركسي العثماني المتوفى سنة 783 ه. ترجمته، و خبر قدومه إلى مصر في العبر 5/ 372- 373، و المنهل الصافي، ورقة 269 ب (نسخة دار الكتب).

(1334) يشير إلى حديث الصحيحين: «نصرت بالرعب مسيرة شهر». و انظر «كنوز الحقائق» للمناوي.

(1335) هذا النوع من الحلي و الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف الدينية، يأتي في المرتبة الثالثة؛ فالأولى: درجة «المقر»، و الثانية: درجة «الجناب»، و الثالثة: درجة «المجلس»؛ و لكل من الدرجات فروع؛ و «المجلس السامي» أحد فروع درجة

«المجلس». و انظر تفصيل القول عن هذه الاستعمالات في صبح الأعشى 7/ 15، 154- 159.

الأثيري، الإمامي، العلامي، القدوي، المقتدي، الفريدي، المحقّقي، الأصيلي، الأوحدي، الماجدي، الولوي، (1336) جمال الإسلام و المسلمين، جمال العلماء في العالمين، أوحد الفضلاء، قدوة البلغاء، علامة الأمّة، إمام الأئمّة، مفيد الطّالبين، خالصة الملوك و السّلاطين (1337) عبد الرحمن بن خلدون المالكي. أدام الله نعمته؛ فإنّه أولى بالإكرام، و أحرى، و أحقّ بالرعاية و أجلّ قدرا، و قد هاجر إلى ممالكنا الشريفة، و آثر الإقامة عندنا بالديار المصرية، لا رغبة عن بلاده، بل تحبّبا إلينا، و تقرّبا (إلى) (1338) خواطرنا، بالجواهر النفيسة، من ذاته الحسنة، و صفاته الجميلة، و وجدنا منه فوق ما في النفوس، ممّا يجلّ عن الوصف و يربي على التّعداد. يا له من غريب وصف و دار، قد أتى عنكم بكلّ غريب، و ما برح- من حين ورد علينا- يبالغ في شكر الحضرة العليّة و مدح صفاتها الجميلة، إلى أن استمال خواطرنا الشريفة إلى حبّها، و آثرنا المكاتبة إليها.

«و الأذن تعشق قبل العين أحيانا»

« يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة* * * و الأذن .....»

(1339)

و ذكر لنا في أثناء ذلك، أنّ أهله و أولاده، في مملكة تونس تحت نظر الحضرة العلية، و قصد إحضارهم إليه ليقيموا عنده، و يجتمع شمله بهم مدّة إقامته عندنا، فاقتضت آراؤنا الشريفة، الكتابة إلى الحضرة العليّة لهذين السببين الجميلين، و قد آثرنا إعلام الحضرة العليّة بذلك، ليكون على خاطره الكريم، و القصد من محبّته، يقدّم أمره العالي بطلب أهل الشّيخ وليّ الدّين المشار إليه، و إزاحة أعذارهم، و إزالة

(1336) هذه النسبة إلى «ولي الدين».

(1337) اصطلحوا على أن يلحقوا ياء النسب بآخر الألقاب المفردة للمبالغة في التعظيم، ثم جعلوا النسبة إلى نفس صاحب اللقب أرفع رتبة من النسبة إلى شيء خارج عنه. و من هنا كان «الأجلى»، و «القاضوى»، أرفع رتبة من «الجلالي»، و «القضائي». و انظر صبح الأعشى 6/ 78، 100. ثم إن لهذه الألقاب دلالات متعارفة خاصة، تولى تحديدها القلقشندي في صبح الأعشى 7/ 20- 73.

(1338) ما بين القوسين زيادة اقتضاها وجوب «صلة» للكلام.

(1339) عجز بيت لبشار بن برد؛ و صدره- كما في الأغاني 3/ 19 بولاق:

«يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة* * * و الأذن .....»

عوائقهم، و الوصيّة بهم، و تجهيزهم إليه مكرّمين، محترمين، على أجمل الوجوه، صحبة قاصده الشيخ الصالح، العارف السّالك الأوحد، سعد الدين مسعود المكناسي، الواصل بهذه المكاتبة أعزّه اللّه، و يكون تجهيزهم على مركب من مراكب الحضرة العليّة، مع توصية من بها من البحرية بمضاعفة إكرام المشار إليهم، و رعايتهم، و التّأكيد عليهم في هذا المعنى، و إذا وصل من بها من البحرية، كان لهم الأمن و الإحسان فوق ما في أنفسهم، و يربي على أملهم، بحيث يهتمّ بذلك على ما عهد من محبّته، و جميل اعتماده، مع ما يتحف به من مراسلاته، و مقاصده و مكاتباته. و اللّه تعالى يحرسه بملائكته و آياته، بمنّه و يمنه إن شاء اللّه.

كتب خامس عشر صفر المبارك من سنة ستّ و ثمانين و سبعمائة حسب المرسوم الشريف. الحمد للّه و صلواته على سيّدنا محمّد و آله و صحبه و سلّم.

ثم هلك بعض المدرّسين بمدرسة القمحية [1340] بمصر، من وقف صلاح الدين بن أيوب، فولاني تدريسها مكانه، [1341] و بينا أنا في ذلك، إذ سخط السّلطان قاضي المالكية [1342] في دولته، لبعض النّزعات فعزله، و هو رابع أربعة بعدد المذاهب، يدعى كلّ منهم قاضي القضاة، تمييزا عن الحكّام بالنّيابة عنهم، لاتّساع خطّة هذا

(1340) كان موقع القمحية بجوار الجامع العتيق (جامع عمرو) بمصر، و كان موضعها يعرف بدار الغزل؛ و هو قيسارية كان يباع فيها الغزل، فهدمها صلاح الدين، و أنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية، و رتب فيها مدرسين، و جعل لها أوقافا كانت منها ضيعة بالفيوم تغل فمحا كان مدرسوها يتقاسمونه، و لذلك صارت لا تعرف إلا بالمدرسة القمحية. خطط المقريزي 2/ 364 بولاق.

(1341) في السلوك (119 ب فاتح) في حوادث سنة 786:

«و في 25 محرم، درس شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، بالمدرسة القمحية بمصر، عوضا عن علم الدين سليمان البساطي بعد موته، و حضر معه الأمير الطنبغا الجوباني، و الأمير يونس الدوادار، و قضاة القضاة و الأعيان».

(1342) هو جمال الدين عبد الرحمن بن سليمان بن خير المالكي (721- 791). له ترجمة في «رفع الإصر» 156 ب (نسخة دار الكتب)، و المنهل الصافي 2/ 49 ب (نسخة نور عثمانية)، و تاريخ ابن قاضي شهبة في حوادث سنة 687، و السلوك (نسخة

الفاتح 4379 ورقة 120 ا).

المعمور، و كثرة عوالمه، و ما يرتفع من الخصومات في جوانبه، و كبير جماعتهم قاضي الشافعية، لعموم ولايته في الأعمال شرقا و غربا، و بالصّعيد (1343) و الفيوم، (1344) و استقلاله بالنّظر في أموال الأيتام، و الوصايا، و لقد يقال بأن مباشرة السّلطا قديما بالولاية إنّما كانت تكون له.

فلمّا عزل هذا القاضي المالكي سنة ستّ و ثمانين، اختصّني السّلطان بهذه الولاية، تأهيلا لمكاني، و تنويها بذكري، و شافهته بالتّفادي من ذلك، فأبى إلا إمضاءه، و خلع عليّ بإيوانه، و بعث من كبار الخاصّة من أقعدني بمجلس الحكم (1345) بالمدرسة الصّالحية (1346) بين القصرين، فقمت بما دفع إليّ من ذلك المقام المحمود، و وفّيت جهدي بما أمّنني عليه من أحكام اللّه، لا تأخذني في الحقّ لومة، و لا يزعني عنه جاه و لا سطوة، مسوّيا في ذلك بين الخصمين، آخذا بحقّ الضعيف من

(1343) كان القدماء يعتبرون مبدأ الصعيد الشمالي من قرب القاهرة، و يمتد على ضفتي الوادي جنوبا حتى يصل إلى أسوان الذي كان عندهم نهاية الصعيد الجنوبية؛ و فيما بين أسوان، و إخميم، كان الصعيد الأعلى؛ و من إخميم إلى مدينة البهنسا الواقعة على الضفة الغربية لوادي النيل، كان يسمى الصعيد الأوسط؛ أما الصعيد الأدنى، فكانت بدايته البهنسا، و نهايته في الشمال، قرب الفسطاط.
و انظر ياقوت 5/ 360.

(1344) تقع الفيوم(ElFayum) عرضها الشمالي 5- 29، و طولها الشرقي 30- 30) المدينة المعروفة، في الجنوب الشرقي لبحيرة قارون، في الغرب من وادي النيل.

(1345) في السلوك (نسخة الفاتح ورقة 120 ب):
«و في يوم الاثنين تاسع عشره (جمادي الثانية)، استدعى شيخنا أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون إلى القلعة، و فوض إليه السّلطان قضاء المالكية، و خلع عليه، و لقب «ولي الدين»، و استقر قاضي القضاة عوضا عن جمال الدين عبد الرحمن بن خير؛ و ذلك بسفارة الأمير الطنبغا الجوباني أمير مجلس، و قرئ تقليده في المدرسة الناصرية بين القصرين على العادة؛ و تكلّم على قوله تعالى: إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السّماواتِ، وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ ... الآية 72، سورة الأحزاب.

(1346) نسبة إلى بانيها الملك الصالح نجم الدين أيوب. انظر الحديث عنها في

الخطط للمقريزي 4/ 209 طبع مصر سنة 1326.

الحكمين، [1347] معرضا عن الشّفاعات و الوسائل من الجانبين، جانحا إلى التّثبت في سماع البيّنات، و النظر في عدالة المنتصبين لتحمّل الشّهادات، فقد كان البرّ منهم مختلطا بالفاجر، و الطّيّب ملتبسا بالخبيث، و الحكّام ممسكون عن انتقادهم، متجاوزون عمّا يظهرون عليه من هناتهم، لما يموّهون [1348] به من الاعتصام بأهل الشّوكة، فإنّ غالبهم مختلطون بالأمراء، معلّمين للقرآن، و أئمّة في الصّلوات، يلبسون عليهم بالعدالة، فيظنون بهم الخير، و يقسمون لهم الحظّ من الجاه في تزكيتهم عند القضاة، و التّوسّل لهم، فأعضل داؤهم، و فشت المفاسد بالتزوير و التدليس بين الناس منهم، و وقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب، و مؤلم النّكال، و تأدّى إليّ العلم بالجرح في طائفة منهم، فمنعتهم من تحمّل الشّهادة، و كان منهم كتّاب لدواوين القضاة، و التوقيع في مجالسهم، قد دربوا [1349] على إملاء الدعاوى، و تسجيل الحكومات، [1350] و استخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود، بإحكام كتابتها، و توثيق شروطها، فصار لهم بذلك شفوف على أهل طبقتهم، و تمويه على القضاة بجاههم، يدّرعون [1351] به ممّا يتوقّعونه من عتبهم، لتعرّضهم لذلك بفعلاتهم، و قد يسلّط بعض منهم قلمه على العقود المحكمة، فيوجد السبيل إلى حلّها بوجه فقهيّ، أو كتابيّ، و يبادر إلى ذلك متى دعا إليه داعي جاه أو منحة، و خصوصا في الأوقاف التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر بكثرة عوالمه، فأصبحت خافية الشهرة، مجهولة الأعيان، عرضة للبطلان، باختلاف المذاهب المنصوبة للحكّام بالبلد؛ فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا شارطوه و أجابوه، مفتاتين فيه على الحكّام الذين ضربوا دونه سدّ الحظر و المنع [1352] حماية عن التلاعب، و فشا في

(1347) كذا بالأصول؛ و المراد «المحتكمين».

(1348) التمويه: التلبيس و الخداع.

(1349) دربوا: مرنوا.

(1350) جمع حكومة، و هي الحكم.

(1351) ادّرع: لبس الدّرع، و المراد يحتمون.

(1352) انظر حكم بيع الوقف، و تمليكه في: «البهجة في شرح التحفة» 2/ 259- 263 و «الابتهاج بنور السراج» 2/ 12- 16.

ذلك الضرّر في الأوقاف، و طرق الغرر [1353] في العقود و الأملاك.

فعاملت اللّه في حسم ذلك بما آسفهم عليّ و أحقدهم، ثم التفتّ إلى الفتيا بالمذهب، و كان الحكّام منهم على جانب من الخبرة، لكثرة معارضتهم، و تلقينهم الخصوم، و فتياهم بعد نفوذ الحكم، و إذا فيهم أصاغر، بيناهم يتشبّثون بأذيال الطّلب و العدالة و لا يكادون؛ إذا بهم طفروا إلى مراتب الفتيا و التّدريس، فاقتعدوها، و تناولوها بالجزاف، و احتازوها من غير مثرّب [1354] و لا منتقد للأهلية و لا مرشّح، إذ الكثرة فيهم بالغة، و من كثرة السّاكن مشتقّة، و قلم الفتيا في هذا المصر طلق، و عنانها مرسل، يتجاذب كلّ الخصوم منه رسنا، و يتناول من حافته شقّا، [1355] يروم به الفلج [1356] على خصمه، و يستظهر به لإرغامه، فيعطيه المفتي من ذلك ملء رضاه، و كفاء أمنيته، متتبّعا إيّاه في شعاب الخلاف، فتتعارض الفتاوى و تتناقض، و يعظم الشّغب إن وقعت بعد نفوذ الحكم، و الخلاف في المذاهب كثير، و الإنصاف متعذّر، و أهلية المفتي أو شهرة الفتيا ليس تمييزها للعامّي، فلا يكاد هذا المدد ينحسر، [1357] و لا الشغب ينقطع.

فصدعت في ذلك بالحقّ، و كبحت أعنّة أهل الهوى و الجهل، و رددتهم على أعقابهم. و كان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب، يشعوذون بمفترق من اصطلاحات العلوم هنا و هناك، لا ينتمون إلى شيخ مشهور، و لا يعرف لهم كتاب في فن، قد اتخذوا الناس هزؤا، و عقدوا المجالس مثلبة للأعراض، و مأبنة [1358] للحرم، فأرغمهم ذلك منّي، و ملأهم حسدا و حقدا عليّ، و خلوا إلى أهل جلدتهم من سكّان الزّوايا المنتحلين للعبادة، يشترون بها الجاه ليجيروا به على اللّه، و ربّما اضطرّ أهل الحقوق

(1353) الغرر: الخطر.

(1354) المثرب: اللائم.

(1355) الشق (بالكسر): الجانب.

(1356) الفلج: الظفر و الفوز، و الاسم بالضم.

(1357) ينحسر: ينقطع.

(1358) مأبنة: مكانا للاتهام بالشر.

إلى تحكيمهم، فيحكمون بما يلقي الشّيطان على ألسنتهم يترخّصون به للإصلاح، لا يزعهم الدّين عن التّعرّض لأحكام اللّه بالجهل، فقطعت الحبل في أيديهم، و أمضيت أحكام اللّه فيمن أجاروه، فلم يغنوا عنه من اللّه شيئا، و أصبحت زواياهم مهجورة، و بئرهم التي يمتاحون منها معطّلة؛ و انطلقوا يراطنون (1359) السّفهاء في النّيل من عرضي، و سوء الأحدوثة عني بمختلق الإفك، و قول الزّور، يبثّونه في الناس، و يدسّون إلى السّلطان التظلّم منّي فلا يصغي إليهم، و أنا في ذلك محتسب عند اللّه ما منيت به من هذا الأمر، و معرض فيه عن الجاهلين، و ماض على سبيل سواء من الصّرامة، و قوّة الشّكيمة، و تحرّي المعدلة، و خلاص الحقوق، و التّنكّب عن خطّة الباطل متى دعيت إليها، و صلابة العود عن الجاه و الأغراض متى غمزني لامسها، و لم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة، فنكروه عليّ، و دعوني إلى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الأكابر، و مراعاة الأعيان، و القضاء للجاه بالصّور الظاهرة، أو دفع الخصوم إذا تعذّرت، بناء على أن الحاكم لا يتعيّن عليه الحكم مع وجود غيره، و هم يعلمون أن قد تمالؤوا عليه.

و ليت شعري! ما عذرهم في الصّور الظّاهرة، إذا علموا خلافها، و النبيّ (صلى الله عليه و سلم) يقول في ذلك: «من قضيت له من حقّ أخيه شيئا فإنّما أقضي له من النار». (1360)

فأبيت في ذلك كلّه إلا إعطاء العهدة حقّها، و الوفاء لها و لمن قلّدنيها، فأصبح الجميع عليّ ألبا، (1361) و لمن ينادي بالتّأفّف منّي عونا، و في النّكير عليّ أمّة، و أسمعوا الشهود الممنوعين أن قد قضيت فيهم بغير الحقّ، لاعتمادي على علمي في

(1359) يراطنونهم: يكلمونهم بالعجمية. و ربما كان المقصود بالتراطن هنا هو التكنية، و عدم التصريح بالمراد، ليظل الحديث غير مفهوم إلا بين المتآمرين.

(1360) ورد نص هذا الحديث في صحيح البخاري بروايات مختلفة، لا توافق الصيغة التي أورده عليها ابن خلدون. و انظر العيني 11/ 400، 409- 411، 413، 270. و الموطأ مع شرحه: «تنوير الحوالك» 2/ 106، 107. طبع التجارية سنة 1356 ه.

(1361) الألب (بالفتح): التدبير على العدّو من حيث لا يعلم.

الجرح، و هي قضية إجماع، [1362] و انطلقت الألسنة، و ارتفع الصّخب، و أرادني بعض على الحكم بغرضهم فوقفت، و أغروا بي الخصوم فتنادوا بالتّظلّم عند السّلطان، و جمع القضاة و أهل الفتيا في مجلس حفل للنظر في ذلك، فخلّصت تلك الحكومة من الباطل خلوص الإبريز، و تبيّن أمره للسّلطان، و أمضيت فيها حكم الله إرغاما لهم، فغدوا على حرد قادرين، [1363] و عسوا لأولياء السّلطان و عظماء الخاصّة، يقبّحون لهم إهمال جاههم، وردّ شفاعتهم مموّهين بأنّ الحامل على ذلك جهل المصطلح، و ينفّقون هذا الباطل بعظائم ينسبونها إليّ، تبعث الحليم، و تغري الرّشيد، يستثيرون حفائظهم عليّ، و يشربونهم البغضاء لي، و الله مجازيهم و مسائلهم.

فكثر الشّغب عليّ من كل جانب، و أظلم الجوّ بيني و بين أهل الدّولة. و وافق ذلك مصابي بالأهل و الولد، [1364] وصلوا من المغرب في السفين، [1365] فأصابها قاصف [1366] من الريح فغرقت، و ذهب الموجود و السّكن و المولود، فعظم المصاب و الجزع، و رجح الزّهد، و اعتزمت على الخروج عن المنصب، فلم يوافقني عليه النصيح [1367] ممن استشرته، خشية من نكير السّلطان و سخطه، فوقفت بين الورد

(1362) انظر تفصيل القول في مسألة استناد القاضي إلى علمه في التعديل و التجريح، في: «البهجة في شرح التحفة» 2/ 45 و ما بعدها.

(1363) في اللسان: منعوا و هم واجدون.

(1364) في تاريخ ابن قاضي شبهة، في حوادث سنة 786، ج 1 لوحة 4: «و فيه (رمضان) غرق مركب كبير يقال له «ربع الدنيا»، حضر من المغرب، و فيه هدايا جليلة من صاحب المغرب، و غرقت فيه زوجة القاضي ولي الدين ابن خلدون، و خمس بنات له، و ما كان معهن من الأموال و الكتب؛ و كان السّلطان قد أرسل رسولا إلى صاحب تونس بسب أولاد الشيخ ولي الدين ابن خلدون. و سلم ولداه:
محمد و علي، فقدما القاهرة». على أن انفراد ابن قاضي شهبة التفصيلات ممّا يبعث على التثبت و الحذر.

(1365) السفين: جمع سفينة؛ غير أن ابن خلدون يستعمل السفين و يريد السفينة.

(1366) قصف الريح: اشتد صوته.

(1367) النصيح: الناصح.

و الصدر، و على صراط الرجاء و اليأس، و عن قريب تداركني اللّطف الربّاني، و شملتني نعمة السّلطان- أيّده اللّه- في النظر بعين الرحمة، و تخلية سبيلي من هذه العهدة التي لم أطق حملها، و لا عرفت- كما زعموا- مصطلحها، فردّها إلى صاحبها الأول، (1368) و أنشطني من عقالها، فانطلقت حميد الأثر، مشيّعا من الكافة بالأسف و الدّعاء و حميد الثناء، تلحظني العيون بالرّحمة، و تتناجى الآمال فيّ بالعودة، و رتعت فيما كنت راتعا فيه قبل من مراعي نعمته و ظلّ رضاه و عنايته، قانعا بالعافية التي سألها رسول اللّه (صلى الله عليه و سلم) من ربّه، عاكفا على تدريس علم، أو قراءة كتاب، أو إعمال قلم في تدوين أو تأليف، مؤمّلا من اللّه، قطع صبابة العمر (1369) في العبادة، و محو عوائق السعادة بفضل اللّه و نعمته.

السفر لقضاء الحج

ثم مكثت بعد العزل ثلاث سنين، و اعتزمت على قضاء الفريضة، فودّعت السّلطان و الأمراء، و زوّدوا و أعانوا فوق الكفاية، و خرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع و ثمانين، إلى مرسى الطور (1370) بالجانب الشرقي من بحر السويس، و ركبت البحر من هنالك، عاشر الفطر، و وصلنا إلى الينبع (1371) لشهر، فوافينا

(1368) في «السلوك» سنة 787 (124 ب نسخة الفاتح): «و في سابع عشر جمادى الأول، خلع على جمال الدين عبد الرحمن بن خير، و أعيد إلى قضاء القضاة المالكية عوضا عن ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون .... و في 22 منه قرئ تقليد ابن خير بالمدرسة الناصرية على العادة.».

(1369) صبابة العمر: بقيته.

(1370) الطور(Tor) عرضها الشمالي 28- 10، و طولها الشرقي 33- 39): مدينة على الساحل الغربي لشبه جزيرة سيناء. و انظر ياقوت 6/ 67، 69.

(1371) الينبع(Yanbo) عرضها الشمالي 24- 00، و طولها الشرقي 38- 15): مدينة من مدن الجزيرة العربية، تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر؛ و هي بفتح الياء المثناة التحتية، و ضم الباء الموحدة، بينهما نون ساكنة. و انظر ياقوت 8/ 526.

المحمل، و رافقتهم من هنالك إلى مكة، [1372] و دخلتها ثاني ذي الحجة، فقضيت الفريضة في هذه السنة، ثم عدت إلى الينبع، فأقمت به خمسين ليلة حتى تهيّأ لنا ركوب البحر، ثم سافرنا إلى أن قاربنا مرسى الطور، فاعترضتنا الرّياح، فما وسعنا إلا قطع البحر إلى جانبه الغربي، و نزلنا بساحل القصير، [1373] ثم بذرقنا [1374] مع أعراب تلك الناحية إلى مدينة قوص [1375] قاعدة الصّعيد، فأرحنا بها أيّاما، ثم ركبنا في بحر النيل إلى مصر، فوصلنا إليها لشهر من سفرنا، و دخلتها في جمادى سنة تسعين، و قضيت حقّ السّلطان في لقائه، و إعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له، فتقبّل ذلك منّي بقبول حسن، و أقمت فيما عهدت من رعايته و ظلّ إحسانه.

و كنت لما نزلت بالينبع، لقيت بها الفقيه الأديب المتقن، أبا القاسم بن محمد ابن شيخ الجماعة، و فارس الأدباء، و منفّق سوق البلاغة، أبي إسحق إبراهيم الساحلي المعروف جدّه بالطويجن، [1376] و قد قدم حاجّا، و في صحبته كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم، كاتب سرّ السّلطان ابن الأحمر صاحب غرناطة، الحظيّ لديه، أبي عبد الله بن زمرك، خاطبني فيه بنظم و نثر يتشوّق، و يذكّر بعهود الصّحبة نصّه:

(1372) مكة:Mecca) عرضها الشمال 21- 14، و طولها الشرقي 40- 14) قبلة المسلمين، أم القرى، و بيت الله الحرام. تحدث عنها ياقوت 8/ 133- 143.

(1373) القصيرKossir) عرضها الشمالي 26- 5، و طولها الشرقي 34- 16) بلفظ تصغير قصر: مرفأ على الساحل الغربي للبحر الأحمر، تؤمه السفن التجارية من الجزيرة العربية و اليمن، بينه و بين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام. و انظر ياقوت 7/ 115.

(1374) البذرقة (بالدال المهملة، و بالمعجمة أيضا): الخفارة.

(1375) قوصKus) عرضها الشمالي 25- 55، و طولها 23- 49): مدينة واسعة؛ كانت قصبة صعيد مصر، و كان أهلها أرباب ثروة واسعة، لأنها كانت محط التجار القادمين من عدن؛ و أكثر تجار عدن من مدينة قوص. و انظر ياقوت 7/ 183.

(1376) الطويجن، بضم الطاء، و فتح الواو، و بسكون التحتية المثناة، و كسر الجيم هكذا كان يضبط اسمه بخطه؛ و في «نثير الجمان»، و «نفح الطيب»: أنه بفتح الجيم.

سلوا البارق النّجديّ من علمي نجد* * * تبسّم فاستبكى جفوني من الوجد

أجاد ربوعي باللّوى بورك اللّوى (1377)* * * وسح به صوب الغمائم من بعدي

و يا زاجري الأظعان و هي ضوامر* * * دعوها ترد هيما عطاشا على نجد (1378)

و لا تنشقوا الأنفاس منها مع الصبا* * * فإن زفير الشّوق من مثلها يعدي

براها الهوى بري القداح و خطّها* * * حروفا على صفح من القفر ممتدّ (1379)

عجبت لها أني تجاذبني الهوى* * * و ما شوقها شوقي و لا وجدها وجدي

لئن شاقها بين العذيب و بارق (1380)* * * مياه بفيء الظل للبان

(1381) و الرّند (1382)

فما شاقني إلا بدور خدورها* * * و قد لحن يوم النّفر في قصب ملد (1383)

(1377) اللوى: واد من أودية بني سليم.

(1378) انظر أقوالهم في تحديد «نجد» في «معجم ما استعجم» للبكري.

(1379) براها الهوى: نحتها، و شفّها. و القداح: السهام قبل أن تراش و تنصل.

(1380) العذيب: ماء لبني تميم، و كذلك بارق. و كانت هذه الأمكنة ديارا لبني تميم باليمامة. و انظر «معجم ما استعجم» للبكري ص 928.

(1381) البان: شجر يسمو و يطول في استواء؛ و منه يستخرج دهن البان. و انظر «مفردات» ابن البيطار 1/ 78.

(1382) الرند: هو شجر الغار؛ و هو نبات طيب الريح يستخرج منه دهن.

(1383) جمع أملد؛ و هو الناعم اللين من الغصون و غيرها.

فكم في قباب الحيّ من شمس كلة* * * و في فلك الأزرار من قمر سعد (1384)

و كم صارم قد سلّ من لحظ أحور* * * و كم ذابل قد هزّ من ناعم القدّ

خذوا الحذر من سكّان رامة إنّها* * * ضعيفات كرّ اللّحظ تفتك بالأسد (1385)

سهام جفون عن قسّي حواجب* * * يصاب بها قلب البريء على عمد

و روض جمال ضاع عرف نسيمه* * * و ما ضاع غير الورد في صفحة الخدّ

و نرجس لحظ أرسل الدمع لؤلؤا* * * فرشّ بماء الورد روضا من الورد

و كم غصن قد عانق الغصن مثله* * * و كلّ على كلّ من الشّوق يستعدي

قبيح و داع قد جلا لعيوننا* * * محاسن من روض الجمال بلا عدّ

رعى اللّه ليلى لو علمت طريقها* * * فرشت لأخفاف المطيّ به خدّي

و ما شاقني و الطّيف يرهب أدمعي* * * و يسبح في بحر من الليل مزبدّ

و قد سلّ خفّاق الذّؤابة بارق* * * كما سلّ لّماع الصّقال من

الغمد (1386)

(1384) جمع زر؛ و هو العروة في القميص تجعل فيها الحبّة.

(1385) رامة: موضع بالعقيق؛ و انظر «معجم» البكري ص 628.

(1386) خفّاق: مضطرب. و ذؤابة كل شيء: أعلاه. و البارق: سحاب ذو برق.

و هزّت محلاة يد الشّوق في الدّجى* * * فحلّ الذي أبرمت للصّبر من عقدي

و أقلق خفّاق الجوانح نسمة* * * تنمّ مع الإصباح خافقة البرد

وهبّ عليل لفّ طيّ بروده* * * أحاديث أهداها إلى الغور من نجد (1387)

سوى صادح في الأيك لم يدر ما* * * الهوى و لكن دعا منّي الشّجون على وعد

فهل عند ليلى نعّم اللّه ليلها* * * بأنّ جفوني ما تملّ من السّهد

و ليلة إذ ولّى الحجيج (1388) على منى (1389)* * * وفت لي

المنى منها بما شئت من قصد

فقضيت منها- فوق ما أحسب- المنى* * * و برد عفافي صانه اللّه من برد

و ليس سوى لحظ خفيّ نجيله* * * و شكوى كما أرفضّ الجمان من العقد

غفرت لدهري بعدها كل ما جنّى* * * سوى ما جنى وفد المشيب على فودي

عرفت بهذا الشّيب فضل شبيبتي* * * و ما زال فضل الضّد يعرف بالضّد

(1387) الغور: غور تهامة، و هو ما بين ذات عرق إلى البحر، و كل ما انحدر سيله مغربا عن تهامة فهو غور. ياقوت 6/ 311.

(1388) الحجيج: جماعة الحاج.

(1389) موضع في جبل عرفة بجانب مكة، يذكر كثيرا في باب «الحج» من حيث صلته بكثير من أعمال الحجاج. و انظر «تنوير الحوالك» 1/ 281- 285 طبع مصر سنة 1356 ه.

و من نام في ليل الشّباب ضلالة* * * سيوقظه صبح المشيب إلى الرّشد

أما و الهوى ما حلت عن سنن الهوى* * * و لا جرت في طرق الصّبابة عن قصدي

تجاوزت حدّ العاشقين الألى قضوا* * * و أصبحت في دين الهوى أمّة وحدي

نسيت و ما أنسى وفائي لخلّتي* * * و أقفر ربع القلب إلا من الوجد

إليك أبا زيد شكاة رفعتها* * * و ما أنت من عمرو لدي و لا زيد (1390)

بعيشك خبّرني و ما زلت مفضلا* * * أعندك من شوق كمثل الذي عندي

فكم ثار بي شوق إليك مبرّح* * * فظلّت يد الأشواق تقدح من زندي

و صفّق حتى الرّيح في لمم (1391) الربى* * * و أشفق حتى الطّفل في كبد المهد

يقابلني منك الصّباح بوجنة* * * حكى شفقا فيه الحياء الذي تبدي

و توهمني الشّمس المنيرة غرّة* * * بوجهك صان اللّه وجهك عن ردّ

محيّاك أجلى في العيون من الضّحى* * * و ذكرك أحلى في

(1390) الشكاة: الشكوى.
(1391) جمع لمة (بالكسر)؛ و هي شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة.

و ما أنت إلا الشّمس في علوّ أفقها* * * تفيدك من قرب و تلحظ من بعد

و في عمه [1392] من لا ترى الشّمس عينه* * * و ما نفع نور الشّمس في الأعين

الرّمد

من القوم صانوا المجد صون عيونهم* * * كما قد أباحوا المال ينهب للرّفد

إذا ازدحمت يوما على المال أسرة* * * فما ازدحموا إلّا على مورد المجد

و مهما أغاروا منجدين صريخهم [1393]* * * يشبّون نار الحرب في الغور و النّجد

و لم يقتنوا بعد البناء ذخيرة* * * سوى الصّارم المصقول و الصّافن النّهد [1394]

و ما اقتسم الأنفال إلّا ممدّح* * * بلاها بأعراف المطهّمة الجرد [1395]

أتنسى و لا تنسى لياليا التي* * * خلسنا بهنّ العيش في جنّة الخلد

ركبنا إلى اللّذات في طلق الصّبا* * * مطايا اللّيالي وادعين إلى حدّ

(1392) العمه في البصيرة: كالعمى في البصر.

(1393) الصريخ كالصارخ: المستغيث.

(1394) الصافن (من الخيل): القائم على ثلاث، و عدوّا ذلك دليلا على كرم الأصل و انظر ص 73.

و النهد: الفرس الجميل الحسن.

(1395) الأعراف: جمع عرف؛ و هو شعر عنق الفرس. و المطهمة: البارعة الجمال التامة. و الجرد: القصيرة الشعر.

فإن لم نرد فيها الكؤس فإنّنا* * * وردنا بها للأنس مستعذب الورد

أتيتك في غرب و أنت رئيسه* * * و بابك للأعلام مجتمع الوفد

فآنست حتى ما شكوت بغربة* * * و واليت حتى لم أجد مضض الفقد

وعدتّ لقطري شاكرا ما بلوته* * * من الخلق المحمود و الحسب العدّ (1396)

إلى أن أجزت البحر يا بحر نحونا* * * وزرت مزار الغيث في عقب الجهد

ألذّ من النّعمى على حال فاقة* * * و أشهى من الوصل الهنيّ على صدّ

و إن ساءني أن قوّضت رحلك النّوى* * * و عوّضت عنّا بالذّميل و بالوخد (1397)

لقد سرّني أن لحت في أفق العلا* * * على الطّائر الميمون و الطّالع السّعد

طلعت بأفق الشّرق نجم هداية* * * فجئت مع الأنوار فيه على وعد

يمينا بمن تسري المطيّ سواهما* * * عليها سهام قد رمت هدف القصد (1398)

إلى بيته كيما تزور معاهدا (1399)* * * أبان بها جبريل عن كرم العهد

(1396) الحسب العدّ: القديم.

(1397) الذميل: السّير اللين. و الوخد الإسراع في المشي، أو سعة الخطو.

(1398) جمع ساهمة؛ و هي الناقة الضامرة.

(1399) يريد بيت الله؛ و هو الكعبة الشريفة.

لأنت الذي مهما دجا ليل مشكل* * * قدحت به للنور وارية الزّند

و حيث استقلّت بي ركاب لطيّة (1400)* * * فأنت نجيّ النّفس في القرب و البعد

و إنّي بباب الملك حيث عهدتني* * * مديد ظلال الجاه مستحصف العقد (1401)

أجهّز بالإنشاء كلّ كتيبة* * * من الكتب، و الكتّاب في عرضها جندي

نلوذ من المولى الإمام محمّد* * * بظلّ على نهر المجرّة ممتدّ

إذا فاض من يمناه بحر سماحة* * * و عمّ به الطّوفان في النجد و الوهد

ركبنا إلى الإحسان في سفن الرّجا* * * بحور عطاء ليس تجزر عن مدّ

فمن مبلغ الأمصار عني ألوكة* * * مغلغلة في الصّدق منجزة الوعد (1402)

بآية ما أعطى الخليفة ربّه* * * مفاتيح فتح ساقها سائق السّعد

و دونك من روض المحامد نفحة* * * تفوت إذا اصطفّ النّديّ عن النّدّ (1403)

(1400) الطّية (بالكسر): الناحية.

(1401) استحصف: استحكم؛ و يريد متمكن المنزلة.

(1402) الألوكة: الرسالة.
(1403) اصطفوا: قاموا صفوفا. و النّديّ، و النادي: مجلس القوم؛ و يريد القوم أنفسهم.

ثناء يقول المسك إن ضاع عرفه* * * أيا لك من ندّ أما لك من ندّ (1404)

و ما الماء في جوف السّحاب مروّقا* * * بأطهر ذاتا منك في كنف بالمهد (1405)

فكيف و قد حلّتك أسرابها الحلى* * * و باهت بك الأعلام بالعلم الفرد

و ما الطّلّ في ثغر من الدّهر باسم* * * بأصفى و أذكى من ثنائي و من ودّي

و لا البدر معصوبا بتاج تمامه* * * بأبهر من ودّي و أسير من حمدي

بقيت ابن خلدون إمام هداية* * * و لا زلت من دنياك في جنّة الخلد

و وصلها بقوله: سيدي علم الأعلام، كبير رؤساء الإسلام، مشرف حملة السيوف و الأقلام، جمال الخواصّ و الظّهراء، أثير الدول، خالصة الملوك، مجتبى الخلفاء، نيّر أفق العلاء، أوحد الفضلاء، قدوة العلماء، حجّة البلغاء.

أبقاكم الله بقاء جميلا يعقد لواء الفخر، و يعلي منار الفضل، و يرفع عماد المجد، و يوضح معالم السّؤدد، و يرسل أشعّة السّعادة، و يفيض أنوار الهداية، و يطلق ألسنة المحامد، و ينشر أفق المعارف، و يعذب موارد العناية و يمتع بعمر النّهاية و لا نهاية.

بأيّ التّحيات أفاتحك و قدرك أعلى، و مطلع فضلك أوضح و أجلى، إن قلت تحية

(1404) النّد (بالفتح): الطيب؛ و الند (بالكسر): المثل.

(1405) الماء المروّق: الصافي.

تحية كسرى في السّناء و تبّع* * * لربعك لا أرضى تحية أربع

(1406) فأثر لا يقتفر (1407) و لا يتبع، تلك تحية عجماء لا تبين و لا تبين، و زمزمة نافرها اللسان العربي المبين، و هذه جهالة جهلاء، لا ينطبق على حروفها الاستعلاء، قد محا رسومها الجفاء، و على آثار دمنتها العفاء، و إن كانت التحيتان طالما أوجف بهما الرّكاب و قعقع البريد، و لكن أين يقعان ممّا أريد.

تحية الإسلام أصل في الفخر نسبا، و أوصل بالشرع سببا، فالأولى أن أحييك بما حيّا الله في كتابه رسله و أنبياءه، و حيّت به ملائكته في جواره أولياءه فأقول:

سلام عليكم يرسل من رحمات الله غماما، و يفتق من الطّروس عن أزهار المحامد كماما، و يستصحب من البركات ما يكون على الذي أحسن من ذلك تماما، و أجدّد السؤال عن الحال الحالية بالعلم و الدين، المستمدّة من أنوارها سرج المهتدين. زادها الله صلاحا، و عرّفها نجاحا يتبع فلاحا، و أقرّر ما عندي من تعظيم أرتقي كلّ آونة شرفه، و اعتقاد جميل يرفع عن وجه البدر كلفه، و ثناء أنشر بيد الترك صحفه، و على ذلك أيّها السيّد المالك، فقد تشعّبت عليّ في مخاطبتك المسالك، إن أخذت في تقرير فخرك العميم، و حسبك الصميم، فو الله ما أدري بأيّ ثنية للفخر يرفع العلم، و في أيّ بحر من ثنائك يسبح القلم، الأمر جلل، «و الشمس تكبر عن حلي و عن حلل»، و إن أخذت في شكاة الفراق، و الاستعداء على الأشواق، اتّسع المجال، و حصرت (1408) الرّوية و الارتجال، فالأولى أن أترك عذبة اللسان تلعب بها رياح الأشواق،

(1406) ابن زمرك ينظر إلى قول أبي العلاء المعري:

تحية كسرى في السّناء و تبّع* * * لربعك لا أرضى تحية أربع

. و كانت تحية كسرى السجود له، أما تحية ملوك العرب من لخم و جذام، فكانت: «أبيت اللعن»، و يقول ابن قتيبة في «المعارف»: إن قحطان أول من حياه ولده بتحية

الملوك: «أبيت اللعن». و كانت تحية ملوك غسان: «يا خير الفتيان». و انظر لسان العرب «كفر»، تاريخ الطبري 2/ 161، شروح سقط الزند (البطليوسي) ص 1528، المعارف لابن قتيبة ص 271، خزانة الأدب 4/ 138، 432، 29، «ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه» للمحبي 1/ 561 (مخطوطة دار الكتب).

(1407) يقتفر: يقتفي، و يتتبّع.

(1408) حصر: عيي.

و أسلة [1409] اليراع تخضب مفارق الطّروس بنجيع الحبر المراق، و غيرك من تركض في مخاطبته جياد اليراع، في مجال الرقاع، مستولية على أمد الإبداع و الاختراع؛ إنّما هو بثّ يبكى، و فراق يشكى، فيعلم اللّه حرصي على أن أشافه عن أنبائك ثغور البروق البواسم، و أن أحملك الرّسائل حتى مع سفراء النواسم، و أن أجتلي غرر ذلك الجبين في محيّا الشارق، [1410] و لمح البارق.

و لقد وجّهت لك جملة من الكتب و القصائد، و لا كالقصيدة الفريدة في تأبين الجواهر التي استأثر بهنّ البحر، (قدّس اللّه أرواحهم)، و أعظم أجرك فيهم، فإنّها أنافت على مائة و خمسين بيتا، و لا أدري هل بلغكم ذلك أم غاله الضيّاع، و غدر وصوله بعد المسافة، و الذي يطرق لي سوء الظّنّ بذلك، ما صدر في مقابله منكم. فإنّي على علم من كرم قصدكم، و حسن عهدكم.

و من حين استقلّ نيّركم بذلك الأفق الشرقيّ، لم يصلني منكم كتاب، مع علمي بضياع اثنين منها بهذا الأفق الغربي. انتهى.

و في الكتاب إشارة إلى أنّه بعث قصيدة في مدح الملك الظّاهر صاحب مصر، و يطلب منّي رفعها إلى السّلطان، و عرضها عليه بحسب الإمكان، و هي على رويّ الهمزة، و مطلعها:

أمدامع منهلّة أم لؤلؤ* * * لمّا استهلّ العارض المتلألئ

و بعثها في طيّ الكتاب، و اعتذر بأنّه استناب في نسخها، فكتبت همزة رويّها ألفا، قال و حقّها أن تكتب بالواو، لأنّها تبدل بالواو، و تسهّل بين الهمزة و الواو، و حرف الإطلاق أيضا يسوقها واوا. هذا مقتضى الصناعة، و إن قال بعض الشيوخ تكتب ألفا على كل حال، على لغة من لا يسهّل، لكنّه ليس بشيء.

و أذن لي في نسخ القصيدة المذكورة بالخطّ المشرقيّ لتسهل قراءتها عليهم ففعلت ذلك، و رفعت النسخة و الأصل للسّلطان، و قرأها كاتب سرّه عليه، و لم يرجع إليّ

(1409) أسلة اللسان: طرف شباته إلى مستدقّه. و أسلة النصل: مستدقه.

(1410) الشارق: الشمس؛ و به فسّر الأهري قولهم: «لا آتيك ماذر شارق».

منهما شيء، و لم أستجز أن أنسخها قبل رفعها إلى السّلطان، فضاعت من يدي.

و كان في الكتاب فصل عرّفني فيه بشأن الوزير مسعود بن رحّو المستبدّ بأمر المغرب لذلك العهد، و ما جاء به من الانتقاض عليهم، و الكفران لصنيعهم، يقول فيه:

كان مسعود بن رحّو الذي أقام بالأندلس عشرين عاما يتبنّك النّعيم، (1411) و يقود الدنيا، و يتخيّر العيش و الجاه، قد أجيز صحبة ولد أبي عنان، كما تعرّفتم من نسخة كتاب أنشأته بجبل الفتح لأهل الحضرة، فاستولى على المملكة، و حصل على الدنيا، و انفرد برياسة دار المغرب، لضعف السّلطان (رحمه الله)، و لم يكن إلا أن كفرت الحقوق، و حنظلت (1412) نخلته السّحوق، (1413) و شفّ (1414) على سواد جلدته العقوق، (1415) و داخل من بسبتة، فانتقضت طاعة أهلها، و ظنّوا أن القصبة لا تثبت لهم، و كان قائدها الشيخ البهمة، فلّ الحصار و حلي القتال، و محشّ الحرب، أبو زكرياء بن شعيب، فثبت للصدمة، و نوّر للأندلس (1416) فبادره المدد من الجبل، و من مالقة. و توالت الأمداد، و خاف أهل البلد، و راجع شرفاؤه، و دخلوا القصبة.

و استغاث أهل البلد بمن جاورهم و جاءهم المدد أيضا. دخل الصالحون في رغبة هذا المقام، و رفع القتال. و في أثناء ذلك غدروا ثانية، فاستدعى الحال إجازة السّلطان المخلوع أبي العباس (1417) لتبادر القصبة به، و يتوجّه منها إلى المغرب، لرغبة

(1411) تبنّك في النعيم: أقام به، و تمكن.

(1412) حظلت النخلة: فسدت أصول سعفها. و في الأصول «حنظلت»، و هي لغة أنكرتها جمهرتهم.

و انظر تاج العروس «حنظل» 7/ 392، 393.

(1413) نخلة سحوق: طويلة.

(1414) شف: وضح و ظهر.

(1415) انظر خبر تمرده على ابن الأحمر في الاستقصا 2/ 138 و ما بعدها.

(1416) نوّر: أضاء؛ و يريد أو قد نار الاستغاثة، و طلب النجدة.

(1417) هو السّلطان أبو العباس بن أبي سالم. و انظر أسباب خلعه، و عودته إلى الملك في العبر 7/ 349 354، الاستقصا 3/ 139.

(بني) [1418] مرين و غيرهم فيه، و هو ولد السّلطان المرحوم أبي سالم الذي قلّدكم رياسة داره، و أوجب لكم المزية على أوليائه و أنصاره انتهى.

و بعده فصل آخر يطلب فيه كتبا من مصر يقول فيه:

و المرغوب من سيّدي أن يبعث لي ما أمكن من كلام فضلاء الوقت و أشياخهم على الفاتحة، إذ لا يمكن بعث تفسير كامل، لأنّي أثبت في تفسيرها ما أرجو النفع به عند اللّه. و قد أعلمتكم أن عندي التفسير الذي أوصله إلى المغرب عثمان التجاني من تأليف الطيّبي، [1419] و السفر الأول من تفسير أبي حيّان، [1420] و ملخّص

(1418) الزيادة عن ش.

(1419) الحسين بن محمد (أو عبد اللّه) بن عبد اللّه شرف الدين الطيبي (....- 743) له حاشية قيمة على «الكشاف» في أربع مجلدات ضخمة (من مخطوطات دار الكتب)؛ و جاء في الدرر الكامنة: «ثم شرع في جمع كتاب في التفسير». فلا ندري أي الكتابين يطلب ابن زمرك.

ترجمة الطيبي في: الدرر الكامنة 2/ 68، بغية الوعاة ص 228، البدر الطالع 1/ 229، شذرات الذهب 6/ 137.

(1420) أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف النحوي الغرناطي (654-745)، دخل مصر و درس بها النحو و التفسير، فكان في طليعة من وطّد قواعد المدرسة النحوية الأندلسية بمصر. و من قرأ كتبه في النحو عامة، و مقدمة تفسيره «البحر المحيط» خاصة، عرف أيّ مكانة عليا كان يحتلها بين نحاة العربية؛ تحدث عن نفسه كثيرا في أول «البحر» الذي طبع بمصر في 8 مجلدات سنة 1328 ه على نفقة سلطان المغرب الأقصى سابقا المرحوم المولى عبد الحفيظ. و انظر ترجمته في طبقات السبكي 6/ 31، البغية ص 121، الدرر الكامنة 4/ 302، نفح الطيب بولاق 1/ 598.

إعرابه، [1421] و كتاب المغني لابن هشام [1422] و سمعت عن بدأة تفسير للإمام بهاء الدين بن عقيل، [1423] و وصلت إلي بدأة من كلام أكمل الدين الأثيري [1424] رضي الله عن جميعهم. و لكن لم يصل إلا للبسملة، و ذكر أبو حيان في صدر تفسيره أن

(1421) لخص إعراب «البحر المحيط» شخصان، كلاهما كان تلميذا لأبي حيان؛ أحدهما برهان الدين السفاقصي (له ترجمة في نيل الابتهاج ص 39) و سمى كتابه «المجيد، في إعراب القرآن المجيد».

و الثاني منهما: شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي الشافعي الشهير بالسمين (له ترجمة في البغية ص 175 و الدرر الكامنة 1/ 339)، و سمّى كتابه «الدر المصون في علم الكتاب المكنون»، و هما من مخطوطات دار الكتب.

(1422) جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (708- 761) النحوي المصري الطائر الصيت. و فيه وردت كلمة ابن خلدون: «مازلنا و نحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه» له ترجمة في البغية ص 293، الدرر الكامنة 2/ 308، ابن تغرى بردي / 73، البدر الطالع 1/ 400- 402، حسن المحاضرة 1/ 309. و قد طبع كتابه القيم «المغني» مرارا. و انظر كلمة لابن خلدون عن كتاب «المغني» في «مقدمته» في آخر فصل «النحو» منها.

(1423) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ... بن عقيل القرشي الهاشمي (698-) بهاء الدين النحوي المعروف. من تآليفه تفسير للقرآن، وصل فيه إلى آخر سورة «آل عمران». له ترجمة في الدرر الكامنة 2/ 266، درة الحجال لابن القاضي 2/ 347- 348، حسن المحاضرة 1/ 310، بغية الوعاة ص 284.

(1424) لعله أكمل الدين محمد بن محمود (أو محمد) البابرتي الحنفي المتوفى سنة 78، له حاشية على «الكشاف»، توجد في مكتبة (داماد زاده تحت رقم 270). و الملاحظ أن الذين عرفوا به لم يصفوه جميعا ب «الأثيرى». و انظر حسن المحاضرة 1/ 223، خطط المقريزي 4/ 114 طبع مصر، الدرر الكامنة 4/ 250.

شيخه سليمان النقيب، [1425] أو أبو سليمان. لا أدري الآن، صنّف كتابا في البيان في سفرين، جعله مقدمة في كتاب تفسيره الكبير، فإن أمكن سيّدي توجيهه.

انتهى.

و في الكتاب فصول أخرى في أغراض متعدّدة لا حاجة إلى ذكرها هنا. ثم ختم الكتاب بالسلام، و كتب اسمه: محمد بن يوسف بن زمرك [1426] الصريحي، و تاريخه العشرون من محرّم تسع و ثمانين.

و كتب إليّ قاضي الجماعة بغرناطة، أبو الحسن علي بن الحسن البنّي [1427]:

الحمد لله، و الصلاة و السلام على سيّدنا و مولانا محمّد رسول الله.

يا سيّدي و واحدي ودّا وحبّا، و نجيّ الرّوح بعدا و قربا. أبقاكم الله، و ثوب سيادتكم سابغ، و قمر سعادتكم- كلّما أفلت الأقمار- بازغ، أسلّم بأتم السلام عليكم، و أقرّر بعض ما لدي من الأشواق إليكم، من حضرة غرناطة- مهّدها الله-، عن ذكر لكم يتضوّع طيبه، و شكر لا يذوي- و إن طال الزمان- رطيبه، و قد كان بلغ ما جرى من تأخيركم عن الولاية التي تقلّدتم أمرها، و تحمّلتم مرّها، فتمثّلت بما قاله شيخنا أبو الحسن ابن الجيّاب، [1428] عند انفصال صاحبه الشريف أبي

(1425) هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحسين بن الحسين المقدسي الحنفي عرف بابن النقيب (611- 698). أخذ عنه أبو حيان، و اعتمد عليه كثيرا في تفسيره، و انظر البحر المحيط 1/ 6، 11. حيث تجد الحديث عنه، و عن تفسيره القيم. له ترجمة في طبقات المفسرين للداودي ورقة 75- 76 (نسخة أسعد أفندي).

(1426) ضبطه ابن خلدون هنا بالحركات، بفتح الزاي و الميم، و سكون الراء و قد تقدم الضبط الذي رجعناه لهذا العلم في ص 226.

(1427) ضبطه ابن خلدون بالحركات في «طب» بضم الباء، و بكسرها. و هو نسبة إلى «بنة» و قد ذكرها ياقوت 1/ 294، و صاحب تاج العروس، (بن) و لم يذكرا فيها ضم الباء.

(1428) هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان الغرناطي الشهير

بابن الجياب (673- 749). له ترجمة واسعة في نفح الطيب 3/ 226- 245، 264- 265 طبع بولاق.

القاسم [1429] عن خطّة القضاء:

لا مرحبا بالنّاشز الفارك* * * إذ جهلت رفعة مقدارك

لو أنّها قد أوتيت رشدها* * * ما برحت تعشو إلى نارك [1430]

ثم تعرّفت كيفية انفصالكم، و أنّه كان عن رغبة من السّلطان المؤيّد هنالكم، فردّدت- و قد توهّمت مشاهدتكم- هذه الأبيات [1431]:

لك اللّه يا بدر السّماحة و البشر* * * لقد حزت في الأحكام منزلة الفخر

و لكنّك استعفيت عنها تورّعا* * * و تلك سبيل الصّالحين كما تدري

جريت على نهج السّلامة في الذي* * * تخيّرته أبشر بأمنك في الحشر

و حقّق بأن العلم ولاك خطّة* * * من العزّ لا تنفكّ عنها مدى العمر

تزيد على مرّ الجديدين جدّة* * * و تسري النجوم الزاهرات و لا تسري

(1429) هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه الحسني السبتي المعروف بالشريف الغرناطي (698- 760) له ترجمة في «المرقبة العليا» 171- 177، «الإحاطة» 2/ 129، «ديباج» 290.

(1430) انظر «رفع الحجب المستورة» 1/ 18 للشريف الغرناطي هذا حيث أورد البيتين ضمن أبيات أخر، و الإحاطة 2/ 120.

(1431) الأبيات من قصيدة لأبي الحسن النباهي، أوردها في كتابه «المرقبة العيا»

ص 158 و ما بعدها.
و في نفح الطيب 3/ 203 بولاق، يختلف المروي منها عما في «المرقبة العليا».

و من لاحظ الأحوال وازن بينها* * * و لم ير للدّنيا الدّنية من خطر

و أمسى لأنواع الولايات نابذا* * * فغير نكير أن تواجه بالنكر

فيهنيك يهنيك الذي أنت أهله* * * من الزّهد فيها و التّوقّي من الوزر

و لا تكترث من حاسديك فإنّهم* * * حصى و الحصى لا يرتقي مرتقى البدر

و من عامل الأقوام بالله مخلصا* * * له منهم نال الجزيل من الأجر

بقيت لربع الفضل تحمي ذماره* * * و خار لك الرّحمن في كلّ ما تجري

إيه سيدي رضي الله عنكم و أرضاكم، و أطنبتم في كتابكم في الثناء على السّلطان الذي أنعم بالإبقاء، و المساعدة على الانفصال عن خطّة القضاء، و استوهبتم الدعاء له ممّن هنا من الأولياء، و لله درّكم في التنبيه على الإرشاد إلى ذلكم، فالدّعاء له من الواجب، إذ فيه استقامة الأمور، و صلاح الخاصّة و الجمهور، و عند ذلك ارتفعت أصوات العلماء و الصلحاء بهذا القطر له و لكم بجميل الدعاء. أجاب الله فيكم أحسنه و أجمله، و بلّغ كل واحد منكم ما قصده و أمّله. و أنتم أيضا من أنتم من أهل العلم و الجلالة، و الفضل و الأصالة، و قد بلغتم بهذه البلاد الغاية من التّنويه، و الحظّ الشّريف النبيه، لكن أراد الله سبحانه أن يكون لمحاسنكم في تلك البلاد المعظّمة ظهور، و تحدث بعد الأمور أمور؛ و بكلّ اعتبار، فالزمان بكم- حيث كنتم- مباه، و المحامد مجموعة لكم جمع تناه. و لما وقف على مكتوبكم إليّ مولانا السّلطان أبو عبد الله، أطال الثناء على مقاصدكم، و تحقّق صحيح ودادكم، و جميل اعتقادكم، و عمّر مجلسه يومئذ بالثّناء عليكم، و الشّكر لما لديكم.

ثم ختم الكتاب بالسلام من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن مؤرّخا بصفر

تسعين. و في طيّه مدرجة بخطّه، (و قد قصر فيها عن الإجادة) نصّها:

سيّدي رضي الله عنكم و أرضاكم، و أظفر يمناكم بنوائب مناكم.

أعتذر لكم عن الكتاب المدرج هذا طيّه بغير خطي، فإنّي في الوقت بحال مرض من عينيّ، و لكم العافية الواقية، فيسعني سمحكم، و ربما أن لديكم تشوقا لما نزل في هذه المدّة بالمغرب من الهرج حاطه الله، و أمن جميع بلاد المسلمين.

و الموجب أن الحصّة الموجّهة لتلك البلاد في خدمة أميرهم الواثق، ظهر له و لوزيره و من ساعده على رأيه إمساكها رهينة، و جعلهم في القيود إلى أن يقع الخروج لهم عن مدينة سبتة. و كان القائد على هذه الحصّة العلج المسمّى مهنّد، و صاحبه الفتى المدعو نصر الله. و كثر التردّد في القضية، إلى أن أبرز القدر توجيه السّلطان أبي العبّاس- تولاه الله- صحبة فرج بن رضوان بحصّة ثانية، و كان ما كان، حسبما تلقيتم من الركبان، هذا ما وسع الوقت من الكلام. ثم دعا، و ختم.

و إنّما كتبت هذه الأخبار و إن كانت خارجة عن غرض هذا التعريف بالمؤلف، لأنّ فيها تحقيقا لهذه الواقعات، و هي مذكورة في أماكنها من الكتاب، فربّما يحتاج الناظر إلى تحقيقها من هذا الموضع.

و بعد قضاء الفريضة، رجعت إلى القاهرة محفوفا بستر الله و لطفه و لقيت السّلطان، فتلقّاني- أيّده الله- بمعهود مبرّته و عنايته. و كانت فتنة الناصري (1432) بعدها سنة إحدى و تسعين. و لحقت السّلطان النكبة التي محصه الله فيها و أقاله، و جعل إلى الخير فيها عاقبته و مآله، ثم أعاده إلى كرسيه للنظر في مصالح عباده، فطوّقه القلادة التي ألبسه كما كانت، فأعاد لي ما كان أجراه من نعمته، و لزمت كسر البيت ممتّعا بالعافية، لابسا برد العزلة، عاكفا على قراءة العلم و تدريسه، لهذا العهد فاتح سبع و تسعين. (1433)

(1432) يأتي حديثه مفصلا عن فتنة الناصري هذه فيما بعد.

(1433) هنا تنتهي النسخ: الظاهري، ش، ط، ز، و نسخة نور عثمانية. و قد اختلفت عبارة «الختم» فيها، و سنذكرها عند الحديث عن هذه النسخ، و تقديرها و المقارنة بينها.

ولاية الدّروس و الخوانق

أهل هذه الدولة التركية بمصر و الشام معنيّون- على القدم منذ عهد مواليهم ملوك بني أيوب- بإنشاء المدارس لتدريس العلم، و الخوانق لإقامة رسوم الفقراء في التخلق بآداب الصوفيّة السّنيّة في مطارحة الأذكار، و نوافل الصلوات. أخذوا ذلك عمّن قبلهم من الدوال الخلافية، فيختطّون مبانيها و يقفون الأراضي المغلّة للإنفاق منها على طلبة العلم، و متدرّبي الفقراء، و إن استفضل الريع شيئا عن ذلك، جعلوه في أعقابهم خوفا على الذّرّية الضّعاف من العيلة. (1434) و اقتدى بسنّتهم في ذلك من تحت أيديهم من أهل الرّياسة و الثروة، فكثرت لذلك المدارس و الخوانق بمدينة القاهرة، و أصبحت معاشا للفقراء من الفقهاء و الصوفية، و كان ذلك من محاسن هذه الدولة التركية، و آثارها الجميلة الخالدة. (1435)

و كنت لأوّل قدومي على القاهرة، و حصولي في كفالة السّلطان، شغرت مدرسة بمصر من إنشاء صلاح الدين بن أيوب، وقفها على المالكية يتدارسون بها الفقه، و وقف عليها أراضي من الفيّوم تغلّ القمح، فسمّيت لذلك القمحيّة، كما وقف أخرى على الشّافعية هنالك، و توفي مدرّسها حينئذ، فولاني السّلطان تدريسها، و أعقبه بولاية قضاء المالكية سنة ستّ و ثمانين، (1436) كما ذكرت ذلك من قبل، و حضرني يوم جلوسي للتدريس فيها جماعة من أكابر الأمراء تنويها بذكري، و عناية من السّلطان و منهم بجانبي، و خطبت يوم جلوسي في ذلك الحفل بخطبة ألممت فيها

(1434) العيلة (بفتح العين): الفقر و الفاقة.

(1435) تحدث ابن خلدون في «المقدمة» (ص 380 طبع بيروت) عن الأسباب التي كانت تحدو بأمراء الترك أن يكثروا من بناء المدارس و الربط و الخوانق في القاهرة- بما يحسن الرجوع إليه.

(1436) في «السلوك» (110 ب نسخة الفاتح) سنة 786:

«و في خامس عشرينه (المحرم)، درّس شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون بالمدرسة القمحية بمصر، عوضا عن علم الدين البساطي بعد موته، و حضر معه بها

الأمير الطنبغا الجوباني، و الأمير يونس الدوادار، و قضاة الأربعة و الأعيان».

بذكر القوم بما يناسبهم، و يوفي حقّهم و وصفت المقام، و كان نصّها:

الحمد لله الذي بدأ بالنعم قبل سؤالها، و وفّق من هداه للشّكر على منالها، و جعل جزاء المحسنين في محبّته، ففازوا بعظيم نوالها؛ و علّم الإنسان الأسماء و البيان، و ما لم يعلم من أمثالها، و ميّزه بالعقل الذي فضّله على أصناف الموجودات و أجيالها، و هداه لقبول أمانة التكليف، و حمل أثقالها؛ و خلق الجن و الإنس للعبادة، ففاز منهم بالسعادة من جدّ في امتثالها، و يسّر كلا لما خلق له، (1437) من هداية نفسه أو إضلالها، و فرغ ربّك من خلقها و خلقها و أرزاقها و آجالها.

و الصلاة على سيّدنا و مولانا محمد نكتة الأكوان و جمالها، و الحجّة البالغة لله على كمالها، الذي رقّاه في أطوار الاصطفاء، و آدم بين الطّين و الماء، فجاء خاتم أنبيائها و أرسالها، (1438) و نسخ الملل بشريعته البيضاء فتميّز حرامها من حلالها، و رضي لنا الإسلام دينا، فأتمّ علينا النعمة بإكمالها. (1439)

و الرّضى عن آله و أصحابه غيوث رحمته المنسجمة و طلالها، (1440) و ليوث ملاحمه (1441) المشتهرة و أبطالها. و خير أمّة أخرجت للناس، في توسّطها و اعتداله، و ظهور الهداية و الاستقامة في أحوالها، صلّى الله عليه و عليهم صلاة تتّصل الخيرات باتّصالها، و تنال البركات من خلالها.

أما بعد فإنّ الله سبحانه لما أقرّ هذه الملّة الإسلامية في نصابها، و شفاها من

(1437) يشير إلى الحديث: «كل ميسر لما خلق له»، الذي رواه الإمام أحمد في مسنده»، و انظر «كنوز الحقائق» للمناوى.

(1438) ورد في كلام كثير من علماء المغرب و الأندلس، جمع رسول على «أرسال». و لم يرد في معاجم اللغة هذا الجمع.

(1439) يشير إلى الآية 3 من سورة المائدة: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً».

(1440) الطلال جمع طلل؛ و هو أخف المطر.

(1441) الملاحم جمع ملحمة؛ و هي الوقعة العظيمة القتل، و موضع القتال، و الحرب.

أدوائها و أوصابها، [1442] و أورث الأرض عباده الصّالحين من أيدي غصّابها، بعد أن باهلت فارس بتاجها، و عصابها، [1443] و خلت الروم إلى تماثيلها و أنصابها، و جعل لها من العلماء حفظة و قوّاما، و نجوما يهتدي بها التّابع و أعلاما، يقرّبونها للدّراية تبيانا و إفهاما، و يوسعونها بالتدوين ترتيبا و إحكاما، و تهذيبا لأصولها و فروعها و نظاما. ثمّ اختار لها الملوك يرفعون عمدها، و يقيمون صغاها [1444] بإقامة السياسة و أودها، و يدفعون بعزائمهم الماضية في صدر من أرادها بكياد أو قصدها؛ فكان لها بالعلماء الظّهور و الانتشار، و الذّكر السّيّار، و البركات المخلّدة و الآثار، و لها بالملوك العزّ و الفخار، و الصولة التي يلين لها الجبّار، و يذلّ لعزّة المؤمنين بها الكفّار، و يجلّل وجوه الشّرك معها الصّغار، و لم تزل الأجيال تتداول على ذلك و الأعصار، و الدّول تحتفل و الأمصار، و الليل يختلف و النهار، حتى أظلّت الإسلام دول هذه العصابة المنصورة من الترك، الماحين بأنوار أسنّتهم ظلم الضّلالة و الشّك، القاطعين بنصالهم المرهفة علائق المين و الإفك، المصيبين بسهامهم النّافذة ثغر الجهالة و الشّرك، المظهرين سرّ قوله: «لا تزال طائفة من أمّتي» [1445] فيما يتناولونه من الأخذ و الترك، ففسحوا خطّة الإسلام، و قاموا بالدعوة الخلافية أحسن القيام، و بثّوها في أقصى التخوم من الحجاز و الشام، و اعتمدوا في خدمة الحرمين الشريفين ما فضلوا به ملوك الأنام.

و اقتعدوا كرسيّ مصر الذي ألقت له الأقاليم يد الاستسلام، على قدم الأيّام، فزخر بها منذ دولتهم بحر العمران، و تجاوبت فيها المدارس بترجيع المثاني و القرآن، و عمّرت المساجد بالصّلوات و الأذان، تكاثر عدد الحصى و الشّهبان، و قامت المآذن على قدم

(1442) الوصب: الوجع، و المرض؛ و الجمع أوصاب.

(1443) العصاب: ما يعصب به الرأس من عمامة أو نحوها.

(1444) الصّغا: الميل.

(1445) حديث رواه البخاري في آخر باب «علامة النبوة في الإسلام»، و مسلم في بابي «الإمارة»، و «الإيمان»، و انظر شرح العيني على «صحيح» البخاري 7/ 579، و شرح النووي على «صحيح» مسلم 1/ 55، 2/ 206.

الاستغفار و السّبحان [1446] معلنة بشعار الإيمان، و ازدان جوّها بالقصر و الإيوان فالإيوان، و نظّم دستها بالعزيز، و الظّاهر، و الأمير، و السّلطان؛ فما شئت من ملك يخفق العزّ في أعلامه، و تتوقّد في ليل المواكب نيران الكواكب من أسنّته و سهامه، و من أسرة للعلماء تتناول العلم بوعد الصّادق و لو تعلّق بأعنان السّماء، [1447] و تنير سراجه في جوانب الشّبة المدلهمّة الظّلماء؛ و من قضاة يباهون بالعلم و السؤدد عند الانتماء، و يشتملون الفضائل و المناقب اشتمال الصّمّاء، [1448] و يفصلون الخصومات برأي يفرق بين اللّبن و الماء.

و لا كدولة السّلطان الظّاهر، و العزيز القاهر، يعسوب [1449] العصائب و الجماهر، و مطلع أنواع العزّ الباهر، و مصرّف الكتائب تزري بالبحر الزاخر، و تقوم بالحجّة للقسيّ على الأهلّة في المفاخر، سيف الله المنتضى على العدوّ الكافر، و رحمته المتكفّلة للعباد باللّطف السّاتر، ربّ التّيجان و الأسرّة و المنابر، و الأواوين العالية و القصور الأزاهر، و الملك المؤيّد بالبيض البواتر، و الرّماح الشّواجر، [1450] و الأقلام المرتضعة أخلاف [1451] العزّ في مهود المحابر، و الفيض الربّاني الذي فاق قدرة القادر، و سبقت به العناية للأواخر، سيّد الملوك و السلاطين، كافل أمير المؤمنين، أبو سعيد أمدّه الله بالنّصر المصاحب، و السعد المؤازر، و عرّفه آثار عنايته في الموارد و المصادر، و أراه حسن العاقبة في الأولى و سرور المنقلب في الآخرة فإنّه لما تناول الأمر بعزائمه و عزمه، و آوى الملك إلى كنفه العزيز و حزمه، أصاب شاكلة الرأي عندما سدّد من سهمه، و أوقع

(1446) السبحان: التسبيح.

(1447) أعنان السماء: نواحيها، و ما اعترض من أقطارها.

(1448) اشتمال الصماء: أن تجلل جسدك بثوبك نحو شملة الأعراب بأكسيتهم؛ و هي أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى، و عاتقه الأيسر، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى، و عاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا.

(1449) اليعسوب: أمير النحل.

(1450) الشواجر من الرماح: المتداخلة حين القتال.

(1451) أخلاف الضرع: أطرافه. و الكلام على التشبيه.

الرّعايا في ظلّ من أمنه، و عدل من حكمه، و قسم البأس و الجود بين حربه و سلمه، ثم أقام دولته بالأمراء الذين اختارهم باختيار اللّه لأركانها، و شدّ بهم أزره في رفع القواعد من بنيانها، من بين مصرّف لعنانها، متقدّم القدم على أعيانها، في بساط إيوانها، و ربّ مشورة تضيء جوانب الملك بلمعانها، و لا يذهب الصّواب عن مكانها، و منفّذ أحكام يشرق الحقّ في بيانها، و يضوع العدل من أردانها (1452) و نجيّ خلوة (1453) في المهم الأعظم من شأنها، و صاحب قلم يفضي بالأسرار إلى الأسل الجرّار، فيشفي الغليل بإعلانها. حفظ اللّه جميعهم و شمل بالسّعادة و الخيرات المبدأة المعادة تابعهم و متبوعهم.

و لمّا سبحت في اللّجّ الأزرق، و خطوت من أفق المغرب إلى أفق المشرق، حيث نهر النهار ينصبّ من صفحه المشرق، و شجرة الملك التي اعتزّ بها الإسلام تهتزّ في دوحه المعرق، و أزهار الفنون تسقط علينا من غصنه المورق، و ينابيع العلوم و الفضائل تمدّ وشلنا (1454) من فراته المغدق، أولوني عناية و تشريفا، و غمروني إحسانا و معروفا، و أوسعوا بهمتي (1455) إيضاحا، و نكرتي تعريفا، ثم أهّلوني للقيام بوظيفة السّادة المالكية بهذا الوقف الشريف، من حسنات السّلطان صلاح الدين أيّوب ملك الجلاد و الجهاد، و ما حي آثار التثليث و الرفض الخبيث من البلاد، و مطهّر القدس الشريف من رجس الكفر بعد أن كانت النّواقيس و الصّلبان فيه بمكان العقود من الأجياد، و صاحب الأعمال المتقبّلة يسعى نورها بين يديه في يوم التّناد، (1456) فأقامني السّلطان- أيّده اللّه- لتدريس العلم بهذا المكان، لا تقدما على الأعيان، و لا رغبة عن الفضلاء من أهل الشّان، و إنّي موقن بالقصور، بين أهل العصور، معترف بالعجز

(1452) الأردان: الأكمام. و في الكلام تجوز.

(1453) النجيّ الشخص الذي تسارّه، و فلان نجى فلان، أي يناجيه دون سواه.

(1454) الوشل: الماء القليل.

(1455) البهمة: السواد، و يريد بها ما يقابل الوضوح.

(1456) يوم التناد: يوم ينادي «أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم اللّه».

و انظر لسان العرب.

عن المضاء في هذا القضاء، و أنا أرغب من أهل اليد البيضاء و المعارف المتّسعة الفضاء، أن يلمحوا بعين الارتضاء، و يتغمّدوا بالصّفح و الإغضاء، و البضاعة بينهم مزجاة، (1457) و الاعتراف من اللوم- إن شاء اللّه- منجاة، و الحسنى من الإخوان مرتجاة. و اللّه تعالى يرفع لمولانا السّلطان في مدارج القبول أعماله، و يبلّغه في الدارين آماله، و يجعل للحسنى و المقرّ الأسنى، منقلبه و مآله؛ و يديم على السّادة الأمراء نعمته، و يحفظ على المسلمين بانتظام الشّمل دولتهم و دولته، و يمدّ قضاة المسلمين و حكّامهم بالعون و التسديد، و يمتّعنا بانفساح آجالهم إلى الأمد البعيد، و يشمل الحاضرين برضوانه في هذا اليوم السعيد، بمنّه و كرمه.

و انفضّ ذلك المجلس، و قد شيّعتني العيون بالتّجلّة و الوقار، و تناجت النّفوس بالأهلية للمناصب، و أقمت على الاشتعال بالعلم و تدريسه إلى أن سخط السّلطان قاضي المالكية يومئذ في نزعة من النّزعات الملوكية، فعزله، و استدعاني للولاية في مجلسه، و بين أمرائه، فتفاديت من ذلك، و أبى إلا إمضاءه. و خلع عليّ، و بعث معي من أجلسني بمقعد الحكيم في المدرسة الصالحية (1458) في رجب ست و ثمانين، فقمت في ذلك المقام المحمود، و وفّيت عهد اللّه في إقامة رسوم الحقّ، و تحرّي المعدلة، حتى سخطني من لم ترضه أحكام اللّه، و وقع من شغب أهل الباطل و المراء ما تقدّم ذكره.

و كنت عند وصولي إلى مصر بعثت عن ولدي من تونس، فمنعهم سلطان تونس من اللّحاق بي اغتباطا بمكاني، فرغبت من السّلطان أن يشفع عنده في شأنهم، فأجاب، و كتب إليه بالشفاعة، فركبوا البحر من تونس في السفين، فما هو إلا أن وصلوا إلى مرسى الإسكندرية، فعصفت بهم الرياح و غرق المركب بمن فيه، و ما فيه، و ذهب الموجود و المولود، فعظم الأسف، و اختلط الفكر، و أعفاني السّلطان من هذه الوظيفة و أراحني، و فرغت لشأني من الاشتغال بالعلم تدريسا و تأليفا.

(1457) بضاعة مزجاة: قليلة.

(1458) نسبة إلى بانيها الملك الصالح نجم الدين أيوب. و في الخطط للمقريزي 4/ 209- 211 طبع مصر، حديث واف عنها.

ثم فرغ السّلطان من اختطاط مدرسته [1459] بين القصرين، و جعل فيها مدافن أهله، و عيّن لي فيها تدريس المالكية، فأنشأت خطبة أقوم بها في يوم مفتتح التّدريس على عادتهم في ذلك و نصّها:

الحمد لله الذي منّ على عباده، بنعمة خلقه و إيجاده، و صرّفهم في أطوار استعباده بين قدره و مراده، و عرّفهم أسرار توحيده، في مظاهر وجوده، و آثار لطفه في وقائع عباده، و عرضهم على أمانة التّكاليف ليبلوهم بصادق وعده و إبعاده، [1460] و يسّر كلا لما خلق له، من هدايته أو إضلاله، و غيّه أو رشاده، و استخلف الإنسان في الأرض بعد أن هداه النجدين [1461] لصلاحه أو فساده، و علّمه ما لم يكن يعلم، من مدارك سمعه و بصره و البيان عمّا في فؤاده، و جعل منهم أنبياء و ملوكا يجاهدون في الله حقّ جهاده، و يثابرون على مرضاته في اعتمال العدل و اعتماده، و رفع البيوت المقدّسة بسبحات [1462] الذكر و أوراده.

و الصّلاة و السّلام على سيّدنا و مولانا محمّد سيّد البشر من نسل آدم و أولاده، لا.

بل سيّد الثّقلين [1463] في العالم من إنسه و جنّه و أرواحه و أجساده، لا. بل سيّد الملائكة و النّبيئين، الذي ختم الله كمالهم بكماله و آمادهم بآماده، الذي شرّف به الأكوان فأضاءت أرجاء العالم لنور ولاده، و فصّل له الذكر الحكيم تفصيلا، كذلك ليثبت من فؤاده [1464] و ألقى على قلبه الروح الأمين بتنزيل رب العالمين، ليكون من

(1459) هي المدرسة الظاهرية، و تسمى البرقوقية أيضا. عهد في بنائها إلى الأمير جهركس الخليلي، فشرع في بنائها سنة 886، و أنهاها سنة 888. و انظر حسن المحاضرة 2/ 163 طبع الموسوعات بمصر سنة 1321 ه.

(1460) ينظر إلى الآية 72 من سورة الأحزاب: إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السّماواتِ، وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها، وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ.

(1461) النجدان: طريق الخير، و طريق الشر.

(1462) السبحات جمع سبحة؛ و هي التطوع في الذكر، و الصلاة.

(1463) الثقلان: الجن و الإنس.

(1464) يشير إلى الآية 32 من سورة الفرقان: وَ قالَ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ.

المنذرين لعباده، (1465) فدعا إلى الله على بصيرة بصادق جداله و جلاده (1466) و أنزل عليه النصر العزيز، و كانت ملائكة السّماء من إمداده، حتى ظهر نور الله على رغم من رغم. (1467) بإطفائه و إخماده، و كمل الدين الحنيف فلا تخشى و الحمد لله غائلة انقطاعه و لا نفاده، ثم أعدّ له من الكرامات ما أعدّ في معاده، و فضّله بالمقام المحمود في عرصات القيامة بين أشهاده، و جعل له الشّفاعة فيمن انتظم في أمّته، و اعتصم بمقاده.

و الرّضى عن آله و أصحابه، غيوث رحمته، و ليوث إنجاده، من ذوي رحمه الطّاهرة و أهل وداده المتزوّدين بالتّقوى من خير أزواده، و المراغمين بسيوفهم من جاهر بمكابرة الحقّ و عناده، و أراد في الدّين بظلمه و إلحاده، حتى استقام الميسم (1468) في دين الله و بلاده، و انتظمت دعوة الإسلام أقطار العالم، و شعوب الأنام، من عربه و عجمه و فارسه و رومه و تركه و أكراده. صلّى الله عليه و عليهم صلاة تؤذن باتصال الخير و اعتياده، و تؤهّل لاقتناء الثّواب و زياده، و سلّم كثيرا، و عن الأئمّة الأربعة، (1469) علماء السنّة المتّبعة، و الفئة المجتباة المصطنعة، و عن إمامنا من بينهم الذي حمل الشريعة و بيّنها، و حرّر مقاصدها الشريفة و عيّنها، و تعرّض في الآفاق منها و المطالع، بين شهبها اللّوامع، فزيّنها، نكتة الهداية إذا حقّق مناطها، و شرط التحصيل و الدراية

(1465) يشير كذلك إلى الآيتين 193، 194 من سورة الشعراء: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ.

(1466) الجلاد: الجهاد.

(1467) على رغم من رغم: من أساء؛ و الإشارة إلى الآية 32 من سورة التوبة: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ، وَ يَأْبَى اللّهُ إِلّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.

(1468) الميسم: الجمال. و المعنى غير ملتئم، و الصواب أن الكلمة (المنسم) بالنون؛ و معنى الكلام:

استقام الطريق، و وضحت معالمه؛ جاء في اللسان: استقام المنسم: تبيّن الطريق.

(1469) هم المجتهدون أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة: مالك، و الشافعي، و أبو حنيفة، و أحمد بن حنبل.

إذا روعيت أشراطها، و قصد الرّكاب إذا ضربت في طلب العلم آباطها، [1470] عالم المدينة و إمام هذه الأمّة الأمينة، و مقبس أنوار النبوّة من مشكاتها المبينة، الإمام مالك بن أنس، ألحقه الله برضوانه، و عرّفنا بركة الاقتداء بهديه و عرفانه، و عن سلف المؤمنين و المهتدين، و تابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بعد فإنّ الخلق عيال الله يكنفهم بلطفه و رحمته، و يكفلهم بفضله و نعمته، و ييسّرهم لأسباب السعادة بآداب دينه و شرعته، و يحملهم في العناية بأمورهم، و الرّعاية لجمهورهم، على مناهج سنّته و لطائف حكمته. و لذلك اختار لهم الملوك الذين جبلهم على العدل و فطرته، و هداهم إلى التمسّك بكلمته. ثم فضّلهم بما خوّلهم من سعة الرّزق و بسطته، و اشتقاق التمكين في الأرض من قدرته، فتسابقوا بالخيرات إلى جزائه و مثوبته، و ذهبوا بالدرجات العلى في وفور الأجر و مزيّته.

و إنّ مولانا السّلطان الملك الظاهر، العزيز القاهر، العادل الطاهر، القائم بأمور الإسلام عندما أعيا حملها الأكتاد، [1471] و قطب دائرة الملك الذي أطلع الله من حاشيته الأبدال [1472] و أنبت الأوتاد، [1473] و منفّق أسواق العزّ بما بذل فيها من جميل نظره المدخور و العتاد، رحمة الله الكافلة للخلق، و يداه المبسوطتان بالأجل و الرّزق، و ظلّه الواقي للعباد بما اكتنفهم من العدل و الحقّ، قاصم الجبابرة، و المعفّي على آثار الأعاظم من القياصرة، و ذوي التّيجان من التبابعة و الأكاسرة، أولي

(1470) يشير إلى الحديث: «تضرب أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يوجد عالم أعلم من عالم المدينة»، و سيأتي له بعد.

(1471) جمع كتد؛ و هو مجمع الكتفين من الإنسان.

(1472) يورّي بالأبدال في مصطلح الصوفية، و هم أشخاص سبعة، يسافرون بأرواحهم من مكان إلى آخر، و يتركون جسدهم في موضعهم الأول، بحيث لا يحس أحد بسفرهم. عن «تعريفات» الجرجاني ص 27، و «تعريفات» ابن العربي ص 2.

(1473) و الأوتاد عند الصوفية أيضا: عبارة عن أربعة رجال، منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم: الشرق، و الغرب، و الشمال، و الجنوب؛ كل واحد منهم مقامه في تلك الجهة. عن الجرجاني في «التعريفات» ص 27، و ابن العربي ص 2. و يريد أن الدولة غنية بالرجال.

الأقيال [1474] و الأساورة، [1475] و حائز قصب السبق في الملوك عند المناضلة و المفاخرة، و مفوّض الأمور بإخلاصه إلى ولي الدنيا و الآخرة، مؤيّد كلمة الموحدين، و رافع دعائم الدّين، و ظهير خلافة المؤمنين، سلطان المسلمين أبو سعيد. صدّق الله فيما يقتفي من الله ظنونه، و جعل النصر ظهيره، كما جعل السعد قرينه، و العزّ خدينه، [1476] و كان وليّه على القيام بأمور المسلمين و معينه، و بلّغ الأمّة في اتّصال أيّامه، و دوام سلطانه، ما يرجونه من الله و يؤمّلونه. لمّا قلّده الله هذا الأمر الذي استوى له على كرسيّ الملك، و انتظمت عقود الدّول في لبّات الأيام، و كانت دولته واسطة السّلك و جمع له الدين بولاية الحرمين، و الدّنيا بسلطان التّرك. و أجرى له أنهار مصر من الماء و المال، فكان مجازه فيها بالعدل في الأخذ و التّرك. و جمع عليه قلوب العباد. فشهد سرّها بمبّه الله (له) [1477] شهادة خالصة من الرّيب، بريئة من الشّك، حتى استولى من العزّ و الملك على المقام الذي رضيه و حمده. ثم تاقت نفسه إلى ما عند الله، فصرف قصده إليه و اعتمده، و سارع إلى فعل الخيرات بنفس مطمئنّة، لا يسأل عليها أجرا و لا يكدّرها بالمنّة، و أحسن رعاية الدين و الملك تشهد بها الإنس و الجنّة، لا، بل النّسم و الأجنّة. ثم آوى الخلق إلى عدله تصديقا بأن الله يؤوه يوم القيامة إلى ظلاله المستجنّة، و نافس في اتخاذ المدارس و الرّبط لتعليم الكتاب و السنّة، و بناء المساجد المقدّسة يبني له بها الله البيوت في الجنّة، و الله لا يضيع عمل عامل فيما أظهره أو أكنّه.

و إنّ مما أنتجته قرائح همّته و عنايته، و أطلعته آفاق عدله و هدايته، و وضحت شواهده على بعد مداه في الفخر و غايته، و نجح مقاصده في الدين و سعايته، هذا المصنع الشّريف، و الهيكل السّامي المنيف، الذي راق الكواكب حسنه و ظرفه، و أعجز الهمم البشرية ترتيبه و رصفه، لا! بل الكلم السّحرية تمثيله و وصفه و شمخ بمطاولة

(1474) جمع قيل و هو، في مملكة حمير، بمنزلة الوزير بالنسبة للملك. (عن التاج).
(1475) جمع إسوار، و هو الرّامي أو الفارس. و انظر «المعرب» للجواليقي ص 20.
(1476) الخدين: الصديق.
(1477) زيادة عن كلمة الإهداء التي صدر بها ابن خلدون: «الكتاب الظاهري» و هي ضرورية.

السّحب و مناولة الشّهب مارنه [1478] العزيز و أنفه، و ازدهى بلبوس السّعادة و القبول من اللّه عطفه، إن فاخر بلاط الوليد، [1479] كان له الفخار، أو باهى القصر [1480] و الإيوان، [1481] شهد له المحراب و المنار، أو ناظر صنعاء [1482] و غمدان، قامت بحجّته الآثار، إنما هو بهو ملؤه دين و إسلام، و قصر عليه تحية و سلام، و فضاء ربّاني ينشأ في جوّه للرّحمة و السّكينة ظلّة و غمام، و كوكب شرق يضاحك وجه الشّمس منه ثغر بسّام، دفع إلى تشييد أركانه، و رفع القواعد من بنيانه، سيف دولته الذي أستلّه من قراب ملكه و انتضاه، و سهمه الذي عجم عيدان كنانته فارتضاه، و حسام أمره الذي صقل فرنده بالعزّ و العزم و أمضاه، و حاكمه المؤيّد الذي طالب غريم الأيام، بالأمل العزيز المرام، فاستوفى دينه و اقتضاه، الأمير الأعزّ الأعلى جهركس [1483] الخليلي أمير الماخورية باسطبله المنيع، حرسه اللّه من خطوب الأيام، و قسم له من عناية السّلطان أوفر الحظوظ و السّهام، فقام بالخطو الوساع، لأمره المطاع، و أغرى بها أيدي الإتقان و الإبداع، و اختصّها من أصناف الفعلة بالماهر الصّناع، يتناظرون في إجادة الأشكال منها و الأوضاع، و يتناولون الأعمال بالهندام [1484] إذا توارت عن

(1478) المارن: الأنف.

(1479) تقدم القول في تحديد «بلاط الوليد» في الحاشية رقم 4 من ص 198.

(1480) لعله يريد قصر غمدان؛ و انظر الحديث عنه، و عن غمدان في ياقوت 6/ 301- 303.

(1481) تقدمت كلمة عن: «إيوان كسرى» الذي يشير إليه هنا، في الحاشية رقم 1 في ص 87.

(1482) مرت كلمة عن: «صنعاء» في ص 111.

(1483) هو الأمير سيف الدين جهركس (و يكتب: جهاركس، و جاركس) بن عبد اللّه اليلبغاوي الخليلي، الذي ينسب إليه «خان الخليلي» المعروف اليوم بالقاهرة. قتل بظاهر دمشق سنة 791 ه في الوقعة بين منطاش، و الظاهر برقوق. له ترجمة واسعة في «المنهل الصافي»، ورقة 451 (نسخة دار الكتب)، و خطط المقريزي 3/ 152- ، طبع مصر. و قد ضبط في «المنهل»: «جاركس» بجيم و ألف وراء مهملة ساكنة و كاف «مهملة» و سين مهملة ساكنة؛ و هو لفظ أعجمي معناه أربعة أنفس.

(1484) تقدم شرح كلمة «الهندام» في ص 193.

قدرتهم بالامتناع، فكأنّ العبقريّ، [1485] يفري الفريّ، [1486] أو العفاريت، [1487] قدمت من أماريت. [1488] و كأنّما حشرت الجنّ و الشّياطين، أو نشرت القهارمة [1489] من الحكماء الأول و الأساطين، جابوا لها الصّخر بالأذواد [1490] لا بالواد، و استنزلوا صمّ الأطواد على مطايا الأعواد، و رفعوا سمكها إلى أقصى الآماد، على بعيد المهوى من العماد. و غشّوها من الوشي الأزهر، المضاعف الصّدف و المرمر، و مائع اللّجين الأبيض و الذّهب الأحمر، بكلّ مسهّم الحواشي حالي الأبراد، و قدّروه مساجد للصّلوات و الأذكار، و مقاعد للسّبحات [1491] بالعشيّ و الإبكار، و مجالس للتّلاوة و الاستغفار، في الآصال و الأسحار، و زوايا للتّخلّي عن ملاحظة الأسماع و الأبصار، و التّعرّض للفتوح الرّبّانية و الأنوار، و مدارس لقدح زناد الأفكار، و نتاج المعارف الأبكار، و صوغ اللّجين و النّضار، في محكّ القرائح و الأبصار. تتفجّر ينابيع الحكمة في رياضه و بستانه، و تتفتّح أبواب الجنّة من غرفه و إيوانه، و تقتاد غرّ السّوابق، من العلوم و الحقائق، في طلق [1492] ميدانه، و يصعد الكلم الطّيّب و العمل الصّالح إلى الله من نواحي أركانه، و توفّر الأجور لغاشيته محتسبة عند الله في ديوانه، راجحة

(1485) العبقري نسبة إلى «عبقر»، و هي قربة تسكنها الجن فيما زعموا. و يقولون إذا تعجبوا من جودة شيء أو غرابته، أو دقة صنعه: هو عبقري، ثم توسعوا فسموا الرجل، و السيد، و الكبير- عبقريا.

و انظر اللسان.

(1486) يقال هو يفري الفرىّ: إذا عمل عملا فأجاده.

(1487) العفريت من الإنسان: النافذ في الأمر، و القوىّ المتشيطن، و يقال عفريت نفريت على سبيل الاتباع.

(1488) أماريت: جمع الجمع لمرت؛ و هي المفازة و القفر لا نبات فيه.

(1489) القهارمة: جمع قهرمان، و هو الآمر، صاحب الحكم. و انظر «الألفاظ الفارسية» ص 130، لسان العرب.

(1490) الأذواد جمع ذود؛ و هو الجماعة من الإبل. و في تحديد عددها خلاف مذكور في كتب اللغة.

(1491) جمع سبحة؛ و هي التطوع في الدعاء و الصلاة.

(1492) الطلق: الشوط الواحد في جري الخيل، و الغاية التي يجري إليها الفرس في

السباق.

في ميزانه.

ثم أختار لها من أئمة المذاهب الأربعة أعيانا، و من شيوخ الحقائق الصّوفية فرسانا، تصفّح لهم أهل مملكته إنسانا إنسانا، و أشاد بقدرهم عناية و إحسانا، و دفعهم إلى وظائفه توسّعا في مذاهب الخير و افتنانا، و عهد إليهم برياضة المريدين، و إفادة المستفيدين، احتسابا لله و قربانا، و تقيّلا (1493) لمذاهب الملوك من قومه و إستنانا، ثمّ نظمني معهم تطوّلا و امتنانا، و نعمة عظمت موقعا و جلّت شانا، و أنا و إن كنت لقصور البضاعة، متأخرا عن الجماعة، و لقعود الهمّة، عيالا على هؤلاء الأئمة، فسمحهم (1494) يغطّي و يلحف، و بمواهب العفو و التّجاوز يمنح و يتحف. و إنما هي رحمة من مولانا السّلطان- أيّده الله- خصّت كما عمّت، و وسمت إغفال النّكرة و الإهمال وسمّت، و كملت بها مواهب عطفه و جبره و تمّت، و قد ينتظم الدرّ مع المرجان، و تلتبس العصائب بالتّيجان، و تراض المسوّمة (1495) العراب (1496) على مسابقة الهجان (1497)؛ و الكلّ في نظر مولانا السّلطان و تصريفه، و الأهلية بتأهيله و المعرفة بتعريفه، و قوام الحياة و الآمال بلطائف إحسانه و صنوفه، و الله يوزعنا شكر معروفه، و يوفّقنا للوفاء بشرطه في هذا الوقف و تكليفه، و يحمي حماه من غير الدّهر و صروفه، و يفيء على ممالك الإسلام ظلال أعلامه و رماحه و سيوفه، و يريه قرّة العين في نفسه و بنيه، و حاشيته و ذويه، و خاصّته و لفيفه، بمنّ الله و فضله.

ثم تعاون العداة عند أمير الماخورية، القائم للسّلطان بأمور مدرسته، و أغروه بصدّي عنها، و قطع أسبابي من ولايتها، و لم يمكن السّلطان إلّا إسعافه فأعرضت عن

(1493) الكلمة في الأصلين غير معجمة، فتحتمل «تقيلا»، و معناها حينذاك: تشبها، من تقيل أباه:
أشبهه، و عمل عمله؛ و تحتمل «تقبلا». و يكون المعنى: فعل ذلك ارتضاء لمذاهب الملوك قبله، و ذهابا على سننهم.
(1494) كذا في الأصلين، و لعله يريد «فسماحهم».
(1495) المسومة من الخيل: المرعية، و المعلمة.
(1496) العراب من الإبل، و الخيل: التي ليس فيها عرق هجين.
(1497) الهجان: جمع هجين؛ و هو الفرس الذي ليس بعتيق.

ذلك، و شغلت بما أنا عليه من التّدريس و التّأليف.

ثمّ خرجت عام تسعة و ثمانين للحجّ، و اقتضيت إذن السّلطان في ذلك فأسعف، وزوّد هو و أمراؤه بما أوسع الحال و أرغده؛ و ركبت بحر السويس من الطّور إلى الينبع، ثم صعدت مع المحمل إلى مكّة، فقضيت الفرض عامئذ. و عدت في البحر، فنزلت بساحل القصير، ثم سافرت منه إلى مدينة قوص في آخر الصعيد، و ركبت منها بحر النيل إلى مصر، و لقيت السّلطان، و أخبرته بدعائي له في أماكن الإجابة، و أعادني إلى ما عهدتّ من كرامته، و تفيّىء ظلّه.

ثم شغرت وظيفة الحديث بمدرسة صلتمش [1498] فولّاني إياها بدلا من مدرسته و جلست للتدريس فيها في محرّم أحد و تسعين، و قمت ذلك اليوم- على العادة- بخطبة نصّها:

الحمد لله إجلالا و إعظاما، و اعترافا بحقوق النّعم و التزاما، و اقتباسا للمزيد منها و اغتناما، و شكرا على الذي أحسن و تماما، وسع كلّ شيء رحمة و إنعاما، و أقام على توحيده من أكوانه و وجوده آيات واضحة و أعلاما، و صرّف الكائنات في قبضة قدرته ظهورا و خفاء و إيجادا و إعداما، و أعطى كلّ شيء خلقه ثم هداه إلى مصالحه إلهاما، و أودع مقدور قضائه في مسطور كتابه، فلا يجد محيصا عنه و لا مراما.

و الصلاة و السّلام على سيدنا و مولانا محمّد نبيّ الرّحمة الهامية غماما [1499] و الملحمة التي أراقت من الكفر نجيعا و حطّمت أصناما، و العروة الوثقى، فاز من اتخذها عصاما، [1500] أول النّبيئين رتبة و آخرهم ختاما، و سيّدهم ليلة قاب

(1498) هكذا في الأصلين: «صلغتمش»، و لعلها كانت تنطق باللام فسجلها ابن خلدون كما سمعها.
و المدرسة الصرغتمشية هذه الي تقع بجوار جامع أحمد بن طولون، تنسب إلى بانيها الأمير سيف الدين صرغتمس الناصري أمير رأس نوبة، المتوفى سجينا في الإسكندرية سنة 759. و في خطط المقريزي 4/ 256- 258 طبع مصر، حديث مفصل عنها، و عن بانيها صرغتمش المذكور.
(1499) همت السماء: أمطرت؛ و الغمام: القطر نفسه.

(1500) العصام: رباط كل شيء. من حبل و نحوه.

قوسين [1501] إذ بات للملائكة و الرّسل إماما، و على آله و أصحابه الذين كانوا ركنا لدعوته و سناما [1502] و حربا على عدوّه و سماما، [1503] وصلوا في مظاهرته جدّا و اعتزاما، و قطعوا في ذات اللّه و ابتغاء مرضاته أنسابا و أرحاما، حتى ملأوا الأرض إيمانا و إسلاما، و أوسعوا الجاحد و المعاند تبكيتا [1504] و إرغاما [1505] فأصبح ثغر الدّين بسّاما و وجه الكفر و الباطل عبوسا جهاما. [1506] صلّى اللّه عليه و عليهم ما عاقب ضياء ظلاما، صلاة ترجّح القبول ميزانا، و تبوّئ عند اللّه مقاما.

و الرضى عن الأئمة الأربعة، الهداة المتّبعة، مصابيح الأمان و مفاتيح السّنّة الذين أحسنوا بالعلم قياما و كانوا للمتّقين إماما.

أما بعد فإنّ اللّه سبحانه تكفّل لهذا الدّين بالعلاء و الظّهور، و العزّ الخالد على الظّهور، [1507] و انفساح خطّته في آفاق المعمور، فلم يزل دولة عظيمة الآثار، غزيرة الأنصار، بعيدة الصّيت عالية المقدار، جامعة- بمحاسن آدابه و عزّة جنابه- معاني الفخار، منفّقة بضائع علومه في الأقطار، مفجّرة ينابيعها كالبحار، مطلعة كواكبها المنيرة في الآفاق أضوأ من النهار، و لا كالدّولة التي استأثرت بقبلة الإسلام و منابره، و فاخرت بحرمات اللّه و شعائره و اعتمدت بركة الإيمان و يمن طائره، في تمهيد قواعده و تأييد ناصره، و ظفرت- في خدمة الحرمين الشّريفين بالمتين من أسباب الدّين و أواصره، و اعتملت في إقامة رسوم العلم ليكون من مفاخره، و شاهدا بالكمال لأوّله و آخره.

و إن مولانا السّلطان الملك الظّاهر، العزيز القاهر، شرف الأوائل و الأواخر، و رافع

(1501) قاب قوسين: قدر قوسين، أو طول: قوسين.

(1502) السنام: المرتفع من الرمل، و الجبل؛ و المراد أنه ملجأ.

(1503) السمام: جمع سم؛ و في حديث عن علي رضي اللّه عنه: «الدنيا غذواءها سمام».

(1504) التبكيت: التقريع و التعنيف.

(1505) الإرغام: الإكراه و الإهانة.

(1506) الجهام: السّحاب لا ماء فيه، و يريد: كريها لا خير فيه.

(1507) كذا في الأصلين، و لعلها: «الدهور».

لواء المعالي و المفاخر، ربّ التّيجان و الأسرّة و المنابر، و المجلّي في ميدان السّابقين من الملوك الأكابر، في الزّمن الغابر، حامل الأمّة بنظره الرّشيد و رأيه الظّافر، و كافل الرّعايا في ظلّه المديد و عدله الوافر، و مطلع أنوار العزّ و السّعادة من أفقه السّافر، واسطة السّلك من هذا النّظام، و التّاج المحلّى في مفارق الدّول و الأيّام، سيّد الملوك و السلاطين، بركة الإسلام و المسلمين، كافل أمير المؤمنين، أبو سعيد. أعلى الله مقامه، و كافأ عن الأمّة إحسانه الجزيل و إنعامه، و أطال في السّعادة و الخيرات المبدأة المعادة لياليه و أيّامه؛ لما أوسع الدّين و الملك نظرا جميلا من عنايته، و أنام الخلق في حجر كفالته، و مهاد كفايته، و أيقظ لتفقّد الأمور، و صلاح الخاصّة و الجمهور، عين كلاءته، كما قلّده الله رعايته (1508) و أقام حكام الشريعة و السياسة يوسعون نطاق الحقّ إلى غايته، و يطلعون وجه العدل سافرا عن آيته. و نصب في دست النّيابة من وثق بعدله و سياسته، و رضي الدّين بحسن إيالته، و أمنّه على سلطانه و دولته، و هو الوفيّ- و الحمد لله- بأمانته؛ ثم صرف نظره إلى بيوت الله يعنى بإنشائها و تأسيسها، و يعمل النّظر الجميل في إشادتها و تقديسها، و يقرض الله القرض الحسن في وقفها و تحبيسها، و ينصب فيها لبثّ العلم من يؤهّله لوظائفها و دروسها، فيضفي عليه بذلك من العناية أفخر لبوسها، حتّى زهت الدّولة بملكها و مصرها، و فاخرت الأنام بزمانها الزّاهر و عصرها، و خضعت الأواوين لإيوانها العالي و قصرها، فابتهج العالم سرورا بمكانها، و اهتزّت الأكوان للمفاخرة بشأنها، و تكفّل الرّحمن، لمن اعتزّ به الإيمان، و صلح على يده الزّمان، بوفور المثوبة و رجحانها.

و كان ممّا قدمنّ به الآن تدريس الحديث بهذه المدرسة وقف الأمير صرغتمش من سلف أمراء التّرك، خفّف الله حسابه و ثقّل في الميزان- يوم يعرض على الرحمن- كتابه، و أعظم جزاءه في هذه الصّدقة الجارية و ثوابه، عناية جدّد لي لباسها، و إيثارا بالنّعمة التي صحّحت قياسها، و عرفت منه أنواعها و أجناسها، فامتثلت المرسوم، و انطلقت أقيم الرّسوم، و أشكر من الله و سلطانه الحظ المقسوم. و أنا مع هذا معترف بالقصور، بين أهل العصور، مستعيذ بالله و بركة هؤلاء الحضور، السّادة الصّدور، أن

(1508) كذا في الأصلين؛ و لعل أصل الكلام: «الله حق رعايته»، أو «واجب رعايته»، أو نحو هذا.

يجمح بي مركب الغرور، أو يلج شيطان الدّعوى و الزّور، في شيء من الأمور. و الله تعالى ينفع مولانا السّلطان بصالح أعماله، و يعرّفه الحسنى و زيادة الحظّ الأسنى في عاقبته و مآله، و يريه في سلطانه و بنيه و حاشيته و ذويه قرّة عينه و رضى آماله، و يديم على السّادة الأمراء ما خوّلهم من رضاه و إقباله، و يحفظ المسلمين في هذا الأمر السّعيد بدوامه و اتّصاله، و يسدّد قضاتهم و حكّامهم لاعتماد الحقّ و اعتماله بمنّ الله و إفضاله.

و قد رأيت أن أقرّر للقراءة في هذا الدّرس، كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، رضي الله عنه، فإنّه من أصول السّنن، و أمّهات الحديث، و هو مع ذلك أصل مذهبنا الذي عليه مدار مسائله، و مناط أحكامه، و إلى آثاره يرجع الكثير من فقهه.

فلنفتتح الكلام بالتّعريف بمؤلّفه- رضي الله عنه- و مكانه من الأمانة و الدّيانة، و منزلة كتابه «الموطّأ» من كتب الحديث. ثم نذكر الروايات و الطّرق التي وقعت في هذا الكاب، و كيف اقتصر النّاس منها على رواية يحيى بن يحيى، و نذكر أسانيدي فيها، ثم نرجع إلى الكلام على متن الكتاب.

أمّا الإمام مالك- رضي الله عنه- فهو إمام دار الهجرة، و شيخ أهل الحجاز في الحديث و الفقه غير منازع، و المقلّد المتبوع لأهل الأمصار و خصوصا أهل المغرب.

قال البخاري: مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي. كنيته أبو عبد الله، حليف عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله [1509] القرشي التّيمي ابن أخي طلحة بن عبيد الله. كان إماما، روى عنه يحيى بن سعيد. انتهى كلام البخاري. [1510]

و جدّه أبو عامر بن عمرو بن الحرث بن عثمان [1511] و يقال: غيمان بغين معجمة مفتوحة، و ياء تحتانية ساكنة، ابن جثيل بجيم مضمومة و ثاء مثلّثة مفتوحة، و ياء

(1509) في «الأنساب» للسمعاني 41 و «عثمان بن عبد الله التيمي»، و لعله تصحيف.

(1510) تصرف ابن خلدون في النقل قليلا، و انظر تاريخ البخاري 4/ 310 طبع حيدر آباد سنة 1360.

(1511) بعين مهملة و ثاء مثلثة، و قد نقل هذا الخلاف ابن خلكان في «الوفيات»، أما

ابن ماكولا فلم يذكر في «الإكمال» ج 1 ورقة 227 ظ إلا «غيمان»، و يقول القاضي عياض في «ترتيب المدارك» 1/ 13 ب (نسخة خاصة): إن «عثمان» تصحف عن «غيمان».

تحتانيّة ساكنة؛ و يقال حثيل أو خثيل بحاء مضمومة مهملة [1512] أو معجمة، عوض الجيم، و يقال حسل بحاء مهملة مكسورة، و سين مهملة ساكنة، [1513] ابن عمرو بن الحرث، و هو ذو أصبح. و ذو أصبح بطن من حمير، و هم إخوة يحصب، [1514] و نسبهم، فهو حميريّ صليبة، و قرشيّ حلفا. ولد سنة إحدى و تسعين [1515]- فيما قال ابن بكير، [1516] و أربع و تسعين- فيما قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، [1517] و نشأ بالمدينة، و تفقّه بها. أخذ عن ربيعة الرأي، [1518] و ابن شهاب [1519] و عن عمّه أبي سهيل، [1520] و عن جماعة ممن عاصرهم من التّابعين

(1512) ذكر هذا القول الدار قطني في «أحاديث الموطأ» ص 7.

(1513) لم يقف ابن خلدون على قول عياض في «ترتيب المدارك» 1/ 13 ب: «و أما من قال عثمان بن حسل، أو ابن حنبل فقد صحف»، فضلّ في وادي الافتراض.

(1514) يحصب مثلث الصاد، و انظر تاج العروس.

(1515) في مولد مالك أقوال أخر غير ما ذكر ابن خلدون تجدها في «الأنساب» للسمعاني، و «وفيات» ابن خلكان؛ و انظر «الانتقاء» لابن عبد البر ص 10.

(1516) هو يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المخزومي بالولاء المصري (154-231) أحد رواة «الموطأ» عن مالك، تكلموا فيه. ترجمته في تهذيب التهذيب 11/ 37

(1517) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الشافعي المصري المشهور (182- 268).

«وفيات» 1/ 578؛ و قد نقل قوله هذا في مولد مالك ابن عبد البر في «الانتقاء» ص 10.

(1518) هو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر ... المعروف بربيعة الرأي. فقيه مدني جليل. أدرك جماعة من الصحابة. توفى بالأنبار بمدينة «الهاشمية» سنة 136 على خلاف.

«المعارف» لابن قتيبة ص 217، «وفيات» 1/ 228.

(1519) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي. من أجلّ فقهاء التابعين بالمدينة. أدرك جماعة من الصحابة [51- 142] على خلاف في المولد و الوفاة. «وفيات» ابن خلكان 1/ 571- 572.

(1520) نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو سهيل التيمي. مات في إمارة أبي

العباس. تهذيب التهذيب 10/ 409.

و تابعي التّابعين، و جلس للفتيا و الحديث في مسجد رسول اللّه (صلى الله عليه و سلم) شابا يناهز العشرين، و أقام مفتيا بالمدينة ستين سنة. و أخذ عنه الجمّ الغفير من العلماء الأعلام، و ارتحل إليه من الأمصار من لّا يحصى كثرة، و أعظم من أخذ عنه الإمام محمّد بن إدريس الشّافعي، (1521) و ابن وهب، (1522) و الأوزاعي، (1523) و سفيان الثّوري، (1524) و ابن المبارك (1525) في أمثال لهم و أنظار. و توفي سنة تسع و سبعين و مائة باتفاق من الناقلين لوفاته، و قال الواقدي (1526): عاش مالك تسعين سنة، و قال سحنون (1527) عن ابن نافع (1528): توفي مالك ابن سبع و ثمانين سنة،

(1521) الإمام المجتهد أبو عبد اللّه محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ينتهي نسبه إلى عبد مناف بن قصيّ، حيث يجتمع مع رسول اللّه (صلى الله عليه و سلم) (150- 204) «الانتقاء» لابن عبد البر ص 66- 122، «المقفّى» للمقريزي 1/ 147 (نسخة دار الكتب)، «صفة الصفوة» 2/ 140، «ديباج» ص 227.

(1522) أبو محمد عبد اللّه بن وهب بن مسلم القرشي المصري (125- 197)، لازم مالكامدة طويلة، و هو صاحب كتاب «الجامع» الذي نشره المعهد الفرنسي بالقاهرة ما بين سنتي 1939- 1941 م بتحقيق.J David -Weill . و انظر ترجمة ابن وهب في «ترتيب المدارك» 1/ 86 و (نسخة دار الكتب)، تهذيب التهذيب 6/ 71، تذكرة الحفاظ 1/ 279.

(1523) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، و نسبته إما إلى «الأوزاع» بطن من همدان، أو من ذي كلاع من اليمن، أو إلى «الأوزاع» قرية بدمشق نزل بها فنسب إليها أدخلته أمه «بيروت» فسكنها، و بها مات سنة 157، و مولده ببعلبك سنة 88، أو 93. و انظر «المعارف» لابن قتيبة ص 217، «وفيات» 1/ 345.

(1524) أبو عبد اللّه سفيان بن سعيد المعروف بالثوري، أحد الأئمة المجتهدين، ولّاه المهدي قضاء الكوفة فامتنع، و رمى بصكّ الولاية في دجلة [95- 161] على خلاف في المولد و الوفاة. «و فيات» 1/ 263.

(1525) أبو عبد الرحمن عبد اللّه بن المبارك بن واضح المروزي مولى بني حنظلة، أحد رواة «الموطأ» عن مالك (118- 181) على خلاف في المولد و الوفاة. «و فيات» 1/ 311.

(1526) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني صاحب «المغازي»؛ تولى القضاء ببغداد في أيام المأمون. ضعفوه في الحديث [130- 207]. «وفيات» 1/ 640، «المعارف» لابن قتيبة ص 226.

(1527) أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الفقيه المالكي المشهور. (160- 240) ترجمته في «ترتيب المدارك» 1/ 118 (نسخة دار الكتب)، «المرقبة العليا» ص 28- 30، «لسان الميزان» 3/ 8.

(1528) أبو محمد عبد الله بن نافع بن أبي نافع الصائغ المخزومي، يروى عن مالك كثيرا، و لهم في الثقة به كلام. توفي سنة 206، أو 207. «تهذيب التهذيب» 6/ 51- 52.

و لم يختلف أهل زمانه في أمانته، و إتقانه، و حفظه و تثبّته و ورعه، حتى لقد قال سفيان بن عيينة [1529]: كنّا نرى في الحديث الوارد عن رسول اللّه (صلى الله عليه و سلم): «تضرب أكباد الإبل (في طلب العلم) [1530] فلا يوجد عالم أعلم من عالم المدينة» أنّه مالك بن أنس.

و قال الشّافعي: إذا جاء الأثر فمالك النّجم، و قال: إذا جاءك الحديث عن مالك، فشدّ به يديك؛ و قال أحمد بن حنبل [1531]: إذا ذكر الحديث فمالك أمير المؤمنين.

و قد ألّف الناس فضائله كتبا، و شأنه مشهور.

و أما الذي بعثه على تصنيف «الموطّأ»- فيما نقل أبو عمر بن عبد البر- فهو أن عبد العزيز بن عبد اللّه بن أبي سلمة الماجشون، [1532] عمل كتابا على مثال «الموطأ»، ذكر فيه ما اجتمع عليه أهل المدينة، و لم يذكر فيه شيئا من الحديث، فأتي به مالك، و وقف عليه و أعجبه، و قال: ما أحسن ما عمل هذا! و لو كنت أنا الذي عملت لبدأت بالآثار، ثمّ شددت ذلك بالكلام. و قال غيره: حجّ أبو جعفر المنصور،

(1529) سفيان بن عينية بن أبي عمران أبو محمد المحدث المشهور (107- 198) «تهذيب التهذيب» 4/ 117- 122، «المعارف» لابن قتيبة ص 122، «وفيات» 1/ 264.

(1530) الزيادة عن «الانتقاء» لابن عبد البر ص 21. و الحديث أخرجه أحمد، و الترمذي و حسنّه، و الحاكم في المستدرك و صححه، من حديث أبي هريرة مرفوعا. و انظر «تنوير الحوالك» 1/ 5.

(1531) أبو عبد اللّه أحمد بن حنبل الإمام المجتهد المعروف، ينتهي نسبه إلى بني شيبان (164- 241).
«وفيات» 1/ 20.

(1532) عبد العزيز بن عبد اللّه بن أبي سلمة الماجشون المتوفى سنة 164 ببغداد في خلافة المهدي.
«المعارف» ص 203، «تهذيب التهذيب» 6/ 343.

(1533) و لقيه مالك بالمدينة، فأكرمه و فاوضه. و كان فيما فاوضه: يا أبا عبد الله لم يبق على وجه الأرض أعلم منّي و منك، و قد شغلتني الخلافة، فضع أنت للناس كتابا ينتفعون به، تجنّب فيه رخص ابن عبّاس (1534) و شدائد ابن عمر (1535) و وطّئه للناس توطئة. قال مالك: فلقد علّمني التأليف، فكانت هذه و أمثالها من البواعث لمالك على تصنيف هذا الكتاب، فصنّفه و سمّاه «الموطأ» أي المسهّل. (1536) قال الجوهري وطؤ يوطؤ وطاءة، أي صار وطيئا، و وطّأته توطئة؛ و لا يقال وطّيته. (1537) و لما شغل بتصنيفه أخذ النّاس بالمدينة يومئذ في تصنيف موطآت، فقال لمالك أصحابه:

نراك شغلت نفسك بأمر قد شركك فيه النّاس، و أتي ببعضها فنظر فيه، ثم طرحه من يده و قال: ليعلمنّ أن هذا لا يرتفع منه إلا ما أريد به وجه الله، فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار، و ما سمع لشيء منها بعد ذلك ذكر، و أقبل مالك على تهذيب كتابه و توطئته، فيقال إنه أكمله في أربعين سنة؛ و تلقّت الأمة هذا الكتاب بالقبول في مشارق الأرض و مغاربها، و من لدن صنّف إلى هلم. (1538) و طال ثناء

(1533) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الخليفة العباسي الثاني تولى الخلافة سنة 136، و توفي سنة 158. له ترجمة واسعة في «تاريخ الطبري» 9/ 154- 323.

(1534) أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عم رسول الله (صلى الله عليه و سلم)، و صاحبه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، و توفي سنة 68 على خلاف في سنة الوفاة. تاريخ الإسلام للذهبي 3/ 30- 37.

(1535) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي صاحب رسول الله، و ابن صاحبه. توفى سنة 73، و كان عمره يوم الخندق 15 سنة. تاريخ الإسلام الذهبي 3/ 177- 184.

(1536) ذكر الزرقاني في شرحه للموطأ 1/ 8، نقلا عن ابن فهد، وجها آخر لتسميته بالموطأ، قال:

«... قال مالك: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم و اطأني عليه، فسميته بالموطأ».

(1537) انظر لسان العرب أيضا (وطأ).

(1538) كذا في الأصلين، و هو استعمال غريب. و قد استعمله في «مقدمته» في فصل الكيمياء ص 273 بولاق. و انظر شرح الشريشي على مقامات الحريري 1/ 84، تاج العروس (جر).

العلماء في كلّ عصر عليه، و لم يختلف في ذلك اثنان. قال الشّافعيّ، و عبد الرّحمن بن مّهدي [1539]: ما في الأرض كتاب بعد كتاب اللّه أنفع، و في رواية أصحّ، و في رواية أكثر صوابا، من «موطّأ» مالك. [1540] و قال يونس بن عبد الأعلى [1541]: ما رأيت كتابا ألّف في العلم أكثر صوابا من «موطّأ» مالك.

و أما الطرق و الروايات التي وقعت في هذا الكتاب، فإنّه كتبه عن مالك جماعة نسب الموطأ إليهم بتلك الرواية، و قيل موطأ فلان لراويه عنه [1542] فمنها موطأ الإمام محمد بن إدريس الشافعي، [1543] و منها موطأ عبد اللّه بن وهب، و منها موطأ عبد

(1539) أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري البصري المتوفى سنة 198. «تهذيب التهذيب» 6/ 281، «المعارف» ص 224.

(1540) بعد أن ألف البخاري، و مسلم صحيحيهما، لم تبق للموطأ هذه المكانة، و من هنا أوّلوا قول الشافعي هذا بأنه كان قبل وجود الصحيحين. و انظر مقدمة ابن الصلاح ص 14، تدريب الراوي ص 25، مقدمة شرح الزرقاني على الموطأ 1/ 9، مقدمة موطأ محمد بن الحي للكنوي ص 16 طبع الهندسة 1306.

(1541) أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة المحدث المقرئ المصري (170- 264).
تهذيب التهذيب 11/ 440، طبقات القراء 2/ 406.

(1542) في «ترتيب المدارك» 1/ 34 ظ (نسخة خاصة)، و شرح الزرقاني على الموطأ 1/ 6- كلمة جامعة عن الذين رووا الموطأ عن مالك. و في مقدمة عبد الحي اللكنوي لموطأ محمد بن الحسن: أن أحد علماء «دهلي»، أورد في كتاب له بالفارسية سماه «بستان المحدثين» القول المستفيض عن الموطأ، و مؤلفه، و نسخه؛ و يتبين من الخلاصة التي عربها عن الفارسية عبد الحي اللكنوي أن صاحب «البستان» كاد أن يستقصي الموضوع.

(1543) قال أحمد بن حنبل: كنت سمعت الموطأ من بضعة عشر رجلا من حفاظ أصحاب مالك، فأعدته على الشافعي لأنه أقومهم. زرقاني 1/ 7.

الله بن مسلمة القعنبي، [1544] و منها موطأ مطرّف بن عبد الله اليساري [1545] نسبة إلى سليمان بن يسار، و منها موطّأ عبد الرّحمن بن القاسم [1546] رواه عنه سحنون ابن سعيد، و منها موطأ يحيى بن يحيى اللّيثي الأندلسي. [1547] رحل إلى مالك بن أنس من الأندلس و أخذ عنه الفقه و الحديث، و رجع بعلم كثير و حديث جمّ، و كان فيما أخذ عنه «الموطأ»، و أدخله الأندلس و المغرب، فأكبّ الناس عليه، و اقتصروا

(1544) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي المدني المتوفى سنة 221 أو 220.

تهذيب التهذيب 6/ 31، الانتقاء ص 61. سمع من الإمام مالك نصف الموطأ بقراءة الإمام، و قرأ هو النصف الباقي على الباقي على الإمام. و من هنا قال ابن معين و ابن المديني و النسائي: إنه أثبت الناس في الموطأ، ذلك لأن السماع من لفظ الشيخ، أعلى أنواع التحمل عندهم. و انظر تدريب الراوي 129، مقدمة ابن الصلاح ص 140. و الزرقاني 1/ 6، 7.

(1545) مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان اليساري الهلالي أبو مصعب المدني ابن أخت الإمام مالك (137- 214)، على خلاف في وفاته. تهذيب التهذيب 10/ 175 الانتقاء ص 58.

(1546) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري المالكي (128- 191)، أول من نقل الموطأ إلى مصر. و كان أبو الحسن القابسي يقدّم روايته للموطأ على غيره، و يقول في ذلك إنه- مع ما يتصف به من الفهم و الورع- قد اختص بمالك، و لم يكثر من النقل عن غيره، فخلص بذلك من أن تختلط عليه ألفاظ الرواة، أو تتبدل الأسانيد، و إنما نقل كتابا مصنفا، فهو وافر الحظ من السلامة في النقل. عن ديباجة «الملخص» للقابسي ص 5 (نسخة خاصة). ترجمة ابن القاسم في «أنساب السمعاني 383 ظ، الانتقاء ص 50- 51، ديباج ابن فرحون 146، تهذيب التهذيب 6/ 252.

(1547) هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن و سلاسن المصمودي البربري الليثي بالولاء. (152- 234) له ترجمة في نفح الطيب بولاق 1/ 332- 334، وفيات 2/ 285- 287، ديباج 350.

على روايته دون ما سواها، (1548) و عوّلوا على نسقها و ترتيبها (1549) في شرحهم لكتاب «الموطأ» و تفاسيرهم، و يشيرون إلى الرّوايات الأخرى إذا عرضت في أمكنتها، فهجرت الرّوايات الأخرى، و سائر تلك الطّرق، (1550) و درست تلك الموطآت إلا موطأ يحيى بن يحيى، فبروايته أخذ الناس في هذا الكتاب لهذا العهد شرقا و غربا. (1551)

و أما سندي في هذا الكتاب المتّصل بيحيى بن فعلى ما أصفه:

(1548) كان بقي بن مخلد المحدث الأندلسي يقدم على رواية يحيى هذه، رواية أبي المصعب الزهري، و رواية يحيى بن بكير، و عاتبه في ذلك عبيد الله بن يحيى، و أخوه إسحق بن يحيى، فاحتج لفعله بأن أبا المصعب قرشي فاستحق التقديم، و بأن يحيى بن بكير أكبر من أبيهما في السن، و بأنه سمع الموطأ من مالك سبعة عشر مرة، و يحيى أبوهما لم يسمعه إلا مرة واحدة. صلة بن بشكوال 1/ 84.

و قد مر لك أن القابسي المالكي، كان يؤثر رواية ابن القاسم على غيرها بالتقديم، و أنه اعتمد عليها في كتابه «المخلص»، و في مقدمة عبد الحي اللكنوي لموطأ محمد بن الحسن طبع الهند سنة 1306 ص 35، كلام في هذا الصدد يحسن الاطلاع عليه.

(1549) جاء في كشف الظنون 2/ 1908: «و أكثر ما يوجد فيها (نسخ الموطأ) ترتيب الباجي؛ و هو أن يعقب الصلاة بالجنائز، ثم الزكاة، ثم الصيام. ثم اتفقت النسخ إلى آخر الحج، ثم اختلفت بعد ذلك».

(1550) لأبي الحسن الدار قطني رسالة «أحاديث الموطأ» ذكر فيها اتفاق الرواة و اختلافهم عن مالك زيادة و نقصا. و لابن عبد البر في آخر كتابه «التقصّي» ص 259 و ما بعدها، مقارنة طيبة بين رواية يحيى بن يحيى، و غيرها من بقية الروايات، و ذكر للأحاديث التي لم تذكرها رواية يحيى. و في شرح الزرقاني 1/ 7 كلمة عابرة مفيدة عن الاختلاف بين الروايات في الزيادة و النقص.

(1551) لا تزال رواية الموطأ لابن وهب في مكتبتي «فيض الله، و ولي الدين» باستانبول، و رواية سويد بن سعيد، و رواية أبي مصعب الزهري في المكتبة «الظاهرية» بدمشق. انظر المقدمة التي كتبها العلامة الثقة الشيخ محمد زاهد الكوثري- أبقى الله حياته- لرسالة «أحاديث الموطأ» للدار قطني ص 5.

و عندي نسخة قيمة من رواية يحيى بن بكير، بخط حماد بن هبة الله بن حماد بن

الفضيل الحراني، كتبها و قرأها ببغداد على أبي الحسن سعد الخير الأنصاري الأندلسي، سنة 536.

حدثني به جماعة من شيوخنا رحمة الله عليهم. منهم إمام المالكية، قاضي الجماعة بتونس، و شيخ الفتيا بها، أبو عبد الله محمد بن عبد السّلام بن يوسف الهوّاري، (1552) سمعته عليه بمنزله بتونس، من أوله إلى آخره.

و منهم شيخ المسندي بتونس، الرحّالة أبو عبد الله محمد بن جابر ابن سلطان القيسي الوادي آشي، سمعت عليه بعضه، و أجازني بسائره.

و منهم شيخ المحدّثين بالأندلس، و كبير القضاة بها، أبو البركات محمد بن محمد بن محمد- ثلاثة من المحدّثين- بن إبراهيم بن الحاجّ البلّفيقي، لقيته بفاس سنة ست و خمسين من هذه المائة الثامنة، مقدمه من السّفارة بين ملك الأندلس و ملك المغرب. و حضرت مجلسه بجامع القرويّين من فاس، فسمعت عليه بعضا من هذا الكتاب، و أجازني بسائره. ثم لقيته لقاءة أخرى سنة اثنتين و ستّين، استقدمه ملك المغرب، السّلطان أبو سالم ابن السّلطان أبي الحسن للأخذ عنه، و كنت أنا القارئ فيما يأخذه عنه، فقرأت عليه صدرا من كتاب «الموطّأ»، و أجازني بسائره إجازة أخرى.

و منهم شيخ أهل المغرب لعصره في العلوم العقلية، و مفيد جماعتهم، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، (1553) قرأت عليه بعضه، و أجازني بسائره، قالوا كلّهم:

حدثنا الشيخ المعمّر، أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطّائي، (1554) عن القاضي أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقيّ، (1555) عن الشيخ أبي عبد الله محمد

(1552) تقدم التعريف بابن عبد السلام في ص 19.

(1553) مرت له ترجمة سابقا.

(1554) أبو محمد عبد الله بن محمد هرون بن محمد بن عبد العزيز الطائي القرطبي ثم التونسي الإمام المسند. أخذ عنه الوادي آشي و غيره من مشايخ العلم و الحديث (603- 703). ديباج ص 143، الدرر الكامنة 2/ 303.

(1555) أبو القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ... بن بقي بن مخلد (533- 6). «التكملة لكتاب الصلة» ص 141 طبع الجزائر سنة 1337 ه، «تكميل الديباج» ص 73، «الغنية» في شيوخ القاضي عياض ص 86 (مخطوطة خاصة).

بن عبد الحقّ الخزرجي. (1556)

و حدّثني به أيضا شيخنا أبو البركات، عن إمام المالكية ببجاية، ناصر الدين أبي علي، منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدّالي، (1557) عن الإمام شرف الدين محمد ابن أبي الفضل المرسي، عن أبي الحسن علي بن موسى بن النّقرات (1558) عن أبي الحسن علي بن أحمد الكناني. (1559) قال الخزرجي و الكناني: حدثنا أبو عبد الله محمّد بن فرج (1560) مولى ابن الطّلّاع، عن القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله

(1556) أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي. سمع من ابن الطلاع. ذكره ابن الأبار في «التكملة» 1/ 214 طبع مدريد سنة 1889 م، و قال إنه لم يقف على وفاته.

(1557) منصور بن محمد بن أحمد بن عبد الحق الزّواوي المشدّالي ناصر الدين، و هو لقب لزمه من المشرق، حيث إنه رحل إليه، و أخذ عن علمائه؛ و يقول العبدري في «رحلته»: إنه لم تكن له عناية بالرواية؛ و مشدّالة قبيلة من زواوة. عنوان الدراية ص 431، رحلة العبدري (مخطوطة بمكتبه تيمور) ورقة 147. و تقدم له ذكر ص 59.

(1558) على بن موسى بن علي (و يقال ابن القاسم) بن علي الأنصاري الجياني يعرف بابن النقرات يكنى أبا الحسن، و يعرف أيضا بابن أرفع رأسه (515- 593)، و يقول ابن القاضي في جذوة الاقتباس إنه كان حيا في سنة 593. طبقات القراء 1/ 581، الجذوة ص 305، فوات الوفيات 2/ 92، تكملة الصلة 2/ 674.

(1559) علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني، يعرف بابن حنين، و يكنى أبا الحسن (478- 569) سمع من ابن الطلاع موطأ مالك. جذوة الاقتباس ص 304.

(1560) هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن فرج بن الطلاء بالهمزة، و كان أبو مروان بن سراج يقول: كان فرج يطلي مع سيده اللجم في الربض الشرقي عند الباب الجديد من قرطبة، قال: و من قال الطلاع بالعين فقد أخطأ، و كذلك قال أبو الوليد بن خيرة. و قالا أيضا: إن الطلاع بالعين هو والد مولاه محمد بن يحيى البكري المعروف بابن الطلاع. أما أبو بكر ابن برنجال الداني فيقول: هو بالعين لأن أباه كان يطلع النخل في قرطبة لاجتنائه فعرف-. و قد رحل الناس إلى ابن فرج من كل قطر لسماع الموظأ و المدونة، و كان يحفظ الموطأ، و له فيه سند عال. ديباج ص 257، معجم

شيوخ الصدفى ص 28، الصلة لابن بشكوال 2/ 506.

بن مغيث بن الصّفّار [1561] قاضي الجماعة بقرطبة.

و حدّثني به أيضا شيخنا أبو عبد الله بن جابر عن القاضي أبي العبّاس أحمد بن محمد بن الغمّاز، [1562] عن شيخه أبي الرّبيع سليمان بن موسى بن سالم [1563] الكلاعيّ، [1564] عن القاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن حبيش، [1565] و أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، [1566] شارح كتاب «الموطأ»، قال ابن زرقون: حدثنا به أبو عبد الله الخولاني، [1567] عن أبي عمرو عثمان بن أحمد القيجاطي، [1568] و قال ابن حبيش: حدّثنا به القاضي أبو عبد الله بن أصبغ [1569] و يونس بن محمد

(1561) يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث أبو الوليد القاضي المتوفى سنة 429. «المرقبة العليا» ص 95- 96. و في الديباج ص 360: يونس بن محمد، و هو خطأ.

(1562) تقدمت ترجمة ابن الغماز.

(1563) أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان يعرف بابن سالم الكلامي (56- 634) حافظ مسند، أكثر الرواية عن أبي القاسم بن حبيش، و روى عنه ابن الغماز. ديباج ص 122.

(1564) بفتح الكاف، و اللام المخففة. هكذا رأيته ضبط اسمه بخطه على ظهر كتابه: «المسلسلات» في الأحاديث و الآثار، المحفوظ بمكتبة شهيد على باستانبول تحت رقم 562.

(1565) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله .... الأنصاري يعرف بابن حبيش من أهل المرية. نيل الابتهاج ص 162.

(1566) محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد العزيز زرقون (502- 586)، آخر من حدث بالإجازة عن الخولاني، و كان عالي الرواية. تكملة الصلة 1/ 256، ديباج ص 285.

(1567) أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني (418- 508) روى عن جماعة، منهم أبو عمرو عثمان بن أحمد القيشطالي (القيجاطي). صلة 1/ 76.

(1568) عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف المعافري القرطبي يكني أبا عمرو، و يعرف بالقيشطيالي (القيشطالي، القيجاطي)، توفى سنة 431 عن 80 سنة. صلة 1/ 397.

(1569) محمد بن أصبغ بن محمد بن أصبغ الأزدي أبو عبد الله. سمع من أبي عبد الله محمد ابن فرج، توفى سنة 536، و هو من أبناء الستين. صلة 2/ 528.

بن مغيث، قالا: قرأناه على أبي عبد الله محمد بن الطّلّاع. [1570] و قال ابن حبيش أيضا: حدّثنا به أبو القاسم أحمد بن محمد ورد، [1571] عن القاضي أبي عبد الله محمد بن خلف بن المرابط، [1572] عن المقرئ أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطّلمنكي [1573]؛ قال القاضي أبو الوليد بن مغيث، و القيجاطي، و الطّلمنكي: حدّثنا أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى عن عم أبيه أبي مروان عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى. و قال الطّلمنكي: حدّثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن حدير البزّار، قال حدثنا أبو محمد قاسم بن أصبغ، [1574] قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن وضّاح، [1575] قال حدثنا يحيى بن يحيى عن مالك، إلّا ثلاثة أبواب من آخر كتاب الاعتكاف، أولها خروج المعتكف إلى العيد فإنّ يحيى شكّ في سماعها عن مالك، فسمعها من زياد بن عبد الرحمن الملقّب شبطون [1576]

(1570) محمد بن يحيى البكري المتوفى سنة 497. و انظر الاستقصا 1/ 129.

(1571) أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي أبو القاسم (465- 540)، سمع الموطأ من أبي علي الغساني. معجم شيوح الصّدفى ص 23، ديباج ص 41، إحاطة 1/ 57.

(1572) القاضي أبو عبد الله محمد بن خلف بن سعيد المعروف بابن المرابط. أجازه أبو عمر الطلمنكي؛ توفى بالمدينة بعد سنة 480. ديباج 273، 274.

(1573) أحمد بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي عيسى المعافري أبو عمر الطلمنكي، المتوفى سنة 429 ديباج ص 39، صلة ص 90.

(1574) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح أبو محمد البياني القرطبي (244- 340)، سمع من ابن وضاح. و انظر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى 1/ 297، نفح الطيب 1/ 350 بولاق.

(1575) محمد بن وضاح بن بديع القرطبي أبو عبد الله (199- 286)، على خلاف في مولده، و وفاته.

سمع من يحيى بن يحيى. ديباج ص 239- 240.

(1576) زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون (بشين معجمة مفتوحة فباء موحدة ساكنة، و بعدها طاء تليها واو ساكنة فنون)، أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس، و كان أهلها قبله على مذهب الأوزاعي. توفي سنة 204 على

خلاف. انظر نفح الطيب 1/ 349.

عن مالك. ولي في هذا الكتاب طرق أخرى لم يحضرني الآن اتّصال سندي فيها.

فمنها عن شيخنا أبي محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرميّ [1577] كاتب السّلطان أبي الحسن، لقيته بتونس عند استيلاء السّلطان عليها، و هو في جملته سنة ثمان و أربعين و حضرت مجلسه، و أخذت عنه كثيرا، و سمعت عليه بعض «الموطأ»، و أجازني بالإجازة العامّة، و هو يرويه عن الأستاذ أبي جعفر بن الزّبير، و عن شيخه الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، و عن أبي القاسم القبتوري، و جماعة من مشيخة أهل سبتة؛ و يتّصل سنده فيه بالقاضي عياض، و أبي العبّاس العزفي صاحب كتاب «الدّر المنظّم في المولد المعظم».

و منها عن شيخنا أبي عبد الله الكوسي خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، سمعت عليه بعضه و أجازني بسائره و هو يرويه عن الأستاذ أبي جعفر بن الزّبير عن القاضي أبي عبد الله بن بكّار، و جماعة من مشيخة أهل الأندلس، و يتّصل سنده فيه بالقاضي أبي الوليد الباجي، [1578] و الحافظ أبي عمر بن عبد البر بسندهما.

و منها عن شيخنا المكتّب أبي عبد الله محمد بن سعد بن برّال الأنصاري شيخ القراءة بتونس، و معلّمي كتاب الله؛ قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات السّبع و عرضت عليه قصيدتي الشّاطبي [1579] في القراءة، و في الرّسم، و عرضت عليه كتاب التّقصّي لابن عبد البرّ، و غير ذلك، و أجازني بالإجازة العامّة، و في هذه بالإجازة الخاصة، و هو يروي هذا الكتاب عن القاضي أبي العبّاس أحمد بن محمد ابن الغمّاز، و عن شيخه أبي العبّاس أحمد بن موسى البطرني بسندهما.

و منها عن شيخنا الأستاذ أبي عبد الله محمد بن الصّفّار المرّاكشي، شيخ القراءات بالمغرب، سمعت عليه بعض هذا الكتاب بمجلس السّلطان أبي عثمان ملك

(1577) تقدمت ترجمته في ص 20.

(1578) سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب أبو الوليد القاضي. رحل إلى المشرق، و عاد إلى الأندلس بعلم كثير (403- 494). ديباج ص 120، المرقبة العليا ص 95، نفح الطيب 1/ 353.

(1579) اللامية المسماة بحرز الأماني، و المشهورة بالشاطبية، و الرائية، و تسمى

«عقيلة أتراب القصائد».

و انظر ترجمة الشاطبي في ص 16.

المغرب، و هو يسمعه إياه، و أجازني بسائره، و هو يرويه عن شيخه محدّث المغرب أبي عبد الله محمد بن رشيد الفهري السّبتي (1580) عن مشيخة أهل سبتة، و أهل الأندلس، حسبما ذلك مذكور في كتب رواياتهم و طرق أسانيدهم، إلا أنّها لم تحضرني الآن، و فيما ذكرناه كفاية و الله يوفّقنا أجمعين لطاعته و هذا حين أبتدي، و بالله أهتدي.

و انفضّ ذلك المجلس، و قد لا حظتني بالتّجلّة و الوقار العيون، و استشعرت أهليتي للمناصب القلوب، و أخلص النّجيّ في ذلك الخاصّة و الجمهور، و أنا أنتاب مجلس السّلطان في أكثر الأحيان، لتأدية الواجب من التّحية و المشافهة بالدّعاء، إلى أن سخط السّلطان قاضي المالكية يومئذ في نزعة من النّزعات الملوكية، فأبعده، و أخّره عن خطّة القضاء في رجب ستّ و ثمانين و سبعمائة، و دعاني للولاية في مجلسه، و بين أمرائه فتفاديت من ذلك، و أبى إلّا إمضاءه، و خلع عليّ، و بعث الأمراء معي إلى مقعد الحكم بمدرسة القضاء، فقمت في ذلك المقام الممود، و وفّيت عهد الله و عهده في إقامة رسوم الحقّ، و تحرّي المعدلة، حتى سخطني من لم ترضه أحكام الله، و وقع في ذلك ما تقدّم ذكره، و كثر شغب أهل الباطل و المراء، فأعفاني السّلطان منها لحول من يوم الولاية، و كان تقدّمها وصول الخبر بغرق السّفين الواصل من تونس إلى الإسكندرية، و تلف الموجود و المولود، و عظم الأسف، و حسن العزاء، و الله قادر على ما يشاء.

ثم خرجت عام تسعة و ثمانين لقضاء الفرض، و ركبت بحر السويس من الطور إلى الينبع، و رافقت المحمل إلى مكّة، فقضيت الحجّ عامئذ، و عدت إلى مصر في البحر كما سافرت أولا. و شغرت وظيفة الحديث بمدرسة صلغتمش، فولّاني السّلطان إيّاها بدلا من مدرسته في محرّم أحد و تسعين، و مضيت على حالي من الانقباض، و التّدريس، و التّأليف، حتى ولّاني خانقاه بيبرس، ثم عزلني عنها بعد سنة أو أزيد، بسبب أنا أذكره الآن.

(1580) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر .... بن رشيد الفهري السبتي (657- 721)، له ترجمة في البغية ص 85، الدرر الكامنة 4/ 111، شذرات الذهب 6/ 56.

ولاية خانقاه بيبرس، [1581] و العزل منها

لما رجعت من قضاء الفرض سنة تسعين، و مضيت على حالي من التدريس و التأليف، و تعاهد السّلطان باللقاء و التحية و الدعاء، و هو ينظر إليّ بعين الشفقة، و يحسن المواعيد، و كانت بالقاهرة خانقاه شيّدها السّلطان بيبرس، ثامن ملوك الترك [1582] الذي استبدّ على الناصر محمد بن قلاوون [1583] هو و رفيقه سلار [1584] و أنف الناصر من استبدادهما، و خرج للصيد، فلمّا حاذى الكرك [1585] امتنع به، و تركهم و شأنهم، [1586] فجلس بيبرس على التّخت مكانه، و كاتب الناصر أمراء الشام من مماليك أبيه، و استدعوه للقيام معه، و زحف بهم إلى مصر، و عاد إلى سلطانه، و قتل بيبرس و سلار سنة ثمان و سبعمائة. [1587] و شيّد بيبرس هذا أيام

(1581) في الخطط للمقريزي طبع مصر 4/ 276 و ما بعدها، حديث مفصل عن هذه الخانقاه، و عن بانيها الملك المظفر ركن الدين بيبرس. و انظر تاريخ ابن إياس 1/ 149- 153.

(1582) في تاريخ ابن إياس 1/ 149، أنه الثاني عشر من ملوك الترك.

(1583) هو الملك الناصر محمد بن الملك المنصور ابن قلاوون تولى الملك ثلاث مرات كانت الأخيرة منها في سنة 709، و بقي ملكا حتى مات سنة 741، و عمره 58 سنة. و انظر الخطط طبع مصر 4/ 98- 102.

(1584) الأمير سيف الدين سلار المنصوري، كان من أسرى التتار، فخلص و صار مولى لعلاء الدين على ابن المنصور بن قلاوون، و إليه ينتسب؛ ساءت علاقته بالناصر، فاعتقله، و استصفى أمواله و قتله.

و انظر العبر 5/ 424- 425.

(1585) بفتح أوله و ثانيه:El Kerak) عرضها الشمالي 31- 7، و طولها الشرقي 35- 27)، قلعة حصينة تقع في المملكة الأردنية الهاشمية على الشاطئ الشرقي للبحر الميت. و انظر ياقوت 7/ 240، تاج العروس (كرك).

(1586) في العبر لابن خلدون 5/ 422 تفصيل لهذا.

(1587) في العبر 5/ 424: إن ذلك كان في سنة 710 و هو الأشبه بالصواب، لأن الناصر عاد إلى الملك في سنة 709.

سلطانه داخل باب النصر [1588] من أعظم المصانع و أحفلها، و أوفرها ريعا، و أكثرها أوقافا و عيّن مشيختها، و نظرها لمن يستعد له بشرطه في وقفه، فكان رزق النظر فيها و المشيخة واسعا لمن يتولاه، و كان ناظرها يومئذ شرف الدين الأشقر إمام السّلطان الظاهر. [1589] فتوفي عند منصرفي من قضاء الفرض، فولاني السّلطان مكانه توسعة عليّ، و إحسانا إليّ و أقمت على ذلك إلى أن وقعت فتنة الناصري.

فتنة الناصري: [1590]

و سياقة الخبر عنها بعد تقديم كلام في أحوال الدول يليق بهذا الموضع و يطلعك على أسرار في تنقّل أحوال الدول بالتدريج إلى الضّخامة و الاستيلاء ثم إلى الضعف و الاضمحلال و الله بالغ أمره

(1588) كذا بالأصول.

(1589) في السلوك (ورقة 141 ا نسخة الفاتح) سنة 791 و: «... و في 26 ربيع الآخر، استقرّ قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون في مشيخة الخانقاه الركنية (نسبة لركن الدين بيبرس) عوضا عن شرف الدين عثمان لأشقر بعد موته».
و مما يجب الالتفات إليه أن ابن الفرات حين ذكر في تاريخ الدول و الملوك (1/ 65 سنة 791) تولية ابن خلدون مشيخة البيبرسية قال: «... و كان قد تنزّل بها صوفيا، و حضرها يوما واحدا، لأن من شرطها أن يكون شيخها أحد الصوفية بها». فما يقال اليوم- استنادا إلى هذه التولية- عن تصوف ابن خلدون في مصر، و عما عسى أن يكون له من دخل في تعديل ابن خلدون لبعض آرائه في «مقدمته» نتيجة لهذا التحول الروحي الجديد لا يقره نص ابن الفرات المذكور، على أنه قد جاء في «تنبيه الغبي، على تكفيره ابن العربي» للبقاعي (ورقة 62 ا نسخة شهيد على 734/ 2) فتوى لابن خلدون في ابن العربي، و من سلك سبيله من المتصوفة، و في حكم الشرع في كتبه، تعتبر دليلا صريحا على أن الرجل لم تحوله- تماما- فجيعته في أهله و ولده، و توليته مشيخة الخانقاه هذه، عن طريقته التي كان ينظر بها إلى الأشياء و يحكم بمقتضاها عليها.

(1590) انظر العبر 5/ 475 و ما بعدها.

و ذلك أن الدول الكليّة، و هي التي تتعاقب فيها الملوك واحدا بعد واحد في مدّة طويلة، قائمين على ذلك بعصبية النسب أو الولاء، و هذا كان الأصل في استيلائهم و تغلّبهم، فلا يزالون كذلك إلى انقراضهم، و غلب مستحقّين آخرين ينزعونه من أيديها بالعصبية التي يقتدرون بها على ذلك، و يحوزون الأعمال التي كانت بأيدي الدولة الأولى، يفضّون جبايتها بينهم على تفاضل البأس و الرجولة و الكثرة في العصابة أو القلّة: و هم على حالهم من الخشونة لمعاناة البأس، و الإقلال من العيش لاستصحاب حال البداوة، و عدم الثروة من قبل، ثم تنمو الثروة فيهم بنمو الجباية التي ملكوها، و يزيّن حبّ الشهوات للاقتدار عليها، فيعظم التّرف في الملابس و المطاعم و المساكن و المراكب و الممالك، و سائر الأحوال، و يتزايد شيئا فشيئا بتزايد النعم و تتسع الأحوال أوسع ما تكون، و يقصر الدخل عن الخرج، و تضيق الجباية عن أرزاق الجند و أحوالهم، و يحصل ذلك لكلّ أحد ممّن تحت أيديهم، لأن الناس تبع لملوكهم و دولتهم، و يراجع كلّ أحد نظره فيما فيه من ذلك، فيرجع وراءه، و يطلب كفاء خرجه بدخله.

ثم إن البأس يقلّ من أهل الدولة بما ذهب لهم من الخشونة، و ما صاروا إليه من رقّة الحاشية و التنعّم، فيتطاول من بقي من رؤساء الدولة إلى الاستبداد بها غيرة عليها من الخلل الواقع بها. و يستعد لذلك بما بقي عنده من الخشونة، و يحملهم على الإقلاع عن الترف، و يستأنف لذلك العصابة بعشيره أو بمن يدعوه لذلك، فيستولي على الدولة، و يأخذ في دوائها من الخلل الواقع، و هو أحقّ الناس به، و أقربهم إليه، فيصير الملك له، و في عشيره، و تصير كأنّها دولة أخرى، تمرّ عليها الأوقات. و يقع فيها ما وقع في الأولى، فيستولي آخر منهم كذلك إلى أن تنقرض الدولة بأسرها، و تخرج عن القوم الأولين أجمع. و تأتي دولة أخرى مباينة لعصابة هؤلاء في النسب، أو الولاء. سنّة الله في عباده.

و كان مبدأ هذه الدولة التركية، أنّ بني أيّوب لما ملكوا مصر و الشام، كما قصصناه عليك في أخبارهم و استقلّ بها كبيرهم صلاح الدين، (1591) و شغل بالجهاد و انتزاع

(1591) في وفيات الأعيان 2/ 495- 539، ترجمة حافلة لصلاح الدين.

القلاع و الحصون من أيدي الفرنج الذين ملكوها بالسواحل، و كان قليل العصابة، إنّما كان عشيره من الكرد يعرفون ببني هذان، (1592) و هم قليلون، و إنّما كثر منهم جماعة المسلمين، بهمّة الجهاد الذي كان صلاح الدين يدعو إليه، فعظمت عصابته بالمسلمين، و أسمع داعيه، و نصر الله الدين على يده. و انتزع السواحل كلّها من أيدي نصارى الفرنج، حتى مسجد بيت المقدس، فإنّهم كانوا ملكوه و أفحشوا فيه بالقتل و السبي، فأذهب الله هذه الوصمة على يد صلاح الدين، و انقسم ملك بني أيوب بعده بين ولده و ولد أخيه. و استفحل أمرهم، و اقتسموا مدن الشام، و مصر بينهم، إلى أن جاء آخرهم الصالح نجم الدين أيوب (1593) بن الكامل (1594) محمد بن العادل (1595) أبي بكر أخي صلاح الدين، و أراد الاستكثار من العصابة لحماية الدولة، و إقامة رسوم الملك، و أن ذلك يحصل باتخاذ المماليك، و الإكثار منهم، كما كان آخرا في الدولة العباسية ببغداد، و أخذ التجار في جلبهم إليه، فاشترى منهم أعدادا، و أقام لتربيتهم أساتيذ معلّمين لحرفة الجندية، من الثقافة و الرّمي، بعد تعليم الآداب الدينية و الخلقية إلى أن اجتمع له منهم عدد جمّ يناهز الألف، و كان مقيما بأحواز ذمياط (1596) في حماية البلاد من طوارق الفرنج المتغلّبين على حصنها ذمياط.

(1592) بفتح الهاء، و الذال المعجمة، و بعدها ألف، ثم نون؛ و هي قبيلة كبيرة من قبائل الأكراد. وفيات 2/ 495.

(1593) أخباره مفصلة في «العبر» 5/ 355- 360.

(1594) انظر الخطط للمقريزي 2/ 235 بولاق.

(1595) انظر الخطط 2/ 236 بولاق.

(1596) Damietta، عرضها الشمالي 31- 22، و طولها الشرقي 31- 15)، و قد ضبطها ابن خلدون بخطه بالحركات، بكسر الذال المعجمة؛ و قد حكى الإعجام الزبيدي في «تاج العروس»، و السمعاني في «الأنساب» عن أبي محمد بن أبي حبيب الأندلسي؛ قال السمعاني معقبا: «و ما عرفناه إلا بالدال المهملة». و يقول العبدري في رحلته (71 ب مخطوطة تيمور): إن أكثر الناس يعجمها، و قد سأل شيخه الشرف الدمياطي عن ذلك، فقال إن الإعجام خطأ، و قد أخطأ الرشاطي حيث وضعها في «أنسابه» في الذال المعجمة. و انظر ياقوت 4/ 84- 88، تاج العروس (دمط، ذمط)، أنساب السمعاني 229

ظ.

و كان أبوه قد اتخذ لنزله هنالك قلعة سمّاها المنصورة، (1597) و بها توفي (رحمه الله)، فكان نجم الدين نازلا بها في مدافعة ساكني دمياط من الفرنج، فأصابه هنالك حدث الموت، و كان ابنه المعظّم تورنشاه نائبا في حصن كيفا (1598) من ديار بكر وراء الفرات، فاجتمع الجند على بيعته، و بعثوا عنه، و انتظروا، و تفطّن الفرنج لشأنهم، فهجموا عليهم، اقتتلوا فنصر الله المسلمين، و أسر ملك الفرنج ريد إفرنس، فبعثوا به إلى مصر، و حبس بدار لقمان، إلى أن فادوه بدمياط، كما هو مذكور في أخبار بني أيوب. (1599) و نصبوا- للملك، و لهذا اللقاء- زوجة الصالح أيّوب و اسمها شجر الدّر، (1600) فكانت تحكم بين الجند، و تكتب على المراسيم، (1601) و ركبت يوم لقاء الفرنج، تحت الصناجق، (1602) و الجند محدقون بها، حتى أعزّ الله دينه، و أتمّ نصره.

ثم وصل تورنشاه المعظّم، فأقاموه في خطّة الملك مكان أبيه الصالح أيّوب، و وصل

(1597) Mansura
عرضها الشمالي 30- 59، و طولها الشرقي 11- 20)، بلدة أنشأها الملك الكامل بن العادل بن أيوب بين دمياط و القاهرة، و رابط فيها في وجه الإفرنج لما ملكوا دمياط و ذلك في سنة 616، و لم يزل بها حتى استنقذ دمياط في رجب سنة 618. ياقوت 8/ 178.

(1598) حصن كيفا: قلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد و جزيرة ابن عمر من ديار بكر. ياقوت 3/ 286. و انظر مفصّل أخبار تورنشاه في العبر 5/ 360 و تاريخ ابن الوردي 2/ 173. و السلوك ص 351 و ما بعدها.

(1599) تفصيل هذه الأحداث مذكور في العبر 5/ 360- 361. و انظر تاريخ ابن الوردي 2/ 182- 183.

(1600) بعضهم يكتبها: «شجرة الدر»، و كان يخطب باسمها على المنابر، و نقشت على «السكة»، و كان نقشها: «السكة المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة المنصور خليل»، و خليل هذا ابنها من الملك الصالح توفي في حياة أبيه، و كانت تكنى به. و انظر العبر 5/ 361، 373، الخطط 2/ 237 بولاق، تاريخ ابن الوردي 2/ 183.

(1601) يعني اتخذت لها «علامة» تختم بها على المراسيم، و كانت علامتها- فيما

يرى ابن خلدون:
«أم خليل»، أما ابن الوردي فيقول: «والدة خليل». العبر 5/ 361، 373، ابن الوردي 2/ 183.
(1602) جمع سنجق، و هو في الأصل الرمح، و كانت تجعل في رأسه الراية، و من ثم أصبح معناه: الراية مباشرة. صبح الأعشى 5/ 458.

معه مماليك يدلّون بمكانهم منه، و لهم به اختصاص، و منه مكان؛ و كان رؤساء الترك يومئذ القائمون بالدولة من عهد أبيه وجدّه، أقطاي الجمدار [1603] و أيبك التركماني، [1604] و قلاوون الصالحي، [1605] فأنفوا من تصرفات مماليك تورنشاه، و استعلائهم بالحظّ من السّلطان، و سخطوهم و سخطوه، و أجمعوا قتله. فلمّا رحل إلى القاهرة اغتالوه في طريقه بفارسكور، و قتلوه، و نصبوا للأمر أيبك التركماني [1606] منهم، و استحدثوا هذه الدولة التركية كما شرحناه في أخبارها، و هلك بعد أيبك ابنه علي المنصور، [1607] ثم مولاه قطز، [1608] ثم الظاهر بيبرس البندقداري. [1609] ثم ظهر أمر الطّطر، و استفحل ملكهم، و زحف هولاكو بن طولي ابن جنكيزخان [1610] من خراسان إلى بغداد، فملكها، و قتل الخليفة المستعصم آخر بني العباس، ثم

(1603) أخبار أقطاي مفصّلة في العبر 5/ 375. و الجمدار: هو الذي يتولى إلباس السّلطان، أو الأمير ثيابه؛ و أصله جاما دار فحذف المدّ منه فقيل جمدار، و هو مركب من كلمتين فارسيتين: «جاما»، و معناها ثوب، و «دار»، و معناها: ممسك. و انظر صبح الأعشى 5/ 459.

(1604) في المنهل الصافي ج 1 ص 2 (نسخة نور عثمانية)، خطط المقريزي 2/ 238 بولاق ترجمة وافية له.

(1605) انظر العبر 5/ 394 و ما بعدها.

(1606) انظر تفصيل هذا في «العبر» 5/ 373.

(1607) انظر ترجمته في خطط المقريزي 2/ 238، بولاق، و أخبار توليه الحكم في العبر 5/ 377، 378.

(1608) سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي، تولى الملك سنة 657، و لقب بالملك المظفر، و قتله بيبرس البندقداري سنة 668. له وقائع مع التتار في الشام، انتصر فيها عليهم فذكرت انتصاراته الشعراء.

المنهل الصافي 2/ 205 (نسخة نور عثمانية)، خطط المقريزي 2/ 238 بولاق، العبر 5/ 378 و ما بعدها.

(1609) انظر ترجمته في الخطط 2/ 300، 238 بولاق. و خبر توليه السلطنة في العبر 5/ 380، 381.

و البندقداري: هو الذي يحمل غرارة البندق خلف السّلطان. و البندق: الذي يرمى به، و أصله البندق الذي يؤكل، و هو في العربية الجلوز صبح الأعشى 5/ 457 السلوك ص 350.

(1610) سيبسط القول عن جنكيزخان، و أولاده فيما بعد.

زحف إلى الشام، فملك مدنه و حواضره من أيدي بني أيّوب، إلى أن استوعبها.

و جاء الخبر بأن بركة [1611] صاحب صراي شريكه في نسب جنكزخان، زحف إلى خراسان، فامتعض لذلك، و كرّ راجعا، و شغل بالفتنة معه إلى أن هلك. و خرج قطز من مصر عندما شغل هولاكو بفتنة بركة، فملك الشام كلّه، أمصاره و مدنه، و أصاره للترك موالي بني أيوب، و استفحلت دولة هؤلاء المماليك، و اتّصلت أيامها واحدا بعد واحد كما ذكرنا في أخبارهم. ثم جاء قلاوون [1612] عند ما ملك بيبرس الظاهر منهم فتظاهر به، و أصهر إليه، و الترف يومئذ لم يأخذ منهم، و الشّدّة و الشكيمة موجودة فيهم، و البأس و الرجولة شعار لهم، و هلك الظاهر بيبرس، و ابناه من بعده، كما في أخبارهم.

و قام قلاوون بالأمر، فاتسع نطاق ملكه، و طال ذرع سلطانه، و قصرت أيدي الطّطر عن الشام بمهلك هولاكو، و ولاية الأصاغر من ولده، فعظم ملك قلاوون، و حسنت آثار سياسته، و أصبح حجة على من بعده، ثم ملك بعده ابناه: خليل الأشرف، [1613] ثم محمد الناصر. [1614] و طالت أيامه، و كثرت عصابته من مماليكه، حتى كمل منهم عدد لم يقع لغيره. و رتّب للدولة المراتب، و قدّم منهم في كل رتبة الأمراء، و أوسع لهم الإقطاع و الولايات، حتى توفرت أرزاقهم و اتّسعت بالترف أحوالهم. و رحل أرباب البضائع من العلماء و التجار إلى مصر، فأوسعهم حباء و برّا.

و تنافست أمراء دولته في اتخاذ المدارس و الربط و الخوانق، و أصبحت دولتهم غرّة في الزمان، و واسطة في الدول، ثم هلك الناصر بعد أربعين و سبعمائة، فطفق أمراء دولته ينصبون بنيه للملك، واحدا بعد آخر، مستبدّين عليهم، متنافسين في الملك، حتى يغلب واحد منهم الآخر، فيقتله، و يقتل سلطانه من أولاد الناصر، و ينصب

(1611) يأتي الحديث عنه فيما بعد.

(1612) أنظر أخباره في العبر 5/ 394- 403.

(1613) انظر العبر 5/ 403- 406 حيث ذكر توليته، و فتوحاته، ثم مقتله.

(1614) انظر أخباره في العبر 5/ 406.

آخر منهم مكانه، إلى أن انساق الأمر لولده حسن الناصر، [1615] فقتل مستبدّه شيخون، [1616] و ملك أمره. و ألقى زمام الدولة بيد مملوكه يلبغا، [1617] فقام بها، و نافسه أقرانه، و أغروا به سلطانه، فأجمع قتله. و نمي إليه الخبر و هو في علوفة البرسيم عند خيله المرتبطة لذلك، فاعتزم على الامتناع، و استعدّ للّقاء. و استدعاه سلطانه، فتثاقل عن القدوم. و استشاط السّلطان، و ركب في خاصته إليه، فركب هو لمصالحته، و هاجم السّلطان ففلّه، و رجع إلى القلعة، و هو في اتّباعه، فلم يلفه بقصره، و أغرى به البحث فتقبّض عليه، و استصفاه، و قتله، و نصب للملك محمد المنصور [1618] بن المظفر حاجي بن الناصر. و قام بالدولة أحسن قيام، و أغرى نفسه بالاستكثار من المماليك، و تهذيبهم بالتربية، و توفير النعم عندهم بالإقطاع، و الولايات، حتى كمل منهم عدد لم تعهده الدولة. ثم خلع المنصور بن المظفر لسنتين، و نصب مكانه للملك شعبان الأشرف [1619] بن حسين ابن الناصر، فأقام على التّخت و هو في كفالته، و هو على أوله في إعزاز الدولة، و إظهار الترف و الثروة، حتى ظهرت مخايل العزّ و النعم، في المساكن و الجياد و المماليك و الزينة، ثم بطروا النعمة، و كفروا الحقوق، فحنقوا عليه لما كان يتجاوز الحدود بهم [1620] في الآداب، فهمّوا بقتله و خلصوا نجيا لذلك في متصيّدهم الشتوي، و قد برزوا له بخيامهم و سلطانهم على عادتهم. و لما أحسّ بذلك ركب ناجيا بنفسه إلى القاهرة، فدخلوا على السّلطان الأشرف، و جاءوا به على إثره، و أجازوا البحر، فقبضوا عليه عشيّ

(1615) لقبوه بالناصر (لقب أبيه)، و انظر أخباره في العبر 5/ 447- 452، و ابن إياس 1/ 190- 211.

(1616) الأمير الكبير سيف الدين الناصري، قتل سنة 758. و إليه ينسب الجامع، و الحانقاه تجاهه بالقاهرة. خطط المقريزي 4/ 113 و ما بعدها طبع مصر.

(1617) هو يلبغا بن عبد الله الخاصكي (نسبة إلى خواص السّلطان). و قد تقدمت ترجمته.

(1618) في العبر خبر تنصيبه للملك بأوسع مما هنا 5/ 452، و انظر تاريخ ابن إياس 1/ 211- 212.

(1619) انظر تاريخ بن إياس 1/ 312- 238، و العبره/ 253 و ما بعدها حيث تجد الحديث الوافي عن تولية الأشرف، و أخباره.

(1620) كان يضربهم بالعصا، و يجذع أنوفهم، و يصطلم آذانهم. العبر. 5/ 456.

يومهم، ثم قتلوه [1621] في محبسه عشاء. و انطلقت أيديهم على أهل البلد بمعرّات لم يعهدوها من أول دولتهم، من النهب و التخطّف و طروق المنازل و الحمّامات للعبث بالحرم، و إطلاق أعنّة الشهوات و البغي في كل ناحية، فمرج أمر الناس، و رفع الأمر إلى السّلطان، و كثر الدعاء و اللّجأ إلى الله. و اجتمع أكابر الأمر إلى السّلطان، و فاوضوه في كفّ عاديتهم، فأمرهم بالركوب، و نادى في جنده و رعيته بانطلاق الأيدي عليهم، و الاحتياط بهم في قبضة القهر، فلم يكن إلا كلمح البصر، و إذا بهم في قبضة الأسر. ثم عمّرت بهم السجون، و صفّدوا و طيف بهم على الجمال ينادى بهم، إبلاغا في الشهرة، ثم وسّط [1622] أكثرهم، و تتبع بالنفي و الحبس بالثغور القصيّة، ثم أطلقوا بعد ذلك. و كان فيمن أطلق جماعة منهم بحبس الكرك: فيهم برقوق الذي ملك أمرهم بعد ذلك، و بركة الجوباني، [1623] و ألطنبغا الجوباني [1624] و جهركس الخليلي.

و كان طشتمر، [1625] دوادار يلبغا، [1626] قد لطف محلّه عند السّلطان الأشرف،

(1621) في العبر عرض واضح لهذه الثورة 5/ 456- 158.

(1622) وسطه توسيطا: قطعة نصفين، و يقال قتل فلان موسّطا.

(1623) هو بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي الأمير زين الدين. كان أميرا شجاعا يحب العلماء؛ له مآثر خيرية بمكة، و الحرم، و بطريق المدينة. قتل سنة 872. المنهل الصافي 1/ 182- 183 (نسخة نور عثمانية).

(1624) علاء الدين ألطنبغا بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي الأمير، كان من خيار الأمراء دينا، و عقلا و شجاعة. مات في الواقعة بين منطاش و الناصري خارج دمشق سنة ٧٩٦ ه، و كان صديقا لابن خلدون، و قد عرف به و أثنى عليه في العبر 5/ 476- 47، 5/ 462. ترجمته في «المنهل» 1/ 139 ب (نسخة نور عثمانية).

(1625) طشتمر بن عبد الله العلائي الدوادار الأمير سيف الدين، توفي في دمياط منفيا سنة 786. أثنى عليه ابن تغرى بردى كثيرا بمقدار ما قدح في بركة، و الظاهر برقوق. المنهل 1/ 410 (نسخة نور عثمانية).

(1626) لقب للذي يمسك دواة السّلطان أو الأمير، و يتولى من الأمور ما يلزم هذا المعنى، من حكم، أو تنفيذ أمور، أو غير ذلك. صبح الأعشى 5/ 462.

و ولي الدوادارية له، و كان يؤمل الاستبداد كما كان أستاذه يلبغا، فكان يحتال في ذلك بجمع هؤلاء المماليك اليلبغاوية من حيث سقطوا، يريد بذلك اجتماعهم عصبة له على هواه، و يغري السّلطان بها شفاها و رسالة، إلى أن اجتمع أكثرهم بباب السّلطان الأشرف، و جعلهم في خدمة ابنه عليّ وليّ عهده. (1627) فما كثروا، و أخذتهم أريحية العزّ بعصبيتهم، صاروا يشتطّون على السّلطان في المطالب، و يعتزّون بعصبية اليلبغاوية. و اعتزم السّلطان الأشرف عام سبعة و سبعين على قضاء الفرض، فخرج لذلك خروجا فخما، و استناب ابنه عليّا على قلعته و ملكه في كفالة قرطاي (1628) من أكابر اليلبغاوية، و أخرج معه الخليفة و القضاة. فلما بلغ العقبة (1629) اشتطّ المماليك في طلب جرايتهم من العلوفة و الزاد، و اشتطّ الذين بمصر كذلك في طلب أرزاقهم من المتولّين للجباية. و صار الذين مع السّلطان إلى المكاشفة في ذلك بالأقوال و الأفعال، و طشتمر الدوادار يغضي عنهم، يحسب وقت استبداده قد أزف، إلى أن راغمهم السّلطان بالزجر، فركبوا عليه هنالك، و ركب من خيامه مع لفيف من خاصّته، فنضحوه بالنّبل، و رجع إلى خيامه، ثم ركب الهجن مساء، و سار فصبّح القاهرة، و عرّس هو و لفيفه بقبّة النصر.

و كان قرطاي كافل ابنه علي المنصور حدث بينه و بين ناظر الخاص المقسي مكالمة عند مغيب السّلطان أحقدته. و جاشت بما كان في نفسه، فأغرى عليّا المنصور بن السّلطان بالتوثّب على الملك، فارتاح لذلك و أجابه، و أصبح يوم ثورة المماليك بالعقبة، و قد جلس عليّا مكفوله بباب الإسطبل، و عقد له الراية بالنداء على جلوسه

(1627) انظر تفصيلا أوسع في العبر 5/ 462.

(1628) قرطاي (أو قراطاي) بن عبد الله المعزي الأشرفي سيف الدين، رفيق أينبك، و صهره، و كان من أصاغر الأمراء في دولة الأشرف شعبان بن حسين، و لكنه أصبح في أيام ولده عليّ أمير مئة، ثم مقدم ألف. و اختلف مع صديقه أينبك، فحبسه إلى أن مات سنة 779. «المنهل» 2/ 199 ب (نسخة نور عثمانية). و انظر العبر 5/ 463-467.

(1629) Aqaba
عرضها الشمالي 24، و طولها الشرقي 46، و طولها الشرقي 46. و موقعها في النهاية

الشرقية الشمالية لخليج العقبة.

بالتخت، و بينما هم في ذلك، صبّحهم الخبر بوصول السّلطان الأشرف إلى قبّة النصر ليلتئذ، فطاروا إليه زرافات و وحدانا، فوجدوا أصحابه نياما هنالك، و قد تسلّل من بينهم هو و يلبغا الناصري (1630) من أكابر اليلبغاوية، فقطعوا رؤوسهم جميعا، و رجعوا بها تسيل دما. و وجموا لفقدان الأشرف، و تابعوا النداء عليه، و إذا بامرأة قد دلّتهم عليه في مكان عرفته، فتسابقوا إليه، و جاؤوا به فقتلوه لوقته بخلع أكتافه، و انعقدت بيعة ابنه المنصور. و جاء طشتمر الدوادار من الغد بمن بقي بالعقبة من الحرم، و مخلّف السّلطان، و اعتزم على قتالهم طمعا في الاستبداد الذي في نفسه، فدافعوه و غلبوه و حصل في قبضتهم، فخلعوا عليه بنيابة الشام، و صرفوه لذلك، و أقاموا في سلطانهم. و كان أينبك أميرا آخر من اليلبغاوية (1631) قد ساهم قرطاي في هذا الحادث، و أصهر إليه في بعض حرمه، فاستنام له قرطاي، و طمع هو في الاستيلاء. و كان قرطاي مواصلا صبوحه بغبوقه، و يستغرق في ذلك، فركب في بعض أيامه، و أركب معه السّلطان عليّا، و احتاز الأمر من يد قرطاي، و صيّره إلى صفد، (1632) و استقلّ بالدولة، ثم انتقض طشتمر بالشام مع سائر أمرائه، فخرج أينبك في العساكر، و سرّح المقدمة مع جماعة من الأمراء، و كان منهم برقوق و بركة المستوليان عقب ذلك، و خرج هو و السّلطان في الساقة، (1633) فلمّا انتهوا إلى بلبيس، ثار الأمراء الذين في المقدّمة عليه، و رجع إليه أخوه منهزما، فرجع إلى القلعة. ثم

(1630) يلبغا بن عبد الله الناصري الأتابكي الأمير سيف الدين، و هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر بظاهر دمشق. المنهل 2/ 467- 470 (نسخة نور عثمانية). و انظر الدرر الكامنة 4/ 440- 442.

(1631) أينبك بن عبد الله البدري الأمير سيف الدين، كان هو و قرطاي صاحبي الحل و العقد في الدولة. استبد بالمنصور ابن الأشرف، ثم تغلب عليه يلبغا الناصري و أودعه سجن الاسكندرية.

المنهل 1/ 163 ب- 164 ا. (نسخة نور عثمانية)، و انظر العبر 5/ 465.

(1632) صفد:Safed) عرضها الشمالي 32- 58، و طولها الشرقي 35- 30) مدينة في شمالي فلسطين، واقعة في الشمال الغربي لبحيرة طبرية، قريبة من حدود سوريا في الجنوب الغربي، و من حدود لبنان في الجنوب.

(1633) ساقة الجيش: مؤخره.

اختلف عليه الأمراء، و طالبوه بالحرب في قبة النصر، فسرح العساكر لذلك، فلمّا فصلوا فرّ هو هاربا، و قبض عليه و ثقّف بالإسكندرية. و اجتمع أمراء اليلبغاوية يقدمهم قطلقتمر العلائي، (1634) و يلبغا الناصري و دمرداش اليوسفي (1635) و بركة و برقوق، فتصدّى دمرداش و يلبغا و بركة و برقوق، إلى الاستقلال بالأمر و تغلّبوا على سائر الأمراء، و اعتقلوهم بالإسكندرية. و فوضوا الأمر إلى يلبغا الناصري، و هم يرونه غير خبير، فأشاروا باستدعاء طشتمر، و بعثوا إليه، و انتظروا. فلمّا جاءه الخبر بذلك ظنّها منية نفسه، و سار إلى مصر، فدفعوا الأمر إليه، و جعلوا له التولية (1636) و العزل و أخذ برقوق، و بركة يستكثران من المماليك، بالاستخدام و الجاه، و توفير الاقطاع، إكثافا لعصبيتهما، فانصرفت الوجوه عن سواهما، و ارتاب طشتمر بنفسه، و أغراه أصحابه بالتوثب، و لمّا كان الأضحى في سنة تسع و سبعين استعجل أصحابه على غير رويّة، و ركبوا و بعثوا إليه فأحجم، و قاتلوا فانهزموا. و تقبض على طشتمر، و حبس بالإسكندرية، و بعث معه يلبغا الناصري، و خلت الدولة للأميرين برقوق و بركة من المنازعين، و عمروا المراتب بأصحابهما. ثم كثر شغب التركمان و العرب بنواحي الشام، فدفعوا يلبغا الناصري إلى النيابة بحلب (1637) ليستكفوا به في تلك الناحية.

(1634) قطلقتمر بن عبد الله العلائي الأمير سيف الدين الأشرفي. له ترجمة في المنهل 2/ 210 ب (نسخة نور عثمانية)، و انظر العبر 5/ 465، 4666.

(1635) دمرداش بن عبد الله اليوسفي الأمير سيف الدين، كان مع منطاش، و الناصري على الظاهر برقوق، و ظفر به الظاهر فقتله في سنة 793. و دمرداش بفتح الدال المهملة، و ميم مضمومة، وراء ساكنة، و دال، و قيل ضاد، و ألف و شين و معناه: حديد حجر. المنهل 1/ 322 ا (نسخة نور عثمانية).

(1636) من هنا إلى قوله:

(*) و دعوني و لست من منصب الحكم و لا ساحبا لديهم ذيوله* (البيت رقم 39 من القصيدة الواردة بعد قليل، مما تنفرد به نسخة طب، حيث وقع نقص في نسخة أيا صوفيا، و ما تفرع عنها من النسخ.

(1637) حلبAleppo) عرضها الشمالي 36- 10، و طولها الشرقي 37- 5) مدينة في شمال سوريا، تغنيها المكانة التي تتبوؤها في التاريخ الإسلامي عن التحلية. و انظر

ياقوت 3/ 311- 321.

ثم تنافس برقوق و بركة في الاستقلال، و أضمر كل واحد منهما لصاحبه، و خشي منه، فقبض برقوق على بطانة بركة من عصابته ليحصّ بذلك جناحه، فارتاع لذلك بركة، و خرج بعصابته إلى قبة النصر ليواضع برقوقا و أصحابه الحرب هنالك، ورجا أن تكون الدائرة له. و أقام برقوق بمكانه من الإسطبل، و سرب أصحابه في جموعهم إلى مجاولة أولئك. و أقاموا كذلك أياما يغادونهم و يراوحونهم ثلاثا، إلى أن عضّت بركة و أصحابه الحرب، فانفضّوا عنه، و جيء ببركة، و بعث به إلى الإسكندرية، فحبس هنالك إلى أن قتله ابن عرّام نائب الإسكندرية. و ارتفع أصحابه إلى برقوق شاكين، فثأرهم منه بإطلاق أيديهم في النّصفة، فانتصفوا منه بقتله في ساحة القلعة، بعد أن سمّر، و حمل على جمل عقابا له، و لم يقنعهم ذلك، فأطلق أيديهم فيما شاءوا منه، ففعلوا ما فعلوا؛ و انفرد برقوق- بعد ذلك- بحمل الدولة ينظر في أعطافها (1638) بالتهديد، و التسديد، و المقاربة، (1639) و الحرص على مكافأة الدخل بالخرج. و نقّص ما أفاض فيه بنو قلاوون من الإمعان في الترف، و السّرف في العوائد و النفقات، حتى صار الكيل في الخرج بالمكيال الراجح، و عجزت الدولة عن تمشية أحوالها، و راقب ذلك كلّه برقوق، و نظر في سدّ خلل الدولة منه، و إصلاحها من مفاسده، يعتدّ ذلك ذريعة للجلوس على التّخت، و حيازة اسم السّلطان من أولاد قلاوون، بما أفسد الترف منهم، و أحال الدولة بسببهم، إلى أن حصل من ذلك على البغية، و رضي به أصحابه و عصابته، فجلس على التخت في تاسع عشر رمضان من سنة أربع و ثمانين، و تلقّب بالظاهر، و رتّب أهل عصابته في مراتب الدولة، فقام و قاموا بها أحسن قيام، و انقلبت الدولة من آل قلاوون إلى برقوق الظاهر و بنيه.

و استمرّ الحال على ذلك، و نافسه اليلبغاوية- رفقاؤه في ولاء يلبغا- فيما صار إليه من الأمر، و خصوصا يلبغا نائب حلب، فاعتزم على الانتقاض، و شعر به الظاهر فبعث باستدعائه، فجاء و حبسه مدّة، ثم رجعه إلى نيابة حلب، و قد وغر صدره من هذه المعاملة. و ارتاب به الظاهر، فبعث سنة تسعين دواداره للقبض عليه، و يستعين

(1638) الأعطاف: الجوانب.

(1639) المقاربة: ترك الغلو في الأمور، و قصد السداد فيها.

في ذلك بالحاجب. و انتقض، و استدعى نائب ملطية، [1640] و هو منطاش من أمراء اليلبغاوية، و كان قد انتقض قبله، و دعا نواب الشام إلى المسير إلى مصر إلبا على الظاهر، فأجابوه، و ساروا في جملته، و تحت لوائه، و بلغ الخبر إلى الظاهر برقوق، فأخرج عساكره مع أمراء اليلبغاوية من أصحابه: و هم الدوادار الأكبر يونس، [1641] و جهركس الخليلي أمير الإسطبل، و الأتابكي ايتمش، [1642] و أيدكار حاجب الحجاب [1643] و أحمد بن يلبغ أستاذهم. [1644] و خرج الناصري من حلب في عسكره، و استنفر العرب و التركمان و أمراء الشام، و لما تراءى الجمعان بناحية دمشق، نزع كثير من عسكر السّلطان إليهم، و صدقوا الحملة على من بقي فانفضّوا، و نجا أيتمش إلى قلعة دمشق، فدخلها، و قتل جهركس، و يونس، و دخل الناصري دمشق، ثم أجمع المسير إلى مصر، و عميت أنباؤهم حتى أطلّوا على مصر.

و في خلال ذلك أطلق السّلطان الخليفة من محبسه كان بعض الغواة أنمى عنه،

(1640) بفتح الميم و اللام، و سكون الطاء، ثم ياء مفتوحةMalatya ؛ و العامة تكسر الطاء. و تشدد الياء.
تقع في الشمال الغربي لديار بكر من الجمهورية التركية. عرضها الشمالي 38- 30، و طولها الشرقي 38- 28. و انظر ياقوت 8/ 150- 151، تاج العروس (ملط).
(1641) يونس بن عبد الله الأمير سيف الدين الدوادار الأكبر للملك الظاهر، و يعرف بالنوروزي (نسبة إلى معتقه الأمير جرجي النوروزي). كان من أعاظم دولة الظاهر برقوق، حارب منطاش، و الناصري، و عاد في جيش منهزم إلى القاهرة، و في طريقه قتل سنة 791 عن نيف و ستين سنة. المنهل 2/ 492 (نسخة نور عثمانية)، خطط المقريزي 2/ 426 بولاق.
(1642) انظر أخباره في «العبر» 5/ 500.
(1643) أيدكار بن عبد الله العمري سيف الدين، كان أحد أعيان الملك الظاهر، و ولاه حجابة الحجاب، ثم انحاز إلى حزب منطاش، و لما عاد برقوق إلى الملك قبض عليه في سنة 794، و قتله. المنهل 1/ 154 (نسخة نور عثمانية).
(1644) الأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا العمري الخاصكي، كان برقوق مملوكا لوالده، و لذلك عفا عنه حين انحاز إلى الناصري و منطاش، و لما مات الظاهر، ثار

ايتمش و آخرون بالشام، فانضم إليهم أحمد بن يلبغا هذا، و حاربهم فرج بن الظاهر، فانتصر عليهم، و قبض على أحمد بن يلبغا، فقتله في سنة 802، المنهل 1/ 95 (نسخة نور عثمانية).

أنّه داخله شيطان من شياطين الجند، يعرف بقرط [1645] في قتل السّلطان يوم ركوبه إلى الميدان قبل ملكه بسنين، فلما صحّ الخبر أمر بقتله، و حبس الخليفة سبعا إلى تلك السنة، فأطلقه عند هذا الواقع، و لمّا وصل (....) [1646] إلى قيطا اجتمعت العساكر، و وقف السّلطان أمام القلعة يومه حتى غشيه الليل، ثم دخل إلى بيته و خرج متنكّرا، و تسرّب في غيابات المدينة، و باكر الناصري و أصحابه القلعة، و أمير حاج ابن الأشرف، فأعادوه إلى التخت و لقّبوه المنصور، و بعثوا عن الأمراء المحبوسين بالإسكندرية، و كان فيهم ألطنبغا الجوباني الذي كان أمير مجلس، [1647] و قبض السّلطان الظاهر عليه، و حبسه أياما، ثم أطلقه و بعثه نائبا على دمشق، ثم ارتفعت عنه الأقوال بأنه يروم الانتقاض، و داخل الناصريّ نائب حلب في ذلك، و أكّد ذلك عند السّلطان ما كان بينه و بين الناصري من المصافاة و المخالصة، فبعث عنه؛ و لما جاء حبسه بالإسكندرية، فلمّا ملك الناصريّ مصر، و أجلس أمير حاج ابن الأشرف [1648] على التخت، بعث عنه ليستعين به على أمره؛ و ارتابوا لغيبة الظاهر، و بالغوا في البحث عنه، فاستدعى الجوباني و استنام له، و استحلفه على الأمان، فحلف له، و جاء به إلى القلعة بعد أن ساور صاحبه الناصريّ في المضي إليه و تأمينه، و حبسوه في بعض قصور الملك، و تشاوروا في أمره، فأشار أمراء اليلبغاوية

(1645) قرط بن عمر من التركمان المستخدمين في الدولة، و كان له إقدام و شجاعة وصل بهما إلى مرادفة الأمراء في مذاهبهم. له أخبار ذكرها ابن خلدون في «العبر» 5/ 474. قتل سنة 785.

(1646) أظن أن كلمة أضاعتها شفرة المسفّر عند تجليد الكتاب، حيث أن هذه الجمل (من قوله: و في خلال ذلك س 4، إلى قوله: اجتمعت العساكر س 8)، ملحقة بالهامش بخط ابن خلدون في نسخة طب.

(1647) معناه صاحب الشورى في الدولة، و هو ثاني الأتابك، و تلو رتبته. العبر 5/ 477، و انظر صبح الأعشى 5/ 455.

(1648) الملك الصالح حاجي ابن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، يلقب بالمنصور (غيّر لقبه من الصالح إلى المنصور)، و خلع نفسه يوم أن عاد برقوق إلى الملك. المنهل الصافي 1/ 175 ب (نسخة نور عثمانية).

كلّهم بقتله، و بالغ في ذلك منطاش، و وصل نعير أمير بني مهنّا

الملك الظاهر في عزّه* * * أذلّ من ضل و من طاشا

ورد في قبضته طائعا* * * نعيرا العاصي و منطاشا

(1649) بالشام للصّحابة بينه و بين الناصري، فحضّهم على قتله، و منع الجوبانيّ من ذلك وفاء بيمينه، فغلت صدورهم منه، و اعتزموا على بعثه إلى الكرك، و دافعوا منطاشا بأنّهم يبعثونه إلى الإسكندرية، فيعترضه عند البحر بما شاء من رأيه، و وثق بذلك، فقعد له عند المرساة، و خالفوا به الطريق إلى الكرك، و ولّوا عليها نائبا و أوصوه به، فأخفق مسعى منطاش، و دبّر في اغتيال الدولة، و تمارض في بيته، و جاءه الجوباني عائدا فقبض عليه، و حبسه بالإسكندرية، و ركب منتقضا، و وقف عند مدرسة الناصر حسن يحاصر الناصري بالقلعة، و استحاش هو بأمراء اليلبغاوية، فداهنوا في إجابته، و وقفوا بالرميلة أمام القلعة، و لم يزل ذلك بينهم أياما حتى انفضّ جمع الناصري، و خرج هاربا، فاعترضه أصحاب الطريق بفارسكو، وردّوه، فحبسه منطاش بالإسكندرية مع صاحبه، و استقلّ بأمر الملك، و بعث إلى الكرك بقتل الظاهر، فامتنع النائب، و اعتذر بوقوفه على خطّ السّلطان و الخليفة و القضاة، و بثّ الظاهر عطاءه في عامّة أهل الكرك، فانتدبت طائفة منهم لقتل البريدي الذي جاء في ذلك، فقتلوه، و أخرجوا الظاهر من محبسه فأصحروا، و استألف أفاريق من العرب، و اتصل به بعض مماليكه، و سار إلى الشام، و اعترضه ابن باكيش (1650) نائب غزة، (1651) فأوقع به الظاهر، و سار إلى دمشق، و أخرج منطاش العساكر مع سلطانه أمير حاج، و سار على التعبئة ليمانع الظاهر عن دمشق، و سبقه الظاهر فمنعه جنتمر

(1649) نعير بن محمد بن حيار بن مهنا بن مانع، لبيته القدم الراسخة في الإمارة؛ و له ترجمة. في «المنهل»، فصّل فيها الحديث عن تاريخ بيته.

و في ظفر برقوق به، و بمنطاش، يقول الشيخ زين الدين بن ظاهر:

الملك الظاهر في عزّه* * * أذلّ من ضل و من طاشا

ورد في قبضته طائعا* * * نعيرا العاصي و منطاشا

المنهل 1/ 226 ب، 2/ 436، 437 (نسخة نور عثمانية).
(1650) الحسن بن باكيش الأمير بدر الدين التركماني، نائب غزة من قبل منطاش. قتله الظاهر بالقاهرة سنة 793، و كان مشهورا بالشجاعة. المنهل 1/ 294 ب (نسخة نور عثمانية).
Ghuzzeh(1651)
عرضها الشمالي 31- 32، و طولها الشرقي 34- 35): مدينة بفلسطين قرب الساحل، بها ولد الإمام الشافعي، و يروى له فيها شعر. و انظر ياقوت 6/ 289- 291.

نائب دمشق، [1652] فواقعه، و أقام محاصرا له. و وصل إليه كمشبغا [1653] الحموي نائب حلب، و كان أظهر دعوته في عمله، و تجهّز للقائه بعسكره، فلقيه و أزال علله، فأقام له أبّهة الملك. و بينا هم في الحصار إذ جاء الخبر بوصول منطاش بسلطانه و عساكره لقتالهم، فلقيهم الظاهر بشقحب، [1654] فلمّا تراءى الجمعان، حمل الظاهر على السّلطان أمير حاج و عساكره ففضّهم، و انهزم كمشبغا إلى حلب، و سار منطاش في اتّباعه، فهجم الظاهر على تعبئة أمير حاج، ففضّها، و احتاز السّلطان، و الخليفة و القضاة، و وكل بهم، و اختلط الفريقان، و صاروا في عمياء في أمرهم، و فرّ منطاش إلى دمشق، و اضطرب الظاهر أخبتيه، [1655] و نزل على دمشق محاصرا لها، و خرج إليه منطاش من الغد فهزمه، و جمع القضاة و الخليفة، فشهدوا على أمير حاج بالخلع، و على الخليفة بإعادة الظّاهر إلى ملكه، و رحل إلى مصر فلقيه بالطريق خبر القلعة بمصر، و تغلّب مماليكه عليها؛ و ذلك أن القلعة لما خلت من السّلطان و منطاش و الحامية، و كان مماليك السّلطان محبوسين هنالك في مطبق أعدّ لهم، فتناجوا في التّسوّر منه إلى ظاهره، و التوثّب على القلعة و الملك، فخرجوا، و هرب دوادار منطاش الذي كان هنالك بمن كان معه من الحاشية، و ملك مماليك الظاهر القلعة، و رأسهم مملوكه بطا، [1656] و ساس أمرهم، و انتظر خبر سلطانه، فلمّا وصل الخبر بذلك إلى

(1652) الأمير جنتمر التركماني. ورد ذكره في تاريخ ابن إياس 1/ 324.

(1653) كمشبغا بن عبد الله الحموي اليلبغاوي الأمير سيف الدين. توفي سنة 801. المنهل 2/ 223 ا- 224 ب. (نسخة نور عثمانية).

(1654) شقحب (كجعفر): موضع قرب دمشق، نسب إليه جماعة من المحدثين. (تاج العروس).

(1655) كذا في الأصول، و الصحيح: أخبيته.

(1656) الأمير بطا الطولو تمي، خلع عليه الظاهر برقوق في سنة 792 دوادارا، ثم نائب دمشق، وليها من قبل أستاذه في ذي القعدة سنة 793 إلى أن توفي بها سنة 794. (من الدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغرى بردى ورقة 32 ا نسخة قره جلبي رقم 266).

و انظر تفصيل ثورة بطا و من كان معه من المسجونين، في «العبر» 5/ 593-

.595

الظاهر، أغذّ السّير إلى مصر، و تلقّاه الناس فرحين مسرورين بعوده و جبره، و دخل منتصف صفر من سنة إحدى و تسعين، و ولّى بطا دوادارا، و بعث عن الأمراء المحبوسين بالإسكندرية، و أعتبهم، و أعادهم إلى مراتبهم، و بعث الجوباني إلى دمشق، و الناصريّ إلى حلب كما كانا، و عادت الدولة إلى ما كانت عليه، و ولّى سودون على نيابته، و كان ناظرا بالخانقاه التي كنت فيها، و كان ينقم عليّ أحوالا من معاصاته فيما يريد من الأحكام في القضاء أزمان كنت عليه، و من تصرّفات دواداره بالخانقاه، و كان يستنيبه عليها، فوغر صدره من ذلك، و كان الظاهر ينقم علينا معشر الفقهاء فتاوى [1657] استدعاها منّا منطاش، و أكرهنا على كتابها، فكتبناها، و ورينا

(1657) في السلوك ورقة 158 ب (نسخة الفاتح) سنة 791: «في 25 قعدة، أحضرت نسخ الفتوى في الملك الظاهر، وزيد فيها: «و استعان على قتل المسلمين بالكفار، و حضر الخليفة المتوكل، و قضاة القضاة: بدر الدين محمد بن أبي البقاء الشافعي. و ابن خلدون، و سراج الدين عمر بن الملقن الشافعي، و عدة دون هؤلاء، في القصر الأبلق، بحضرة الملك المنصور، و منطاش، و قدمت إليهم الفتوى، فكتبوا عليها بأجمعهم، و انصرفوا».

و في تاريخ ابن الفرات (سنة 1791/ 160):

«و في يوم الاثنين اجتمعت الأمراء بالقصر الأبلق بقلعة الجبل، بحضرة السّلطان الملك المنصور رحاجي، و الأمير منطاش، و الخليفة محمد، و القضاة الأربعة، و الشيخ سراج الدين البلقيني، و ولده القاضي جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر، و قاضي القضاة بدر الدين ابن أبي البلقاء الشافعي، و قضاة العسكر، و مفتون (كذا) دار العدل، و كتبت فتاوي تتضمن: هل يجوز قتال الملك الظاهر برقوق أم لا؟ و ذكروا في الفتاوي أشياء تخالف الشرع الشريف، و مما تضمنته الفتاوي: أنه يستعين على قتال المسلمين بالنصارى، فسألوهم (كذا) الجماعة عن ذلك، فقيل لهم إن الملك الظاهر معه جماعة من نصارى الشوبك نحو 600 نفس يقاتل بهم في عسكره، و لم يكن الأمر كذلك، و إنما أرادوا التلبيس على العلماء المفتيين، فعند ذلك وضعوا (كذا) المذكورون خطوطهم على الفتاوى المذكورة بجواز قتاله، و انفصل المجلس على ذلك، و نودى في بكرة هذا النهار في القاهرة لأجناد الحلقة: أن لا يتأخر أحد منهم عن العرض، و من لم يحضر قطع خبزه».

فيها بما قدرنا عليه، و لم يقبل السّلطان ذلك، و عتب عليه، و خصوصا عليّ، فصادف سودون منه إجابة في إخراج الخانقاه عنّي، فولّى فيها غيري و عزلني عنها، و كتبت إلى الجوباني بأبيات أعتذر عن ذلك ليطالعه بها، فتغافل عنها، و أعرض عنّي مدّة، ثم عاد إلى ما أعرف من رضاه و إحسانه، و نصّ الأبيات:

سيّدي و الظّنون فيك جميلة* * * و أياديك بالأماني كفيله

لا تحل عن جميل رأيك إنّي* * * ما لي اليوم غير رأيك حيله

و اصطنعني كما اصطنعت بإسدا* * * ءيد من شفاعة أو وسيله

لا تضعني فلست منك مضيعا* * * ذمّة الحب، و الأيادي الجميلة

و أجرني فالخطب عضّ بناب* * * بيه و أجرى إلى حماي خيوله

و لو أنّي دعا بنصري داع* * * كنت لي خير معشر و فصيلة

أنه أمري إلى الذي جعل الل* * * ه أمور الدّنيا له مكفولة

و أراه في ملكه الآية الك* * * برى فولاه ثم كان مديله

أشهدته عناية اللّه في التم* * * حيص أن كان عونه و منيله

العزيز السّلطان و الملك الظّا* * * هر فخر الدنيا و عزّ القبيلة

و مجير الإسلام من كل خطب* * * كاد زلزال بأسه أن يزيله

و مديل العدو بالطّعنة النّجلاء [1658]* * * تفرّي [1659] ماذيّه

[1660] و نصوله [1661]

و شكور لأنعم اللّه يفني* * * في رضاه غدوّه و أصيله

و تلطّف في وصف حالي و شكوى* * * خلّتي [1662] يا صفيّه و خليله

قل له و المقال يكرم من مث* * * لك في محفل العلا أن يقوله

يا خوند الملوك يا معدل الدّ* * * هر إذا عدّل [1663] الزمان فصوله

لا تقصّر في جبر كسرى فما زل* * * ت أرجّيك للأيادي الطّويلة

أنا جار لكم منعتم حماه* * * و نهجتم إلى المعالي سبيله

و غريب أنّستموه على الوحش* * * ة و الحزن بالرضى و السّهولة

و جمعتم من شمله فقضى اللّ* * * ه فراقا و ما قضى مأموله

(1658) الطعنة النجلاء: الواسعة العريضة.

(1659) تفرى: تشق.

(1660) الماذي (بالمعجمة): كل سلاح من الحديد.

(1661) النصول جمع نصل؛ و هو حديدة السهم.

(1662) الخلة (بالفتح): الحاجة، و الفقر.

(1663) عدل الحكم: أقامه، و الميزان سواه.

غاله الدّهر في البنين و في الأه* * * ل و ما كان ظنّه أن يغوله [1664]

و رمته النّوى [1665] فقيدا قد اجت* * * احت عليه فروعه و أصوله

فجذبتم بضبعه [1666] و أنلتم* * * كل ما شاءت العلا أن تنيله

و رفعتم من قدر قبل أن يش* * * كو إليكم عياءه و خموله

و فرضتم له حقيقة ودّ* * * حاش للّه أن ترى مستحيلة

همة ما عرفتها لسواكم* * * و أنا من خبرت دهري و جيله

و العدا نّمقوا أحاديث إفك* * * كلها في طرائق معلولة

روّجوا في شأني غرائب زور* * * نصبوها لأمرهم أحبولة

و رموا بالذي أرادوا من الب* * * هتان ظنا بأنها مقبولة

زعموا أنني أتيت من الأقوا* * * ل ما لا يظنّ بي أن أقوله

كيف لي أغمط الحقوق و أنّي* * * شكر نعماكم عليّ الجزيلة؟

(1664) يشير إلى غرق أهله في المركب الذي أقلهم من المغرب، و قد تقدم له ذكر هذا.

(1665) النوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد. و هي مؤنثة لا غير.

(1666) الضبع: العضد.

كيف لي أنكر الأيادي التي تع* * * رفها الشمس و الظلال الظليلة؟

إن يكن ذا فقد برئت من الّل* * * ه تعالى و خنت جهرا رسوله

طوقونا أمر الكتاب فكانت* * * لقداح الظنون فينا مجيله (1667)

لا و ربّ الكتاب أنزله الّل* * * ه على قلب من وعى تنزيله

ما رضينا بذاك فعلا و لا جئ* * * ناه طوعا و لا اقتفينا دليله

إنما سامنا الكتاب ظلوم* * * لا يرجّى دفاعه بالحيلة

سخط ناجز و حلم بطيء* * * و سلاح (1668) للوخز فينا صقيلة

و دعوني و لست من منصب الح* * * كم و لا ساحبا لديهم ذيوله

غير أنّي وشى بذكري واش* * * يتقصّى أوتاره و ذحوله (1669)

فكتبنا معوّلين على حل* * * مك تمحو الإصار عنّا الثّقيلة

ما أشرنا به لزيد و لا ع* * * مرو و لا عيّنوا لنا تفصيله

(1667) يشير إلى الفتوى السالفة الذكر عن المقريزى و ابن الفرات.

(1668) السلاح: آلة الحرب، أو حديدته، و يؤنث.

(1669) جمع وتر، بمعنى الذحل. و الذحل: العداوة، و الجمع ذحول.

إنما يذكرون عمّن و فيمن* * * مبهمات أحكامها منقولة

و يظنّون أنّ ذاك على ما* * * أضمروا من شناعة أو رذيله

و هو ظنّ عن الصّواب بعيد* * * و ظلام لم يحسنوا تأويله

و جناب السّلطان نزّهه اللّه ع* * * ن العاب [1670] بالهدى و الفضيلة

و أجلّ الملوك قدرا صفوح* * * يرتجي ذنب دهره ليقيله

فاقبلوا العذر إنّنا اليوم نرجو* * * بحياة السّلطان منكم قبوله

و أعينوا على الزّمان غريبا* * * يشتكي جدب عيشه و محوله

جاركم ضيفكم نزيل حماكم* * * لا يضيع الكريم يوما نزيله

جدّدوا عنده رسوم رضاكم* * * فرسوم الكرام غير محيلة

داركوه برحمة فلقد أم* * * ست عقود اصطباره محلولة

و انحلوه جبرا فليس يرجّي* * * غير إحسانكم لهذي النّحيلة

يا حميد الآثار في الدهر يا* * * ألطنبغا يا روض العلا و مقيله

(1670) العاب: العيب.

كيف بالخانقاه ينقل عنّي* * * لا لذنب أو جنحة منقولة

بل تقلّدتها شغورا بمرسو* * * م شريف و خلعة مسدولة

و لقد كنت آملا لسواها* * * و سواها بوعده أن ينيله

و توثّقت للزّمان عليها* * * بعقود ما خلتها محلولة

أبلغن قصّتي فمثلك من يق* * * صد فعل الحسنى بمن ينتمي له

و اغنموا من مثوبتي و دعائي* * * قربة عند ربكم مقبولة

و في التّعريض بسفره إلى الشام:

و اصحب العزّ ظافرا بالأماني* * * و اترك العصبة العدا مفلولة

و اعتمل في سعادة الملك الظّا* * * هر أن تمحو الأذى و تزيله

و تعيد الدّنيا لأحسن شمل* * * حين تضحي بسعده مشموله

و اطلب النّصر من سعادته يص* * * حبك دأبا في الظعن و الحيلولة

و ارتقب ما يحلّه بالأعادي* * * في جمادى أو زد عليه قليله

و خذوه فألا بحسن قبول* * * صدّق اللّه في الزمان مقوله

فلقد كان يحسن الفال عند الم* * * مصطفى دائما و يرضى جميله

السّعاية في المهاداة و الإتحاف [1671] بين ملوك المغرب و الملك الظاهر

كثيرا ما يتعاهد الملوك المتجاورون بعضهم بعضا بالإتحاف بطرف أوطانهم، للمواصلة و الإعانة متى دعا إليها داع. و كان صلاح الدين بن أيوب هادى [1672] يعقوب المنصور ملك المغرب من بني عبد المؤمن، [1673] و استجاش به بأسطوله في قطع مدد الفرنج عن سواحل الشّام حين كان معنّيا بإرجاعهم عنها، و بعث في ذلك رسوله عبد الكريم بن منقذ [1674] من أمراء شيزر، [1675] فأكرم المنصور رسوله،

(1671) انظر «العبر» 5/ 420، 440، 497، حيث ذكر بعض هذه الهدايا.

(1672) وضح الأشياء المهداة، أبو شامة في «الروضتين» 2/ 173، و الناصري في «الاستقصا» 1/ 174.

(1673) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، كان من أعظم ملوك الموحدين (554- 595).

بايعه الموحدون بعد موت أبيه، و لقبوه بالمنصور. و هو الذي بنى مدينة «رباط» عاصمة المغرب الأقصى اليوم، و سماها «رباط الفتح، و بنى جامع اشبيلية، و لا تزال آثار بمراكش شاهدة بعظمته (رحمه الله).

«وفيات» 2/ 428- 436، سير النبلاء للذهبي (2910/ 13 ا- أحمد الثالث ق 141- 145)، نفح 1/ 109 بولاق، الاستقصا 1/ 164- 181.

(1674) هكذا سماه ابن خلدون هنا، و في «المقدمة» ص 124 بولاق؛ و في «وفيات ابن خلكان (2/ 433)، و الروضتين لأبي شامة 1/ 173، و الاستقصا 1/ 174، أن اسمه عبد الرحمن.

و هو شمس الدين أبو الحرث (و كناه في الروضتين أبا الحزم)، عبد الرحمن بن نجم

الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد، المتوفى سنة 600 بالقاهرة، و المولود بشيزر سنة 523.

(1675) قرية قرب المعرة بينها و بين حماة، فتحت سنة 17 ه، و منها الأمراء من بني منقذ، و أول من ملكها منهم من يد الروم علي بن مقلد بن نصر بن منقد الكناني، و ذلك في سنة 474. ياقوت 5/ 234، وفيات 1/ 464، تاريخ أبي الفداء 2/ 352 (سنة 502). و انظر أخبار بني منقذ في تاريخ أبي الفداء أيضا 3/ 32 و ما بعدها.

و قعد عن إجابته في الأسطول لما كان في الكتاب إليه [1676] من العدول عن تخطيطه [1677] بأمير المؤمنين، فوجدها غصّة في صدره منعته من إجابته إلى سؤاله، و كان المانع لصلاح الدّين من ذلك كاتبه الفاضل عبد الرحيم البيساني [1678] بما كان يشاوره في أموره، و كان مقيما لدعوة الخليفة العبّاسي بمصر، فرأى الفاضل أن الخلافة لا تنعقد لاثنين في الملّة كما هو المشهور، و إن اعتمد أهل المغرب سوى ذلك، لما يرون أنّ الخلافة ليست لقبا فقط، و إنما هي لصاحب العصبية القائم عليها بالشدّة و الحماية، و الخلاف في ذلك معروف بين أهل الحقّ. [1679] فلما انقرضت دولة الموحّدين، و جاءت دولة بني مرين من عدهم، و صار كبراؤهم و رؤساؤهم يتعاهدون قضاء فرضهم لهذه البلاد الشرقية، فيتعاهدهم ملوكها بالإحسان إليهم، و تسهيل طريقهم، فحسن في مكارم الأخلاق انتحال البرّ و المواصلة، بالإتحاف و الاستطراف و المكافأة في ذلك بالهمم الملوكية، فسنّت لذلك طرائق و أخبار مشهورة، من حقّها أن تذكر، و كان يوسف بن يعقوب ابن عبد الحقّ ثالث ملوك بني مرين، أهدى لصاحب مصر عام سبعمائة، [1680] و هو يومئذ النّاصر بن محمد بن قلاوون، هدية ضخمة، أصحبها كريمة من كرائم داره، احتفل فيها ما شاء من أنواع الطّرف، و أصناف

(1676) جاء في الروضتين (2/ 170- 175) نص الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل إلى المنصور الموحدي، و نص رسالة أخرى مضمنها تكليف الأمير ابن منقذ هذا بالسفارة إلى الموحدين.

(1677) تحليته.

(1678) عبد الرحيم بن الأشرف بهاء الدين ... العسقلاني، ثم المصري المعروف بالقاضي الفاضل مجير الدين (529- 596). وفيات 1/ 357 و ما بعدها. و انظر Brockelmann .Gal .I/316 و. Suppl .I/549 ، حيث تجد نبذة وافية عن آثاره الأدبية، و عن الأبحاث و المراجع عنه.

(1679) فصّل ابن خلدون القول في حكم تعدد الخليفة، و ذكر أقوالهم في ذلك، في «فصل الخلافة» من مقدمته. و انظر شرح مواقف العضد للسيد الشريف الجرجاني 3/ 267، طبع استانبول سنة 1311، و شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني 2/ 199، طبع استانبول سنة 1277، و الملل و النحل لابن حزم 4/ 88، طبع مصر سنة 1317 ه،

الأحكام السّلطانية للماوردي ص 7، طبع الوطن سنة 1298.
(1680) انظر العبر 5/ 420، و الاستقصا 2/ 40- 41، حيث تجد تفصيل الحديث عن هذه الهدية.

الذّخائر، و خصوصا الخيل و البغال.

أخبرني الفقيه أبو إسحق الحسناوي، كاتب الموحّدين بتونس، أنه عاين تلك الهدية عند مرورها بتونس، قال: و عددت من صنف البغال الفارهة فيها أربعمائة، و سكت عما سوى ذلك، و كان مع هذه الهدية من فقهاء المغرب، أبو الحسن التّنسيّ كبير أهل الفتيا بتلمسان. ثم كافأ النّاصر عن هذه الهدية بأعلى منها و أحفل (1681) مع أميرين من أمراء دولته، أدركا يوسف بن يعقوب و هو يحاصر تلمسان، فبعثهما إلى مرّاكش للنّزاهة (1682) في محاسنها، و أدركه الموت في مغيبهما، و رجعا من مرّاكش، فجهزّهما حافده أبو ثابت المالك بعده، و شيّعهما إلى مصر، فاعترضتهما قبائل حصين و نهبوهما، (1683) و دخلا بجاية، ثم مضيا إلى تونس، و وصلا من هنالك إلى مصر.

و لما ملك السّلطان أبو الحسن تلمسان، اقترحت عليه جارية أبيه أبي سعيد، و كانت لها عليه تربية، فأرادت الحجّ في أيامه و بعنايته، فأذن لها في ذلك، و بعث في خدمتها وليّه عريف بن يحيى من أمراء سويد، و جماعة من أمرائه و بطانته، و استصحبوا هدية منه للملك الناصر (1684) احتفل فيها ما شاء، و انتقى من الخيل العتاق، و المطايا الفره و قماش الحرير و الكتّان، و الصوف و مدبوغ الجلود الناعمة،

(1681) جاء في الاستقصا: 2/ 41: «.... و أما الملك الناصر، فإنه كافأ السّلطان يوسف على هديته، بأن جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه و شكله، من الثياب و الحيوانات، و نحو ذلك، مثل الفيل، و الزرافة و نحوها؛ و أوفد به مع عظماء دولته سنة 705».

(1682) استعمال النزاهة، و النزهة بهذا المعنى مختلف فيه بين اللغويين. و انظر تاج العروس «نزه»، حيث تجد أقوالهم.

(1683) في الاستقصا: 2/ 41: «.... و لما انتهوا إلى بلاد بني حسن في سنة 807، اعترضهم الأعراب بالقفر، فانتهبوهم، و خلصوا إلى مصر بجريعة الدقن، فلم يعاودوا بعدها سفرا، و لا لفتوا إليه وجها، و طالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له، و يهادونهم، و يكافئون، و لا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئا».

(1684) ذكر هذه الهدية في العبر أيضا 5/ 411.

و الأواني المتّخذة من النحاس و الفخّار المخصوص كلّ مصر من المغرب بأصناف من صنائعها، متشابهة الأشكال و الأنواع، حتى لقد زعموا أنه كان فيها مكيلة من اللآلئ و الفصوص، و كان ذلك وقر خمس مائة بعير، و كانت عتاق الخيل فيها خمس مائة فرس، بالسروج الذّهبية المرصّعة بالجواهر، و اللجم المذهبة، و السّيوف المحلاة بالذهب و اللآلئ، كانت قيمة المركب الأول منها عشرة آلاف دينار، و تدرجت على الولاء إلى آخر الخمس مائة، فكانت قيمته مائة دينار. تحدّث الناس بهذه الهدية دهرا، و عرضت بين يدي الملك النّاصر، فأشار إلى خاسكيته بانتهابها فنهبت (1685) بين يديه، و بولغ في كرامة أولئك الضّيوف، في إنزالهم و قراهم و إزوادهم إلى الحجاز و إلى بلادهم، و بقي شأن الهدية حديثا يتجاراه الناس في مجالسهم و أسمارهم، و كان ذلك عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة. و لما فصل أرسال (1686) ملك المغرب، و قد قضوا فرضهم، بعث الملك النّاصر معهم هدية كفاء هديتهم، (1687) و كانت أصنافها حمل القماش من ثياب الحرير و القماش المصنوعة بالإسكندرية، تحمل كلّ عام إلى دار السّلطان، قيمة ذلك الحمل خمسون ألف دينار، و خيمة من خيام السّلطان المصنوعة بالشام على مثال القصور، تشتمل على بيوت للمراقد، و أواوين للجلوس و الطّبخ، و أبراج للإشراف على الطرقات، و أبراج أحدها لجلوس السّلطان للعرض، و فيها تمثال مسجد بمحرابه، و عمده، و مأذنته، حوائطها كلّها من خرق الكتّان الموصولة بحبك الخياطة مفصّلة على الأشكال التي يقترحها المتّخذون لها، و كان فيها خيمة أخرى مستديرة الشكل، عالية السمك، مخروطة الرأس، رحبة الفناء، تظل خمس مائة فارس أو أكثر، و عشرة من عتاق الخيل بالمراكب الذهبية الصّقيلة، و لجمها كذلك، و مرّت هذه الهدية بتونس، و معها الخدّام القائمون بنصب الأبنية، فعرضوها على السّلطان بتونس. و عاينت يومئذ أصناف تلك الهدية، و توجّهوا بها إلى سلطانهم، و بقي التعجب منها دهرا على

(1685) يحسن الرجوع إلى العبر 5/ 441 حيث يختلف المعنى عما هنا قليلا.

(1686) فصل من البلد: خرج عنه. و قد مرت كلمة عن استعمال «أرسال» جمع رسول في ص 280.

(1687) في العبر 5/ 441 تفصيل حسن في وصف هدية الناصر.

الألسنة. و كان ملوك تونس من الموحّدين، يتعاهدون ملوك مصر بالهدية في الأوقات.

و لما وصلت إلى مصر، و اتّصلت بالملك الظاهر، و غمرني بنعمه و كرامته، كاتبت السّلطان بتونس يومئذ، و أخبرته بما عند الملك الظّاهر من التّشوّف إلى جياد الخيل، و خصوصا من المغرب، لما فيها الشّدّة و الصّبر على المتاعب، و كان يقول لي مثل ذلك، و أنّ خيل مصر قصّرت بها الرّاحة و التّنعّم، عن الصّبر على التّعب، فحضضت السّلطان بتونس على إتحاف الملك الظاهر بما ينتقيه من الجياد الرّائعة، فبعث له خمسة انتقاها من مراكبه، و حملها في البحر في السّفين الواصل بأهلي و ولدي، فغرقت بمرسى الإسكندرية، (1688) و نفقت تلك الجياد، مع ما ضاع في ذلك السّفين، و كلّ شيء بقدر.

ثم وصل إلينا عام ثلاثة و تسعين شيخ الأعراب: المعقل بالمغرب، يوسف بن عليّ ابن غانم، كبير أولاد حسين (1689) ناجيا من سخط السّلطان أبي العبّاس أحمد بن أبي سالم، من ملوك بني مرين بفاس، (1690) يروم قضاء فرضه، و يتوسّل بذلك لرضى سلطانه، فوجد السّلطان غائبا بالشام في فتنة منطاش، فعرضته لصاحب المحمل. فلمّا عاد من قضاء فرضه، و كان السّلطان قد عاد من الشام، فوصلته به، و حضر بين يديه، و شكا بثّه، فكتب الظاهر فيه شفاعة لسلطان وطنه بالمغرب، و حمّله مع ذلك هدية إليه من قماش و طيب و قسيّ، و أوصاه بانتقاء الخيل له من قطر المغرب، و انصرف، فقبل سلطانه فيه شفاعة الظّاهر، و أعاده إلى منزلته. و انتقى

(1688) في العبر 5/ 479- 480، تفصيل للحديث عن هذه الهدية، وع مساعي ابن خلدون في توثيق العلاقة بين المغرب و مصر.

(1689) في العبر 8/ 148: «... و كان يوسف بن علي بن غانم أمير أولاد حسين من المعقل، حجّ سنة 93، و اتصل بملك مصر من الترك الظاهر برقوق، و تقدمت إلى السّلطان فيه، و أخبرته بمحله من قومه، فأكرم تلقيه، و حمله- بعد قضاء حجه- هدية إلى صاحب المغرب» الخ.

(1690) هو أبو العباس أحمد بن أبي سالم؛ ملك من سنة 775، و توفى بمدينة تازا. الاستقصا 2/ 140 و ما بعدها.

الخيول الرائعة لمهاداة الملك الظّاهر، و أحسن في انتقاء أصناف الهدية، فعاجلته المنيّة دون ذلك، و ولي ابنه أبو فارس، (1691) و بقي أياما ثمّ هلك، و ولى أخوه أبو عامر، (1692) فاستكمل الهدية، و بعثها صحبة يوسف بن علي الوارد الأول.

و كان السّلطان الملك الظاهر، لما أبطأ عليه وصول الخيل من المغرب، أراد أن يبعث من أمرائه من ينتقي له ما يشاء بالشّراء، فعيّن لذلك مملوكا من مماليكه منسوبا إلى تربية الخليلي، اسمه قطلوبغا، (1693) و بعث عنّي، فحضرت بين يديه، و شاورني في ذلك فوافقته، و سألني كيف يكون طريقه، فأشرت بالكتاب في ذلك إلى سلطان تونس من الموحّدين، (1694) و سلطان تلمسان من بني عبد الواد، و سلطان فاس و المغرب من بني مرين، و حمّله لكل واحد منهم هدية خفيفة من القماش و الطيب و القسيّ، و انصرف عام تعة و تسعين إلى المغرب، و شيّعه كل واحد من ملوكه إلى مأمنه. و بالغ في إكرامه بما يتعيّن. و وصل إلى فاس، فوجد الهدية قد استكملت، و يوسف بن عليّ على المسير بها عن سلطانه أبي عامر من ولد السّلطان أبي العبّاس المخاطب أوّلا، و أظلّهم عيد الأضحى بفاس، و خرجوا متوجّهين إلى مصر، و قد أفاض السّلطان من إحسانه، و عطائه، على الرّسول قطلوبغا و من في جمّلته بما أقرّ عيونهم،

(1691) هو أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس بن أبي سالم، ولي سنة 796 بعد وفاة أبيه أبي سالم، و توفى سنة 799. الاستقصا 2/ 141.

(1692) أبو عامر عبد الله بن أبي العباس بن أبي سالم، بويع بعد أخيه أبي فارس عبد العزيز سنة 799، و توفى سنة 800. الاستقصا 2/ 142.

(1693) هو قطلوبغا بن عبد الله المتوفى سنة 821. تولى نيابة الإسكندرية و الحجابة أيام الظاهر، و نيابة الإسكندرية أيام المؤيد. قال في المنهل: و أظنه مماليك جاركس الخليلي أمير أخور، و الله أعلم. عقد الجمان للعيني (سنة 800 لوحة 29، 30)، نسخة دار الكتب المصرية، المنهل الصافي (نسخة نور عثمانية 2/ 307 ب).

(1694) هو أبو العباس أحمد بن محمد أبي بكر بن أبي حفص الموحدي. و قد ذكر في العبر 5/ 500 صلته بالملك الظاهر، و العلاقة الودية التي كانت بينهما، و فرح أبي العباس بعودة الملك الظاهر إلى ملكه، و متابعته لأخبار الملك الظاهر.

و أطلق بالشكر ألسنتهم، و ملأ بالثناء ضمائرهم، و مرّوا بتلمسان، و بها يومئذ أبو زيّان، ابن السّلطان أبي حمّو من آل يغمراسن بن زيّان، فبعث معهم هدية أخرى من الجياد بمراكبها، و كان يحوك الشّعر، فامتدح الملك الظّاهر بقصيدة بعثها مع هديته، و نصّها من أولها إلى آخرها:

لمن الرّكائب سيرهن ذميل (1695)* * * و الصّبر- إلّا بعدهن- جميل

يا أيها الحادي رويدك (1696) إنّها* * * ظعن (1697) يميل القلب

حيث تميل

رفقا بمن حملته فوق ظهورها* * * فالحسن فوق ظهورها محمول

للّه آيه أنجم: شفّافة* * * تنجاب عنها للظلام سدول

شهب بآفاق الصدور طلوعها* * * و لها بأستار الجدول أفول

في الهودج المزرور منها غادة* * * تزع الدّجى بجبينها فيحول

فكأنها قمر على غصن على* * * متني كثيب و الكثيب مهيل

ثارت مطاياها فثار بي الهوى* * * و اعتاد قلبي زفرة و غليل

أومت لتوديعي فغالب عبرتي* * * نظر تخالسه العيون كليل

(1695) الذميل: ضرب من سير الإبل فوق التزيد.

(1696) رويدك: اسم فعل بمعنى أمهل.

(1697) جمع ظعينة؛ و هي المرأة تكون في الهودج، و الهودج نفسه.

دمع أغيّض منه خوف رقيبها* * * طورا و يغلبني الأسى فيسيل

ويح المحبّ وشت به عبراته* * * فكأنّها قال عليه و قيل

صان الهوى و جفونه يوم النّوى* * * لمصون جوّهر دمعهنّ تذيل

و تهابه أسد الشّرى في خيسها (1698)* * * و يروعه ظبي الحمى المكحول

تأبى النفوس الضّيم إلّا في الهوى* * * فالحرّ عبد و العزيز ذليل

يا بانة الوادي و يا أهل الحمى* * * هل ساعة تصغين لي فأقول

ما لي إذا هبّ النسيم من الحمى* * * أرتاح شوقا للحمى و أميل

خلّوا الصّبا يخلص إليّ* * * إن الصّبا لصبابتي تعليل

ما لي أحلأ عن ورود محلّه* * * و أذاد عنه ووِرده منهول (1699)

و الباب ليس بمرتج (1700) عن مرتج (1701)* * * و الظنّ في

المولى الجميل جميل

(1698) الخيس: موضع الأسد.

(1699) حلأ الإبل عن ورود الماء: منعها، وذادها.

(1700) باب مرتج: مغلق.
(1701) من الرجاء.

من لي بزورة روضة الهادي الذي* * * ما مثله في المرسلين رسول

هو أحمد و محمد و المصطفى* * * و المجتبى و له انتهى التفضيل

يا خير من أهدى الهدى و أجلّ من* * * أثنى عليه الوحي و التّنزيل

و حي من الرّحمن يلقيه على* * * قلب النّبي محمد جبريل

مدحتك آيات الكتاب و بشّرت* * * بقدومك التّوراة و الإنجيل

صلة الصّلاة عليك تحلو في فمي* * * مهما تكرّر ذكرك المعسول

فوربعك المأهول إن بأضلعي* * * قلبا بحبّك ربعه مأهول

هل من سبيل للسّرى حتى أرى* * * خير الورى فهو المنى و السّول

حتّام تمطلني اللّيالي وعدها* * * إن الزّمان بوعده لبخيل

ما عاقني إلّا عظيم جرائمي* * * إن الجرائم حملهنّ ثقيل

أنا مغرم فتعطّفوا أنا مذنب* * * فتجاوزوا أنا عاثر فأقيلوا

و أنا البعيد فقرّبوا و المستج* * * ير فأمّنوا و المرتجى فأنيلوا

يا سائقا نحو الحجاز حمولة (1702)* * * و القلب بين حموله محمول (1703)

لمحمّد بلّغ سلام سمّيه* * * فذمامه بمحمد موصول

وسل الإله له اغتفار ذنوبه* * * يسمع هناك دعاؤك المقبول

و عن المليك أبي سعيد فلتنب* * * فلكم له نحو الرّسول رسول

متحمّل لله كسوة بيته* * * يا حبّذاك المحمل المحمول

سعد المليك أبي سعيد إنّه* * * سيف على أعدائه مسلول

ملك يحجّ المغرب الأقصى به* * * فلهم به نحو الرّسول وصول (1704)

ملك به نام الأنام و أمّنت* * * سبل المخاف (1705) فلا يخاف سبيل

فالملك ضخم و الجناب مؤمّل* * * و الفضل جمّ و العطاء جزيل

و الصّنع أجمل و الفخار مؤثّل* * * و المجد أكمل و الوفاء أصيل

(1702) الحمولة (بالفتح): ما يحمل عليه الناس من الدواب.

(1703) الحمول جمع حمل، و هو ما حمل على ظهر الدابة.

(1704) كانت العناية التي يلقاها الحجاج المغاربة من ملوك مصر، مما يقدره ملوك المغرب التقدير الجميل، و كان مما يقلقهم أن يتعرض وفد الحجاج المغاربة للمتاعب

في سفره. و انظر صبح الأعشى 9/ 250.
(1705) المخاف: موضع الخوف.

يا مالك البحرين بلّغت المنى* * * قد عاد مصر على العراق يصول

يا خادم الحرمين حقّ لك الهنا* * * فعليك من روح (1706) الإله قبول

يا متحفي و مفاتحي برسالة* * * سلسالة يزهى بها التّرسيل

أهديتها حسناء بكرا ما لها* * * غيري، و إن كثر الرّجال، كفيل

ضاء المداد من الوداد بصحفها* * * حتّى اضمحلّ عبوسه المجبول (1707)

جمعت و حاملها بحضرتنا كما* * * جمعت بثينة في الهوى و جميل (1708)

و تأكّدت بهدية ودّية* * * هي للإخاء المرتضى تكميل

أطلعت فيها للقسيّ أهلّة* * * يرتدّ عنها الطّرف و هو كليل

و حسام نصر زاهيا بنضاره* * * راق العيون فرنده المعسول

ماضي الشّبا (1709) لمصابه تعنو الظّبا* * * فبه تصول على العدا و تطول

(1706) روح الإله: رحمته.

(1707) يعني: اضمحلّ العبوس الطّبيعي.

(1708) جميل بن عبد الله بن معمر العذري، و بثينة صاحبته التي عشقها منذ أيام صباه له ترجمة في الخزانة للبغدادي 1/ 191- 192، الموشح ص 72.

(1709) الشباه: حد السيف و طرفه، و الجمع شبا.

و بدائع الحلل اليمانية التي* * * روّى معاطفها بمصر النّيل

فأجلت فيها ناظري فرأيتها* * * تحفا يجول الحسن حيث تجول

جلّت محاسنها فأهوى نحوها* * * بفم القبول اللّثم و التّقبيل

يا مسعدي و أخي العزيز و منجدي* * * و من القلوب إلى هواه تميل

إن كان رسم الودّ منك مذيّلا* * * بالبرّ و هو بذيله موصول

فنظيره عندي و ليس يضيره* * * بمعارض و هم و لا تخييل

ودّ (يزيد) و (ثابت) شهدا به* * * و (لخالد) بخلوده تذييل

و إليكها تنبيك صدق مودّتي* * * صحّ الدليل و وافق المدلول

فإذا بذاك المجلس السّامي سمت* * * فلديك إقبال لها و قبول

دام الوداد على البعاد موصّلا* * * ين القلوب و حبله موصول

و بقيت في نعم لديك مزيدها* * * و عليك يضفو ظلّها المسدول

ثم مرّوا بعدها بتونس، فبعث سلطان تونس أبو فارس عبد العزيز ابن السّلطان أبي العبّاس من ملوك الموحّدين، هدية ثالثة انتقى لها جياد الخيل، و عزّز بها هدية السّلطانين وراءه، مع رسوله من كبار الموحّدين أبي عبد الله بن تافراكين، و وصلت

الهدايا الثلاث إلى باب الملك الظّاهر في آخر السّنة، و عرضت بين يدي السّلطان، و انتهب الخاسكية ما كان فيها من الأقمشة و السّيوف و البسط و مراكب الخيل، و حمل كثيرا منهم على كثير من تلك الجياد و ارتبط الباقيات.

و كانت هدية صاحب المغرب تشتمل على خمسة و ثلاثين من عتاق الخيل بالسروج و اللّجم الذهبية، و السيوف المحلّاة، و خمسة و ثلاثين حملا من أقمشة الحرير و الكتّان و الصوف و الجلد، منتقاة من أحسن هذه الأصناف. و هدية صاحب تلمسان تشتمل على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموّهة، و أحمالا من الأقمشة.

و هدية صاحب تونس تشتمل على ثلاثين من الجياد مغشّاة ببراقع الثياب من غير مراكب، و كلها أنيق في صنعه مستطرف في نوعه، (1710) و جلس السّلطان يوم عرضها جلوسا فخما في إيوانه، و حضر الرّسل، و أدّوا ما يجب عن ملوكهم. و عاملهم السّلطان بالبرّ و القبول، و انصرفوا إلى منازلهم للجرايات الواسعة، و الأحوال الضّخمة.

ثم حضر وقت خروج الحاجّ، فاستأذنوا في الحجّ مع محمل السّلطان، فأذن لهم، و أرغد أزودتهم. وقضوا حجّهم، و رجعوا إلى حضرة السّلطان و معهود مبرّته. ثم انصرفوا إلى مواطنهم، و شيّعهم من برّ السّلطان و إحسانه، ما ملأ حقائبهم، و أسنى ذخيرتهم، و حصل لي أنا من بين ذلك في الفخر ذكر جميل بما تناولت بين هؤلاء الملوك من السّعي في الوصلة الباقية على الأبد، فحمدت الله على ذلك.

ولاية القضاء الثانية بمصر

ما زلت، منذ العزل عن القضاء الأوّل سنة سبع و ثمانين، مكبّا على الاشتغال بالعلم، تأليفا و تدريسا، و السّلطان يولّي في الوظيفة من يراه أهلا متى دعاه إلى ذلك داع، من موت القائم بالوظيفة، أو عزله، و كان يراني الأولى بذلك، لولا وجود الذين

(1710) في «عقد الجمان للعيني» (في حوادث سنة 800 لوحة 29، 30 نسخة دار الكتب)، ذكر لهذه الهدية بصورة تختلف عما يرويه ابن خلدون هنا. و انظر «الجوهر الثمين» لابن «قماق في حوادث سنة 800 أيضا.

شغّبوا من قبل في شأني، من أمراء دولته، و كبار حاشيته، حتى انقرضوا. و اتفقت وفاة قاضي المالكية إذ ذاك ناصر الدين بن التّنسي، (1711) و كنت مقيما بالفيوم لضمّ زرعي هنالك، فبعث عنّي، (1712) و قلّدني وظيفة القضاء في منتصف رمضان من سنة إحدى و ثمانمائة، فجريت على السّنن المعروف مني، من القيام بما يجب للوظيفة شرعا و عادة، و كان (رحمه الله) يرضى بما يسمع عنّي في ذلك. ثم أدركته الوفاة في منتصف شوال بعدها، و أحضر الخليفة و القضاة (1713) و الأمراء، و عهد إلى كبير أبنائه فرج، و لإخوته من بعده واحدا واحدا، و أشهدهم على وصيّته بما أراد. و جعل القائم (1714) بأمر ابنه في سلطانه إلى أتابكه أيتمش، (1715) و قضى رحمة الله عليه، و ترتّبت الأمور من بعده كما عهد لهم، و كان النائب بالشام يومئذ أمير من

(1711) هو أحمد بن محمد بن عطاء الله بن عوض الزبيري الاسكندري المالكي المشهور بابن التنسي (بفتح التاء و النون و كسر السين المهملة)، ولد سنة 740، و توفي سنة 801 أحمد بابا ص 74- 75، «عقد الجمان» سنة 801 لوحة 53 (نسخة دار الكتب)، ابن قاضي شهبة في حوادث سنة 801، «حسن المحاضرة» 1/ 218.

(1712) في السلوك (801 ورقة 211 أ نسخة الفاتح). «... و في عاشره (رمضان) خرج البريد باحضار الشيخ ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون من قرية الفيوم ليستقر في قضاء المالكية، و كان قد سعى في ذلك شرف الدين محمد بن الدماميني الاسكندراني بسبعين ألف درهم، فردّها السّلطان. و في خامس عشره، حضر ابن خلدون، و استقر في قضاء المالكية عوضا عن ناصر الدين بن ابن التنسي بعد موته».

(1713) كان ابن خلدون ممن حضر مجلس هذه الوصية، و قد ذكر العيني في «عقد الجمان» هذا الحادث و فصله في حوادث سنة 801 لوحة 58- 59، 70.

(1714) كذا بالأصلين، و لعل الصواب: «القيام بأمر».

(1715) هو أيتمش بن عبد الله الأسندمري البجاسي الجرجاني الأمير سيف الدين، أتابك العساكر بالديار المصرية، أصله من مماليك أسندمر البجاسي الجرجاني (نسبة إلى جرجي نائب حلب، و كان ملك أيتمش قبل أن يحرره الظاهر برقوق)، قتل أيتمش مع تنم سنة 802. «المنهل الصافي» (نسخة نور عثمانية 1/ 151 ب- 153 ا).

خاسكية السّلطان يعرف بتنم، [1716] و سمع بالواقعات بعد السّلطان فغصّ أن لم يكن هو كافل ابن الظّاهر بعده، و يكون زمام الدّولة بيده. و طفق سماسرة الفتن يغرونه بذلك، و بينما هم في ذلك إذ وقعت فتنة الأتابك [1717] أيتمش، و ذلك أنّه كان للأتابك دوادار غرّ يتطاول إلى الرئاسة، و يترفّع على أكابر الدّولة بحظّه من أستاذه، و ما له من الكفالة على السّلطان، فنقموا حالهم مع هذا الدّوادار، و ما يسومهم به من التّرفّع عليهم، و التّعرض لإهمال نصائحهم، فأغروا السّلطان بالخروج عن رقّه الحجر، و أطاعهم في ذلك، و أحضر القضاة بمجلسه للدّعوى على الأتابك باستغنائه عن الكافل، بما علم من قيامه بأمره و حسن تصرفاته. و شهد بذلك في المجلس أمراء أبيه كافّة، و أهل المراتب و الوظائف منهم، شهادة قبلها القضاة. و أعذروا إلى الأتابك فيهم فلم يدفع في شيء من شهادتهم، و نفذ الحكم يومئذ برفع الحجر عن السّلطان في تصرفاته و سياسة ملكه، و انفضّ الجمع، و نزل الأتابك من الإسطبل إلى بيت سكناه. ثم عاود الكثير من الأمراء نظرهم فيما أتوه من ذلك، فلم يروه صوابا، و حملوا الأتابك على نقضه، و القيام بما جعل له السّلطان من كفالة ابنه في سلطانه. و ركب، و ركبوا معه في آخر شهر المولد النّبوي، و قاتلهم أولياء السّلطان فرج عشيّ يومهم وليلتها، فهزموهم، و ساروا إلى الشّام مستصرخين بالنائب تنم، و قد وقر في نفسه ما وقر من قبل، فبرّ وفادتهم، و أجاب صريخهم. و اعتزموا على المضيّ إلى مصر. و كان السّلطان لما انفضّت جموع الأتابك، و سار إلى الشام،

(1716) الأمير سيف الدين تنم بن عبد الله الحسني الظاهري، اسمه الأصلي تنبك، و غلب عليه «تنم»، كان نائب دمشق، و هو من مماليك الظاهر برقوق، قتل سنة 802 بقلعة دمشق. «المنهل الصافي» (نسخة نور عثمانية 1/ 229 ب- 241).

(1717) يطلق «أتابك» في أيام المماليك، على مقدم العساكر أو القائد العام، على أنه أبو العساكر و الأمراء جميعا. و هو مركب من كلمتين: «أتا» بمعنى «أب»، و «بك» و معناها أمير. صبح الأعشى 4/ 18، 6/ 1، السلوك ص 146.

C. Huart, Histoire des Arabes II, 41

اعتمله [1718] في الحركة و السّفر لخضد شوكتهم، و تفريق جماعتهم، و خرج في جمادى حتى انتهى إلى غزّة، فجاءه الخبر بأنّ نائب الشام تنم، و الأتابك، و الأمراء الذين معه، خرجوا من الشّام زاحفين للقاء السّلطان، و قد احتشدوا و أوعبوا، و انتهوا قريبا من الرّملة، [1719] فراسلهم السّلطان مع قاضي القضاة الشافعي صدر الدين المناوي، [1720] و ناصر الدين الرّمّاح، أحد المعلّمين لثقافة الرّماح، يعذر إليهم، و يحملهم على اجتماع الكلمة، و ترك الفتنة، و إجابتهم إلى ما يطلبون من مصالحهم، فاشتطّوا في المطالب، و صمّموا على ما هم فيه. و وصل الرّسولان بخبرهم، فركب السّلطان من الغد، و عبّى عساكره، و صمّم لمعاجلتهم، فلقيهم أثناء طريقه، و هاجمهم فهاجموه، ثم ولّوا الأدبار منهزمين. و صرع الكثير من أعيانهم و أمرائهم في صدر موكبه، فما غشيهم الليل إلّا و هم مصفّدون في الحديد، يقدمهم الأمير تنم نائب الشام و أكابرهم كلهم. و نجا الأتابك أيتمش إلى القلعة بدمشق، فآوى إليها، و اعتقله نائب القلعة. و سار السّلطان إلى دمشق، فدخلها على التعبئة في يوم أغرّ، و أقام بها أياما، و قتل هؤلاء الأمراء المعتقلين، و كبيرهم الأتابك ذبحا، و قتل تنم من بينهم خنقا، ثم ارتحل راجعا إلى مصر.

و كنت استأذنت في التقدّم إلى مصر بين يدي السّلطان لزيارة بيت المقدس، فأذن لي في ذلك. و وصلت إلى القدس و دخلت المسجد، و تبرّكت بزيارته و الصّلاة فيه، و تعفّفت عن الدخول إلى القمامة [1721] لما فيها من الإشادة بتكذيب الرآن، إذ هو بناء أمم النّصرانية على مكان الصّليب بزعمهم، فنكرته نفسي، و نكرت الدّخول إليه. و قضيت من سنن الزيارة و نافلتها ما يجب، و انصرفت إلى مدفن الخليل عليه

(1718) كذا في الأصلين، و لعل الصواب: «اعتمل».

(1719) الرملةRamleh عرضها الشمالي 31- 57، و طولها الشرقي 34- 35): مدينة بفلسطين بينها و بين بيت المقدس نحو 18 ميلا، كانت ذا شأن عظيم في الحروب الصليبية، و انظر ياقوت 4/ 286.

(1720) صدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسحق الشافعي له ترجمة في «المقفى» للمقريزي 1/ 42 (نسخة دار الكتب).

(1721) القمامة (بالضم): كنيسة كبرى ببيت المقدس، و انظر تاج العروس (قمم)،

ياقوت 7/ 158.

السّلام. و مررت في طريقي إليه ببيت لحم، و هو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح، شيّدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصّخور، منجّدة مصطفّة، مرقوما على رؤوسها صور ملوك القياصرة، و تواريخ دولهم، ميسّرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتّراجمة العارفين لأوضاعها، و لقد يشهد هذا المصنع بعظم ملك القياصرة و ضخامة دولتهم. ثم ارتحلت من مدفن الخليل إلى غزّة، و ارتحلت منها، فوافيت السّلطان بظاهر مصر، و دخلت في ركابه أواخر شهر رمضان سنة اثنين و ثمانمائة.

و كان بمصر فقيه من المالكية يعرف بنور الدّين بن الخلال، [1722] ينوب أكثر أوقاته عن قضاة القضاة المالكية، فحرّضه بعض أصحابه على السّعي في المنصب، و بذل ما تيسّر [1723] من موجوده لبعض بطانة السّلطان الساعين له في ذلك، فتمّت سعايته في ذلك، و لبس منتصف المحرّم سنة ثلاث، و رجعت [1724] أنا للاشتغال بما كنت مشتغلا به من تدريس العلم و تأليفه، إلى أن كان السّفر لمدافعة تمر عن الشام.

(1722) علي بن يوسف بن عبد الله (أو ابن مكي) الدميري (أو الزبيري)، المعروف بابن الخلال المالكي.
له ترجمة في «نيل الابتهاج» ص 206، «عقد الجمان» للعيني (لوحة 159، 160 من حوادث سنة 803).

(1723) في «عقد الجمان» للعيني (سنة 803 لوحة 159- 160): «... و حصل له (ابن الخلال) حنق من ابن خلدون المغربي في شيء، فحمله ذلك إلى سعي في القضاء بالرشوة، فتولى و لم تطل أيامه، فمات و عليه جملة ديون». و كذلك جاء النص على بذله المال في سبيل الحصول على خطة القضاء، في «السلوك» للمقريزي (سنة 803 ورقة 131 ب نسخة الفاتح)، و في تاريخ ابن قاضي شهبة في حوادث سنة 803، لوحة 170 ب.

(1724) كانت المحنة التي لحقته في هذه المرة قاسية، و قد ألم بها ابن قاضي شهبة في تاريخه سنة 803 لوحة 170 ب: «... و سبب عزل المذكور (ابن خلدون) مبالغته في العقوبات، و المسارعة إليها، و أهين، و طلب بالنقباء من عند الحاجب أقباي ماشيا من القاهرة إلى بيت الحاجب عند أكلبش، و أوقف بين يديه، و رسم عليه، و حصل له إخراق، و أطلق بعض من سجنه؛ ثم أعطى تدريس المالكية بوقف أم الصالح عوضا عن

ابن الخلال».

سفر السّلطان إلى الشام لمدافعة الطّطر عن بلاده

هؤلاء الطّطر من شعوب التّرك، و قد اتفق النسّابة و المؤرخون على أن أكثر أمم العالم فرقتان، و هما: العرب و الترك، و ليس في العالم أمة أوفر منهما عددا، هؤلاء في جنوب الأرض، و هؤلاء في شمالها، و ما زالوا يتناوبون الملك في العالم، فتارة يملك العرب و يزحلون [1725] الأعاجم إلى آخر الشّمال، و أخرى يزحلهم الأعاجم و التّرك إلى طرف الجنوب، سنة الله في عباده.

فلنذكر كيف انساق الملك لهؤلاء الطّطر، و استقرت للدّول الإسلامية فيهم لهذا العهد فنقول: إن الله سبحانه خلق هذا العالم و اعتمره بأصناف البشر على وجه الأرض، في وسط البقعة التي انكشفت من الماء فيه، و هي عند أهل الجغرافيا مقدار الرّبع منه، و قسّموا هذا المعمور بسبعة أجزاء يسمّونها الأقاليم، [1726] مبتدئة من خط الاستواء بين المشرق و المغرب، و هو الخط الذي تسامت الشمس فيه رؤوس السكان، إلى تمام السّبعة أقاليم. و هذا الخط في جنوب المعمور، و تنتهي السبعة الأقاليم في شماله. و ليس في جنوب خط الاستواء عمارة إلى آخر الرّبع المنكشف، لإفراط الحرّ فيه، و هو يمنع من التّكوين، و كذلك ليس بعد الأقاليم السّبعة في جهة الشّمال عمارة، لإفراط البرد فيها، و هو مانع من التكوين أيضا، و دخل الماء المحيط بالأرض من جهة الشرق فوق خط الاستواء بثلاث عشرة درجة، في مدخل فسيح، و انساح مع خطّ الاستواء مغرّبا، فمرّ بالصّين، و الهند و السّند و اليمن، في جنوبها كلّها.

و انتهى إلى وسط الأرض، عند باب المندب، [1727] و هو البحر الهندي و الصيني، ثم انحرف من طرفه الغربي في خليج عند باب المندب، و مرّ في جهة الشمال مغرّبا

(1725) زحل عن مكانه: زلّ، و بعد.

(1726) فصّل ابن خلدون القول في هذا الموضوع في مقدمته.

(1727) باب المندبBab el Mandeb : هو المضيق الواقع في النهاية الجنوبية للبحر الأحمر.

باليمن و تهامة و الحجاز و مدين [1728] و أيلة [1729] و فاران، [1730] و انتهى إلى مدينة القلزم، [1731] و يسمّى بحر السويس، و في شرقيه بلاد الصّعيد إلى عيذاب، [1732] و بلاد البجاة، [1733] و خرج من هذا البحر الهندي من وسطه خليج آخر يسمّى الخليج

(1728) Midian :

مقاطعة في شمال الحجاز تمتد على الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى مبدأ خليج العقبة، و في الجهة الشرقية منها يقع جبل الصفاة Jabel el Safah .

و في الخطط للمقريزي 1/ 301- 304 (طبع مصر)، حديث عن مدين، و بعض من أخبارها.

(1729) أيلة (Aila) أو Ailat عرضها الشمالي 29- 30، و طولها الشرقي 35): ميناء واقع في الزواية الشمالية الشرقية لخليج العقبة، و كان في القديم مدينة تجارية ذات أهمية كبرى، و قد ورد ذكرها في التوراة؛ في سفر الملوك 9: 26، 27. و في دائرة المعارف الإسلامية كلمة وافية عنها، و انظر رحلة بنيامين ص 180، خطط المقريزي 1/ 298 (طبع مصر)، و البكري (معجم ما استعجم)، 1/ 216،

Geogr. Dictio. by Angelo Heilprin and Luis Heilprin

(1730) فاران: مدينة كانت على ساحل بحر القلزم بناحية الطور، و يقول المقريزي في الخطط (1/ 304 طبع مصر): «... و كانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين إلى اليوم، و بها نخل كثير مثمر، أكلت من ثمره، و بها نهر عظيم، و هي خراب يمر بها العربان». و انظر ياقوت 6/ 323.

(1731) القلزم (Clisma) بالصم ثم السكون ثم زاي مضمومة: بلد ساحلية بجوار السويس و الطور، و إليها ينسب البحر، و يقول ياقوت 7/ 145: «... و أما اليوم فهي خراب يباب، و صار الميناء إلى مدينة قربها يقال لها السويس».

(1732) عيذاب Aidhab أو Aidip عرضها الشمالي 21): مدينة مصرية على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، و كانت في العصور الوسطى ميناء مهمّا للحجاج الذين

يقصدون مكة من الغرب، و محطا للسفن الهندية التي كانت تأتي من عدن، و لتجار إفريقية الوسطى، و انظر ياقوت 6/ 246.

(1733) البجاة، و يقال البجةBedja) أو(Bodja : مجموعة من القبائل الحامية تسكن فيما بين النيل و البحر الأحمر؛ و اسمها «البجة» قديم يرجع إلى ما قبل الإسلام، و قد ذكر المقريزي في الخطط (طبع مصر 1/ 313- 319)، نبذة صالحة عن هذه القبائل؛ و انظر صبح الأعشى 5/ 273.

الأخضر، [1734] و مرّ شمالا إلى الأبلّة، [1735] و يسمّى بحر فارس، [1736] و عليه في شرقيّه بلاد فارس، [1737] و كرمان، [1738] و السّند، [1739] و دخل الماء أيضا، من جهة الغرب في خليج متضايق في الإقليم الرّابع، و يسمّى بحر الزّقاق، [1740] تكون سعته هنالك ثمانية عشر ميلا. و يمر مشرّقا ببلاد البربر، من المغرب الأقصى و الأوسط و أرض إفريقية و الإسكندرية. و أرض التّيه [1741] و فلسطين و الشام، و عليه في الغرب بلاد الإفرنج كلها، و خرج منه في الشمال خليجان: الشرقي منهما خليج القسطنطينية [1742] و الغربي خليج البنادقة، [1743] و يسمّى هذا البحر البحر الرّوميّ،

(1734) يريد بالخليج الأخضر خليج عمان Golf of Oman .

(1735) ضبطها ابن خلدون بضم الهمزة و الباء الموحدة، و تشديد اللام المفتوحة؛ و هي مدينة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. و انظر ياقوت 1/ 89- 90، صبح الأعشى 4/ 336.

(1736) يسمى بحر فارس اليوم، الخليج الفارسي Persian Golf .

(1737) فارس، أو بلاد العجم: هي التي تعرف اليوم باسم Persia ، و إيران Iran اشتقاقا من كلمة «آرية» Arie ، و تدل الآن على المملكة الفارسية. و انظر ياقوت 6/ 324.

(1738) كرمان (Kerman) عرضها الشمالي 30- 15، و طولها الشرقي 57): إحدى المدن الجبلية من مدن إيران، و كانت في القديم ولاية تفصل بين فارس في الغرب، و صحاري لوط (Dashti Lut) في الشرق. و انظر ياقوت 8/ 241- 244.

(1739) السند: Sind بلاد كانت تفصل بين الهند و كرمان، و بعضهم كان يعد من إقليم السند بلاد مكران الواقعة في جنوب فارس. و انظر ياقوت 5/ 151.

(1740) هو مضيق جبل طارق الآن Str .Of Gibraltar

(1741) أرض التيه: هي شبه جزيرة سينا اليوم.

(1742) يتحدث الآن عن بحر إيجة Aegean الذي يصل البحر الأبيض عن طريق الدردنيل، و البوسفور بالبحر الأسود.

(1743) خليج البنادقة؛ هو البحر الأدرياتي Adriatic الذي يقع في نهايته الشمالية خليج البندقية Golf of Venice . و انظر صبح الأعشى 5/ 404 و ما بعدها.

و الشاميّ.

ثم إن هذه السبعة الأقاليم المعمورة، تنقسم من شرقيّها و غربيّها بنصفين: فنصفها الغربي في وسطه البحر الرّوميّ، و في النصف الشرقي من جانبه الجنوبي البحر الهندي، و كان هذا النصف الغربيّ أقل عمارة من النصف الشرقي، لأن البحر الرّوميّ المتوسط فيه، انفسح في انسياحه، فغمر الكثير من أرضه. و الجانب الجنوبيّ منه قليل العمارة لشدّة الحرّ، فالعمران فيه من جانب الشّمال فقط، و النصف الشّرقي عمرانه أكثر بكثير، لأنه لا بحر في وسطه يزاحم. و جانبه الجنوبي فيه البحر الهنديّ، و هو متّسع جدّا، فلطف الهواء فيه بمجاورة الماء، و عدّل مزاجه للتّكوين، فصارت أقاليمه كلّها قابلة للعمارة، فكثر عمرانه. و كان مبدأ هذا العمران في العالم، من لدن آدم (صلوات الله عليه)، و تناسل ولده أولا في ذلك النصف الشرقيّ، و بادت تلك الأمم ما بينه و بين نوح، و لم نعلم شيئا من أخبارها، لأن الكتب الإلهية لم يرد علينا فيها إلا أخبار نوح و بنيه، و أما ما قبل نوح فلم نعرف شيئا من أخباره، و أقدم الكتب المنزلة المتداولة بين أيدينا التوراة، و ليس فيها من أخبار تلك الأجيال شيء، و لا سبيل إلى اتصال الأخبار القديمة إلا بالوحي، و أما الأخبار فهي تدرس بدروس أهلها.

و اتفق النّسّابون على أن النسل كلّه منحصر في بني نوح، و في ثلاثة من ولده، و هم سام، و حام، و يافث، فمن سام: العرب، و العبرانيّون، و السّبائيون، (1744) و من حام: القبط و الكنعانيّون، و البربر، و السّودان، و من يافث: التّرك، و الروم، و الخزر، (1745) و الفرس، و الدّيلم، و الجيل.

و لا أدري كيف صحّ انحصار النّسب في هؤلاء الثلاثة عند النّسّابين، أمن النقل؟

و هو بعيد كما قدّمناه، أو هو رأي تفرّع لهم من انقسام جماعة المعمور، فجعلوا شعوب

(1744) كذا في الأصلين. و لعل الصواب: «السريانيون».

(1745) ضبطه ابن خلدون بفتح الخاء و الزاي؛ و في «تثقيف اللسان» لأبي جعفر عمر بن مكي الصقلي (ورقة 33 نسخة مراد ملة): «... و يقولون لقبيلة من الترك الخزر و الصواب الخزر بالإسكان، و يقال إنهم سموا بذلك لخزر أعينهم» أي ضيقها.

كلّ جهة لأهل نسب واحد يشتركون فيه، فجعلوا الجنوب لبني سام، و المغرب لبني حام، و الشمال لبني يافث. إلّا أنّه المتناقل بين النّسّابة في العالم، كما قلناه، فلنعتمده و نقول: أول من ملك الأرض من نسل نوح (عليه السلام)، النّمرود بن كنعان بن كوش، بن حام و وقع ذكره في التوراة. و ملك بعده عابر بن شالخ الذي ينسب إليه العبرانيون و السريانيون، و همالنّبط، و كانت لهم الدّولة العظيمة، و هم ملوك بابل، من نبيط بن أشّور بن سام، و قيل نبيط بن ماش بن إرم، و هم ملوك الأرض بعد الطوفان على ما قاله المسعودي. و غلبهم الفرس على بابل، و ما كان في أيديهم من الأرض، و كانت يومئذ في العالم دولتان عظيمتان، لملوك بابل هؤلاء، و للقبط بمصر: هذه في المغرب و الأخرى في المشرق، و كانوا ينتحلون الأعمال السحرية، و يعوّلون عليها في كثير من أعمالهم، و برابي مصر، (1746) و فلاحة ابن وحشية، (1747) يشهدان بذلك. فلما غلب الفرس على بابل، استقلّ لهم ملك المشرق، و جاء موسى- (صلوات الله عليه)- بالشريعة الأوليّة، و حرّم السّحر و طرقه، و غلب الله له القبط بإغراق فرعون و قومه، ثم ملك بنو إسرائيل الشّام، و اختطوا بيت المقدس، و ظهر الروم في ناحية الشمال و المغرب، فغلبوا الفرس الأولى على ملكهم.

و ملك ذو القرنين الإسكندر ما كان بأيديهم، ثم صار ملك الفرس بالمشرق إلى ملوكهم السّاسانية، و ملك بني (1748) يونان بالشام و المغرب إلى القياصرة، كما ذكرنا ذلك كلّه من قبل. و أصبحت الدولتان عظيمتين، و انتظمتا العالم بما فيه. و نازع التّرك

(1746) كان القدماء يعتقدون أن الرسوم التي توجد على البرابي، و المعابد المصرية القديمة، ليست إلا طلاسم، و أوفاقا، نقشت على جدرانها ليكون لها مفعول سحري معين. و انظر خطط المقريزي 1/ 48 طبع مصر، معجم البلدان «برابي».

(1747) في كتاب «علم الفلك- تاريخه عند العرب» لنلينو، ص 205- 210 بحث قيم عن أبي بكر بن وحشية، و عن كتابه، و عما قام حولهما من شكوك و أبحاث.

(1748) بالأصلين: «بنويونان»، تحريف.

ملوك فارس في خراسان، (1749) و ما وراء النّهر، (1750) و كانت بينهم حروب مشهورة، و استقرّ ملكهم في بني أفراسياب، ثم ظهر خاتم الأنبياء محمد (صلوات الله عليه)، و جمع العرب على كلمة الإسلام، فاجتمعوا له، «لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم و لكنّ اللّه ألّف بينهم (1751)، و قبضه اللّه إليه، و قد أمر بالجهاد، و وعد عن اللّه بأن الأرض لأمته، فزحفوا إلى كسرى، و قيصر بعد سنتين من وفاته، فانتزعوا الملك من أيديهما، و تجاوزوا الفرس إلى التّرك، و الرّوم إلى البربر و المغرب، و أصبح العالم كلّه منتظما في دعوة الإسلام. ثم اختلف أهل الدّين من بعده في رجوعهم إلى من ينظم أمرهم، و تشيّع قوم من العرب فزعموا أنه أوصى بذلك لابن عمّه عليّ، و امتنع الجماعة من قبول ذلك، و أبوا إلّا الاجتهاد في تعيينه، فمضى على ذلك السّلف في دولة بني أميّة التي استفحل الملك و الإسلام فيها، و تناقل التشيّع بتشعّب المذاهب، في استحقاق بني عليّ، و أيّهم يتعيّن له ذلك، حتى انساق مذهب من مذاهبهم إلى محمد ابن علي بن عبد اللّه بن عباس، (1752) فظهرت شيعته بخراسان، و ملكوا تلك الأرض كلّها، و العراق بأسره. ثم غلبوا على بني أميّة، و انتزعوا الملك من أيديهم، و استفحل ملكهم، و الإسلام باستفحاله، و تعدّد خلفاؤهم.

ثمّ خامر الدّولة ما يخامر الدّول من التّرف و الراحة، ففشلوا. و كثر المنازعون لهم من بني عليّ و غيرهم، فظهرت دولة لبني جعفر الصّادق بالمغرب، و هم

(1749) تطلق خراسانKhorassan اليوم على القسم الشرقي لإيران، الذي يتصل بأفغانستان. و قد فتحت خراسان سنة 31 هجرية في أيام عثمان رضي اللّه عنه. و انظر ياقوت 3/ 407.

(1750) ما وراء النهرTransoxiane : إقليم مشهور يقع فيما وراء نهر جيحون، و هو المراد «بالنهر». و انظر ياقوت 7/ 073- 373.

(1751) الآية 63 من سورة الأنفال.

(1752) كان ذلك في سنة 129 ه، و انظر تفصيل القول في تاريخ الطبري 9/ 82 و ما بعدها، تاريخ أبي الفداء 1/ 220 و ما بعدها.

العبيديون [1753] بنو عبيد الله المهدي بن محمد، قام بها كتامة و قبائل البربر، و استولوا على المغرب و مصر، و دولة بني العلوي بطبرستان، قام بها الدّيلم و إخوانهم الجيل، [1754] و دولة بني أمية النائية بالأندلس، [1755] لأنّ بني العبّاس لما غلبوهم بالمشرق، و أكثروا القتل فيهم، هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، و نجا إلى المغرب. ثم ركب البحر إلى الأندلس، فاجتمع عليه من كان هنالك من العرب و موالي بني أميّة، فاستحدث هنالك ملكا آخر لهم، و انقسمت الملّة الإسلامية بين هذه الدّول الأربع إلى المائة الرابعة. ثم انقرض ملك العلوية من طبرستان، [1756] و انتقل إلى الدّيلم، فاقتسموا خراسان و فارس و العراق، و غلبوا على بغداد، و حجر الخليفة بها بنو بويه منهم. [1757] و كان بنو سامان- من أتباع بني طاهر- قد تقلّدوا عمالات ما وراء النّهر، فلمّا فشل أمر الخلافة استبدّوا بتلك النّواحي، و أصاروا لهم فيها ملكا ضخما، [1758] و كان آخرهم محمود بن سبكتكين من مواليهم، فاستبدّ عليهم، و ملك خراسان، و ما وراء النّهر إلى الشّاش، ثم غزنة، [1759] و ما وراءها جنوبا إلى الهند. و أجاز إلى بلاد الهند، فافتتح منها كثيرا،

(1753) كان مبدأ دولة الفاطميين بالمغرب في سنة 296، و نهايتها سنة 361. و انظر العبر 4/ 31 و ما بعدها.

(1754) فصل الحديث عن هذه الدولة في العبر 4/ 22، 23.

(1755) انظر العبر 4/ 116 و ما بعدها، حيث تجد منشأ دولة بني أمية، و أحوالها.

(1756) طبرستان: إقليم متسع في غربي خراسان، و يقول ياقوت إنه الذي يسمى أيضا بمازندرانMa -zanderan . و هو إقليم واقع في شمالي مرتفعات البرزElBurz ، و يشرف على بحر قزوينCaspian Sea . و انظر ياقوت 6/ 17- 21.

(1757) بنو بويه دولة أسسها أتراك من الديلم في خلافة الراضي بالله (322-447). و انظر تاريخ أبي الفداء 2/ 83، 152، و العبر 4/ 426 و ما بعدها.

(1758) ملكت دولة بني سامان هذه ما وراء النهر، و أقامت هناك دعوة بني العباس، ثم استقلت. و قد تحدث عنها ابن خلدون 4/ 333- 359، أبو الفداء 2/ 123، 141، صبح الأعشى 4/ 446.

(1759)Ghazne :

مدينة من مدن أفغانستان، و كانت عاصمة الدولة التي أسسها نصر الدين محمود بن

سبكتكين سنة 366، و التي استمرت إلى سنة 578. و انظر العبر 4/ 360-389.

و استخرج من كنوزها ذخائر لم يعثر عليها أحد قبله. و أقامت الملة على هذا النّمط إلى انقضاء المائة الرّابعة، (1760) و كان التّرك منذ تعبّدوا للعرب، و أسلموا على ما بأيديهم وراء النّهر، من كاشغر (1761) و الصّاغون إلى فرغانة، (1762) و ولّاهم الخلفاء عليها، فاستحدثوا بها ملكا، و كانت بوادي التّرك في تلك النواحي منتجعة أمطار السماء، و عشب الأرض، و كان الظهور فيهم لقبيلة الغزّ من شعوبهم، و هم الخوز، إلا أن استعمال العرب لها عرّب خاءها المعجمة غينا، و أدغمت واوها في الزّاي الثانية، فصارت زايا واحدة مشدّدة. و كانت رياسة الغزّ هؤلاء في بني سلجوق بن ميكائيل، و كانوا يستخدمون لملوك التّرك بتركستان تارة، و لملوك بني سامان في بخارى أخرى.

و تحدث بينهما الفتنة، فيتألّفون من شاءوا منهما، (1763) و لما تغلّب محمود بن سبكتكين (1764) على بني سامان، و أجاز من خراسان فنزل بخارى، (1765) و اقتعد كرسيّهم، و تقبّض على كبار بني سلجوق هؤلاء، و حبسهم بخراسان.

ثم مات و قام بالأمر أخوه مسعود، (1766) فملك مكانه، و انتقض على بنو

(1760) انظر العبر 4/ 386- 397.

(1761) كانت كاشغر(Kashgar) عرضها الشمالي 39 و طولها الشرقي 76) قاعدة «التركستان» و كانت تسمى أيضا «أزدوكند» و هي اليوم في الصين. ياقوت 7/ 207 صبح الأعشى 4/ 440.

(1762) فرغانة كورة واسعة فيما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان. ياقوت 6/ 364.

(1763) انظر كلمة و جزة عن الغز في تاريخ أبي الفداء 3/ 27 و ما بعدها.

(1764) هو محمود بن ناصر الدولة بن سبكتكين (361- 421)، يلقب سيف الدولة، و يمين الدولة.

و ليمين الدولة هذا ينسب التاريخ «اليميني» الذي ألفه له أبو نصر العتبي. ترجمة يمين الدولة في «الوفيات» 2/ 110- 114، و انظر تاريخ أبي الفداء 2/ 165، العبر 4/ 378.

(1765) تقع بخارى اليوم(Bokhara) و عرضها الشمالي 30، و طولها الشرقي 67-

(30) في جمهورية الاتحاد السوفييتي، و كانت قاعدة الدولة السامانية، فتحت فيما بين سنتي 53، 55 ه، في أيام معاوية. و انظر ياقوت.

(1766) هكذا في الأصلين: «أخوه مسعود». و هو سبق قلم، و الصواب: «ابنه مسعود» و انظر العبر 4/ 378 و ما بعدها، «تاريخ دولة آل سلجوق» ص 8.

سلجوق [1767] هؤلاء، و أجاز الغزّ إلى خراسان فملكوها، و ملكوا طبرستان من يد الدّيلم، ثم إصبهان [1768] و فارس، من أيدي بني بويه، و ملكهم يومئذ طغرلبك [1769] بن ميكائيل من بني سلجوق، و غلب على بغداد [1770] من يد بني معزّ الدولة بن بويه المستبدّين على الخليفة يومئذ المطيع، [1771] و حجره عن التصرّف في أمور الخلافة و الملك، ثم تجاوز إلى عراق العرب، فغلب على ملوكه، و أبادهم، ثم بلاد البحرين [1772] و عمان، [1773] ثم على الشّام، و بلاد الرّوم، و استوعب ممالك الإسلام كلّها، فأصارها في ملكه، و انقبضت العرب راجعة إلى الحجاز، مسلوبة من الملك، كأن لم يكن لهم فيه نصيب، و ذلك أعوام [1774] الأربعين و الأربعمائة، و خرج الإفرنج على بقايا بني أميّة بالأندلس، فانتزعوا الملك من أيديهم، و استولوا على حواضر

(1767) ابتدأت الدولة السلجوقية في خلافة القائم بأمر الله العباسي سنة 432، و انتهت في سنة 572.

و انظر تاريخ أبي الفداء 2/ 171 و ما بعدها، العبر 5/ 1 و ما بعدها. و قد خص هذه الدولة بالتأليف العماد الأصفهاني، و طبع مختصر لكتاب العماد بالقاهرة سنة 1900 م.

(1768) إصفهان(Isfahan) عرضها الشمالي 32- 41، و طولها الشرقي 51- 35) يفتح الهمزة و كسرها: مدينة جبلية عظيمة في جنوب عراق العجم من بلاد فارس، و تطلق أصفهان على الإقليم أيضا، فتحت في سنة 23 ه في أيام عمر بن الخطاب. ياقوت 1/ 369.

(1769) أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، ركن الدين طغرلبك (385- 455). وفيات الأعيان 2/ 59- 60، و انظر العبر 4/ 381.

(1770) كان دخوله بغداد و العراق سنة 447. وفيات الأعيان 2/ 60، تاريخ دولة آل سلجوق ص 9.

(1771) بالأصلين: «المطيع»، و الصواب: «القائم» لأنه الذي عاصر طغرلبك. و هو أبو جعفر عبد الله بن القادر، القائم بأمر الله. ولد سنة 391، و ولي الخلافة سنة 422، و توفي سنة 467. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 167- 169.

(1772) بلاد البحرين، و تسمى اليوم بالأحساءHasa : تقع على الساحل الغربي للقسم الشمالي للخليج الفارسي.

Oman(1773)

يقع إقليم عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية، مطلا على خليج عمان.

(1774) كذا بالأصلين.

الأندلس و أمصارها، و ضاق النّطاق على العبيديّين بالقاهرة بملوك الغزّ يزاحمونهم فيها من الشام، بمحمود بن زنكي و غيره [1775] من أبنائهمو مماليكهم، و بملوك المغرب قد اقتطعوا ما وراء الإسكندرية، بملوك صنهاجة في إفريقية، [1776] و الملثّمين المرابطين [1777] بعدهم بالمغرب الأقصى و الأوسط، و المصامدة الموحّدين [1778] بعدهم كذلك، و أمام الغزّ و السّلجوقية في ملك المشرق، و بنوهم و مواليهم من بعدهم إلى انقضاء القرن السادس؛ و قد فشل ريح الغزّ، و اختلّت دولتهم، فظهر فيهم جنكيز خان أمير المغل من شعوب الطّطر، [1779] و كان كاهنا، و جدّه النجر كاهنا مثله.

و يزعمون أنه ولد من غير أب، [1780] فغلب الغزّ في المفازة، و استولى على ملك

(1775) رسمه، على قاعدته التي قررها في أول «المقدمة» بصاد وسطها زاي إشارة إلى أن الصاد تشم- عند النطق بها- زايا. و انظر أخبار تملك محمود بن زنكي، في تاريخ أبي الفداء 3/ 30، 58.

(1776) يريد دولة بني زيرى الصنهاجيين، و كانت مدة ملكهم 182 سنة (361-543). و انظر العبر 6/ 155- 161.

(1777) ابتدأ عهد دولة المرابطين في سنة 462، و انتهى بانتصار الموحدين عليهم في سنة 542. و انظر العبر 6/ 182 و ما بعدها.

(1778) هم الموحدون الذين كان ملكهم (415- 668).

(1779) ولد جنكيز خان (و يقال حنكص قان،Cingis Khan) في سنة 549، و هو من قبيلة تركية تسمى تيات من أشهر قبائل المغل، و أكثرهم عددا، و كان اسمه- حين بلغ من العمر 13 سنة- تموجين، ثم أصاروه: «جنكيز»، و «خان» تمام الاسم، و هو بمعنى الملك عندهم. العبر 5/ 525 و ما بعدها، تاريخ جنكيزخان لوحة 294 (نسخة دار الكتب).

(1780) ينتهي نسبه إلى: «بوذنجر بن ألان قوى»، و ألان قوى اسم امرأة هي جدتهم، كانت متزوجة ثم مات زوجها، و تأيّمت و حملت و هي أيم، فنكر عليها أقرباؤها، فذكرت أنها رأت بعض الأيام أن نورا دخل فرجها ثلاث مرات، وطرأ عليها الحمل بعد ذلك، و قالت إن في حملي ثلاثة ذكور، فإن صدقت عند الوضع فذلك، و إلا فافعلوا ما

بدا لكم؛ فوضعت ثلاثة توائم في ذلك الحمل، فظهرت براءتها بزعمهم، و كان ثالث التوائم «بوذنجر» جد جنكيزخان، و كانوا يسمون التوائم الثلاث: النورانيين نسبة إلى النور المذكور، و لذلك كانوا يقولون لجنكيز خان: ابن الشمس. العبر 5/ 525 و ما بعدها.

الطّطر، و زحف إلى كرسيّ الملك بخوارزم. و هو علاء الدّين خوارزم شاه، سلفه من موالى طغرلبك، فغالبه على ملكه، و فرّ أمامه، و اتّبعه إلى بحيرة طبرستان، فنجا إلى جزيرة فيها، و مرض هنالك و مات، (1781) و رجع جنكيز خان إلى مازنداران، من أمصار طبرستان فنزلها، و أقام بها، و بعث عساكره من المغل حتى استولوا على جميع ما كان للغزّ، و أنزل ابنه طولى (1782) بكرسيّ خراسان، و ابنه دوشيخان (1783) بصراى و بلاد التّرك، و ابنه جقطاي (1784) بكرسيّ التّرك فيما وراء النّهر، و هي كاشغر و تركستان، و أقام بمازندران إلى أن مات جنكيز خان و دفن بها، (1785) و مات ابنه طولي و له ولدان، قبلاي و هولاكو، ثم هلك قبلاي، (1786) و استقلّ هولاكو (1787) بملك

(1781) هو السّلطان علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان، كان من علماء الملوك و عظمائهم، و كانت مدة ملكه 21 سنة، و توفي عام 617، و انظر أخبار حروبه مع جنكيز خان في تاريخ أبي الفداء 3/ 133- 134، 154- 158.

(1782) هو الابن الأصغر لجنكيز خان، و كان عاقلا كيّسا، و لذلك أمره أبوه أن يرأس أخويه: جوجي، و جغتاي في حرب قلعة الطالقان التي استعصى عليهما الاستيلاء عليها. و طاؤه تنطق بين التاء و الطاء، و يقال في اسمه أيضا: «تولوي». و انظر العبر 5/ 527، تاريخ جنكيز خان لوحة 402، و سلوك المقريزي ص 228.

(1783) و يقال طوشي خان (بين التاء و الطاء)، و يقال جوجي خان. و انظر الحديث عنه و عن مملكته في العبر 5/ 533 و ما بعدها.

(1784) جقطاي، و يقال: «جغتاي»، و يسمى أيضا كداي، و جداي، و قد فصل القول عنه في العبر 5/ 529- 533.

(1785) كانت وفاته في سنة 625؛ و هناك رأي غير ما ذكره ابن خلدون في مكان وفاة جنكيز خان، تجده في السلوك ص 277- 228.

(1786) قبلاي بن تول خان المتوفى سنة 695. و انظر المنهل الصافي 2/ 194 (نسخة نور عثمانية)، و قد ضبطه ابن خلدون بالحركات- بضم القاف، و سكون الباء الموحدة، و لام مفتوحة مخفّفة، ثم ياء ساكنة.

(1787) يكتبه ابن خلدون: «هولاوو» بواوين أحيانا، و أحيانا أخرى يكتبه: «هولاكو» بنقطة تحت الكاف إشارة إلى أن الكاف تنطق كافا فارسية. و قد ابتدأ أمر

هولاكو في الظهور في سنة 654، و توفي سنة 663. و انظر السلوك ص 541.

خراسان، و حدث بينه و بين بركة بن دوشيخان [1788] فتنة بالمنازعة في القانية، تحاربوا فيها طويلا، ثم أقصروا، و صرف هولاكو وجهه إلى بلاد أصبهان، و فارس، ثم إلى الخلفاء المستبدّين ببغداد، و عراق العرب، فاستولى على تلك النّواحي، و اقتحم بغداد [1789] على الخليفة المستعصم، آخر بني العباس [1790] و قتله، و أعظم فيها العيث و الفساد، و هو يومئذ على دينه من المجوسيّة، ثم تخطّاه إلى الشام، فملك أمصاره و حواضره إلى القدس، و ملوك مصر يومئذ من موالي بني أيّوب قد استحاشوا ببركة صاحب صراي، فزحف إلى خراسان ليأخذ بحجزة هولاكو عن الشام و مصر.

و بلغ خبره إلى هولاكو فحرد [1791] لذلك، لما بينهما من المنافسة و العداوة، و كرّ راجعا إلى العراق، ثم إلى خراسان، لمدافعة بركة. و طالت الفتنة بينهما إلى أن هلك هولاكو سنة ثلاث و ستين من المائة السّابعة؛ و زحف أمراء مصر من موالي بني أيّوب، و كبيرهم يومئذ قطز، [1792] و هو سلطانهم فاستولى على أمصار الشام التي كان هولاكو انتزعها من أيدي بني أيوب، واحدة واحدة، و استضاف الشام إلى مصر في ملكه. ثم هدى الله أبغا [1793] بن هولاكو إلى الإسلام، فأسلم بعد أن كان أسلم بركة ابن عمّه صاحب التخت بصراي من بني دوشي خان على يد مريد من

(1788) و يقال أيضا: بركة بن توشى بن جنكيز خان. و قد توفي سنة 665. كان مسلما يعظم أهل العلم، و كان يميل إلى الملك الظاهر بيبرس: له ترجمة في المنهل الصافي 1/ 182 (نسخة نور عثمانية)، عيون التواريخ لابن شاكر (في حوادث سنة 665 (ج 20/ 282، (نسخة دار الكتب).

(1789) دخل هولاكو بغداد في سنة 656، و انظر وصف هذا الحادث في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 179.

(1790) هو أبو أحمد عبد الله بن المنتصر، ولد سنة 609، و قتل سنة 656. و انظر السلوك ص 412، و تاريخ الخلفاء ص 186- 191.

(1791) حرد: اغتاظ و غضب.

(1792) تقدمت ترجمته.

(1793) في العبر 5/ 544، 546 أخبار أبغا بن هولاكو هذا.

أصحاب شمس الدين كبرى، [1794] فتواطأ هو و أبغا بن هولاكو على الإسلام، ثم أسلم بعد ذلك بنو جقطاي وراء النّهر، فانتظمت ممالك الإسلام في أيدي ولد جنكيز خان من المغل، ثم من الطّطر، و لم يخرج عن ملكهم منها إلّا المغرب و الأندلس و مصر و الحجاز، و أصبحوا، و كأنّهم في تلك الممالك خلف من السلجوقية و الغزّ. و استمرّ الأمر على ذلك لهذا العهد، و انقرض ملك بني هولاكو بموت أبي سعيد آخرهم سنة أربعين من المائة الثامنة. [1795] و افترقت دولتهم بين عمّال الدولة و قرابتها من المغل؛ فملك عراق العرب، و آذربيجان [1796] و توريز، [1797] الشيخ حسن سبط هولاكو، [1798] و اتصل ملكها في بنيه لهذا العهد، و ملك خراسان و طبرستان شاه وليّ من تابعة بنى هولاكو، [1799] و ملك إصبهان، و فارس، بنو مظفّر البردي [1800] من عمّالهم أيضا؛ و أقام بنو دوشي خان في مملكة صراي و آخرهم بها طقطمش بن بردي بك، [1801] ثم سما لبني جقطاي وراء النّهر، و ملوكهم أمل في

(1794) هو أبو الجنّاب أحمد بن عمر بن نجم الخيوفي شيخ خوارزم. عرف به السبكي في طبقاته 5/ 11، 12، و لم يذكر مولده و لا وفاته؛ و وصفه في تاريخ جنكيز خان لوحة 404 بأنه: «شيخ المشايخ، و قطب الأوتاد، نجم الدين الكبرى»، و ذكر أنه مات في حصار مدينة خوارزم. و قد ضبطه ابن خلدون بضم الكاف و سكون الباء، و في طبقات الشافعية: «الكبرى على صيغة فعلى كعظمى».

(1795) و أبو سعيد بن خربند بن أرغو بن أبغا بن هولاكو. و انظر أخباره في العبر 5/ 549 و ما بعدها.

(1796) Azarbaijan، و اسمها القديم أثروباتان: إقليم يقع في الجنوب الغربي لبحر قزوين (بحر الخزر)، Caspian Sea و يحده من الشمال إقليم داغستان Dagestan، و إقليم جورجيا Georgia، و من الغرب، و الجنوب الغربي مقاطعة أرمينية Armenia. و انظر ياقوت 1/ 363.

(1797) توريز (تبريز) Tabriz عرضها الشمالي 38- 8، و طولها الشرقي 46-

12): إحدى مدن إيران الشمالية، و كانت في القديم تشملها مقاطعة آذربيجان. و انظر ياقوت 1/ 363.

(1798) يسمى أيضا الشيخ حسن الصغير، فصّلت أخباره في العبر 5/ 551- 552.

(1799) تجد بعض أخبار شاه وليّ في العبر 5/ 556- 557.

(1800) في العبر 5/ 556: «اليزدي» و انظر أخبار دولة بني المظفر في العبر 5/ 556.

(1801) ضبطه ابن خلدون بالحركات بفتح الباء و ضمّها، و سكون الراء بعدها دال ثم ياء مثناة تحتية ساكنة، ثم باء موحدة مفتوحة. و انظر أخبار طقطمش في العبر 5/ 538- 540.

التغلّب على أعمال بني هولاكو، و بني دوشي خان، بما استفحل ملكهم هنالك، لعدم التّرف و التّنعم، فبقوا على البداوة؛ و كان لهم ملك اسمه ساطلمش (1802) هلك لهذا العهد، و أجلسوا ابنه على التّخت مكانه، و أمراء بني جقطاي جميعا في خدمته، و كبيرهم تيمور المعروف بتمر بن طرغاي (1803) فقام بأمر هذا الصبي و كفله، و تزوّج أمّه، و مدّ يده إلى ممالك بني دوشي خان التي كانت على دعوتهم وراء النّهر، مثل سمرقند، (1804) و بخاري، و خوارزم، و أجاز إلى طبرستان و خراسان فملكها. ثم ملك أصبهان، و زحف إلى بغداد، فملكها من يد أحمد بن أويس. (1805) و فرّ أحمد مستجيرا بملك مصر، و هو الملك الظاهر برقوق، و قد تقدم ذكره، فأجاره، و وعده النّصر من عدوّه. و بعث الأمير تمر رسلا إلى صاحب مصر، يقرون معه الولاية و الاتّحاد، و حسن الجوار، فوصلوا إلى الرّحبة، فلقيهم عاملها، و دار بينهم الكلام فأوحشوه في الخطاب، و أنزلهم، فبيّت جميعهم، و قتلهم. و خرج الظاهر برقوق من مصر، و جمع العرب و التّركمان، و أناخ على الفرات، و صرخ بطقطمش من كرسيه بصراي، فحشد و وصل إلى الأبواب. (1806) ثم زحف تمر إلى الشام سنة ست و تسعين، و بلغ الرّها، (1807) و الظاهر يومئذ على الفرات، فخام (1808) تمر عن لقائه. و سار إلى محاربة

(1802) كذا في الأصلين، و في هامش أصل أيا صوفيا بخطه: «سيورغتمش» و كتب فوقها كلمة:
«أصح».

(1803) في نسخة طب: «طرغان»، و في هامش أصل أيا صوفيا بخطه: «ترغاي» و كتب فوقها كلمة «أصح».

Samarkand(1804)
عرضها الشمالي 39- 30، و طولها الشرقي 67- 30: مدينة مشهورة، تقع اليوم في جمهورية الاتحاد السوفييتي، و كانت في القديم عاصمة بلاد الصغد. و انظر ياقوت 5/ 121-
126.

(1805) وردت أخباره في العبر 5/ 553- 554.

(1806) يريد بالأبواب المضايق و الممرّات التي في الجبال الفاصلة بين إقليم مازندران و العراق العجمي.

(1807) بلدة مشهورة في شمال حران، و تقع اليوم في الجمهورية التركية، و تسمى أورفةUrfa عرضها الشمالي 37- 11، و طولها الشرقي 38- 41.
(1808) خام عنه: نكص، و جبن.

طقطمش، فاستولى على أعماله كلّها، و رجعت قبائل المغل إلى تمر، و ساروا تحت رايته. و ذهب طقطمش في ناحية الشمال، وراء بلغار، متدمما بقبائل أروس من شعوب التّرك في الجبال. و سارت عصائب الترك كلها تحت رايات تمر؛ ثم اضطرب ملوك الهند، و استصرخ خارج منهم بالأمير تمر، فسار إليهم في عساكر المغل، و ملك دلّى، (1809) و فرّ صاحبها إلى كنباية (1810) مرسى بحر الهند، و عاثوا في نواحي بلاد الهند؛ ثمّ بلغه هنالك مهلك الظاهر برقوق بمصر، فرجع إلى البلاد، و مرّ على العراق، ثم على أرمينية (1811) و أرزنكان، (1812) حتى وصل سيواس (1813) فخرّبها، و عاث في نواحيها، و رجع عنها أول سنة ثلاث من المائة التّاسعة. و نازل قلعة الروم، (1814) فامتنعت، و تجاوزها إلى حلب، فقابله نائب الشام و عساكره في ساحتها، ففضّهم، و اقتحم المغل المدينة من كل ناحية. و وقع فيها من العيث، و النّهب

(1809) هيDelhi اليوم، (عرضها الشمالي 28- 35، و طولها الشرقي 77- 5) و انظر صبح الأعشى 5/ 68- 69، السلوك ص 916.

(1810) كنباية، أو كنبايت، ضبطها ابن خلدون بالحركات بفتح الكاف و سكون النون، و باء مفتوحة بعدها ألف ثم ياء مفتوحة بعدها هاء للتأنيث. و في صبح الأعشى / 71: أنه ينسب إليها فيقال أنباتي و على ذلك فاسمها «أنبايت» بإبدال الكاف همزة. و هي مدينة على ساحل بحر الهند، و قد حدد عرضها البيروني في «القانون المسعودي» بأنه 22- 20. و لعلها المسماة الآنCambay حيث العرض الشمالي 22- 12، و الطول الشرقي 72- 54.

(1811) أرمينيةArmenia : إقليم واقع في غرب آذربيجان، و في شماله الغربي يقع إقليم جورجيا. و انظر صبح الأعشى 4/ 353، ياقوت 1/ 203- 206.

(1812) أرزنكان، و يقال أرزنجان:Erzincan) عرضها الشمالي 39- 39، و طولها الشرقي 39- 39) بلدة كانت تعد قديما من بلاد أرمينية، و هي الآن من بلاد الجمهورية التركية. و انظر صبح الأعشى 4/ 354.

(1813) سيواس:Sivas) عرضها الشمالي 39- 46، طولها الشرقي 37- 5) مدينة في تركيا، تبعد ستين ميلا نحو الشرق من «قيسارية». و انظر السلوك ص 313.

(1814) هي قلعة حصينة واقعة في غربي الفرات مقابل «البيرة». و انظر ياقوت 7/ 150- 151.

و المصادرة و استباحة الحرم، ما لم يعهد الناس مثله؛ و وصل الخبر إلى مصر، فتجهز السّلطان فرج بن الملك الظّاهر [1815] إلى المدافعة عن الشّام، و خرج في عساكره من التّرك مسابقا المغل و ملكهم تم أن يصدّهم عنها.

لقاء الأمير تمر سلطان المغل و الطّطر [1816]

لما وصل الخبر إلى مصر بأن الأمير تمر ملك بلاد الرّوم، و خرّب سيواس، و رجع إلى الشّام، جمع السّلطان عساكره، و فتح ديوان العطاء، و نادى في الجند بالرحيل إلى الشام، و كنت أنا يومئذ معزولا عن الوظيفة، [1817] فاستدعاني دواداره يشبك، [1818]

(1815) هو الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر. له ترجمة في خطط المقريزي 3/ 392- 393 طبع مصر.

(1816) في عجائب المقدور ص 5، 6: «... اسمه تيمور بتاء مثناة مكسورة ساكنة، فمثناة تحت، و واو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة، هذه طريقة إملائه ... لكن كرة الألفاظ الأعجمية إذا تداولها صولجان اللغة العربية خرطها في الدوران على بناء أوزانها .... فقالوا تارة تمور، و أخرى تمرلنك».

و رأيت البدر العيني في «عقد الجمان» ضبطه بخطّه بالحركات بفتح التاء و ضم الميم بعد راء ساكنة، ثم لام مفتوحة، فنون ساكنة، فكاف و في المنهل الصافي 1/ 227 ا- 234 (نسخة نور عثمانية):

ترجمة واسعة له، فصّل فيها القول عن نشأته، و أخلاقه، و جيوشه.

(1817) في عقد الجمان، في حوادث سنة 803، و تاريخ ابن قاضي شهبة كذلك: «... خرج السّلطان الملك الناصر فرج، و معه الخليفة المتوكّل على الله، و القضاة الثلاثة، و هم صدر الدين المناوي الشافعي، و القاضي نور الدين علي بن الخلال المالكي، و القاضي موفق الدين بن الحنبلي؛ و أما القاضي جمال الدين الملطي الحنفي فإنه ما سار لكونه ضعيفا، و سار معهم القاضي ولي الدين ابن خلدون المالكي، و هو معزول».

(1818) هو الأمير يشبك الشعباني كان من أمراء الملك الظاهر، تقلب في مناصب مختلفة، و جعل له الملك الظاهر الوصية على أولاده؛ و في أيام الملك فرج، تولّى

وظيفة دوادار كبير، و مشير المملكة.
و انظر تاريخ ابن إياس 2/ 308، 314، 337. و قد ضبطه البدر العيني بخطّه في «عقد الجمان» بكسر الياء، و سكون الشين، و فتح الباء.

و أرادني على السّفر معه في ركاب السّلطان، فتجافيت عن ذلك. ثم أظهر العزم عليّ بليّن القول، و جزيل الإنعام فأصخيت، و سافرت معهم منتصف شهر المولد الكريم من سنة ثلاث، فوصلنا إلى غزّة، فأرحنا بها أياما نترقب الأخبار، ثم وصلنا إلى الشام مسابقين الطّطر إلى أن نزلنا شقحب، (1819) و أسرينا فصبّحنا دمشق، و الأمير تمر في عساكره قد رحل من بعلبكّ (1820) قاصدا دمشق، فضرب السّلطان خيامه و أبنيته بساحة قبة يلبغا. و يئس الأمير تمر من مهاجمة البلد، فأقام بمرقب على قبّة يلبغا يراقبنا و نراقبه أكثر من شهر، تجاول العسكران في هذه الأيام مرات ثلاثا أو أربعا، فكانت حربهم سجالا، ثم نمي الخبر إلى السّلطان و أكابر أمرائه، أنّ بعض الأمراء المنغمسين في الفتنة يحاولون الهرب إلى مصر للثورة بها، فأجمع رأيهم للرجوع إلى مصر خشية من انتقاض الناس وراءهم، و اختلال الدّولة بذلك، فأسروا ليلة الجمعة من شهر (.....)، (1821) و ركبوا جبل الصّالحية، ثم انحطّوا في شعابه، و ساروا على شافة البحر إلى غزّة، و ركب الناس ليلا يعتقدون أن السّلطان سار على الطريق الأعظم إلى مصر، فساروا عصبا و جماعات على شقحب إلى أن وصلوا إلى مصر، و أصبح أهل دمشق متحيّرين قد عميت عليهم الأنباء.

و جاءني القضاة و الفقهاء، و اجتمعت بمدرسة العادلية، و اتّفق رأيهم على طلب الأمان من الأمير تمر على بيوتهم و حرمهم، و شاوروا في ذلك نائب القلعة، فأبى عليهم ذلك و نكره، فلم يوافقوه. و خرج القاضي برهان الدّين بن مفلح الحنبلي (1822)

(1819) بفتح الشين و الحاء المهملة، و سكون القاف بينهما (كجعفر)، و يقول المقريزي في الخطط 3/ 399 (طبع مصر): «... إنها بظاهر دمشق»؛ و زاد في السلوك ص 932: «تحت جبل غباغب»؛ فهي- بناء على هذا- في جنوب دمشق. و انظر تاج العروس (شقب).

(1820) بعلبك:Baal -Bek) عرضها الشمالي 33- 85، و طولها الشرقي 36- 1) إحدى مدن لبنان المشهورة، و هي واقعة في الشمال لمدينة زحلة. و انظر ياقوت 2/ 336- 338.

(1821) بياض بالأصلين، و لعلّه يريد «شهر جمادى الآخرة». و انظر تاريخ ابن إياس 1/ 329.

(1822) هو برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح (749- 803)، و كان يحسن اللغتين: التركية، و الفارسية، و لعلّهم- لذلك- اختاروه للسفارة. و انظر ابن إياس 1/ 336.

و معه شيخ الفقراء بزاوية (....)، [1823] فأجابهم إلى التأمين، وردّهم باستدعاء الوجوه و القضاة، فخرجوا إليه متدلّين من السور بما صبّحهم من التقدمة، فأحسن لقاءهم و كتب لهم الرقاع بالأمان، وردّهم على أحسن الآمال، و اتفقوا معه على فتح المدينة من الغد، و تصرّف الناس في المعاملات، و دخول أمير ينزل بمحل الإمارة منها، و يملك أمرهم بعزّ ولايته.

و أخبرني القاضي برهان الدين أنه سأله عنّي، و هل سافرت مع عساكر مصر أو أقمت بالمدينة، فأخبره بمقامي بالمدرسة حيث كنت، و بتنا تلك الليلة على أهبة الخروج إليه، فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع، و أنكر البعض ما وقع من الاستنامة إلى القول. و بلغني الخبر من جوف اللّيل، فخشيت البادرة على نفسي، و بكرت سحرا إلى جماعة القضاة عند الباب، و طلبت الخروج أو التدلّي من السّور، لما حدث عندي من توهمات ذلك الخبر، [1824] فأبوا عليّ أولا، ثم أصخوا لي، و دلّوني من السور، فوجدت بطانته عند الباب، و نائبه الذي عيّنه للولاية على دمشق، و اسمه شاه ملك، من بني جقطاي أهل عصابته، فحيّيتهم و حيّوني، و فدّيت و فدّوني، و قدّم لي شاه ملك، مركوبا، و بعث معي من بطانة السّلطان من أوصلني إليه. فلما وقفت بالباب خرج الإذن بإجلاسي في خيمة هنالك تجاور خيمة جلوسه، ثم زيد في التعريف باسمي أنّي القاضي المالكي المغربي، فاستدعاني، و دخلت عليه بخيمة جلوسه، متكئا على مرفقه، و صحاف الطّعام تمرّ بين يديه، يشير بها إلى عصب المغل جلوسا أمام خيمته، حلقا حلقا. فلما دخلت

(1823) بياض في الأصلين.

(1824) في السلوك سنة 803 ورقة 238 ب (نسخة الفاتح): «... و كان قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي بداخل دمشق، فلما علم بتوجّه السّلطان، (اختفى بدمشق جماعة من المماليك و الأمراء، و شاع الخبر أنّهم توجّهوا إلى مصر ليسلطنوا لاجين الجركسي، فركب الأمراء، و أخذوا السّلطان، و خرجوا بغتة، و ساروا يريدون مصر). عن السلوك للمقريزي ورقة 236) تدلى من سور المدينة، و سار إلى تيمور، فأكرمه، و أجلّه، و أنزله عنده، ثم أذن له في المسير إلى مصر، فسار إليها».

عليه فاتحت بالسّلام، و أوميت إيماءة الخضوع، فرفع رأسه، و مدّ يده إليّ فقبّلتها، و أشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت. ثم استدعى من بطانته الفقيه عبد الجبّار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم، (1825) فأقعده يترجم ما بيننا، و سألني من أين جئت من المغرب، و لما (1826) جئت؟، فقلت: جئت من بلادي لقضاء الفرض، ركبت إليها (1827) البحر، و وافيت مرسى الإسكندرية يوم الفطر سنة أربع (و ثمانين) (1828) من هذه المائة الثامنة، و المفرحات بأسوارهم لجلوس الظّاهر على تخت الملك لتلك العشرة الأيام بعددها. فقال لي: و ما فعل معك؟، قلت كلّ خير، برّ مقدمي، و أرغد قراي، و زوّدني للحجّ، و لما رجعت و فرّ جرايتي، و أقمت في ظلّه و نعمته، (رحمه الله) و جزاه. فقال: و كيف كانت توليته إياك القضاء؟ فقلت: مات قاضي المالكية قبل موته بشهر، و كان يظنّ بي المقام المحمود في القيام بالوظيفة، و تحرّي المعدلة و الحق، و الإعراض عن الجاه، فولّاني مكانه، و مات لشهر بعدها، فلم يرض أهل الدّولة بمكاني، فأدالوني منها بغيري جزاهم الله. فقال لي: و أين

(1825) هو: «عبد الجبار بن النعمان المعتزلي، أحد خواص تيمور الذين طافوا معه البلاد، و أهلكوا العباد، و أظهروا الظلم و الفساد. ذكره علاء الدين في «اريخ حلب» و قال: اجتمعت به، فوجدته ذكيا فاضلا، و سألته عن مولده، فقال: يكون لي نحو الأربعين. و رأيت شرح الهداية لأكمل الدين، و قد طالعه عبد الجبار المذكور، و علّم على مواضع منه، ذكر أنّها غلط. و ذكره ابن المبرد في «الرياض» و قال: كان له معرفة بالفقه، و العلوم العقلية، و كان يمتحن العلماء و يناظرهم بين يدي اللّنك. و هو من قلّة الدين على جانب كبير. توفي سنة 808 ه» (عن «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» لتقي الدين التميمي، ورقة 201 أ (نسخة نور عثمانية)، و في «السلوك» ورقة 252 ب سنة 805 (نسخة الفاتح): «... ذو القعدة، مات عبد الجبار رئيس الفقهاء عند تيمور لنك». و انظر «عجائب المقدور» ص 111.

(1826) كذا في الأصلين بإثبات ألف «ما» المجرورة عند الاستفهام؛ و هي لغة حكوها عن الأخفش.

(1827) كذا في الأصلين 54.

(1828) سقط ما بين القوسين في الأصلين.

ولدك؟، [1829] فقلت: بالمغرب الجوّاني كاتب [1830] للملك الأعظم هنالك. فقال و ما معنى الجوّاني في وصف المغرب؟، فقلت هو في عرف خطابهم معناه الدّاخلي، أي الأبعد، لأن المغرب كلّه على ساحل البحر الشّامي من جنوبه، فالأقرب إلى هنا برقه، و إفريقية، [1831] و المغرب الأوسط [1832]: تلمسان و بلاد زناتة؛ و الأقصى: فاس و مراكش، و هو معنى الجوّاني. فقال لي: و أين مكان طنجة من ذلك المغرب؟ فقلت:

في الزّاوية التي بين البحر المحيط، و الخليج المسمّى بالزّقاق، و هو خليج البحر الشّامي، فقال: و سبته؟ فقلت: على مسافة من طنجة على ساحل الزّقاق، و منها التّعدية إلى الأندلس، لقرب مسافته، لأنها هناك نحو العشرين ميلا. فقال: و فاس؟ [1833] فقلت: ليست على البحر، و هي في وسط التّلول، و كرسيّ ملوك المغرب من بني مرين. فقال [1834]: و سجلماسة؟ قلت: في الحدّ ما بين الأرياف و الرّمال من جهة الجنوب. فقال: لا يقنعني هذا، و أحبّ أن تكتب لي بلاد المغرب كلّها، أقاصيها و أدانيها و جباله و أنهاره و قراه و أمصاره، حتى كأني أشاهده. فقلت: يحصل ذلك بسعادتك، و كتبت له بعد انصرافي من المجلس لما طلب من ذلك، و أوعبت الغرض فيه في مختصر و جيز يكون قدر اثنتي عشرة من الكراريس المنصّفة القطع؛ ثم أشار إلى خدمه بإحضار طعام من بيته يسمونه الرشتة، و يحكمونه على أبلغ ما يمكن، فأحضرت الأواني منه، و أشار بعرضها عليّ، فمثلت قائما، و تناولتها و شربتو استطبت، و وقع ذلك منه أحسن المواقع، ثم جلست و سكتنا، و قد غلبني الوجل بما وقع من نكبة قاضي القضاة الشافعية، صدر الدين المناوي، أسره التّابعون لعسكر مصر. بشقحب، و ردّوه، فحبس عندهم في طلب الفدية منه، فأصابنا من

(1829) كذا في الأصلين.

(1830) كذا في الأصلين.

(1831) هي المملكة التونسية اليوم.

(1832) مكانه اليوم بلاد «الجزائر».

(1833) سقط من أصل أيا صوفيا.

(1834) سقط من أصل أيا صوفيا.

ذلك وجل، فزوّرت في نفسي كلاما أخاطبه به، و أتلطّفه بتعظيم أحواله، و ملكه.

و كنت قبل ذلك بالمغرب قد سمعت كثيرا من الحدثان في ظهوره، و كان المنجّمون المتكلّمون في قرانات العلويين (1835) يترقّبون القران العاشر في المثلّثة الهوائية، (1836) و كان يترقّب عام ستة و ستين من المائة السّابعة. فلقيت ذات يوم من عام أحد و ستين بجامع القرويين من فاس، الخطيب أبا عليّ بن باديس خطيب قسنطينة، و كان ماهرا في ذلك الفن، فسألته عن هذا القران المتوقّع، و ما هي آثاره؟ فقال لي: يدلّ على ثائر عظيم في الجانب الشّمالي الشرقي، من أمة بادية أهل خيام، تتغلّب على الممالك، و تقلب الدّول، و تستولي على أكثر المعمور. فقلت: و متى زمنه؟ فقال: عام أربعة و ثمانين تنتشر أخباره. و كتب لي بمثل ذلك الطّبيب ابن زرزر اليهودي، طبيب ملك الإفرنج ابن أذفونش و منجّمه. و كان شيخي (رحمه الله) إمام المعقولات محمد بن إبراهيم الآبلي متى فاوضته في ذلك، أو سايلته عنه يقول: أمره قريب، و لا بدّ لك إن عشت أن تراه.

و أما المتصوفة فكنّا نسمع عنهم بالمغرب ترقّبهم لهذا الكائن، و يرون إن القائم به هو الفاطميّ المشار إليه في الأحاديث النّبوية (1837) من الشيعة و غيرهم، فأخبرني يحيى بن عبد الله حافد الشيخ أبي يعقوب البادسي كبير الأولياء بالمغرب، إن الشيخ قال لهم ذات يوم، و قد انفتل من صلاة الغداة: إن هذا اليوم ولد فيه القائم الفاطمي، و كان ذلك في عشر الأربعين من المائة الثامنة؛ فكان في نفسي من ذلك كلّه ترقّب له.

(1835) الكوكبان العلويان: زحل، و المشتري؛ و المراد بالقران- عند الإطلاق- اجتماع المشتري، و زحل خاصة (مفاتيح العلوم ص 232).

(1836) المثلثة: كل ثلاثة بروج تكون متفقة في طبيعة واحدة من الطبائع الأربع. (مفاتيح العلوم ص 226).

و لعل ابن خلدون كان يعرف أن تيمور لنك «كان يعتمد على أقوال الأطباء و المنجمين، و يقربهم و يدنيهم، حتى إنه كان لا يتحرك بحركة إلا باختيار فلكي»، فحدثه بهذا الحديث. و انظر المنهل الصافي 1/ 427 أ (نسخة دار الكتب).

(1837) ذكر هذه الأحاديث في المقدمة ص 151 و ما بعدها، طبع بولاق.

فوقع في نفسي لأجل الوجل الذي كنت فيه أن أفاوضه في شيء من ذلك يستريح إليه، و يأنس به مني، ففاتحته و قلت: أيّدك الله! لي اليوم ثلاثون أو أربعون سنة أتمنّى لقاءك. فقال لي التّرجمان عبد الجبّار: و ما سبب ذلك؟ فقلت: أمران، الأول أنك سلطان العالم، و ملك الدّنيا، و ما أعتقد أنّه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذا العهد ملك مثلك، و لست ممن يقول في الأمور بالجزاف، فإني من أهل العلم، و أبّين ذلك فأقول: إن الملك إنما يكون بالعصبية، و على كثرتها يكون قدر الملك، و اتفق أهل العلم من قبل و من بعد، أن أكثر أمم البشر فرقتان: العرب و التّرك، و أنتم تعلمون ملك العرب كيف كان لمّا اجتمعوا في دينهم على نبيّهم، و أما الترك ففي مزاحمتهم لملوك الفرس و انتزاع ملكهم أفراسياب خراسان من أيديهم شاهد بنصابهم من الملك. و لا يساويهم في عصبيتهم أحد من ملوك الأرض من كسرى، أو قيصر، أو الإسكندر، أو بختنصّر، أما كسرى فكبير الفرس و مليكهم، و أين الفرس من الترك؟ و أما قيصر و الإسكندر فملوك الروم، و أين الروم من الترك؟ و أما بختنصّر فكبير أهل بابل، و النّبط. و أين هؤلاء من التّرك، و هذا برهان ظاهر على ما ادّعيته في هذا الملك.

و أما الأمر الثّاني مما يحملني على تمنّي لقائه، فهو ما كنت أسمعه من أهل الحدثان بالمغرب، و الأولياء، و ذكرت ما قصصته من ذلك قبل. فقال لي: و أراك قد ذكرت بختنصّر مع كسرى، و قيصر، و الإسكندر، و لم يكن في عدادهم، لأنهم ملوك أكابر. و بختنصّر قائد من قواد الفرس، كما أنا نائب من نواب صاحب التّخت، و هو هذا، و أشار إلى الصّفّ القائمين وراءه، و كان واقفا معهم، و هو ربيبه الذي تقدّم لنا أنّه تزوّج أمّه بعد أبيه ساطلمش فلم يلفه هناك، و ذكر له القائمون في ذلك الصفّ أنه خرج عنهم.

فرجع إليّ فقال: و من أيّ الطوائف هو بختنصّر؟ فقلت: بين الناس فيه خلاف، فقيل من النّبط بقيّة ملوك بابل، و قيل من الفرس الأولى، فقال: يعني من ولد منوشهر. (1838) قلت نعم هكذا ذكروا، فقال: و منوشهر له علينا ولادة من قبل

(1838) منوجهر بالجيم المتوسطة بينها و بين الشين اسم ملك من الفرس الأول، و معناه فضيّ الطلعة، و ذلك لبهائه؛ فان مينو بالفارسية: الفضة، فاقتصروا على حذف الياء و قالوا منو. و جهر: الطلعة.

(عن هامش أصل أيا صوفيا).

الأمّهات. ثم أفضت مع الترجمان في تعظيم هذا القول منه، و قلت له: و هذا ممّا يجعلني على تمنّي لقائه.

فقال الملك: و أيّ القولين أرجح عندك فيه؟ فقلت أنّه من بقيّة ملوك بابل، فذهب هو إلى ترجيح القول الآخر. فقلت: يعكّر علينا رأي الطبري، فإنه مؤرخ الأمة و محدثهم، و لا يرجحه غيره، فقال: و ما علينا من الطبري؟ نحضر كتب التاريخ للعرب و العجم، و نناظرك. فقلت: و أنا أيضا أناظر على رأي الطّبري، و انتهى بنا القول، فسكت، و جاءه الخبر بفتح باب المدينة، و خروج القضاة وفاء بما زعموا من الطاعة التي بذل لهم فيها الأمان، فرفع من بين أيدينا، لما في ركبته من الداء، و حمل على فرسه فقبض شكائمه، و استوى في مركبه. و ضربت الآلات حفافيه حتى ارتجّ لها الجوّ. و سار نحو دمشق، و نزل في تربة منجك عند باب الجابية، فجلس هناك، و دخل إليه القضاة و أعيان البلد، و دخلت في جملتهم، فأشار إليهم بالانصراف، و إلى شاه ملك نائبه أن يخلع عليهم في وظائفهم، و أشار إليّ بالجلوس، فجلست بين يديه؛ ثم استدعى أمراء دولته القائمين على أمر البناء، فأحضروا عرفاء البنيان المهندسين، و تناظروا في إذهاب الماء الدائر بحفير القلعة، لعلّهم يعثرون بالصّناعة على منفذه، فتناظروا في مجلسه طويلا، ثم انصرفوا، و انصرفت إلى بيتي داخل المدينة بعد أن استأذنته في ذلك، فأذن فيه، و أقمت في كسر البيت، و اشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب، فكتبته في أيام قليلة، و رفعته إليه فأخذه من يدي، و أمر موقّعه بترجمته إلى اللسان المغلي. ثم اشتدّ في حصار القلعة، و نصب عليها الآلات من المجانيق، و النّفوط، و العرّادات، و النقب، فنصبوا لأيام قليلة ستّين منجنيقا إلى ما يشاكلها من الآلات الأخرى، و ضاق الحصار بأهل القلعة، و تهدّم بناؤها من كل جهة، فطلبوا الأمان.

و كان بها جماعة من خدّام السّلطان و مخلّفه، فأمّنهم السّلطان تمر، و حضروا عنده، و خرب القلعة و طمس معالمها، و صادر أهل البلد على قناطر من الأموال استولى عليها عد أن أخذ جميع ما خلّفه صاحب مصر هنالك، من الأموال، و الظّهر، و الخيام، ثم أطلق أيدي النّهّابة على بيوت أهل المدينة، فاستوعبوا أناسيها، و أمتعتها، و أضرموا النّار فيما بقي من سقط الأقمشة و الخرثيّ، فاتصلت النار بحيطان

الدّور المدعمة بالخشب، فلم تزل تتوقّد إلى أن اتصلت بالجامع الأعظم، و ارتفعت إلى سقفه، فسال رصاصه، و تهدّمت سقفه و حوائطه، و كان أمرا بلغ مبالغه في الشّناعة و القبح؛ و تصاريف الأمور بيد اللّه يفعل في خلقه ما يريد، و يحكم في ملكه ما يشاء.

و كان أيام مقامي عند السّلطان تمر، خرج إليه من القلعة يوم أمّن أهلها رجل من أعقاب الخلفاء بمصر، من ذرية الحاكم العبّاسي (1839) الذي نصبه الظاهر بيبرس، فوقف إلى السّلطان تمر يسأله النّصفة في أمره، و يطلب منه منصب الخلافة كما كان لسلفه، فقال له السّلطان تمر: أنا أحضر لك الفقهاء و القضاة، فإن حكموا لك بشيء أنصفتك فيه. و استدعى الفقهاء و القضاة، و استدعاني فيهم، فحضرنا عنده و حضر هذا الرجل الذي يسأل منصب الخلافة، فقال له عبد الجبّار: هذا مجلس النصفة فتكلّم. فقال: إن هذه الخلافة لنا و لسلفنا، و إن الحديث (1840) صحّ بأن الأمر لبني العبّاس ما بقيت الدّنيا، يعني أمر الخلافة. و إني أحقّ من صاحب المنصب الآن بمصر، لأن آبائي الذين ورثتهم كانوا قد استحقّوه، و صار إلى هذا بغير مستند، فاستدعى عبد الجبّار كلا منّا في أمره، فسكتنا برهة، ثم قال: ما تقولون في هذا الحديث، فقال برهان الدّين بن مفلح: الحديث ليس بصحيح. و استدعى ما عندي في ذلك فقلت: الأمر كما قلتم من أنّه غير صحيح، فقال السّلطان تمر: فما الذي أصار الخلافة لبني العبّاس إلى هذا العهد في الإسلام؟ و شافهني بالقول، فقلت:

أيّدك اللّه! اختلف المسلمون من لدن وفاة النبي (صلى الله عليه و سلم)، هل يجب على المسلمين ولاية رجل منهم يقوم بأمورهم في دينهم و دنياهم، أم لا يجب ذلك؟

فذهبت طائفة إلى أنه لا يجب، و منهم الخوارج، و ذهب الجماعة إلى وجوبه، و اختلفوا في مستند ذلك الوجوب، فذهب الشيعة كلّهم إلى حديث الوصية، و أن النبي (صلى الله عليه و سلم) أوصى بذلك لعليّ، و اختلفوا في تنقّلها عنه إلى عقبه

(1839) هو أبو العبّاس أحمد بن أبي علي الحسن القسّي المتوفى سنة 701 و انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 192- 194.

(1840) في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 100، 101 بعض الآثار التي تمسك بها العبّاسيون في خلافتهم.

إلى مذاهب كثيرة تشذّ عن الحصر. و أجمع أهل السّنّة على إنكار هذه الوصية، و أن مستند الوجوب في ذلك إنما هو الاجتهاد، يعنون أن المسلمين يجتهدون في اختيار رجل من أهل الحق و الفقه و العدل، يفوّضون إليه النظر في أمورهم.

و لما تعدّدت فرق العلوية و انتقلت الوصية بزعمهم من بني الحنفيّة إلى بني العبّاس، أوصى بها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله ابن عبّاس، و بثّ دعاته بخراسان. و قام أبو مسلم (1841) بهذه الدعوة، فملك، خراسان و العراق، و نزل شيعتهم الكوفة، و اختاروا للأمر أبا العباس السفّاح (1842) بن صاحب هذه الدّعوة، ثم أرادوا أن تكون بيعته على إجماع من أهل السنّة و الشيعة، فكاتبوا كبار الأمة يومئذ، و أهل الحل و العقد، بالحجاز، و العراق، يشاورونهم في أمره، فوقع اختيارهم كلّهم على الرضى به، فبايع له شيعته بالكوفة بيعة إجماع و إصفاق، ثم عهد بها إلى أخيه المنصور، (1843) و عهد بها المنصور إلى بنيه؛ فلم تزل متناقلة فيهم، إما بعهد أو باختيار أهل العصر، إلى أن كان المستعصم آخرهم ببغداد.

فلمّا استولى عليها هولاكو و قتله، افترق قرابته، و لحق بعضهم بمصر، و هو أحمد الحاكم من عقب الرّاشد، فنصبه الظّاهر بيبرس بمصر، بممالأة أهل الحلّ و العقد من الجند، و الفقهاء، و انتقل الأمر في بيته إلى هذا الذي بمصر، لا يعلم خلاف ذلك.

فقال لهذا الرّافع: قد سمعت مقال القضاة، و أهل الفتيا، و ظهر أنه ليس لك حقّ تطلبه عندي. فانصرف راشدا.

(1841) أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني. له ترجمة واسعة في وفيات ابن خلكان 1/ 352- 356.

(1842) أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس (104- 136) و انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 99 و ما بعدها.

(1843) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (95- 158). تاريخ الخلفاء 101- 106.

الرجوع عن هذا الأمير تمر إلى مصر

كنت لما لقيته، و تدلّيت إليه من السور كما مرّ، أشار عليّ بعض الصّحاب ممن يخبر أحوالهم بما تقدمت له من المعرفة بهم، فأشار بأن أطرفه ببعض هدية، و إن كانت نزرة فهي عندهم متأكدة في لقاء ملوكهم، فانتقيت من سوق الكتب مصحفا رائعا حسنا في جزء محذو، و سجّادة أنيقة، و نسخة من قصيدة البردة المشهورة للأبوصيري [1844] في مدح النبيّ (صلى الله عليه و سلم)، و أربع علب من حلاوة مصر الفاخرة. و جئت بذلك فدخلت عليه، و هو بالقصر الأبلق جالس في إيوانه، فلمّا رآني مقبلا مثل قائما و أشار إلي عن يمينه، فجلست و أكابر من الجقطية حفافية، فجلست قليلا، ثم استدرت بين يديه، و أشرت إلى الهدية التي ذكرتها، و هي بيد خدّامي، فوضعتها، و استقبلني، ففتحت المصحف فلما رآه و عرفه، قام مبادرا فوضعه على رأسه. ثم ناولته البردة، فسألني عنها و عن ناظمها، فأخبرته بما وقفت عليه من أمرها. ثم ناولته السّجادة، فتناولها و قبلها. ثم وضعت علب الحلوى بين يديه، و تناولت منها حرفا على العادة في التأنيس بذلك. ثم قسم هو ما فيها من الحلوى بين الحاضرين في مجلسه، و تقبّل ذلك كلّه، و أشعر بالرّضى به. ثم حومت على الكلام بما عندي في شأن نفسي، و شأن أصحاب لي هنالك. فقلت أيدك الله! لي كلام أذكره بين يديك، فقال: قل. فقلت أنا غريب بهذه البلاد غربتين، واحدة من المغرب الذي هو وطني و منشئي و أخرى من مصر و أهل جيلي بها، و قد حصلت في ظلك، و أنا أرجو رأيك لي فيما يؤنسني في غربتي، فقال: قل الذي تريد أفعله لك، فقلت: حال الغربة أنستني ما أريد، و عساك- أيدّك الله- أن تعرف لي ما أريد.

فقال: انتقل من المدينة إلى الأردو [1845] عندي، و أنا إن شاء الله أوفى كنه قصدك.

فقلت يأمر لي بذلك نائبك شاه ملك، فأشار إليه بإمضاء ذلك، فشكرت و دعوت

(1844) هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد الدلاصي البوصيري الصنهاجي

(608- 694) على خلاف في تاريخ الوفاة. له ترجمة في فوات الوفيات 2/ 205-209، حسن المحاضرة 1/ 360.
(1845) الأردو: المعسكر (تركية).

و قلت: و بقيت لي أخرى، فقال: و ما هي؟ فقلت: هؤلاء المخلّفون عن سلطان مصر.

من القرّاء و الموقّعين، و الدواوين، [1846] و العمال، صاروا إلى إيالتك و الملك لا يغفل مثل هؤلاء فسلطانكم كبير، و عمالاتكم متّسعة، و حاجة ملككم إلى المتصرفين في صنوف الخدم أشدّ من حاجة غيركم، فقال و ما تريد لهم؟ قلت: مكتوب أمان يستنيمون إليه، و يعوّلون في أحوالهم عليه. فقال لكاتبه: أكتب لهم بذلك، [1847] فشكرت و دعوت. و خرجت مع الكاتب حتى كتب لي مكتوب الأمان، و ختمه شاه ملك بخاتم السّلطان، و انصرفت إلى منزلي. و لما قرب سفره و اعتزم علم الرحيل عن الشام، دخلت عليه ذات يوم، فلما قضينا المعتاد، التفت إليّ و قال: عندك بغلة هنا؟

قلت نعم، قال حسنة؟ قلت نعم، قال و تبيعها؟ فأنا اشتريها منك، فقلت: أيدك الله! مثلي لا يبيع من مثلك، إنّما أنا أخدمك بها، و بأمثالها لو كانت لي، فقال: أنا أردت أن أكافئك عنها بالإحسان، فقلت: و هل بقي إحسان وراء ما أحسنت به، اصطنعتني، و أحللتني من مجلسك محلّ خواصّك، و قابلتني من الكرامة و الخير بما أرجو الله أن يقابلك بمثله، و سكت و سكتّ و حملت البغلة- و أنا معه في المجلس- إليه، و لم أرها بعد.

ثم دخلت عليه يوما آخر فقال لي: أتسافر إلى مصر؟ فقلت أيّدك الله، رغبتي إنما هي أنت، و أنت قد آويت و كفلت، فإن كان السّفر إلى مصر في خدمتك فنعم، و إلا

(1846) كذا في الأصلين. و لعل الصواب: «بالدواوين»، أو «و أصحاب الدواوين».
(1847) ذكر هذه الشفاعة المقريزي في السلوك ورقة 239 ب في حوادث سنة 803 (نسخة الفاتح).

فلا بغية لي فيه، فقال لا، بل تسافر إلى عيالك و أهلك، (1848) فالتفت إلى ابنه، و كان مسافرا إلى شقحب لمرباع دوابّه، و اشتغل بحادثه، فقال لي الفقيه عبد الجبّار الذي كان يترجم بيننا: إن السّلطان يوصي ابنه بك، فدعوت له، ثم رأيت أن السّفر مع ابنه غير مستبين الوجهة، و السفر إلى صفد أقرب السواحل إلينا أملك لأمري، فقلت له ذلك، فأجاب إليه، و أوصى بي قاصدا كان عنده من حاجب صفد ابن الدّويداري، (1849) فوادعته و انصرفت، و اختلفت الطريق مع ذلك القاصد، فذهب عنّي، و ذهبت عنه. و سافرت في جمع من أصحابي، فاعترضتنا جماعة من العشير قطعوا علينا الطّريق، و نهبوا ما معنا، و نجونا إلى قرية هنالك عرايا. و اتّصلنا بعد يومين أو ثلاث بالصّبيبة فخلفنا بعض الملبوس، و أجزنا إلى صفد، فأقمنا بها أياما. ثم مرّ

(1848) من تاريخ ابن قاضي شهبة لوحة 181 سنة 803: «... و في مستهل شعبان، وصل إلى القاهرة ولي الدين ابن خلدون المالكي، و القاضي صدر الدين ابن العجمي كاتب الدست، و القاضي سعد الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي أيضا، و كانوا من جملة المنقطعين بالشام، و كان القاضي ابن خلدون قد خرج مع القضاة من دمشق إلى تمر لنك، و لما عرفه عظّمه كثيرا، و سأله أن يكتب له مدن المغرب، و المفاوز بها (كذا)، و أسماء قبائل العرب بها (كذا)، فلما قرئت عليه بالأعجمي أعجبته و قال: صنّفت أخبار المغرب فقط؟ فقال: لا. أخبار الشرق، و الغرب، و أسماء الملوك؛ و قد كتبت ترجمتك، و أريد أقرؤها (كذا) عليك، فما كان منها صحيحا تركته، و ما كان غير صحيح أصلحته، فأذن له فقرأ نسبه فقال: من أين عرفته؟ فقال: سألت عنه التجار الثقاة الواردين، ثم قرأ فتوحاته و أحواله، و ابتداء أمره، و منام (كذا) رآه والده، فأعجبه ذلك كثيرا فقال: تهيأ حتى تذهب معي إلى بلادي، فقال له: في مصر من يحبني و أحبه، و لا بدّ لك من قصد مصر في هذه المرة أو في غيرها، و أنا أذهب و أهيئ أمري، و أذهب في خدمتك، فأذن له في الذهاب إلى مصر، و أن يستصحب معه من شاء. هكذا حكى لي ذلك القاضي شهاب الدين بن العز، و أنه كان حاضرا لبعض ذلك». و فيه كما ترى- مخالفة لما يقصّه ابن خلدون عن نفسه.

(1849) في عجائب المقدور ص 113: «... و كان في صفد تاجر من أهل البلاد أحد الرؤساء و التجار، يدعى علاء الدين، و ينسب إلى دوادار، كان تقدمت له خدمة على السّلطان، فولاه حجابة ذلك المكان.

بنا مركب من مراكب ابن عثمان سلطان بلاد الرّوم، وصل فيه رسول كان سفر إليه عن سلطان مصر، و رجع بجواب رسالته، فركبت معهم البحر إلى غزّة، و نزلت بها، و سافرت منها إلى مصر، فوصلتها في شعبان من هذه السّنة، و هي سنة ثلاث و ثمانمائة، و كان السّلطان صاحب مصر، قد بعث من بابه سفيرا إلى الأمير تمر إجابة إلى الصلح الذي طلب منه، فأعقبني إليه. فلما قضى رسالته رجع، و كان وصوله بعد وصولي، فبعث إليّ مع بعض أصحابه يقول لي: إن الأمير تمر قد بعث معي إليك ثمن البغلة التي ابتاع منك، و هي هذه فخذها، فإنّه عزم علينا من خلاص ذمّته من مالك هذا. فقلت لا أقبله إلا بعد إذن من السّلطان الذي بعثك إليه، و أما دون ذلك فلا، و مضيت إلى صاحب الدّولة فأخبرته الخبر فقال و ما عليك؟ فقلت إن ذلك لا يجمل بي أن أفعله دون اطلاعكم عليه، فأغضى عن ذلك، و بعثوا إليّ بذلك المبلغ بعد مدّة، و اعتذر الحامل عن نقصه بأنه أعطيه كذلك، و حمدت الله على الخلاص.

و كتبت حينئذ كتابا إلى صاحب المغرب، عرّفته بما دار بيني و بين سلطان الطّطر تمر، و كيف كانت واقعته معنا بالشّام، و ضمّنت ذلك في فصل من الكتاب نصّه:

زوإن تفضّلتم بالسؤال عن حال المملوك، فهي بخير و الحمد لله، و كنت في العام الفارط توجّهت صحبة الرّكاب السّلطاني إلى الشام عندما زحف الطّطر إليه من بلاد الروم، و العراق، مع ملكهم تمر، و استولى على حلب، و حماة، و حمص، و بعلبكّ، و خرّبها جميعا، و عاثت عساكره فيها بما لم يسمع أشنع منه. و نهض السّلطان في عساكره لاستنقاذها، و سبق إلى دمشق، و أقام في مقابلته نحوا من شهر، ثم قفل راجعا إلى مصر، و تخلّف الكثير من أمرائه و قضاته، و كنت في المخلّفين. و سمعت أن سلطانهم تمر سأل عنّي، فلم يسع إلّا لقاؤه، فخرجت إليه من دمشق، و حضرت مجلسه، و قابلني بخير، و اقتضيت منه الأمان لأهل دمشق، و أقمت عنده خمسا و ثلاثين يوما، أباكره و أراوحه. ثمّ صرفني، و ودّعني على أحسن حال، و رجعت إلى مصر. و كان طلب منّي بغلة كنت أركبها فأعطيته إياها، و سألني البيع فتأفّفت منه، لما كان يعامل به من الجميل، فبعد انصرافي إلى مصر بعث إليّ بثمنها مع رسول كان من جهة السّلطان هنالك، و حمدت الله تعالى على الخلاص من ورطات الدنيا.

و هؤلاء الطّطر هم الذين خرجوا من المفازة وراء النّهر، بينه و بين الصين، أعوام (1850) عشرين و ستمائة مع ملكهم الشهير جنكيز خان و ملك المشرق كلّه من أيدي السّلجوقية و مواليهم إلى عراق العرب، و قسم الملك بين ثلاثة من بنيه و هم جقطاي، و طولي، و دوشي خان:

فجقطاي كبيرهم، و كان في قسمته تركستان و كاشغر، و الصّاغون، و الشّاش و فرغانة، و سائر ما وراء النّهر من البلاد.

و طولى كان في قسمته أعمال خراسان، و عراق العجم، و الرّيّ إلى عراق العرب، و بلاد فارس، و سجستان، و السند، و كان أبناؤه: قبلاي، و هولاكو.

و دوشي خان كان في قسمته بلاد قبجق، و منها صراي، و بلاد التّرك إلى خوارزم.

و كان لهم أخ رابع يسمى أوكداي كبيرهم، و يسمّونه الخان، و معناه صاحب التّخت، و هو بمثابة الخليفة في ملك الإسلام؛ و انقرض عقبه، و انتقلت الخانية إلى قبلاي، ثم إلى بني دوشي خان، أصحاب صراي. و استمرّ ملك الطّطر في هذه الدّول الثلاث، و ملك هولاكو بغداد، و عراق العرب، إلى ديار بكر و نهر الفرات. ثم زحف إلى الشام و ملكها، و رجع عنها، و زحف إليها بنوه مرارا، و ملوك مصر من الترك يدافعونهم عنها، إلى أن انقرض ملك بني هولاكو أعوام أربعين و سبعمائة، و ملك بعدهم الشيخ حسن النّوين و بنوه. و افترق ملكهم في طوائف من أهل دولتهم، و ارتفعت نقمتهم عن ملوك الشام و مصر. ثم في أعوام السّبعين أو الثمانين و سبعمائة، ظهر في بني جقطاي وراء النّهر أمير اسمه تيمور، و شهرته عند الناس تمر، و هو كافل لصبّي متّصل النّسب معه إلى جقطاي في آباء كلّهم ملوك، و هذا تمر بن طرغاي هو ابن عمّهم، كفل صاحب التخت منهم اسمه محمود، و تزوّج أمّه صرغتمش، و مدّ يده إلى ممالك التتر كلّها، فاستولى عليها إلى ديار بكر، ثم جال في بلاد الروم و الهند، و عاثت عساكره في نواحيها، و خرّب حصونها و مدنها، في أخبار يطول شرحها. ثم زحف بعد ذلك إلى الشام، ففعل به ما فعل، و الله غالب على أمره. ثم رجع آخرا إلى بلاده، و الأخبا تتصل بأنّه قصد سمرقند، و هي كرسيه.

(1850) كذا بالأصلين، و هو تعبير مألوف في أسلوب ابن خلدون.

و القوم في عدد لا يسعه الإحصاء، إن قدرت ألف ألف فغير كثير، و لا تقول أنقص، و إن خيّموا في الأرض ملأوا السّاح، و إن سارت كتائبهم في الأرض العريضة ضاق بهم الفضاء، و هم في الغارة و النهب و الفتك بأهل العمران، و ابتلائهم بأنواع العذاب، على ما يحصلونه من فئاتهم آية عجب، و على عادة بوادي الأعراب.

و هذا الملك تمر من زعماء الملوك و فراعنتهم، و النّاس ينسبونه إلى العلم، و آخرون إلى اعتقاد الرفض، لما يرون من تفضيله لأهل البيت، و آخرون إلى انتحال السّحر، و ليس من ذلك كلّه في شيء، إنّما هو شديد الفطنة و الذّكاء، كثير البحث و اللّجاج بما يعلم و بما لا يعلم، [1851] عمره بين الستّين و السبعين، و ركبته اليمنى عاطلة من سهم أصابه في الغارة أيام صباه على ما أخبرني، فيجرّها في قريب المشي، و يتناوله الرجال على الأيدي عند طول المسافة، و هو مصنوع له، و الملك للّه يؤتيه من يشاء من عباده.

ولاية القضاء الثالثة و الرابعة و الخامسة بمصر

كنت- لمّا أقمت عند السّلطان تمر تلك الأيام التي أقمت- طال مغيبي عن مصر، و شيّعت الأخبار عنّي بالهلاك، فقدّم للوظيفة من يقوم بها من فضلاء المالكية، و هو جمال الدين الأقفهسي [1852]، غزير الحفظ و الذّكاء، عفيف النّفس عن التّصدّي لحاجات النّاس، ورع في دينه، فقلّدوه منتصف جمادى الآخرة من السنة.

فلمّا رجعت إلى مصر، عدلوا عن ذلك الرأي، و بدا لهم في أمري، فولّوني في أواخر شعبان من السنة، و استمررت على الحال التي كنت عليها من القيام بالحقّ، و الإعراض عن الأغراض، و الإنصاف من المطالب، و وقع الإنكار عليّ ممّن لا يدين

(1851) في المنهل الصافي 1/ 423، 427 (نسخة دار الكتب)، بعض الأمثلة لحب تيمور في الجدل و اللجاج.

(1852) هو عبد الله بن مقداد بن إسمعيل بن عبد الله الأفقهسي، جمال الدين المالكي المتوفى سنة 823. له ترجمة في «رفع الأصر» 136 أ (نسخة دار الكتب).

للحق، و لا يعطي النّصفة من نفسه، فسعوا عند السّلطان في ولاية شخص من المالكية يعرف بجمال الدين البساطي [1853]، بذل في ذلك لسعاة داخلوه، قطعة من ماله، و وجوها من الأغراض في قضائه. قاتل الله جميعهم، فخلعوا عليه أواخر رجب، سنة أربع و ثمانمائة. ثم راجع السّلطان بصيرته، انتقد رأيه، و رجع إليّ الوظيفة خاتم سنة أربع، فأجريت الحال على ما كان. و بقي الأمر كذلك سنة و بعض الأخرى. و أعادوا البساطي إلى ما كان، و بما كان، و على ما كان، و خلعوا عليه سادس ربيع الأول سنة ست [1854]، ثم أعادوني عاشر شعبان سنة سبع [1855]، ثم أدالوا به منّي أواخر ذي القعدة [1856] من السنة و بيد الله تصاريف الأمور.

(تم الكتاب و الحمد لله)

(1853) يوسف بن خالد بن نعيم بن نعيم بن محمد بن حسن بن علي بن محمد بن علي، جمال الدين. له ترجمة في «رفع الإصر» 278 أ (نسخة دار الكتب).

(1854) انظر «عقد الجمان» للعيني، في حوادث سنة 806 لوحة 198.

(1855) في صبح الأعشى 11/ 189 نص «التقليد» الذي تولى به البساطي القضاء بعد ابن خلدون، و هو مما يحسن الاطلاع عليه. و انظر «عقد الجمان» للعيني لوحة 215.

(1856) الذي في «عقد الجمان» للعيني لوحة 216 في حوادث سنة 807، أن الذي خلف ابن خلدون هو جمال الدين الأقفهسي. و لعل ابن خلدون أعرف بمن ولي بدله.

ملحق ابن خلدون و الجغرافيا في المغرب في القرنين 15 و 16 أغناطيوس كراتشكوفسكي

لعلّ من المناسب، و نحن ننتقل من القرن الرابع عشر إلى القرن الخامس في تحليلنا للأدب الجغرافي العربي، أن نقف قليلا لنلقي نظرة على الآراء الجغرافية لدى ابن خلدون، ليس ذلك فقط لأن ابن خلدون قد ولد في عام 732 ه 1332 و أكمل مصنّفه الأساسي في الربع الأخير من القرن الرابع عشر حوالي عام 780 ه 1378 و ظلّ يضيف إليه إلى وفاته في عام 808 ه- 1406 و بهذا يقف على الحدّ الفاصل بين قرنين؛ أقول ليس لهذه الأسباب فحسب، بل لأنّ «مقدمة» كتابه في التاريخ تستهدف وضع علم جديد في الحضارة البشرية، و تعرض لنا خلاصة لجميع معارف العصور السالفة في مختلف الميادين؛ و هي تعطي فكرة جلية عن المستوى الذي بلغه العلم في العالم الإسلامي في بداية القرن الخامس عشر، و ذلك على يد واحد من أبرز علماء الإسلام، زد على هذا أنّ ابن خلدون إنّما يمثّل من ناحية أصله و سيرة حياته مزيجا طريفا لحضارة ذلك العصر [1].

فأبو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ينتمي إلى فرع من كنده كان يقيم قبل الإسلام بحضرموت، و قد دخل أجداده الأندلس مع الفتح و استقرّوا بقرمونه و إشبيلية، و ظهر من بينهم على مرّ القرون عدد من رجال الإدارة و الفقهاء؛ و في الأندلس اتّخذ أول أجداده الاسم المغربي ابن خلدون. و بسقوط إشبيلية في عام 1248 انتقل بنو خلدون إلى شمال إفريقيا و استقرّوا نهائيا بتونس، و بها توفي في عام 749 ه 1348 والده، الذي كان بدوره فقيها و إداريا، و ذلك بالطاعون الذي اجتاح

---

(1) عما ظهر عن ابن خلدون من دراسات و أبحاث راجع كتاب عبد الرحمن بدوي «مؤلفات ابن خلدون» القاهرة 1962؛ و راجع أيضا «أعمال مهرجان ابن خلدون». القاهرة 1962. (المترجم).

العالم آنذاك، و الذي شهده ابن بطوطة في موضع آخر. ولد ابن خلدون بتونس في عام 732 ه 1332 و بدأ و هو في سنّ مبكّرة حياته المستقلّة التي أحاط بها الكثير من القلق و الاضطراب. و على الرغم من ميله الشديد إلى الدراسة فإنّ هذا لم يحل بينه و بين التقلّب في المناصب الحكومية طوال حياته تقريبا، فشغل عددا من الوظائف الإدارية و الكتابية قرّبته إلى حياة البلاط، و الدسائس السياسية التي شارك فيها أحيانا بنصيب وافر. و قد عاش ابن خلدون في جميع الإمارات التي تقاسمت المغرب آنذاك، فإلى جانب تونس أقام بفاس متمتّعا بعطف السلطان أبي عنان من بني مرين، و هو نفس ذلك السلطان الذي عاش في كنفه ابن بطّوطة، و قد مرّت بنا قبل قليل إشارة ابن خلدون إلى هذا الأخير. و كان من بين أصدقاء ابن خلدون حين إقامته بغرناطة الوزير المشهور و الأديب الكبير ابن الخطيب، الذي أصبح فيما بعد عدوّا لدودا له؛ و في عام 765 ه اختاره أمير غرناطة ليكون سفيره إلى ملك قشتالة. و لم يقدّر لابن خلدون أن يستقرّ طويلا في موضع ما، فعند رجوعه إلى إفريقيا أخذ يتنقّل بين عدد من المدن مثل: بجاية، و بسكره، و تلمسان، و فاس، ثم رجع إلى الأندلس. و قد استطاع مرّة أن يخلو إلى نفسه بضعة أعوام، و ذلك ابتداء من عام 776 ه 1375 في بقعة شبة بدوية هي قلعة ابن سلامة من أعمال و هران، انقطع فيها للقراءة و التأليف، عاملا دون كلل في تحضير مقدّمة تاريخه. و في خلال زيارة له إلى تونس بهدف جمع المادّة العلمية لتاريخه تبيّن له أنّ الإقامة بالمغرب لم تعد في مصلحته بسبب الاضطرابات السياسيّة، فقرّر مغادرة تونس إلى المشرق متعلّلا بالحجّ، و خرج من المغرب إلى غير رجعه في عام 784 ه 1382. و بعد أن أقام بعض الوقت بالإسكندرية غادرها إلى القاهرة التي كانت تعدّ بحق مركز الثقافة الإسلامية في ذلك العصر؛ و هنا تمتّع ابن خلدون برعاية السلطان المملوكي برقوق، و شغل في عهده و عهد ابنه السلطان فرج منصب قاضي قضاة المالكية لمرّات عديدة ابتداء من عام 786 ه 1384؛ و أدّى فريضة الحجّ لأوّل مرّة في عام 789 ه- 1387.

و قد لاحقته الدسائس في مصر، فأعفي من منصبه القضائي ستّ مرّات، و أمضى بضعة أعوام انقضت عام 797 ه- 1394 في عزلة بالفيّوم، كان من أسبابها الحزن العميق الذي أصابه بسبب نكبة أسرته في حادث غرق سفينة. و في بداية القرن

الخامس عشر عرفته الشام أيضا، فقد كان في معيّة السلطان فرج عام 803 ه 140 عند خروجه لصدّ التتار، و كان بدمشق حين حاصرها تيمور لنك؛ و قد أخذ ابن خلدون طرفا في الوفد الذي خرج للتفاوض في تسليم المدينة، و أغلب الظنّ أنّ قصّة مقابلته لتيمور و حديثه معه، تلك القصّة التي يرويها بين عدد من المؤرّخين ابن عربشاه أيضا، قد أخذت نصيبها من المبالغة و التزويق، و لو أن ذلك لا ينفي إمكان حدوثها. و قد أذن له تيمور في الرجوع إلى مصر في مارس من عام 803 ه 1402 م فأمضى الأعوام الأخيرة من حياته بالقاهرة، تارة يقال من منصبه كقاض و طورا يعاد إليه؛ و أمام هذه اللوحة المتعدّدة الألوان لسيرة حياته لم يكن غريبا أن تحمل بعض مخطوطات ترجمته لسيرة حياته(Autobiography) عنوان «رحلة ابن خلدون في الغرب و المشرق» [2]. و على الرغم من هذا فإنّ الكتاب في الحقيقة لا يمثّل مصنّفا جغرافيا من نمط الرحلة المعروف لنا جيدا، بل هو ترجمة لسيرة حياته بقلمه بكلّ ما يحمل هذا اللفظ من معنى؛ و فيها يعرض ابن خلدون لجميع تنقّلاته، و الحوادث التي مرّت به، دون أن يحاول إظهار شخصيّته في ضوء ملائم لها، مما يشهد له حقّا بالأمانة و شرف الضمير. و قد عرفت هذه السيرة من وقت طويل في أوروبا بفضل ترجمة دي سلينDe Slane ؛ و هي توجد في معظم الأحوال ملحقة بمصنّفه

التاريخي، و تساق في جميع المخطوطات تقريبا إلى عام 697 ه 1394، و هذا التاريخ يتّفق مع فترة انقطاعه بالفيّوم. غير أن طه حسين تمكّن من الرجوع إلى مخطوطة موجودة بالقاهرة تسوق العرض إلى عام 807 ه 1404 أي إلى العام السابق لعام وفاة ابن خلدون [3].

---

(2) تحمل الطبعة المصرية لهذا الكتاب (1951) عنوانا مغايرا هو «التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا». (المترجم).

(3) تناول ابن خلدون النسخة الأولى بالتعديل و التنقيح و الزيادة، و أضاف إليها تاريخ حياته إلى نهاية 708 ه، أي إلى ما قبل وفاته ببضعة أشهر. و قد حفظت لنا من هذه الرواية الأخيرة مخطوطتان قيمتان بمكتبات استنبول، و منهما تفرّعت نسخة دار الكتب المصرية التي يشير إليها المؤلف، و هي التي طبعت مؤخرا بالقاهرة كما أشرنا في الملاحظة السابقة لهذه. (المترجم).

من هذا يتضح لنا أنّ الآراء الجغرافية لابن خلدون يجب استجلاؤها لا اعتمادا على «الرحلة» بل من مؤلّفه التاريخي الضخم، الذي يحمل عنوانا تغلب عليه الصنعة، هو «كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر». و قد ظهر حول هذا الكتاب عدد كبير من الأبحاث لا تخصّ في الواقع مؤلّفه التاريخي نفسه بقدر ما تتعلّق بمقدّمته المشهورة التي تبلغ في واقع الأمر ثلث حجم الكتاب. و جميع هذه أبحاث تتّفق في جوهرها على أن ابن خلدون لا يرتفع في القسم التاريخي من مصنّفه إلى مستوى تلك النظريات التي يعرض لها في المقدّمة. أما الأقسام المختلفة لتاريخه فليست متساوية بالطبع من حيث القيمة، فقد لاحظ أماري مثلا، و ذلك في كلامه عن صقلية، أنّ ابن خلدون يكتفي بنقل المادّة التاريخية دون أن يمحّصها، شأنه في هذا شأن المؤرخين الآخرين، و لكنّه يقدّم لنا في مقابل هذا مادة و فيرة في تاريخ البربر لم تكن معروفة قبله؛ كما أن الفصل الذي أفرده لتاريخ الدويلات النصرانية في إسبانيا يشرّف الأدب العربي بأجمعه كما قال دوزيDozy . و إذا كان من المستحيل كما رأينا اتخاذ موقف سلبي تام من مصنّفه التاريخي فإنّ مقدّمة كتابه تمثّل في مجموعها أثرا لا مثيل له لا بالنسبة لعصره فحسب؛ بل و بالنسبة للأدب العربي بأجمعه. و فيها يفسّر ابن خلدون التاريخ لا على ضوء تطور النظم السياسية كما فعل اليونان، بل على ضوء تطور الأوضاع الاقتصادية للمجتمع البشري في صوره البدوية، و الحضرية، و المدنية. و لا يخلو من الطرافة، من وجهة النظر الجغرافية، أن نلاحظ أنّه يوزّع مادّته التاريخية لا على أساس الترتيب الزمني الذي سار عليه المؤرّخون، بل على أساس الدول الحاكمة في كلّ قطر مراعيا في ذلك الترتيب الجغرافي.

أمّا فيما يتعلّق بالجغرافيا خاصّة فإنّ «المقدّمة» مخيبة للأمل شيئا ما، ففيها نبصر ذلك الانفصام المعهود في الأدب العربي بين المادة الجغرافية الواقعية من ناحية و الاستنتاجات

النظرية المبنية عليها من ناحية أخرى؛ و حتى في هذا المجال الأخير فإنّ ابن خلدون يبدو ناقلا متبعا بصورة لم تكن متوقّعة من شخص في مثل ذكائه. و لعلّه ممّا يسترعي النظر حقّا أنّ الفصل السادس من المقدّمة المكرّس للعلوم و تصنيفها، و الذي

يشغل بالتقريب ثلث المقدّمة، لا يرد فيه أي ذكر للجغرافيا، بل و أكثر من ذلك لا يرد فيه أي ذكر للتاريخ، أو لذلك العلم «الجديد» في «العمران» الذي وضع ابن خلدون مقدّمته قصدا لتفصيل القول فيه. و ابن خلدون في تصنيفه للعلوم يفتقر إلى الأصالة، فهو تارة يسير على النمط اليوناني في صورته العربية، و طورا يتبع تصنيف «إخوان الصفاء». و هو يقسم العلوم إلى مجموعتين كبيرتين هما «العلوم النقلية الوضعية» و «العلوم الحكمية الفلسفية»؛ فالمجموعة الثانية تشارك فيها جميع الشعوب، و هي تراث البشرية بأجمعها، أمّا الأولى فهي خاصّة بالمسلمين وحدهم و أداتها هي اللغة العربية، و هو يقصد بها أساسا ما يمكن أن يطلق عليه اسم العلوم الشرعية. و يتّفق تقسيمه بوجه عام مع التصنيف الثلاثيTrivium و «الرباعي»quadrivium للعلوم السائد في العصور الوسطى، و ينطبق في واقع الأمر على نفس ذلك التصنيف الذي نجده في معجم المصطلحات المشهور «مفاتيح العلوم».

و بما أن ابن خلدون يختتم قسم الرياضيات بالكلام على الفلك («الهيئة») فهو يضمّ إلى هذا الأخير «علم الأزياج» الذي يتضمن المعلومات في الجغرافيا الرياضية؛ و على هذا فلا يوجد مجال للكلام على الجغرافيا الطبيعية و الوصفية في تصنيف ابن خلدون. و على الرغم من ذلك فلم يكن في مقدور ابن خلدون أن يعارض الواقع، و من ثم فقد اضطر إلى أن يفرد قسما في مقدّمته ليعرض فيه المذهب التقليدي عند الجغرافيين العرب.

و هذا القسم بدوره مثار لخيبة أمل لا تقلّ عن سابقتها لأنّ مادّته لا تخرج عن نطاق المعلومات المعروفة لنا جيدا، و هو يمثّل «المقدّمة الثانية» من «الفصل الأوّل» من «الكتاب الأوّل» من مصنّفه في التاريخ [4]. و لهذه «المقدّمة الثانية» في الجغرافيا «تكملة» (18) يليها «تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا». و الفصل الأوّل من مقدّمة ابن خلدون مكرّس برمّته لمسائل «العمران» عامّة؛ و تبحث «المقدّمة الأولى «من هذا

---

(4) مما لا شك فيه أن ابن خلدون لم يطلق اسم «المقدمة» على الكتاب المعروف لدينا تحت هذا الاسم، و لم يعتبره مطلقا كتابا مستقلا، بل اعتبره دائما «الكتاب الأول» من مصنفه التاريخي «العبر».
(المترجم).

الفصل» في أنّ الاجتماعي الإنساني ضروري، ثم تليها «المقدّمة الثانية» في الجغرافيا بعنوان «في قسط العمران من الأرض و الإشارة إلى بعض ما فيه من البحار و الأنهار و الأقاليم». و يبدأ ابن خلدون كلامه عن الجغرافيا بالوصف المعتاد لشكل الأرض، و هو يعتبرها كرة، يمثّل اليابس نصف سطحها فقط، و يمثّل المعمور مقدار الربع من هذا اليابس، و ينقسم بدوره إلى سبعة أقاليم؛ و كلّ واحد من هذه الأقاليم ينقسم بدوره أيضا إلى عشرة أجزاء. و يبدو من كلامه أنّ مصدريه الأساسيين هما:

بطلميوس و الإدريسي، و هو يشير بصراحة إلى ذلك، ففي سرده للبحار و الأنهار الذي سبق لنا معرفته جيدا يقول ابن خلدون ما نصّه: «و قد ذكر ذلك كلّه بطلميوس في كتابه و الشريف في كتابه رجار و صوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال و البحار و الأودية و استوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به لطوله و لأن عنايتنا في الأكثر إنما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر و بالأوطان التي للعرب من المشرق [(5)].

ويلي «المقدّمة الثانية» تكمله لهذه المقدّمة الثانية «بعنوان» في أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عمرانا من الربع الجنوبي و ذكر السبب في ذلك. و في هذه التكملة يعرض ابن خلدون للنظرية التي انتشرت في الأدب الجغرافي العربي، و مؤدّاها خلو البلدان الواقعة إلى الجنوب من خط الاستواء من السكان لإفراط الحرّ، فيقف منها موقف المتشكّك محاولا أن يوفق بين تفكيره المتّسم بالواقعية و النظريات المتوارثة عن العلم اليوناني، فيقول: «و من هنا أخذ الحكماء خلاء خط الاستواء و ما وراءه. و أردّ عليهم أنه معمور بالمشاهدة و الأخبار المتواترة، فكيف يتم البرهان على ذلك؟ و الظاهر أنّهم لم يريدوا امتناع العمران فيه بالكلية إنّما أدّاهم البرهان إلى أن فساد التكوين فيه

---

(5) لم يلبث ابن خلدون أن عدل عن ذلك و أكمل هذه النبذة بتفصيلات كثيرة تحت عنوان «تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا» و كان من الواجب عليه حذف هذه الألفاظ، و لكن يلوح أنه غفل عن ذلك فظلّت مثبتة في جميع النسخ الخطية. و من الملاحظ أن ابن خلدون قد تناول المسودة الأولى لمصنفه بالتنقيح و الإضافة، وفاته أحيانا أن يحذف أو يعدّل ما يتعارض مع هذه الإضافات في المسودة الأولى فجاءت المسودات مشتملة في بعض المواطن على الأصل و الزيادة معا مع تعارضهما فيما يقرّرانه. و هذا ما حدث فعلا

عند كلامه في الجغرافيا. (المترجم).

قوي بإفراط الحرّ و العمران فيه، إمّا ممتنع، أو ممكن أقلي. و هو كذلك فإنّ خط الاستواء و الذي وراءه، و إن كان فيه عمران كما نقل، فهو قليل جدا». و يختتم ابن خلدون هذه «التكملة» بالألفاظ الآتية: «و لنرسم بعد هذا الكلام صورة جغرافيا كما رسمها صاحب كتاب رجار، ثم نأخذ في تفصيل الكلام عليها ... إلخ». و يجب أن نبادر إلى القول بهذه المناسبة أنّه لم يتم العثور في أيّة واحدة من مخطوطات كتابه على هذه الخارطة المزعومة [6].

أما «تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا» فيقدم وصف الأرض بتقسيمها إلى سبعة أقاليم و تقسيم كل إقليم إلى عشرة أجزاء. و بعد أن يوضح ابن خلدون القاعدة الفلكية لهذا التقسيم و يصف الأقاليم بإيجاز يشير مرّة أخرى إل مصدره الأساسي، و ذلك بقوله:

«و نحن الآن نوجز القول في ذلك و نذكر مشاهير البلدان و الأنهار و البحار في كل جزء منها و نحاذي بذلك ما وقع في كتاب «نزهة المشتاق» الذي ألّفه العلوي الإدريسي الحمّودي لملك صقلية من الإفرنج و هو رجار بن رجار عند ما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من إمارة مالقة. و كان تأليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة و جمع له كتبا جمة.».

ثم يسرد ابن خلدون عقب هذا مباشرة أسماء الكتب التي أشار إليها الإدريسي بألفاظه، محتفظا بنفس الترتيب الذي وردت به في «نزهة المشتاق»؛ و من العسير القول بأنه عرفها جميعها معرفة مباشرة. أمّا وصفه للأقاليم فلا يمثّل شيئا جديدا بالنسبة لنا إذ أنه يقدم مقتطفات فقط من مصنّف الإدريسي المذكور. و هو قد يغتنم الفرصة أحيانا ليضيف شيئا ما كمعلوماته عن جزر المحيط الأطلنطي و عن جوف إفريقيا، هذا على الرغم من أنّ مادّته كانت دون شكّ أحفل و أكثر تفصيلا في مجالات كثيرة من معلومات الإدريسي. و قد رجع ابن خلدون أحيانا إلى مصادر

---

(6) لقد تم العثور عليها و هي موجودة في مخطوطة واحدة فقط من المخطوطات العديدة لكتاب «العبر» هي المخطوطة رقم 2106 طلعت بدار الكتب المصرية (راجع ص 57 من كتاب «مؤلفات ابن خلدون» لعبد الرحمن بدوي، القاهرة 1962). (المترجم).

أخرى غير الإدريسي مثل ابن سعيد أو «كتاب المشترك» لياقوت، غير أن هذا لا يحدث إلا نادرا، زد على ذلك أنّ ما ينقله منهم يرد عادة عن طريق الإدريسي نفسه.

و لإعطاء مثال جيد لهذا نذكر موقفه من قصّة رؤيا الواثق التي كانت سببا في رحلة سلام الترجمان، فهو يقول: إن هذه الرواية موجودة «في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا هذا».

كل هذا يضطرنا إلى الاعتراف بأن القسم المكرّس لتصنيف العلوم و وصفها في «المقدّمة» و القسم الخاص بالجغرافيا لا يقدّمان شيئا ذا أهمية بالنسبة لتاريخ الأدب الجغرافي. و لحسن الحظ فإنّ هذين القسمين لا يستنفذان جميع المادّة الجغرافية عند ابن خلدون، ذلك أن كتابه يعدّ مصدرا جغرافيا هاما، ففي فصول أخرى من «المقدّمة» تتناثر أفكار تتميّز بالأصالة و الجدّة حتى بالنسبة للأدب الجغرافي العربي نفسه. و في هذا المجال فإنّ «المقدّمات» الأخرى التي تلي «المقدّمة الثانية» المتضمّنة للقسم الجغرافي تمثّل أهميّة لا ريب فيها. «فالمقدّمة الثالثة» مثلا تبحث «في المعتدل من الأقاليم و المنحرف و تأثير الهواء في ألوان البشر»، و تبحث الرابعة «في أثر الهواء في أخلاق البشر»، و الخامسة «في اختلاف أحوال العمران في الخصب و الجوع، و ما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر و أخلاقهم».

كل هذه المسائل التي تبحث في أثر الإقليم و الوسط الجغرافي في حياة البشر لم يحدث أن أخضعت قبل ابن خلدون لفحص منظّم، فهو في هذا المضمار يجب أن يعدّ مجدّدا بلا ريب، و مثل أفكاره هذه لم تظهر في أوروبا إلا بعد مضي عدّة قرون، و ذلك ابتداء من مونتسكيو Montesquieu .

أما بالنسبة للجغرافيا الاقتصادية فإن عددا من أقسام «المقدّمة» يمتاز أيضا بقيمة لا تجارى، و هذا لا يصدق مثلا على الفصل الثاني «في العمران البدوي و الأمم الوحشية و القبائل»، و على الفصل الرابع «في البلدان و الأمصار و سائر العمران و ما يعرض في ذلك من الأحوال»، و يصدق كذلك على الفصل الخامس «في المعاش و وجوهه من الكسب و الصنائع و ما يعرض في ذلك كلّه من الأحوال». و اهتمام ابن خلدون بالأمم شبه المتحضّرة يمثل واقعة نادرة في الأدب الجغرافي العربي، و بوسع علماء الاثنوغرافيا المعاصرين أن يجدوا مادّة قيّمة في تصنيفه للأجناس، كما و أن القسم

المفرد للبربر من تاريخه قد تمّ الاعتراف به بحقّ كأقيم ما في مصنّفه. و يمكن القول بأنّه لا علماء الأجناس، و لا علماء الاقتصاد، و لا علماء الاجتماع قد فرغوا من دراسة ابن خلدون من وجهات نظرهم المختلفة، كما أنّ كلا من المؤرّخ و عالم الجغرافيا يستطيع الكشف عن الكثير الهام لدى ابن خلدون. و على الرغم من ذلك فإنّه يجب القول مرّة ثانية بأنّ ابن خلدون لا يحتلّ مكانة ممتازة في التطور العام للأدب الجغرافي العربي، كما أنّه لم يترك أي أثر في هذا الميدان على الأجيال التالية له.

أما من ناحية أسلوبه الكتابي فإنّ ابن خلدون أبعد من أن يعدّ نموذجا يحتذى؛ و كما هو الحال مع جميع معاصريه فإنّه تنعكس فيه بوضوح آثار عصر التدهور التي تبدو في غلبة السجع و المحسنات البديعية و التشبهات و الاستعارات المبالغ فيها، بل إنّ لغة ابن خلدون نفسها لم تسلم أحيانا من الألفاظ العاميّة و الإفراط في استعمال الألفاظ المحدثة، كما أنّها لا تخلو من الأخطاء النحوية؛ و ليس من النادر أن يحيط الغموض ببعض ألفاظه من وقت لآخر. و إذا حدث و أن عدّ ابن خلدون يوما ما مؤلّفا كلاسيكيا بمصر و سوريا فإنّ مردّ هذا إلى التدهور الذي بلغه الأدب العربي حينما ظهرت الطبعة الأولى «للمقدّمة». و قد كفلت له أفكاره الجديدة التي عبّر عنها في لغة مغايرة للغة عصره نجاحا أدبيا دام حينا من الدهر، و لكن هذه المكانة أخذت تهبط منذ بداية القرن العشرين حينما اتفق العلماء العرب المعاصرون مع الرأي القديم لدى سلين و أماري القائل بعدم اعتباره كاتبا كلاسيكيا، و ذلك رغما من الطرافة الكبرى التي تتمتع بها نظرياته.

و من خلال سيرة حياة ابن خلدون نستطيع أن نتبين إلى أيّ حدّ ظلّت الروابط الثقافية قائمة بين المغرب و مصر في القرن الخامس عشر رغما من انقسام العالم الإسلامي إلى عدد من الوحدات السياسية؛ و يبدو أنّه كان باستطاعة العلماء أن ينتقلوا دون أيّ جهد من بلد إلى آخر، و أن يقيموا أمدا طويلا أو قصيرا في مختلف الأماكن دون الإحساس بتغير كبير في الوسط. و ما يصدق على العلماء يصدق أيضا على الرّحّالة العاديين، فقد ظلّ الاتصال مع الأندلس مثلا قائما طوال القرن الخامس عشر، و إلى آخر أيام دولة غرناطة، فاتّجه عدد من الرّحّالة من المشرق صوب الأندلس يدفعهم إلى ذلك مجرّد حب الاستطلاع، أو كما كان عليه الحال من قبل

«طلب العلم» الذي كانت مراكزه لا تزال مضيئة هناك [7].

و إحدى تلك الرحلات التي اتجهت من مصر صوب المغرب و الأندلس في النصف الثاني من القرن الخامس عشر قام بها عبد الباسط بن خليل الملطي، و والده هو خليل الظاهري أحد كبار الإداريين بدولة المماليك، و مؤلف المدخل الإداري الجغرافي الذي سيأتي الكلام عليه في موضعه. و إذا أمكن أن نستدل من نسبته على أنّه ولد بالشّام، و ذلك في عام 844 ه- 1440، إا أنّه نال تعليمه بمصر و أحسّ و هو في سنّ مبكرة بميل خاص إلى دراسة الطب. و لمّا كان المغرب في ذلك العهد لمّا يزل محتفظا بشهرته في مجال دراسة الطب فقد عقد عبد الباسط العزم، و هو لا يزال في ريعان شبابه، على السفر إليه لتوسيع معارفه. و تحت ستار التجارة غادر الإسكندرية على ظهر سفينة جنوية في عام 866 ه 1462 فزار تونس و طرابلس و تلمسان و وهران. و من وهران أخذ سفينة جنوية أيضا في ديسمبر من عام 1465، فنزل بمالقة، و غادرها إلى بلشVeles ، فالحمّة حتى بلغ غرناطة التي كانت تمثل منذ عهد طويل المركز الوحيد الذي تبقّى للإسلام بإسبانيا. و يبدو أن الطريق الذي سلكه قد أصبح منذ وقت طويل الطريق الوحيد إلى غرناطة، فقد سلكه قبله ابن بطّوطة منذ أكثر من قرن و ذلك في عام 752 ه 1351 (52)- 1352، كما سلكه بعد ثلاثين عاما من عبد الباسط و ذلك في عام 1494- 1495. أي عقب سقوط غرناطة، الرّحّالة الألماني هيرونيم مونتسرMuntzer. H وصفه في كتابه «الرحلة الإسبانية»Lter Hispanicum .

و لم يقدر لعبد الباسط أن يحقّق حلمه بزيارة قرطبة على الرغم من أن التجار المسيحيين و المسلمين كانوا يتنقّلون من منطقة إلى أخرى بحريّة تامّة؛ و كان السبب الذي حال دون ذلك هو أنّ رحّالتنا قد أصيب بجراحة بالغة في معركة شخصية،

---

(7) بمناسبة انتهاء كلام المؤلف على ابن خلدون أرى أن ألفت النظر إلى أن ابن خلدون قد ذكر في ترجمته لسيرة حياته «التعريف» أن تيمور لنك كلّفه بأن يكتب له وصفا دقيقا لبلاد المغرب ففعل ذلك «في مختصر و جيز يكون قدر اثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع» (ص 370)؛ غير أن هذا الأثر لم يصل إلينا. على أيّة حال فإنّ القصة في حد ذاتها تقف دليلا جديدا على اهتمام ابن خلدون بالجغرافيا.

(المترجم).

و حين برىء من جرحه أخذ طريق العودة فبلغ و هران في فبراير من عام 1466، ثم مصر في مايو من عام 871 ه 1467. و قد عمّر عبد الباسط طويلا و توفي قبل وقت قصير من فتح العثمانيين لمصر و ذلك في عام 920 ه 1514 متمتّعا بتقدير الجميع له كفقيه من فقهاء الحنفية و بسمعة واسعة كخبير في الطب. و من بين المؤلّفات العديدة التي خلّفها لنا يحتلّ أهمية خاصّة كتابه في التاريخ «الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم» الذي يعالج تاريخ الفترة من 7844 ه 1440 إلى زمن المؤلّف، و الذي يولي فيه اهتماما خاصّا لسير مشاهير الرجال، خاصّة العلماء الذين التقى بهم.

من «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم طبعة القاهرة 1961

كشاف حضاري و فهارس

فهرس الأعلام

(أ)

الآبلي: إبراهيم القائد 80

الآبلي: أحمد الآبلى 79

الآبلي: محمد بن إبراهيم 67، 68، 71، 79، 80، 90، 91، 99، 103، 105، 248، 339، 406

آدم 189

ابن الأبار 56، 217، 340

إبراهيم الآبلي القائد 189، 316، 321، 389، 407، 269

إبراهيم أبو إسحق الطويجن 297

إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي 84، 343

إبراهيم بن الأغلب 202، 74، 156

إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى 55، 86، 83

إبراهيم بن الحاج الغرناطي 88

إبراهيم بن حجاج 52، 54

إبراهيم بن الحسن بن عبد الرفيع 108

إبراهيم الخليل 195، 163، 217

إبراهيم بن أبي العباس الحفصي 267

إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي 86
إبراهيم بن محمد الصفاقسي 94
إبراهيم بن هلال الصابي 73
أبغا بن هولاكو 397، 398
الأبوصيري: محمد بن سعيد 411
الأتابك أيتمش 382، 383

الأتابكي أيتمش 358
الأجدع بن مالك 214
أحمد (النبي) 377
أحمد (السلطان) 373، 89
أحمد الآبلي 79
أحمد بابا السوداني 40
أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر 84
أحمد بن أبي سالم المريني 373، 258، 260
أحمد بن أبي العاص 51
أحمد بن إدريس البجائي 285
أحمد بن إدريس القرافي 215
أحمد بن أويس 399
أحمد الثالث 32، 33، 34، 36، 37، 179، 369
أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني 73
أحمد بن الحسين المتنبي 64
أحمد بن حمزة ذؤيب 273
أحمد بن حنبل 334، 322، 336
أحمد بن الشريف الحسني 125
أحمد بن شعيب الجزنائي 92
أحمد بن عبد ربه 55
أحمد بن أبي علي الحاكم العباسي 409

أحمد بن علي بن حجر 50، 77
أحمد بن عمر بن نجم الدين (شمس الدين) الكبرى 398
أحمد بن القصار 64
أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله 52

أحمد بن محمد البطرني 62
أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي 374
أحمد بن محمد بن التنسي 382
أحمد بن محمد حدير 342
أحمد بن محمد الزواوي 66، 89
أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي 342
أحمد بن محمد بن عثمان بن البناء 68
أحمد بن محمد العزفي 85
أحمد بن محمد بن علي بن الرفعة 81
أحمد بن محمد بن عمر بن ورد 342
أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني 341
أحمد بن محمد بن الغماز 65، 341، 343
أحمد بن مرزوق الدعي بن أبي عمارة 59
أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة 163
أحمد بن يزيد بن بقي 339
أحمد بن يلبغا 358
أحمد بن يوسف بن عبد الدائم 310
ابن الأحمر 37، 57، 58، 103، 126، 128، 137، 142، 147، 186، 187، 89، 257، 258، 259، 263، 264، 297، 66، 86، 88، 109، 308
ابن الأحمر: يوسف بن إسماعيل 87، 97
ابن الأحمر: عبد الله بن أبي الحجاج 137

الأحوص بن جعفر 214
الأخفش 404

الأخفشان 73
إدريس الأكبر 259
الإدريسي 424، 425، 426، 160، 161، 193، 254
ابن أذفونش 406
أردشير 248
ابن أرفع رأسه: علي بن موسى إرم 340
الأزهري 307
أبو إسحق الحسناوي 371
أبو إسحق الحفصي: إبراهيم بن أبي بكر يحيى 83
أبو إسحق الغافقي: إبراهيم بن أحمد بن عيسى 84
أبو إسحق بن المستنصر الحفصي 195
إسحق بن يحيى الليثي 338
أسد بن الفرات 244
الاسكندر 407
إسمعيل بن حماد الجوهري 165
إسمعيل العلوى (السلطان) 259
أسندمر البجاسي 29
ابن أبي الأسود 215
الأشرف: شعبان بن حسين 98، 354، 359
ابن الأشعث 53
الأشعري: أبو موسى 155

أشهب بن عبد العزيز المالكي 71، 209
أشور بن سام 390
الأصبحي: مالك بن أنس ابن أصبغ: محمد 90، 323، 331، 334، 337، 341

الأصمعي: عبد الملك بن قريب 205
الأعلم الشنتمرى: يوسف بن سليمان 64
ابن الأغلب: إبراهيم 202، 74، 156
الأغلب بن سالم 202
أفراسياب 391، 407
أقطاي الحاجب 385
أقطاي الجمدار 350
الأقفهسي: عبد الله بن مقداد 416
أكمل الدين 310، 404
ألطنبغا: الجوباني 353، 359، 360، 362، 363، 286، 290، 291، 315
إلياس 197
ابن الإمام: عبد الرحمن 75
ابن الإمام: عيسى 71، 75، 78، 82، 90، 91
أم الخلفاء 57
أم خليل: شجر الدر 349
أم الصالح 385
أمراء بني منقذ 369
امرؤ القيس 204، 209، 239
أمية بن عبد الغافر 53
أنص سيف الدين 288
الأوزاعي: عبد الرحمن 333

أوكداي بن جنكيز خان 415
أولاد الإمام: عبد الرحمن، و عيسى 103، 105
أويس 40
إياس 71

ابن إياس 98، 345، 352، 361، 401، 402
إياس بن قبيصة 214
أيبك التركماني 350
أيدكار 358
أينبك 355، 354
أيوب: الصالح نجم الدين 348، 320
أيوب: صلاح الدين 290، 315، 319، 347، 348، 369، 370، 164

(ب)

البابرتي: محمد بن محمود 310
الباجي: سليمان بن خلف 343
الباجي: أبو مروان 58
ابن باديس أبو علي 406، 111
البادسي: أبو يعقوب 406
ابن باكيش: الحسن 360
بثينة 379
البحتري 131
ابن بحر: محمد 64
البخاري (محمد بن إسمعيل) 331، 239، 294، 317، 336
بختنصر 407

البدر العيني: العيني 169، 294، 317، 382، 401
ابن البديع 81
بديع الزمان الهمداني: أحمد بن الحسين 73
البرادعي: خلف بن أبي القاسم 65
ابن برّال: محمد بن سعد 61، 343

البرجي: محمد بن يحيى 106، 107، 286
ابن بردي بك 398
برقوق أبو سعيد الملك الظاهر 30، 37، 287، 353، 355، 356، 357، 358، 399 ،400 ،420
بركة بن دوشيخان 397
بركة بن عبد الله الجوباني 353
ابن برنجال أبو بكر 340
البساطي: سليمان 290
البساطي: يوسف بن خالد 417
بشار بن برد 156، 289
ابن بشكوال 338، 340
بشير القائد 111، 145
بطا الدوادار 362
البطرني: أحمد بن محمد 62
بطره بن الهنشه 128
البطليوسي 209، 306
البطليوسي: عاصم بن أيوب 209
البغدادي: عبد القادر 204
ابن أبي البقاء الشافعي 362
البقاعي برهان الدين 346
ابن بقى: أحمد بن يزيد 339

بقى بن مخلد الأندلسي 338
ابن بكار أبو عبد الله 343
أبو بكر بن أبي يحيى الحفصي 56، 217
البكري: عبد الله بن عبد العزيز 54

ابن بكير: يحيى 332، 338
البلّفيقي: محمد بن محمد بن إبراهيم 104، 339
ابن البناء: أحمد بن محمد بن عثمان 68، 82، 91
البندقداري: بيبرس 350
البنى: علي بن الحسن 311
بوذنجر بن ألان قوى 395
بوران (زوجة المأمون) 70
بيبرس البندقداري 350
بيبرس ركن الدين (الملك المظفر) 345، 351، 409، 410، 344
البيروني 400
ابن البيطار 236، 298

(ت)

أبو تاشفين (السلطان) 103، 139، 140
أبو تاشفين بن أبي حمو 77
أبو تاشفين بن أبي زيان 141
تاشفين بن السلطان أبي الحسن 94
ابن تافراكين 74، 83، 95، 96، 97، 99، 141، 168، 380
التبريزي: علي بن عبد الله 81
الترمذي 334

ابن ترومیت: علي بن محمد 68،
ابن ترومیت: محمد 82
التسولي بن أبي يحيى: إبراهيم بن عبد الرحمن 86
ابن تغري بردي 310
تقي الدين التميمي 404

أبو تمام: حبيب بن أوس 64
تمرلنك 401
تموجين: جنكيز خان 395
التميمي: تقي الدين 404
ابن التنسي: أحمد بن محمد 382
التنسي أبو الحسن 371
تنم بن عبد الله 383
توبة بن الحميّر 215
تورنشاه: المعظم بن الصالح أيوب 349
تولو: طولى بن جنكيز خان 396
ابن تومرت: مهدي الموحدين محمد 56، 270
تيمور باشا 401
تيمور لنك: تمرلنك 399، 421، 415

(ث)

ثابت 380
أبو ثابت بن عبد الرحمن بن يغمراسن 95، 100
ثابت بن محمد 94
أبو ثابت بن يوسف بن يعقوب 77، 371

(ج)

الجاحظ 206
جاركس: جهركس 325، 374
جبريل 303، 377
جداي: جغتاي 396
ابن الجد: محمد بن عبد الله 207

جذيمة بن الأبرش 214، 238
جذيمة العبسي 211
ابن جرار: عثمان 95
الجرجاني: عبد القاهر 184، 208، 323، 370، 382
الجرجاني: الشريف 370
جرجي نائب حلب 382
جرجير(201 (Grefoire
جريبة بن الأشم الأسدي 214
جزء بن شريح بن الأحوص 214
الجزنائي: أحمد بن شعيب 92
أبو جعفر الصقلي: عمر بن مكي 389
جغتاي بن جنكيز خان: جقطاي 396
جقطاي بن جنكيز خان 415
جمال الدين الملطي 401
جميل بن عبد الله العذري 150، 379
جنتمر التركماني 360
جندح المري 154
جنكيز خان 350، 395، 396، 398
ابن جني 277
الجنيد بن محمد بن الجنيد 127
جهركس الخليلي 353، 358

الجواليقي 228، 324
الجوباني ألطنبغا 353، 359، 360، 362، 363
الجوهري: إسمعيل بن حماد 165، 335
جوجي بن جنكيز خان: دوشيخان 396
جوجي خان: جوجي بن جنكيز خان 396

ابن الجياب: علي بن محمد بن سليمان 311

(ح)

حاتم بن قبيصة 202
حاج (حاجي) بن الأشرف المنصور 359
ابن الحاج الغرناطي: إبراهيم 88
الحاج نافع 169
ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن يونس 63، 83، 102
الحارث 50
الحارث السدوسي 215
الحارث بن عباد 214
حازم القرطاجني 104
الحاكم 334
الحاكم العباسي: أحمد بن علي 409
حام 390
حبيب بن أوس أبو تمام 64
ابن حبيب أبو محمد الأندلسي 348
ابن حبيش: عبد الرحمن 341، 342
حثيل بن عمرو بن الحارث 332
ابن حجاج: إبراهيم 52، 54

الحجاري: عبد الله بن إبراهيم 53، 54
حجر بن عدي الكندي 51
ابن حجر: أحمد بن علي 79
ابن أبي حجلة: أحمد بن يحيى 163
ابن حدير: أحمد بن محمد 342
حذلم بن خالد الفقعسي 214

حذيفة بن بدر 211
الحريري 335
ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد 50، 51، 52، 55
حسان بن تبع 281
الحسن بن إدريس 175
الحسن بن باكيش 360
حسن الزبيدي 61
الحسن بن سهل السرخسي 70
حسن الصغير: الشيخ سبط هولاكو 398
الحسن بن علي بن أبي الطلاق 76، 77
الحسن بن عمر 96، 110، 111
الحسن بن محمد سبط بن المحتسب 58
أبو الحسن المريني (السلطان) 77
حسن الناصر بن قلاوون 352
حسن النوين 415
الحسن بن هاني أبو نواس 127
أبو الحسن (ولد بن الخطيب) 186
الحسن بن يوسف بن عمر 99
حسين الزبيدي: حسين الزبيدي 61
الحسين بن علي 80
الحسين بن محمد شرف الدين الطيبي 309

أبو حفص بن أبي زكريا 59
أبو حفص الهنتاتي 56
الحفصي: إبراهيم بن أبي العباس 267
الحفصي: أحمد بن محمد بن أبي بكر 374
ابن حفصون: عمر بن حفصون بن عمر 54

ابن الحكيم: محمد بن عبد الرحمن 84، 85
ابن الحكيم: محمد القائد 124
الحكم بن عرعرة النميري 211
الحكم المستنصر 236
حماد بن هبة الله بن الفضيل الحراني 338
ابن حمامة: منديل 175
حمران بن عمرو بن الحارث السدوسي 215
حمزة 192
حمزة بن علي بن راشد 179
أبو حمو: موسى بن يوسف بن عبد الرحمن 67، 77، 82، 106، 121، 144، 145، 174، 255، 263
الحميري 234، 237
ابن حنبل: أحمد 334
أبو حنيفة 322
ابن حنين الكناني علي بن أحمد 340
ابن حيان؛ حيان بن خلف 53، 55
أبو حيان: محمد بن يوسف 309، 310

(خ)

خالد 60

خالد بن أبي إسحق 97
خالد بن حمزة 273
خالد بن عامر 173، 177
خالد بن عثمان (خلدون) 51
خالد بن محمد بن خلدون 51
ابن الخطيب: محمد بن عبد الله 158

الخفاجي (أحمد بن محمد) 153
خفاف بن عمير 214
خفاف بن ندبة 214
ابن الخلال: علي بن يوسف 385
خلدون: خالد بن عثمان 51
ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد 29، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 43، 44، 45، 46، 49، 95، 169، 171، 305، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427
ابن خلدون: عمر بن أحمد أبو مسلم 52
ابن خلدون: عمر بن محمد بن خالد 51
ابن خلدون: محمد بن عبد الرحمن 54
ابن خلدون: محمد بن عثمان 256
ابن خلدون: محمد بن عمر بن محمد 85
ابن خلدون: محمد بن محمد 49
ابن خلدون: محمد أبو يحيى أبو بكر 137
ابن خلدون: يحيى بن محمد 141
خلف بن أبي القاسم البرادعي 65
خلف الباجي 343
ابن خلكان (أحمد بن إبراهيم) 205
خلوف المغيلي 82
الخليفة المأمون 70
الخليفة محمد 362

خليل الأشرف (قلاوون) 351
خليل المالكي 63

خليل بن الملك الصالح 349
ابن خميس: محمد بن عمر بن محمد 85
الخولاني: أحمد بن محمد بن غلبون 80، 341
ابن خير: عبد الرحمن بن سليمان 290
ابن خيرة أبو الوليد 340
الخيّري: علي بن محمد 76، 77

(د)

دارا 235
ابن الدارس 248
الدارقطني 248، 332
الداني: عثمان بن سعيد 67
داود 89
ابن أبي دبوس 74
ابن دحية (الأندلسي) 125
الدعي بن أبي عمارة: أحمد بن مرزوق 59
ابن قماق 381
ابن دقيق العيد: محمد بن علي 81
الدامينى: محمد بن الدماميني 382
دمرداش اليوسفي 356

الدميري 209، 385
الدوادار الأكبر: يونس 358
دوزي 422
دوشيخان 396
ابن الدويداري 413
دي غويه 161

أبو دينار 178

(ذ)

الذهبي 179
ذو أصبح 322
ذو القرنين 390
ذو كلاع 333
ذؤيب: أحمد بن حمزة 273

(ر)

ابن راشد 179، 192
الراشد العباسي
الراضي بالله العباسي 392
الرافعي 81
الربيع: سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب 82
ربيعة الرأي 332
ربيعة ابن مكدّم 241
الرحوي 69، 72، 74، 75، 86
ردينة 217

الرسول 182، 374، 378، 38
الرشاطي 348
ابن رشد (الفقيه) 207
ابن رشد الفيلسوف: محمد بن أحمد 105
الرشيد العباسي: هارون 202
ابن رشيد الفهري: محمد بن عمر بن محمد 85، 102، 44
ابن رشيق 210

رضوان أبو النعيم 97
ابن رضوان: عبد الله بن يوسف 68، 69، 70، 72، 86، 87، 88، 89، 314
ابن الرفعة: أحمد بن محمد بن علي 81
روح بن حاتم بن قبيصة 202
روح بن عبد المؤمن الهذلي 62
رويس المقرئ: محمد بن المتوكل 62
ريدا فرنس 349

(ز)

زاهد الكوثري: محمد زاهد 338
الزّبيدي أبو عبد الله 61
الزّبيدي مرتضى 161، 212، 348
ابن الزبير: أحمد بن إبراهيم 84، 343
الزبير بن العوام 211، 213
ابن زرزر اليهودي 128، 406
الزرقاني (محمد بن عبد الباقي) 335 336، 337، 338
ابن زرقون: محمد بن سعيد 341
زفر بن إياس 71
أبو زكريا الأوسط 60
أبو زكريا بن أبي يحيى 57، 59، 107، 139، 308

ابن زمرك: محمد بن يوسف 264، 297، 311
ابن زهر أبو بكر 64
زهير بن جذيمة العبسي 211
زهير بن أبي سلمى 277

الزواوي: أمد بن محمد 66، 89
زياد (والد طارق) 236
زياد بن أبيه 51
زياد بن عبد الرحمن شبطون 342
زيادة الله بن الأغلب 202
أبو زيان بن أبي حمو 375
أبو زيان: محمد بن عثمان 172، 193
ابن زيتون: القاسم بن أبي بكر 67، 76
ابن زيدون 71، 127
زيرم بن حماد 76
زيري بن مناد 172
زين الظاهر 360

(س)

سارية بن زنيم 203
ساطلمش 399، 407، 339، 258، 141
أبو سالم بن السلطان أبي الحسن 88، 96، 97، 107، 110، 140
سالم بن عامر بن عريب الكناني 212
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 206
سام

سباع بن يحيى 173، 177
سبط هولاكو الشيخ حسن الصغير 398
سبكتكين 392، 393
سحبان بن زفر بن إياس 71
سحنون: عبد السلام بن سعيد 333، 337
السخاوي 49، 188، 196

السراج 107
ابن سراج: أبو مروان 340
سراج الدين البلقيني 362
ابن أبي سرح: عبد الله بن سعد 202
ابن سريج: عبيد الله 204
السطي محمد بن سليمان 66، 71، 78
سعد الخير الأنصاري 338
سعد بن أبي وقاص 214
سعد الدين التفتازاني 370
سعد الدين بن شرف الدين الحنبلي 413
أبو سعيد بن خربند 398
أبو سعيد بن أبي سالم 267
أبو سعيد صاحب الأندلس 84، 318، 324، 330
أبو سعيد: الظاهر برقوق 287
ابن سعيد: علي بن موسى 53
السعيد: محمد بن عبد العزيز المريني 88، 89، 255، 258، 260
سعيد بن موسى العجيسي 125
أبو سعيد والد السلطان أبي الحسن 85
أبو سعيد بن يغمراسن: عثمان بن عبد الرحمن 95، 106
السفاح أبو العباس 410
السفاقصي: برهان الدين إبراهيم بن محمد 310

السفاقصي: شمس الدين محمد بن محمد 94
سفيان بن سعيد الثوري 333
سفيان بن عيينة 334
سلار 345
سلامة بن علي بن نصر 265

سلامة بن نهار 215
السلاوي: أبو عبد الله محمد 102، 103
السلطان أبو سالم: أبو سالم بن السلطان أبي الحسن 96، 97، 167، 110، 140، 141، 258، 339
السلطان المخلوع: محمد بن محمد بن محمد ابن نصر 84
سليمان البساطي 290
ابن سليمان أبو بكر صاحب واركلا 193
سليمان بن خلف الباجي 343
سليمان بن داوود أعراب 263
سليمان بن عبد الله المريني السلطان أبو الربيع 82
سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي 341
سليمان النبي 148
سليمان بن النقيب 311
سليمان بن يسار 337
السمح بن مالك الخولاني 235
السمعاني 337، 348
السمين: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم 310
ابن سهل: الحسن بن سهل 70
أبو سهيل: نافع بن مالك 332
السهيلي 64، 221
سودون 362، 363

سويد بن سعيد 338
سيبويه 73، 84، 310
ابن سيد الناس أبو الحسين 59، 61
ابن سيد الناس: محمد بن أبي الحسين 60
سيف الدولة 215، 393

ابن سينا 105
سيورغتمش: ساطلمش 399، 407
السيوطي 184، 394، 397، 409، 410

(ش)

الشاطبي أبو القاسم (أبو محمد) بن فيرّه 62
الشافعي: محمد بن إدريس 333، 334، 336
ابن شاكر 53، 397
أبو شامة 369
شاه ملك 403، 408، 411، 412
شاه ولي 398
شبت بن قدامة 50
شبطون: زياد بن عبد الرحمن 342
شجر الدر 349
شرحبيل الهلالي 215
الشرف الدمياطي 348
ابن شرف القيرواني 210
ابن شريح: محمد بن شريح 67
شريح بن الأحوص 214
الشريشي 235، 238، 239، 335

الشريف التلمساني: محمد بن أحمد 105، 106، 125، 165
الشريف الجرجاني 370
الشريف الغرناطي: محمد بن أحمد بن محمد 104، 312
شعبان بن حسين الأشرف 352، 354
شعبان العوفي 204
ابن شعيب الدكالي 76

ابن شعيب القائد أبو زكرياء 308
الشقورى أبو عبد الله 171، 181
ابن الشمس: جنكيز خان 395
شمس الدين الكبرى: أحمد بن نجم الدين 398
ابن شهاب: محمد بن مسلم 332
شهاب الدين بن العز 413
ابن الشواش الزرزالي: محمد 64
شيث النبي 197
الشيخ حسن الصغير: سبط هولاكو 398
الشيخ حسن النوين 415
شيخون سيف الدين 352

(ص)

الصالح نجم الدين أيوب 348، 349
ابن الصباغ: محمد بن محمد 90
ابن صخر 143
صدر الدين بن العجمي 413
صدر الدين المناوي: محمد بن إبراهيم 383، 405
الصدفي (أبو علي بن سكرة)
صرغتمش سيف الدين 330

صرغتمش (والدة تيمور لنك) 415
ابن صفار المراكش 102، 343
ابن الصفار: ابن مغيث 341
الصفاقسي: السفاقصي 310
صفي الدين الهندي: محمد بن عبد الرحمن 81
صقير بن عامر 95

ابن الصلاح 66
صلاح الدين أيوب (الأيوبي) 290، 315، 319، 347، 348، 369، 370
صلغتمش: صرغتمش سيف الدين 328
صولة بن خالد بن حمزة 273

(ض)

الضحّاك 199
ضرار الضبي 214

(ط)

طارق بن زياد 126، 236
الطبري (محمد بن جرير)
طشتمر بن عبد الله العلائي 353، 354، 355، 356
طغرلبك: محمد بن ميكائيل 394
الطفيل 214
طقطمش بن بردي بك 398، 399، 400
ابن الطلاع: محمد بن يحيى البكري 342
ابن أبي الطلاق 77
طلحة بن عبيد الله 331

الطلمنكي: أحمد بن محمد بن عبد الله 342
الطوسي 249، 250، 251
طوشي خان: دوشيخان 396
طولي بن جنكيز خان 350، 396، 415
الطويجن أبو إسحق إبراهيم 297
الطويجن أبو القاسم 297

الطيبي: الحسين بن محمد 309

(ظ)

الظاهر برقوق: برقوق 30، 37، 287، 353، 355، 356، 357، 399، 400، 0!
الظاهر بيبرس البندقداري: بيبرس 344، 345، 350، 351، 409، 410

(ع)

عابر بن شالخ 390
عاصم بن أيوب أبو بكر البطليوسي 209
عامر 87
عامر بن الطفيل 214
عامر بن عريب الكناني 212
أبو عامر: عبد الله بن العباس 374
عامر بن عمرو بن الحارث 332
عامر بن محمد بن علي 87
ابن عباد: المعتضد 55
ابن عباد: المعتمد 55
عبادة الأنصاري 215
عباس 199

أبو العباس بن أبي عبد الله (صاحب قسنطينة) 140
أبو العباس المريني 373
ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد 50، 63، 334، 343
عبد الجبار بن النعمان 404
عبد الحفيظ (سلطان المغرب) 309

ابن عبد الحكم 332
عبد الحي اللكنوي 336، 338
ابن عبد ربه: أحمد بن عبد ربه 55
ابن أبي عبدة 52، 53
عبد الرحمن بن الإمام 67
عبد الرحمن الأموي 52
عبد الرحمن بن بويفلوسن 89
عبد الرحمن بن حبيش 341
عبد الرحمن الخراساني أبو مسلم 410
عبد الرحمن بن خلدون 49، 88، 146، 186، 289
عبد الرحمن الداخل 53
عبد الرحمن بن زيدان 259
عبد الرحمن بن سليمان البجائي 63
عبد الرحمن بن سليمان بن خير 290
عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقي 235
عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله القرشي التميمي 331
عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي 333
عبد الرحمن بن القاسم 337
عبد الرحمن بن قاضي عسكر البلقيني 362
عبد الرحمن بن محمد الناصر المرواني 234
عبد الرحمن بن ملّ 221

عبد الرحمن بن منقذ الشيزري 369
عبد الرحمن بن مهدي 336
عبد الرحمن الوشتاتي 99
عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن 95
عبد الرحيم البيساني: القاضي الفاضل 370

ابن عبد الرزاق: محمد أبو عبد الله 103، 108
ابن عبد الرفيع: إبراهيم بن الحسن 108
العبدري (صاحب الرحلة) 45، 65، 78، 81، 340، 348
ابن عبد السلام: محمد بن عبد السلام 35، 65، 105، 339
عبد السلام بن سعيد: سحنون 333، 337
عبد العزيز بن أبي العباس الحفصي أبو فارس 374
عبد العزيز بن عبد الله بن سلمة الماجشون 334
عبد العزيز المريني أبو فارس 174، 254
عبد القادر بن علي بن شعبان العوفي 204
عبد القاهر الجرجاني 184، 208، 323
عبد الكريم بن منقد الشيزري: عبد الرحمن 369
عبد الله بن إبراهيم الحجازي 53، 54
عبد الله بن سعد بن أبي سرح 202
عبد الله بن شرحبيل الهلالي 215
عبد الله بن عباس 391
عبد الله بن أبي العباس المريني 374
عبد الله بن أبي العاص عمرو 51
عبد الله بن عبد العزيز البكري
عبد الله بن عبد الله بن عقيل 310
عبد الله بن علي 109
عبد الله بن علي الوزير 125

عبد الله بن عمر 206، 335
عبد الله بن القادر القائم العباسي 394
عبد الله بن المبارك 333
عبد الله بن محمد الطائي ابن هارون 339
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي 52

عبد الله بن محمد بن علي أبو جعفر المنصور 335
عبد الله بن أبي مدين 86
عبد الله بن مسلمة القعنبي 337
عبد الله المعزّي 350
عبد الله بن مقداد الأقفهسي 416
عبد الله بن المنتصر المستعصم العباسي 397
عبد الله بن نافع 333
عبد الله بن وهب 336
عبد الله بن يوسف بن أبي الحجاج 68
عبد الله بن يوسف بن رضوان 68
عبد الله بن يوسف بن هشام 310
عبد الله (من بيت بني حجاج) 54
عبد الملك الغريض 204
عبد الملك بن قريب الأصمعي 205
عبد مناف 333
عبد المهيمن الحضرمي 66، 72، 343
عبد المؤمن 56، 57، 58
عبد المؤمن بن علي 179، 271
عبد المؤمن الهذلي 62
عبد الواحد بن أبي حفص 56، 195
عبد الواحد المراكشي 261

ابن عبدون 100
عبيد الله بن سريج 204
عبيد الله المهدي 392
عبيد الله بن يحيى الليثي 338
عبيد الله بن يحيى أبو مروان 342

أبو عبيدة بن الجراح 151
عبيدة بن ربيعة 214
أبو عبيدة معمر بن المثنى 205
ابن عثمان (سلطان بلاد الروم) 414
عثمان بن أحمد القيجاطي 341
عثمان الأشقر 346
عثمان التجاني 309
عثمان بن جرار 95
عثمان بن خلدون 52
عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني 67
عثمان بن أبي العاص عمرو 51
عثمان بن عبد الرحمن 155، 106
عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن 95
عثمان بن عفان 202
عثمان بن عمر بن يونس بن الحاجب 63
عثمان بن الكاس 89، 111
عثمان بن مسافر 284
عثمان بن يوسف كبير أولاد سباع 173
عدى بن زيد 204
العراقي 199
ابن عرام 357

ابن العربي (أبو بكر) 207
ابن العربي (محيي الدين) 184، 221، 252، 323
عرعرة النميري 211
ابن عرفة: محمد بن محمد 268، 283
عريب الكناني 212

عريف بن يحيى أمير سويد 255، 371
ابن عريف: محمد 178
ابن عريف: و نزمار 175، 178، 254، 259، 262، 263
العزفي: أحمد بن محمد بن أحمد 85
العزفي: يحيى 125
ابن عساكر 50
العضد (عبد الرحمن بن أحمد الإيجي) 370
العطار: الشيخ العطار 126
عقبة بن مدلج 214
عقبة بن نافع 74
ابن عقيل: عبد الله بن عبد الله 310
عقيل بن فارح 238
عكاشة بن محصن 214
علاء الدين 413
علاء الدين خوارزم شاه 396
أبو علي السلطان 85
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم 50
علي بن أحمد الكناني ابن حنين 340
علي بن بدر بن موسى بن رحو 162
علي بن حسن البنى 311
علي بن حسون الياطي 255

علي بن راشد 179
علي بن أبي سعيد 85
علي بن شعبان العوفي 204
علي بن أبي طالب 80

علي بن عبد الرحمن بن خلدون 295
علي بن عبد الله التبريزي 81
علي بن عبد الله بن الحسن 313
علي بن عبد الله بن عبد النور 91
علي بن عمر الوطاسي 101
علي بن عمر الويعلاني 259
علي القاري 188
علي بن محمد بن أحمد بن سعود الخزاعي 88
علي بن محمد ترومیت 68، 82
علي بن محمد الخيري 78
علي بن محمد بن سليمان بن الجياب 311
علي بن محمد بن عبد الحق أبو الحسن الصغير 78
علي بن محمد اللخمي 78
علي بن المغربي 204
علي بن مقلد الكناني 369
علي المنصور بن الأشرف 354
علي بن المنصور بن قلاوون 345
علي بن موسى بن سعيد العنسي 53
علي بن موسى بن النقرات 340
علي بن يوسف بن الخلال 385
ابن العماد 83

العماد الأصبهاني 394
عمار (الصحابي) 206
عمار الأعمى الصفري النكاري 202
عمر بن أحمد بن خلدون 52
عمر التركماني 359

عمر بن حفصون بن عمر 54
عمر بن الخطاب 56، 203، 246، 271، 394
عمر بن عبد الله الوزير 88، 91، 106، 121، 124، 162، 175
عمر بن عبد المؤمن 101
عمر بن علي شيخ بني وطاس 100
عمر بن علي بن الوزير 101
عمر بن مسعود الوزير 175، 179، 192
عمر بن محمد بن خميس 52
عمر بن مكي الصقلي أبو جعفر 389
عمر بن يحيى الملقن سراج الدين 362
عمر بن الهنتاتي 56
عمران المشدالي أبو موسى 103
عمرو بن الحارث 332
عمرو بن الحارث السدوسي 215
عمرو بن العاص 202
عمرو بن عدي 238
أبو عمرو بن العلاء 185
عمرو بن محمد بن خالد بن محمد بن خلدون 51
عمرو بن مسلم الباهلي 214
عمير بن الحباب 212
أبو عنان (فارس بن أبي الحسن) 79، 83، 91، 95، 96، 99، 100، 101، 102،

103، 104، 106، 107، 108، 110، 115، 120، 125، 128، 139، 140، 189،
220، 286، 308، 318،

420 ،319

عنترة بن شداد العبسي 211

عياض القاضي 331، 343

عيزارة الهذلي 214

عيسى ابن الإمام: أبو موسى 75، 78

عيسى بن مسعود بن منصور المنكلاتي 63

العيني بدر الدين (محمود بن أحمد) 169، 401

(غ)

ابن غازي: أبو بكر بن الكاس 89، 176، 177، 178، 179، 192، 255، 257، 9

الغافقي أبو إسحق: إبراهيم بن عبد الرحمن 84، 343

الغافقي: عبد الرحمن 235

الغريض: عبد الملك 204

الغزالي 231

الغساني: أبو علي 342

ابن غلبون: محمد 80

ابن الغماز: أحمد بن محمد 65، 341، 343

غنى بن أعصر 211، 212، 213

غيمان بن جثيل 332

غيمان بن حثيل 332

غيمان بن حسل 332
غيمان بن خثيل 332

(ف)

فارح (مولى الأمير أبي عبد الله) 101، 267، 83

فارس بن أبي الحسن: أبو عنان 83
أبو فارس: عبد العزيز بن أبي العباس الحفصي 374، 380
أبو فارس: عبد العزيز بن أبي العباس المريني 31، 174
الفارسي أبو علي 103
ابن الفارض 163
الفاروق: عمر بن الخطاب 56، 203، 246، 271، 394
الفازازي 59، 60
فخر الدين الرازي 67
أبو الفداء 56، 237، 248، 369، 391، 392، 393، 394، 396
ابن الفرات 244، 346، 362
فرج بن برقوق 420
فرج بن رضوان قائد 314
فرج بن الطلاع (الطلاء) 340
فرح بن عيسى 177
ابن فرحون 337
فرعون 390
الفشتالي: محمد بن أحمد 103، 104
فضالة بن شريك 205، 216
الفضل بن السلطان أبي بكر 140
أبو الفضل بن عبد الله بن أبي مدين 86
الفضل بن المخلوع 59

الفضل بن أبي يحيى (الموحدي) 87
ابن فهد 335

(ق)

القابسي أبو الحسن 337
القاسم بن أبي بكر بن زيتون 67
قاسم بن أصبغ البياني 342
ابن القاسم: عبد الرحمن 337
القاشاني 184
ابن القاصح 185
ابن القاضي 255، 310، 340، 413
ابن قاضي شهبة 290، 295، 382، 385، 401، 413
القاضي الفاضل: عبد الرحيم 370
القالي (أبو علي) 156
القائم العباس: عبد الله بن القادر 394
القبتوري أبو القاسم 343
قبلاي بن طولي بن جنكيز خان 396، 415
قبيصة بن ضرار الضبي 214
ابن قتيبة 206، 225، 226، 306، 332، 333، 334
قدري حافظ طوقان 52، 68
قراد بن يزيد 214
القرافي: أحد بن إدريس 215

قرط بن عمر التركماني 359
قرطاي بن عبد الله المعزي 354، 355
القزويني 227
القشيري 81، 127، 184
ابن القصار: أحمد 64

قصي 333
القصير: محمد أبو القاسم 65
قطز 350، 351، 397
قطلقتمر العلائي 356
قطلوبغا 374
قطلوبغا الخليلي 374
أبو قطيفة 131
قلاوون الصالحي 350، 351
القلقشندي 287، 289
قنبر الأستاذ 164
القيجاطي: عثمان بن أحمد 341، 342
قيس بن زهير بن جذيمة 211
قيس بن عيزارة الهذلي 214
القيشطالي: القيجاطي 341
قيصر 391، 407

(ك)

ابن الكاس: أبو بكر بن غازي 89
ابن الكاس: محمد بن عثمان 89، 111، 257، 258
الكامل الملك الأيوبي 348، 349

الكاهنة البربرية: الملكة الساحرة 201
ابن كثير 185، 337
كداي: جقطاي 396، 415
كريب ابن خلدون: كريب بن عثمان 51، 52، 53، 54
الكسائي 185، 244
كسرى 131، 235، 248، 278، 391،

407
كسرى أبرويز 204
الكلاعي: سليمان بن موسى 341
كلحبة العرني: هبيرة بن عبد الله 215
كمشبغا بن عبد الله 361
الكناني 340
كنعان بن كوش 390
الكوسي أبو عبد الله 343
كوش 390

(ل)

لاجين الجركسي 403
اللحياني أبو يحيى 60
اللخمي: علي بن محمد 78
اللكنوي: عبد الحي 336، 338
اللنك: تيمور لنك 404

(م)

ابن الماجشون: عبد العزيز 334

ابن ماساي: مسعود بن رحوّ 111، 123، 257، 261، 262، 264
ماش بن إرم 390
ابن ماكولا 331
ابن مالك: محمد بن عبد الله 63
مالك (والد الأجدع) 214
مالك بن أنس الإمام الأصبحي 90، 323، 331، 334، 337

مالك بن عوف 214
مالك بن فارج 238
مالك بن نويرة 211، 212
المأمون العباسي 70، 202، 333
الماوردي 370
ابن المبارك: عبد الله 333
ابن المبرّد 404
المبرّد أبو العباس 208
المتنبي: أحمد بن الحسين 64
المحبّي 156، 306
ابن المحتسب 56، 58
محمد (النبي (صلى الله عليه و سلم)) 51، 114، 294، 296، 316، 391، 334، 409
محمد بن ابراهيم الآبلي 67، 68، 71، 79، 339، 406، 90، 99، 03، 105، 48
محمد بن إبراهيم الدباغ 60
محمد بن إبراهيم: صدر الدين المناوي 383، 405
محمد بن أحمد بن رشد 105
محمد بن أحمد الشريف التلمساني 105
محمد بن أحمد الفشتالي 103
محمد بن أحمد بن محمد الشريف الغرناطي 104
محمد بن أحمد بن مرزوق 93، 94، 100

محمد بن إدريس الشافعي 333، 334، 336

محمد بن إسمعيل بن فرج بن نصر ابن الأحمر 37، 57، 58، 103، 26، 128، 142، 147، 179، 186، 257، 258، 259، 263، 264، 297

محمد بن أصبغ 341
محمد بن أقبغا آص استدار 98
محمد بن بحر 64
محمد بن أبي بكر الصديق 202
محمد بن ترروميت 68، 82
محمد بن تومرت 56
محمد بن جابر الوادي آشي 65، 339
محمد بن الحسن الشيباني 336، 338
محمد بن الحسن بن محمد: أبو بكر بن خلدون 49
محمد بن أبي الحسين: ابن سيد الناس 60
محمد بن الحكيم القائد 124
محمد بن الحنفية أبو هاشم 410
محمد بن خالد بن محمد بن خلدون 51
محمد بن خلدون 60
محمد بن خلدون أبو بكر 61
محمد بن خلف بن كريب أبو الفضل 52
محمد بن خلف بن المرابط 342
محمد بن الدماميني الإسكندري 382
محمد زاهد الكوثري 338
محمد بن أبي زكريا: محمد بن يحيى 59
محمد بن سعد بن برال 61، 343

محمد بن سعيد الأبوصيري 411
محمد بن سعيد بن زرقون 341
محمد السلاوي أبو عبد الله 102، 103
محمد بن السلطان أبي الحسن: أبو الفضل 87
محمد بن سليمان بن الحسين النقيب 311

محمد بن سليمان السطي: محمد بن علي بن سليمان 66
محمد بن شريح بن أحمد 67
محمد بن الشواش الزرزالي 64
محمد بن العادل الأيوبي 348
محمد بن عبد الحق الخزرجي 240
محمد بن عبد الرحمن 54
محمد عبد الرحمن الأموي 52
محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن 97
محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم 84
محمد بن عبد الرحمن بن خلدون 88، 146، 186
محمد بن عبد الرحمن بن محمد: صفى الدين الهندي 81
محمد بن عبد الرزاق 108
محمد بن عبد السلام الهواري 65، 339
محمد بن عبد العزيز الكردي المزوار 60
محمد بن عبد العزيز المريني: السعيد 255
محمد بن عبد الله المرواني 52
محمد بن عبد الله بن الجد أبو بكر 202
محمد بن عبد الله الجياني 65
محمد بن عبد الله بن الخطيب 158
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم 332
محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي 90

محمد بن عبد الله بن مالك 63
أبو محمد بن عبد الواحد الحفصي 195
محمد بن عبدون 100
محمد بن عثمان بن الكاس 89، 111، 257، 258، 259،

محمد بن عثمان بن يغمراسن 77
محمد بن العربي الحصايري 64
محمد بن عريف 178، 264
محمد بن علي بن سليمان السطي 66، 78
محمد بن علي شيخ هنتانة 87
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس 410
محمد بن علي بن النجار 91
محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد 81
محمد بن عمر 85
محمد بن عمر بن محمد بن خالد بن خلدون 51
محمد عمر بن محمد بن خميس 85
محمد بن عمر بن محمد بن رشيد 85، 344
محمد بن عمر الواقدي 333
محمد بن أبي عمرو 87، 101، 107
محمد بن غلبون القاضي 80
محمد بن فرج مولى بن الطلاء 340
محمد بن فرج مولى بن الطلاع 340، 342
محمد بن أبي الفضل المرسي شرف الدين 340
محمد القصير 65
محمد بن قلاوون 345، 370

محمد بن المتوكل رويس المقرئ 62
محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي 104
محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المقرّي 102
محمد بن محمد شمس الدين السفافصي 94
محمد بن محمد بن الصباغ 90

محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد النور 90
محمد بن محمد بن عرفة 268
محمد بن محمد بن محمد بن نصر ابن الأحمر 84، 103، 126، 128، 147
محمد بن محمود البابرتي أكمل الدين 310
محمد بن أبي مدين 88
محمد بن مزنى 100
محمد بن مسلم بن شهاب الدين 332
محمد بن مسلمة الأنصاري 214
محمد بن المعتضد العباسي 55
محمد المنتصر بن أبي العباس الحفصي 267
محمد بن منديل الكناني 77
محمد بن منصور بن مزنى 60، 100
محمد المنصور بن المظفر حاجي بن الناصر 359
محمد بن المهدي الفاطمي 177
محمد بن ميكائيل طغرلبك 394
محمد بن ميمون البلوي 61
محمد الناصر بن قلاوون 345
محمد بن هلال 91
محمد بن وضاح 342
محمد بن يحيى الحفصي
محمد بن يحيى أبو عبد الله صاحب بجاية 98، 100، 08، 121، 137، 140، 44

محمد بن يحيى البرجي 106
محمد بن يحيى البكري ابن الطلاع 342
محمد بن أبي يحيى السلطان 139
محمد بن يوسف أبو حيان 309

محمد بن يوسف بن زمرك 311، 264
محمد بن يوسف بن هود 57
محمود (مكفول تيمور) 415
محمود بن زنكي 395
محمود بن سبكتكين 392، 393
مخارق بن يحيى بن ناوس 156
مخلد بن كيداد أبو يزيد صاحب الحمار 202
ابن أبي مدين: عبد الله 86
ابن أبي مدين: محمد 88
ابن أبي مدين: أبو يحيى 185
أبو مدين الغوث 176
ابن المرابط: محمد بن خلف 342
المراكشي: عبد الواحد 261
مرتضى الزّبيدي 212
ابن مرذنيش 56
ابن مرزوق: محمد بن أحمد 93، 94، 95، 96، 97، 98، 107، 110، 120
ابن مرزوق أبو بكر 93
أبو مروان الباجي 58
ابن مزنى 173، 177، 284
ابن مزنى: أحمد بن يوسف 144، 145، 192، 254
ابن مزنى: محمد 60، 100

المري 154
مسافع بن عبد العزّي 214
المستعصم العباسي: عبد الله بن المنتصر 350، 397، 410
المستنصر الحفصي: يحيى بن عبد الله 195، 236

المستنصر أبو عصيدة 60
مسعود بن رحو بن ماساي 111، 121، 124، 162، 257، 261، 262، 264، 8(
مسعود بن محمود بن سبكتكين 393
مسعود المكناسي 290
مسعود بن منديل بن حمامة 175، 179
مسعود بن منصور المنكلاتي 63
المسعودي 390
مسلم (صاحب الصحيح) 196، 317
أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن 202، 410
مسلم بن عمرو الباهلي 211
مسلمة المجريطي 51
المسيح 385
المشدّالي: عمران 103
المشدّالي: منصور 103
أبو مصعب الزهري 388
مطرف بن عبد الله اليساري 337
المطيع بن إياس 394
معاوية بن أبي سفيان 51
معبد بن وهب 204
المعتضد بن عباد 55، 287
المعتمد بن عباد 55

المعجب بن سفيان 211
المعجب بن شييم: المعجب بن سفيان 211
المعري أبو العلاء 306
المعظم تورنشاه 349

ابن معين 337
ابن مغيث: يونس بن عبد الله 341، 342
ابن مفلح: برهان الدين 402، 409
مقداد 416
المقدسي 161، 311
المقري: محمد بن محمد بن أحمد 102، 103، 104، 108، 285
المقريزي 96، 126، 164، 284، 348، 385، 412
ابن الملقن: سراج الدين عمر 362
ملك الجلالقة: ابن أذفونش 128، 406
الملك الناصر 371، 372
الملك الناصر فرج 401
الملكة الساحرة 201
المناوي 383، 405
المنخل اليشكري 204
منديل بن حمامة 175
منديل الكناني 76
منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدّالي 103، 340
المنصور بن أيبك التركماني 350، 354
المنصور حاجي 362
المنصور خليل 349
منصور بن سليمان 110

المنصور بن أبي عامر 236
المنصور العباسي: عبد الله بن محمد 335
منصور المنكلاتي 63
المنصور الموحدي: يعقوب 370

منطاش 358، 360، 361، 362، 373
منوشهر 407
المهدي العباسي 202، 333، 334
مهدي الموحدين: محمد بن تومرت، و انظر ابن تومرت 56، 270
المهلب بن أبي صفرة 208
مهلهل 99، 274
مهنّد العلج 314
موسى بن عمران 70
موسى بن يوسف بن يغمراسن 140، 146
موفق الدين الحنبلي 401
المؤيد 374
الميداني 144، 223، 238، 253
ميكائيل والد طغرلبك 394

(ن)

الناصر حسن 352، 360
الناصر بن علناس بن حماد بن زيري 59
الناصر بن قلاوون 345، 370
الناصر المرواني 234
ابن ناصر الدين أبو الحسن 188

ناصر الدين الرماح 383
الناصري (صاحب الاستقصا) 369
الناصري (صاحب الفتنة) 314
ابن نافع: عبد الله 333
نافع ابن مالك أبو سهيل 332
ابن نباتة 71، 127

النباهي 65، 104، 312
النبي: محمد (ص) 51، 224، 294، 377، 409، 411
نبيط بن أشور بن سام 390
نبيط بن ماش بن إرم 390
ابن نخيل 271
النسائي 337
أبو نصر العتبي 393
نصر الله القائد 314
نصر الدين محمود بن سبكتكين 392
النعمان بن المنذر 204، 211
نعير أمير بني مهنّا 360
النفزاوي أبو عبد الله 108
ابن النقرات: علي بن موسى 340
ابن النقيب: محمد بن سليمان 311
نلينو 249، 390
النمرود بن كنعان 390
نهار بن أبي الأسود 215
أبو نواس: الحسن بن هاني 127
نوح (ص) 389، 390
النووي 81، 317
النوين: الشيخ حسن 415

(٥)

ابن هارون: عبد الله بن محمد 65، 339
هارون الرشيد 156، 202
أبو هاشم: محمد بن الحنفية 410

هبة الله بن الفضل الحراني 338
هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف 215
أبو هريرة 334
ابن هشام: عبد الله بن يوسف 310
هشام بن الحكم 236
هشام بن عبد الرحمن 54
هشام بن عبد الملك 392
ابن هلال الصابي: إبراهيم 73
ابن هود: محمد بن يوسف 57، 58
هولاكو بن طولى بن جنكيز خان 350، 351، 396، 397، 398، 399، 410، 5
هولاوو: هولاكو 396
ابن هيدور التازي 68

(و)

الوادي آشي: محمد بن جابر 65، 339
الواقدي: محمد بن عمر 333
والدة خليل: شجر الدر 349
وائل بن حجر 50، 51
ابن وحشية 390
ابن ورد: أحمد بن محمد بن عمر 342

ابن الوردي 349
الوشتاتي: عبد الرحمن 99
ابن وضاح: محمد 342
أبو الوليد الباجي: سليمان بن خلف 343
الوليد بن عبد الملك 237، 325
الوليد بن يزيد 204

و نزمار بن عريف 175، 176، 177، 178، 254، 259، 260، 262، 263، 64
ابن وهب: عبد الله 333، 336

(ي)

يافث 389، 390
ياقوت 45، 426
يحصب 332
يحياتن بن عمر بن عبد المؤمن 101
ابن أبي يحيى: إبراهيم بن عبد الرحمن 86
أبو يحيى الحفصي (السلطان) 83، 87، 95، 96، 97، 99، 100، 125، 139
يحيى بن خلدون 141، 143، 172
يحيى بن سعيد 331
يحيى بن شعيب 96
يحيى بن عبد الله بن بكير 332
يحيى بن عبد الله (حفيد أبي يعقوب البادسي) 406
يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي أبو عيسى 342
يحيى بن عبد الواحد الحفصي أبو بكر 56، 217
أبو يحيى بن أبي مدين 185
يحيى المغربي العزفي 125
يحيى بن ناوس 156

يحيى بن يحيى الليثي 331، 337، 338
يحيى بن يملول 267
يزيد 380
أبو يزيد صاحب الحمار: مخلد بن كيداد 202

يشبك الشعباني 401
يعقوب الحضرمي المقرئ 62
يعقوب بن عبد الحق المريني 370
يعقوب بن علي كبير أولاد محمد 142، 143، 145، 172، 176، 177، 266، 7
يعقوب الموحدي المنصور 369
يغمراسن بن زيان 80، 94، 375
يلبغا 402
يلبغا بن عبد الله الخاصكي 91، 169، 352
يلبغا الناصري 355، 356
يلبغا نائب حلب 357
يمين الدولة محمود بن سبكتكين 393
يوسف (من أولاد سباع) 173
يوسف بن إسماعيل بن الأحمر 87
يوسف بن تاشفين 55، 56
يوسف بن خالد البساطي 417
يوسف بن رضوان 68، 86
يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأعلم 64
يوسف بن عبد الحق المريني أبو يعقوب 77، 80، 82، 370، 371
يوسف بن عبد الله بن عبد البر 50
يوسف بن علي بن غانم 373، 374
يوسف بن مزنى 100، 254

يونس الدوادار 358
يونس بن عبد الأعلى 336
يونس بن عبد الله بن مغيث 340
يونس بن محمد بن مغيث 341

فهرس الأمم و القبائل و الشعوب و الطوائف

(ا)

آل يغمراسن 375

الأباضية 202

الأتراك 34، 120، 317، 330، 345، 351، 368، 386، 391، 396، 402

الأحابش 120، 127

الأزد 65، 68

الإسبان 235

الأعاجم 38، 206، 287، 408، 422

الإفرنج 388، 394، 406، 425

الأكاسرة 323

الأكراد 348

الأندلسيون 80

أهل السنّة 322، 410

أهل المشرق 238

أهل المغرب 68، 75، 84، 102، 108، 125، 331، 339، 370

أوربة (قبيلة) 78

الأوزاع 333

أولاد أبي الليل 99، 273
أولاد حسين 373
أولاد سباع 173، 177، 178
أولاد عثمان بن يوسف بن سليمان 173

أولاد عريف 173، 255، 263، 265، 266
أولاد محمد بن رياح 143، 173
أولاد مهلهل 99
أولاد يحيى بن علي 177، 179، 193
أولاد يعقوب بن موسى 255

(ب)

بابل 70، 407
البجة (البجاة) 387
البربر 142، 145، 266، 269، 388، 389، 391، 392، 422
البربر البتر 81
بربر صنهاجة 261
بطوية (قبائل) 257
بنو آكل المرار 212
بنو الأحمر 84، 257
بنو إسرائيل 390
بنو الأغلب 202
بنو أفراسياب 391
بنو أمية 55، 391، 392، 394
بنو أيوب 315، 347، 348، 349، 351، 397

بنو الباجي 57
بنو بويه 73، 392، 394
بنو تميم 298
بنو توجين 265

بنو الجد 57
بنو جعفر الصادق: «العبيديون» 392، 395
بنو جقطاي 398، 399، 403، 415
بنو حام 390
بنو حجاج: «بيت بني حجاج» 53
بنو حسن: «قبائل بني حسن» 54
بنو الحسين 80
بنو حنظلة 241، 333
بنو الحنفية 410
بنو خثعم 241
بنو خلدون 51، 57، 58، 419، 53، 54، 55
بنو دوشي خان 397، 398، 399، 415
بنو راشد 179
بنو زيري 172، 395
بنو سام 390
بنو سامان 392، 393
بنو سلامة 265
بنو سلجوق: «السلجوقية» 393، 394
بنو سليم 79، 298
بنو سيد الناس 57
بنو شيبان 334

بنو صنهاج 203
بنو طاهر 392
بنو عامر 144، 173، 174، 176، 177، 178

بنو عباد 52
بنو العباس 350، 392، 397، 409
بنو عبد الجبار 145
بنو عبد المهيمن 84
بنو عبد المؤمن: «الموحدون» 57، 58، 369
بنو عبد الواد 83، 94، 95، 121، 139، 140، 176، 374
بنو العزفي 84، 125
بنو عسكر 76
بنو العلويّ: «العلوية» 392، 406
بنو علي 391
بنو قلاوون 284، 357
بنو مثنى 97
بنو مرين 76، 85، 96، 99، 101، 106، 110، 111، 139، 140، 186، 257، 309، 370، 373، 405، 420
بنو مزغناي 76
بنو مزنى 151
بنو مظفر البردي 398
بنو معز الدولة بن بويه 394
بنو منقذ 369
بنو منير 97
بنو مهنّا 360

بنو نمير 71

بنو هذان 348

بنو هلال 172
بنو هولاكو 398، 399، 415
بنو ورتاجّن 76، 259
بنو الوزير 57، 100
بنو وطاس 100، 101
بنو ونكاسن 101
بنو يافث 390
بنو يد للتن 265
بنو يعقوب بن عبد الحق 115، 144
بنو يغمور 255
بنو يونان 390

(ت)

التابعة 398
التتر (الطّطر) 350- 351- 386- 395- 396 398- 401- 402- 414- 415
الترك 287- 306- 315- 317- 324 330- 345- 350- 386- 389- 390- 391- 396- 400 407- 415
التركمان 356- 358- 399
تنوخ 267
تيات 395

(ث)

ثمود 278

(ج)

جديس 281
جذام 306
جراوة (قبيلة) 201
الجلالقة 49، 55، 56
جهينة 185
الجيل 389، 392

(ح)

حصين (قبائل) 144، 172، 177، 192، 371
الحفصيون 37

(خ)

خزاعة 243
الخزر 389
الخوارج 409
الخوز: «الغزّ» 393

(د)

دلاج 60
الدواودة 172، 173، 176، 177، 178، 192، 264
الديالم 144، 177
الديلم 389، 392، 394

(ذ)

ذبيان 240
ذو أصبح 332

(ر)

الرباب (قبيلة) 129
الروم 201، 317، 389، 390، 391، 394، 400، 401، 407، 414، 41
رياح (قبائل) 145، 172، 173، 174، 176، 177، 192

(ز)

زغبة 144، 145، 172، 173، 174، 176، 177، 192، 263
زناتة 266، 269، 272، 405
زواوة 81

(س)

الساسانية 390
السبائيون 389
سدويكش 143
السريانيون 390
سطة 78
السعديون 261

السلجوقية 393، 394، 395، 398، 415
سليم 60
السودان 389
سويد 144، 173، 177، 255، 371

(ش)

الشيعة 202، 406، 409، 410
شيوخ عبيد الله من المعقل 176، 177، 256، 259، 273، 373

(ص)

صنهاجة 90، 101، 395
الصنهاجيون 101، 203

(ط)

طسم 281

(ع)

عاد 278، 282
عامر (قبيلة) 144، 173، 174، 176، 177، 178
العبرانيون 389، 390
عبس 213، 240
العبيديون 392، 395

العجم 287، 408، 415، 422

العرب 50، 56، 60، 74، 99، 100، 140، 142، 143، 145، 168، 173، 176، 178، 192، 263، 266، 273، 283، 356، 360، 386، 389، 393، 407

عرب الأخضر 266

العلوية 37، 392، 410
العمالق 278

(غ)

الغز 393، 394، 395، 398
غسان 70
غطفان بن سعد 211
غني بن أعصر 211، 212، 213

(ف)

فارس 322، 388، 391، 392، 397
الفاطميون 164، 392
الفرس 389، 390، 391، 407، 115
الفرنج 348، 349، 369، 394، 425

(ق)

قبائل بني هلال 172، 198
قبائل رياح: انظر رياح

القبط 389، 390
قحطان 50
قريش 126
القياصرة 323، 385- 390

(ك)

كتامة 392
الكرد 348

الكعوب من بني سليم 79
كنانة 199، 200
كندة 212
الكنعانيون 389

(ل)

لخم 53

(م)

المرابطون 56، 100، 395
مرداس 198
المرينيون: «بنو مرين» 101
مسكالة 271
المصامدة: «الموحدون» 140، 395
مضر 278
المعقل 176، 256، 273، 273، 373
المغاربة 63، 79، 136
مغراوة 76، 179، 192
المغل 395، 396، 398، 400، 401، 403

مكناسة (قبيلة) 90، 91، 259
الملثمون: «المرابطون» 395
ملوك بني الأحمر: «بنو الأحمر» 257
ملوك صنهاجة: «بنو زيري» 395
ملوك الطوائف 52، 55
المماليك 348، 351، 352، 354، 356،

361، 428

مهرة بن حيدان (قبيلة) 237

الموحدون 56، 57، 59، 83، 87، 88، 95، 97، 108، 139، 141، 149، 288، 324، 370، 371، 373، 374، 380، 395

(ن)

النبط 390، 407

النكارية (فرقة من الخوارج) 202

(ه)

الهساكرة 82

هنتاتة 56، 87

هوارة 99

هوازن 240

(ي)

اليلبغاوية 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360

فهرس البلدان

(أ)

آبل 79

آبلة 79

آذربيجان 398

آسفي 262

آمد 349

الأبلة 388

أبّة 99

أبدة 162، 232

الأبواب 399

أبواب جيرون 131

أثروباتان: آذربيجان 398

أجادير 260

الأحساء: بلاد البحرين 394

إخميم 291

أرجونة 57

أرزنجان 400

أرض التيه: شبه جزيرة سينا 388
أرغون 56
أرمينية 400
أروس 400
أزدوكند: كاشغر 393
أزرو 261
أزمور 89

استانبول 32، 34، 36

أسجة (أستجة) 124

الاسكندرية 81، 98، 231، 284، 285، 320، 344، 356، 357، 359، 360، 372، 388، 404، 420

أسوان 291

إشبيلية 49، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 60، 97، 128، 161، 163، 223، 419

أشير 172، 177

إصبهان 394، 397، 398، 399

إطريرة 161، 222

إفريقية 56، 57، 58، 59، 66، 78، 83، 85، 89، 90، 92، 95، 99، 102، 107، 211، 139، 283، 388، 395، 405

أفغانستان 391، 392

أقليش 161

إقليم جورجيا: جورجيا 398، 400

إقليم السوس: السوس 260

أكلبش 385

إلبيرة (بالأندلس) 128

إلبيرة (بالعراق) 400

أم القرى: مكة 234

الأنبار 332

الأندلس 40، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 59، 62، 79، 80، 84، 86، 87، 94، 95، 97، 103، 107، 110، 124، 125، 128، 139، 141، 162، 179، 187، 256، 260، 337، 392، 465

الأهواز 155

الأوزاع 333

أورفة: الرها 399

الإيوان (إيوان كسرى) 130، 318، 325

إيران: فارس 388

أيلة 387

(ب)

باب الأبواب 154

باب الجابية (بدمشق) 408

الباب الجديد (بقرطبة) 340

باب الجياد (بتلمسان) 80

باب كشوط (بتلمسان) 77

باب المندب 380

باب النصر 346

بادس 111

بادس الزاب 111

بادس فاس 111

بارق 298

باريس 235
بجاية 59، 60، 79، 83، 88، 102، 107، 137، 139، 140، 142، 149، 168، 721، 285، 340، 371، 420
البحر الأبيض 58، 59، 101، 111، 388
البحر الأحمر 387
البحر الأدرياتي: خليج البنادقة 388
بحر إيجة: خليج القسطنطينية 388
بحر فارس: الخليج الفارسي 388
بحر قزوين 392، 398
بحيرة طبرستان 396
بحيرة طبرية 355
بحيرة قارون 291
بخارى 393
برابي مصر 390
برجة 106، 107
برشك 75، 76
برغه 160، 221
برقة 405
بركان 256
بسكرة 100، 101، 143، 145، 146، 152، 159، 72، 177، 178، 179، 192، 254، 267
بسيط الرشة 145

البطحاء 173، 101، 174، 176، 265

بطرنة 62
البصرة 117، 202، 388
بعلبک 402، 414
بغداد (بغدان) 91، 348، 350، 392، 394، 397، 399، 410، 415
بلاد البجاة 387
بلاد البحرين 287، 379، 394
بلاد الجريد 297، 275
بلاد حصين 144، 172، 173، 177، 178، 179، 192
بلاد الخزر 154
بلاد الديالم 177
بلاد الروم 394، 401، 414، 415
بلاد رياح 174، 176، 177،
بلاد غمارة 97، 110
بلاد مغراوة 192
بلاد هوارة 99
بلاط الوليد 237، 325
البلد الجديد (فاس الجديد) 68، 85، 96، 97، 110، 111، 260، 261، 264
بلد العناب: بونة 58
بلبيس 355
بلغار 400
بلنسية 62

بنة 311

بنية إبراهيم (الكعبة) 217

البهنسا 291
البوسفور 388
بونة 58، 59، 140، 143، 146، 168
بيغه 161
بيت لحم 385
بيت المقدس 348، 384، 390
بيروت 237، 315، 333
بين القصرين 291، 321

(ت)

تارو دانت 260
تازا 175
تاسالة 96
تافيلالت (سجلماسة) 85
تاهرت: تيهرت 202
تاوريرت 80
تاوغزوت: قلعة بني سلامة 265
تبريز (توريز) 398
تبسة 100، 283
تجورت 193

تدلس 101
تربة منجک 408
ترکستان 393، 396، 415
ترکیا 400
تزنیت 260

تستر 155

تلمسان 60، 67، 71، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 82، 83، 84، 85، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 100، 101، 102، 105، 106، 109، 121، 124، 136، 139، 1٩، 195، 159، 165، 169، 1، 173، 175، 176، 180، 255، 263، 265، 371، 374، 375، 381، 405، 420، 428

تنس 76

تهامة 387

توريز: تبريز 398

توزر 268، 283

تونس 32، 38، 49، 59، 60، 64، 65، 69، 72، 74، 79، 83، 65، 87، 91، 9٥، 97، 99، 100، 105، 108، 141، 168، 173، 194، 266، 267، 268، 279، 283، 286، 289، 320، 343، 371، 372، 373، 380، 419، 420، 428

تيكورارين 255

تيهرت 202

(ث)

ثبير 71
ثنية القصاب 173
ثهلان 71

(ج)

جامع أحمد بن طولون 328
الجامع الأزهر 286
جامع إشبيلية 369
الجامع (الأموي) 237
جامع الزيتونة 280
جامع شيخون 352
جامع عمرو (الجامع العتيق) 290
جامع قرطبة (المصلى) 237
جامع المقرويين 31، 339، 406
جامع القصبة (بيجاية) 142
جامع الموحدين 97
جبال الأطلس 260، 261

جبال أوراس 254
جبال البرز 392
جبال تاسالة 96
جبال غمّرة 193
جبال المصامدة 140
جبال الهساكرة 68
جبال هنتاتة 83
جبل أشير: جبل تيطرى 172

جبل بني عبد الجبار 145
جبل تيطرى: (الكف الأخضر الآن) 172، 192
جبل جزول: جبل كزول 265
جبل الجوديّ 184
جبل دبدو 256
جبل راشد 178
جبل زرهون 259
جبل الصالحية 402
جبل الصفاة 387
جبل الصفيحة 97، 110، 256
جبل طارق 125
جبل عامر 174
جبل العروس 234
جبل علي بن ترروميت
جبل غباغب 402
جبل الفتح: جبل طارق 179
جبل كزول 265
جبل ليزو 143
جبل الهساكرة: جبل علي بن ترروميت 82
الجريد 267، 275
الجزائر 76، 79، 95، 173

الجزيرة (بالأندلس) 125
جزيرة ابن عمر 184
الجزيرة (في دلاج) 60
جزيرة سينا: شبه جزيرة سينا 296، 388
الجزيرة العربية 296، 297، 394

الجسر (جسر قرطبة) 239
جفر الهباءة 240
جوتنجن 206
جورجيا 398، 400
جيان 57، 58، 162، 224، 232

(ح)

الحجاز 40، 317، 372، 378، 387، 394، 398، 410
حران 399
الحرمان (الشريفان) 94، 317، 329
الحزن: (حزن بني يربوع) 154
حصن آشر 160، 220
حصن تاحجمومت 192
حصن روطة 160
حصن السهلة 161، 221
حصن كيفا 349
حضر موت 50، 52، 419
حلب 356، 357، 358، 359، 361، 362، 400، 414
حماة 414
الحمراء 96

حمص 151، 414
حمص: إشبيلية 222
حمص الشام 222
الحنايا 201

حيدر آباد 331
الحيرة 164

(خ)

خان الخليلي 325
خانقاه بيبرس 344، 345
الخانقاه الركنية: خانقاه بيبرس 346
خانقاه سعيد السعداء 164
خانقاه شيخون 352
الخانقاه الصالحية: خانقاه سعيد السعداء 164
خراسان 350، 351، 391، 392، 393، 394، 396، 397، 398، 407، 410،
الخزر: بلاد الخزر 154
خط هجر 217
خوارزم 396، 404، 415
الخورنق 204
خوزستان 155
خليج البنادقة 388
خليج العقبة 145، 354، 355
خليج عمان 388
الخليج الفارسي 388

خليج القسطنطينية 388

(د)

دارة جلجل 204

دار السلام: بغداد 239
دار لقمان 349
دار الهجرة (المدينة) 331
دار الغزل 290
داغستان 398
دانية 67
دبدو 256
دجلة 204
الدربند 154
الدردنيل 388
درعة 261
دلي: دهلي 336
دمشق 131، 358، 359، 360، 361، 362، 383، 384، 402، 403، 408، 414، 421
دمياط 349، 353
دهلي 336
الدوسن 177، 178، 266
ديار بكر 349، 415
الديار المصرية 81، 91، 289
الديّلم 389، 392

(ذ)

ذمياط: دمياط 348، 349

ذو الغضا 135

(ر)

رأس العين 256
رامة 117، 299
رباط العباد 80
رباط الفتح 369
الربض الأعظم (بجيان) 230
الربض الشرقي (بقرطبة) 340
الرحبة 399
الرشة 144، 145
الرصافة 239
رليزان
الرمادة 117
الرملة 383
الرميلة 360
رندة 54، 124، 221
الرها 399
الرياحين: ضيعة الرياحين 283
الري 415

(ز)

الزاب 100، 173، 177، 254، 264، 266، 284
الزاهرة 235
زبيد (قرب المهدية) 61
زحلة 402
الزقاق 125، 388، 405

الزلاقة 55
الزهراء 234

(س)

سبتة 58، 84، 85، 86، 91، 95، 111، 125، 191، 180، 257، 258، 264، 308، 314، 343، 344
سجستان 415
سجلماسة 85، 103، 261، 405
السدير 204
السرسو 266
سفاقص 78
سمرقند 399، 415
السند 386، 388، 415
السودان 117، 389
سورية 427
السوس 260
سوسة 74، 85، 156، 267، 279
السويس 296، 328، 344، 387
سيحان 285
سيواس 400، 401

(ش)

الشاش 392، 415
الشام 40، 73، 315، 317، 345،

347، 348، 351، 355، 356، 358، 360، 368، 369، 373، 382، 383،
386، 388، 390، 394، 395، 397، 400، 401، 402، 412، 415، 421
شبه جزيرة سينا 296، 388
الشرق 51، 217، 303
شرق الأندلس 56، 62، 67
شط الجريد 268
شط الحضنة 177
شعب جبلة 240
شقحب 361، 402، 405، 413
شلف 76، 179
الشوبك 362
شيزر 369

(ص)

الصاغون 393، 415
الصبيبة 413
صحارى لوط 388
صراي 351، 397، 398، 399، 415
الصعيد 291، 297، 328، 387
الصغد 399

صفاقس: سفاقص 100
صفد 355، 413
صفووي 260

صقلية 125، 422، 425
صنعاء 155، 325
صول 154
الصين 386، 415

(ض)

ضيعة الرياحين 283

(ط)

الطائف 51
الطالقان 396
طبرستان 392، 394، 396، 398، 399
طريف 77، 83، 86، 94، 96
طليطلة 57، 163
طنجة 258، 405
الطور 296، 297، 328، 344
طيبة: المدينة المنورة 115

(ظ)

ظاهر الحيرة 204
ظاهر دمشق 325، 355، 402
ظاهر القلعة 169

(ع)

العبّاد 80، 93، 94، 95، 176، 264
العباد السفلى 80

العباد الفوقى 80
عبقر 320
عدن 297، 387
العدوة 58، 97، 128، 131، 294
العذيب 298
العراق 73، 379، 391، 392، 397، 400، 410، 414
عراق العجم (العراق العجمي) 415
عراق العرب 394، 397، 398، 415
العطاف 144، 255
عفرّين 223
العقبة 145، 354، 355
العلوين 105
عمان 394
عمواس 199
عنابة: بونة 58
عيذاب 387
عين البرديل 256
عين بني مطهر: رأس العين 256
عين تموشنت 96

(غ)

الغارين 161
الغدير 204
الغرب 93، 162، 388، 421
غرب الأندلس 56، 57

غرداية:(ghardaia)

غرناطة 57، 58، 84، 85، 86، 95، 104، 126، 128، 147، 164، 170، 198، 257، 264، 297، 311، 343، 420، 427، 428

غزة 360، 383، 385، 402، 414

غزنة 392

غزوة الخندق 221

غساسة 257

غمدان 325

الغميم 243

الغور 120، 300، 302

(ف)

فاران 387

فارس 317، 388، 391، 392، 398، 415

فارسكور 350

فاس 31، 78، 82، 84، 90، 91، 92، 95، 98، 102، 103، 104، 106، 108، 109، 111، 124، 139، 140، 141، 174، 255، 261، 262، 264، 285، 339، 373، 374، 405، 406، 420

فحص مرماجنة 99

الفرات 220، 349، 399، 415
فرضة المجاز 125
فرغانة 393، 415
فرفار 266
الفرنتيرة 57، 58
فرندة: مدينة فرندة 325، 379
الفسطاط 197، 291
فلسطين 388
فيد 154
الفيوم 291، 315، 382، 420، 421

(ق)

قابس 100
القاهرة 41، 47، 94، 98، 168، 285، 286، 296، 314، 315، 345، 350، 352، 395، 420، 421، 429
قبة النصر 354، 355، 356، 357
قبة يلبغا (بدمشق) 402
القبجق 415
قبرص 231
القدس 319، 384، 397

قرطاجنة 201
قرطبة 53، 57، 58، 162، 163، 234 341، 428
قرمونة 52، 55، 58

قزوين 392، 398
قسنطينة 88، 95، 96، 97، 99، 101، 104، 106، 124، 125، 136، 139، 140، 141، 192، 144، 145، 168، 172، 267، 406
قشتالة 94، 128، 163، 420
القصبة 74، 85، 86، 142، 308
قصبة (تونس) 86
القصر الأبلق (بمصر) 411
قصر أبي بكر بن عريف 266
قصر عبد الكريم: القصر الكبير 111
قصر (غمدان) 325
القصر الكبير 111
قصر كتامة 86
قصور بني عامر 178
قصور تيكورارين 255
قصور زناتة: قصور تيكورارين 259
قصور مصاب 178
القصير 297، 328
القطفا (القطفة) 173
قفصة 100، 268
القلعة: ظاهر القلعة 169، 361
القلعة (بدمشق) 383

القلعة (بمصر) 361
قلعة ابن سلامة: قلعة بني سلامة 265
قلعة بني سلامة 265

قلعة تاوغزوت: قلعة بني سلامة 265
قلعة الجبل: القلعة بمصر 362
قلعة الروم 400
قلعة سعيدة 265
قلعة سنان 59
قلعة الطالقان 396
القمامة 384
قنطرة الوادي: الجسر 235
قوص 297، 328
القيروان 74، 79، 83، 85، 86، 87، 95، 106، 107، 108، 125، 139
قيسارية 290، 400
قيطا 359

(ك)

كاشغر 393، 396، 415
كدية العرائس 258، 260، 261
كربلاء 80، 81
كرسيف 262
الكرك 345، 353، 360
كرمان 388

الكعبة 303
كنباية 400
الكوفة 51، 410
كوينكة 163

(ل)

لبلة 207
لبنان 355
لغوات 178
اللوى 148، 298
ليدن 156، 234

(م)

ماردين 91
مازندران 396
مالقة 54، 86، 221، 308، 425، 428
ماوراء النهر 391، 392، 396، 415
المحمدية: المسيلة 177
مدائن كسرى 131
مدائن مدين 387
المدرسة البرقوقية 321
مدرسة ابو تاشفين (بتلمسان) 103
مدرسة بن الإمام (بتلمسان) 77

مدرسة الشريف التلمساني (بتلمسان) 106
المدرسة الصالحية 320، 291
مدرسة صلغتمش 328، 344
المدرسة الظاهرية: المدرسة البرقوقية 321
المدرسة العادلية (بدمشق) 402
مدرسة القاضي الفاضل (بمصر) 62
المدرسة القميحة 290

مدرسة الناصر حسن 360
المدرسة الناصرية 291، 296
مدريد 79، 94
مدفن الخليل 384، 385
المدية 100، 140
مدين 387
المدينة (المنورة) 332، 333، 334
مدينة أزرو: أزرو 261
مدينة أشير 172
مدينة بني صاف 83
المدينة البيضاء: البلد الجيد 258، 260
مدينة تجورت 193
مدينة تيارت 265
مدينة السلام 239
مدينة السلام: بغداد 239
مدينة طريف 77
مدينة قرطبة: قرطبة 234
مدينة القلزم 387
مدينة قوص: قوص 297
المدينة الهاشمية: الهاشمية 332
مراكش 58، 68، 82، 89، 91، 102، 174، 261، 262، 272، 371، 405

مرسى الطور 296، 297
مرسى هنين: هنين 83، 174، 175، 264
مرماجنة 659

المرية 57، 87، 104، 136، 142
مستغانم 76
مسجد بيت المقدس 348
مسجد الحمراء 84
مسجد دمشق 237
مسجد قرطبة 235
مسجد المدينة 237
المسيلة 173، 177، 178
المشرق 37، 58، 60، 67، 74، 84، 94، 98، 163، 168، 188، 284، 386، 424، 427
مصر 30، 31، 34، 40، 44، 91، 164، 284، 290، 297، 307، 315، 330، 345، 356، 371، 381، 385، 390، 392، 399، 401، 410، 416، 420، 428، 429، 430
المصلّى: جامع قرطبة 173، 237
مضيق جبل طارق: الزقاق 258، 388
المطهر (بتلمسان) 77
معادن الملح 160
المعرّة 369
مغراوة 76، 179، 192
المغرب 30، 33، 38، 66، 68، 77، 84، 99، 111، 141، 176، 260، 319، 369، 390، 395،

405، 420
المغرب الأقصى 37، 76، 139، 168، 174، 254، 388، 395
المغرب الأوسط 121، 172، 192، 254، 405
المغرب الجواني 405
المغرب الخليفي 111
مكة 91، 297، 328، 344
مكناسة 90، 91، 259
ملطية 358
مليانة 76، 77، 192، 254، 255
منى 300
منارة جامع قرطبة 237
منداس 265، 266
المنصورة 288، 317، 349
المنية العامرية 235
المهدية 96

(ن)

الناصرية: بجاية 59
نجد 92، 117، 130، 298، 300
ندرومة 90

نفزاوة 268
نهاوند 203
نهر بهتا 261
نهر جيحون 391
نهر قرطبة 235

نهر ملوية 262
نهر النيل 285
نهر واصل 177

(ه)

الهاشمية 332
هجر 157
همدان 333
الهند 120، 386، 392، 400، 415
هنين 80، 174، 175، 264

(و)

واحة توات 255
وادي أم الربيع 89
وادي بهت: نهر بهتا 261
وادي التحت 265
وادي الحجارة 53
وادي زا 256
وادي سبو 261

وادي سوس 260
وادي شلف 76، 265
وادي شنيل 161
وادي فاس 260
وادي ملوية 256، 257
وادي النجا 260
وادي نسا(178 (W .Nessa

وادي النيل: نهر النيل 291
وارکلا 193
واقعة طريف: طريف 77، 83، 86، 94، 96
واقعة القيروان 74، 79، 83، 85، 86، 95، 106، 107، 108، 125
وانشريس 265
وبذة 161
وجدة 262
وراء النهر: ماوراء النهر 393، 398، 399، 415
ورزازت 261
وليلي(259 (Volubilis

(ي)

يثرب: المدينة المنورة 114
اليمامة 281، 298
اليمن 50، 51، 52، 38، 387
الينبع 290، 297، 328، 344

هيئات و مكتبات

(ج)

جامعة الدولة العربية 163
جمهورية الاتحاد السوفيتي 393، 399
الجمهورية التركية 358، 399، 400

(د)

دار الكتب الظاهرية (دمشق) 63، 338
دار الكتب (المصرية) 35، 39، 41

(م)

(مطبعة) بولاق 30
مطبعة التقدم 209
(المطبعة) الشرفية 215
مطبعة الوطن 370
المعهد الفرنسي بالقاهرة 333

(مكتبة) أحمد الثالث 32، 34، 63
(مكتبة) أسعد أفندي 36، 41
(مكتبة) الإسكدريال
(مكتبة) أيا صوفيا 32، 36
(مكتبة) بغدادلي وهبي 285
(مكتبة) تيمور (أحمد باشا) 65
(مكتبة) الجامع الأزهر 164
(مكتبة) داماد 310
(مكتبة) رواق المغاربة (الأزهر) 164

(مكتبة) شهيد علي باشا 341
(مكتبة) الفاتح 284، 286، 290، 315، 346، 382، 404، 412
(مكتبة) فيض الله 338
مكتبة القدسي 63
مكتبة قره جلبي 361
(مكتبة) كوبريلي 206، 251
(مكتبة) مراد ملّه 389
(مكتبة) الناصر الأموي 64
(مكتبة) نور عثمانيه 38، 188، 290، 314، 350، 360، 401، 404
مكتبة ولي الدين 338

الألفاظ التي لها دلالات خاصة

(ا)

الأبدال 323

أتابك 383

الأحمر: المريخ 227

استدار 98

الإفراد 62

الإكسير 200

أمير مجلس 359

الأوتاد 323

أوفاق 232

(ب)

البراءة 136

البريد 126

البصائر 184

البم 205

بنات نعش الصغرى 208
البهار 238
بيت البنين 250
بيت الكوكب 249

(ت)

تحويل السنين 250
تحية كسرى 306

التسيير 251

(ث)

الثقيل الأول 205
الثقيل الثاني 205

(ج)

الجمدار 350
الجمع 62
الجمع الصغير 62
الجمع الكبير 62
الجنادرة 96
الجوزهر: رأس الجوزهر 250
الجوف 79

(ح)

الحجابة 60، 139، 141، 146
الحدود 249، 352

الحراقة 126
حساب العقد 204

(خ)

الخاسكية 381
الخانقاه 362، 363، 368

(د)

دليل العمر: الهيلاج 250، 251

(ر)

رأس الجوزهر 250

(س)

سهم السعادة 226
سهم الغيب 226
سهيل 208

(ش)

الشاني 153
شرف الكوكب 250
الشوار 222

(ص)

الصناجق 349
الصوائف 55

(ط)

الطالع 228، 248، 303
طول الكوكب: مقوم الكوكب 69

(ع)

العاشر 228، 406

العلويان (الكوكبان) 406

(ف)

فلك التدوير 248

(ق)

القران 406
القهرمان 326
القومس 240

(ك)

كيوان 69

(م)

المثلث 205
المثلثات 249
المثلثة الهوائية 406
المثنى 205

المشور 130، 131
المقاتل 251
المقامات 184
مقوم الكوكب 69
المناولة 65
المنجنيق 228، 229، 408

(ن)

الناسخ 215
الناي 204
النسخ 215
النرد 204
النصبة الفلكية 69، 249
نير النوبة 250

(ه)

الهندام 232، 325
الهيلاج 250، 251

(و)

الوبال 251
الوجادة 199
الوجوه 249

فهرس القوافي

(أ)

أمدامع منهلة- المتلألئ 307

(ب)

على أي حال- أغالب 109
صحا الشوق- حين تثوب 132

(ج)

لم لا ينال العلا- هيلاج 251

(ح)

هذي الديار- طلاحا 173

(د)

نسب كأن- عمودا 151
دار الهدى- من نجد 92
قدحت يد- الوجد 117
سلو البارق- من الوجد 298
هل نافعي- في صعد 167
هنيئا أبا الفضل- و من كيد 247

(ر)

و طالب عن اللعاب- و عفزرا 212
لك الله- الفخر 312

ألم ترني- الضوامر 236
فوحقه لقد- داره 151

(س)

أدرك بخيلك- درسا 56
ضحكت وجوه- من بوس 279

(ش)

الملك الظاهر- و من طاشا 360

(ف)

من أنكر غيثا- بمخلفها 151

(ق)

سلمت لمصر- استنشاقه 164

(ك)

قد زرتنا- بيضة الديک 156
بانوا فمن- بلا شک 186
صاب مزن- من مهبک 190
لا مرحبا- مقدارك 312

(ل)

سيدي و الظنون- کفيله 363
خليليّ فيما- قبلي 150
خذ ما تراه- عن زحل 215

و رحنا يكاد- فيه تسفل 209
قفا نبك- فحومل 239
حللت حلول- و السهل 126
نقل فؤادك- الأول 235
هل غير بابك- معدل 269
ما أقدر الله- داره صول 154
لمن الركائب- جميل 375
هنيئا بصوم- منيل 121

(م)

أبي الطيف- الخيال المسلما 134
لا بارك الله- في الأهم 253
أغرى الناس- غير الذميم 210
يديرونني- و الأنف سالم 206

(ن)

يا قوم أذني- أحيانا 289
تركتموني- عصيانا 149
باسم الإله و به بدينا 221

بنفس و ما- بأثمان 147
لحمد ذوي المكارم- عناني 75
عرفت زماني- كيوان 69
جي المعاهد- و يظميني 129

(ه)

يا من ترحل- رياها 155

(ي)

أقل اشتياقا- جازيا 149
لهي النفس- و فيّ 72

أيام العرب

يوم بطن عاقل 241
يوم جفر الهباءة 240
يوم داحس 211، 240
يوم دارة جلجل 204
يوم ذي قار 241
يوم شعب جبلة 240
يوم الغبراء 211، 240
يوم الغدير: دارة جلجل 204
يوم الغميم 243
يوم الفجار 231، 240
يوم الكديد 241

فهرس الخيل

(ا)

الأبجر 211
الأحوى 214
أشقر مروان 211
الأعوج 212

(ب)

البلقاء 214

(ج)

الجرادة 215
الجموح 211
الجناح 214

(ح)

الحرون 214
حلوان 212
الحمامة 214

(خ)

خراج 214
الخطار 211
خوصاء 215

(د)

داحس 211

(ذ)

الذائد 211
ذو الخمار 211

(ز)

زاد الركب 211
الزعفران 212

(س)

سكاب 214
السكب 211

(ع)

العرادة 215
العصا 214
العصية 214
عفزر 212
علوى 214

(غ)

الغبراء 240
الغضبان 212

(ك)

الكميت 211

(ل)

لاحق 212

(م)

مكتوم 212
مجاح 214

(ن)

النعامة 214

(و)

الوجيه 211

(ي)

اليحموم 211

فهرس الكتب

(ا)

إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس

أحاديث الموطأ

الإحاطة (في أخبار غرناطة)

الأحكام السلطانية

أحكام القرآن

إخبار (العلماء، بأخبار) الحكماء

الإدريسي: صفة إفريقية و الأندلس

أرجوزة ابن المغربي في «حساب العقد»

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض

أساس البلاغة

الاستقصا (لأخبار دول المغرب الأقصى)

استنزال اللطف المجود، في أسر (سر) الوجود

الاستيعاب، (في معرفة الأصحاب)

أسرار البلاغة

الإشارات

الأشعار الستة

اصطلاحات الصوفية

إعراب القرآن

الإعلان بالتوبيخ، (لمن ذم التاريخ)

الأغاني

الإكمال، (في رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف من الأسماء و الكنى و الأنساب)

ألف با

الألفاظ الفارسية

أمالي (أبي علي) القالي

الإمتاع و المؤانسة

الانتقاء، (في فضائل الأئمة الفقهاء)

الإنجيل

أنساب الرشاطي

الأنساب للسمعاني

الأنواء

(ب)

البحر المحيط (تفسير أبي حيان)

البدر الطالع، (بمحاسن من بعد القرن السابع)

البردة (قصيدة البردة)

البستان، (في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان)

بستان المحدثين

بغية الرواد، (في أخبار بني عبد الواد)

بغية الوعاة، (في طبقات اللغويين و النحاة)

البقية و المدرك، من كلام ابن زمرك

البهجة في شرح التحفة (تحفة الحكام، في نكت العقود و الأحكام)

البيان المغرب

(ت)

تاج اللغة، و صحاح العربية

تاريخ ابن إياس (بدائع الزهور)

تاريخ ابن خلدون- انظر العبر

تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول و الملوك)

تاريخ ابن قاضي شهبة

تاريخ ابن الوردي

تاريخ أبي الفداء (المختصر في أحوال البشر)

تاريخ الإسلام

تاريخ البخاري

تاريخ بغداد

تاريخ جنكيز خان

تاريخ حلب

تاريخ الخلفاء

تاريخ دمشق

تاريخ دولة آل سلجوق- انظر: مختصر تاريخ آل سلجوق

تاريخ الطبري (تاريخ الرسل و الملوك)

تاريخ علماء الأندلس

تاريخ علم الفلك

التاريخ اليميني

التبصرة (تعليق على المدونة)

تثقيف اللسان

التخريجات المختصرة

تدريب الراوي، (في شرح تقريب النواوي)

تذكرة الحفاظ

التذكير في القراءات

تراث العرب العلمي في الرياضيات و الفلك

ترتيب المدارك (و تقريب المسالك، لمعرفة أعيان مذهب مالك)

ترجمة بغية الرواد (في أخبار بني عبد الواد)

ترجمة مقدمة ابن خلدون

التسهيل (تسهيل الفوائد، و تكميل المقاصد) لابن مالك

تعريفات الجرجاني

تعريفات ابن العربي

تعليق على المدونة (التبصرة)

تفسير الألوسي

تفسير ابن عقيل

تفسير النقيب

التقصي (لأحاديث الموطأ)

تكملة الصلة

تلاخيص كتب أرسطو

تلخيص أعمال الحساب

التمهيد (لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد)

التنبيه على أوهام القالي

تنبيه الغبّي على تكفير ابن العربي

تنقيح (الفصول في اختصار المحصول)

تنوير الحوالك

التهذيب (للأزهري)

تهذيب التهذيب

تهذيب الكمال

تهذيب (المدونة)

التوراة

التوضيح (شرح على مختصر ابن الحاجب الفقهي)

التيسير في القراءات

(ث)

ثمار القلوب (في المضاف و المنسوب)

(ج)

الجامع (في الحديث) لابن وهب

الجامع بين الأمهات: مختصر ابن الحاجب الفقهي

جذوة الاقتباس، (فيمن حل من الأعلام مدينة فاس)

جمهرة الأنساب لابن حزم

الجوهر الثمين (في سير الملوك و السلاطين)

(ح)

حاشية على (تفسير) الكشاف

حاشية القاضي زاده على تفسير البيضاوي

حرز الأماني (القصيدة الشاطبية)

حسن المحاضرة (في أخبار مصر و القاهرة)

الحماسة

حمل الجمهور على السنن المهجور

حياة الحيوان

(خ)

خزانة الأدب (و لب لباب لسان العرب)

الخطط الجديدة التوفيقية

خطط المقريزي (المواعظ و الاعتبار، في الخطط و الآثار)

الخصائص (لابن جني)

الخيل لابن الكلبي: نسب الخيل

(د)

دائرة المعارف الإسلامية

درة الحجال (في أسماء الرجال)

الدر الثمين شرح المرشد المعين

الدر المصون في علم الكتاب المكنون

الدر المنثور (في التفسير بالمأثور)

الدر المنظم في المولد المعظم

الدرر الكامنة (في أعيان المائة الثامنة)

الدليل الشافي على المنهل الصافي

الديباج (المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)

ديوان أبي تمام

ديوان الصبابة

ديوان امرئ القيس

ديوان الهذليين (هذيل)

(ذ)

الذخيرة، (في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام

(ر)

رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في عجائب الأسفار)

رحلة بنيامين

رحلة العبدري

رسالة التقويم

الرسالة العثمانية للجاحظ

رسالة القشيري

رفع الإصر (عن قضاة مصر)

رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة

الروض الأنف (و المشرع الرّوا، في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة و احتوى)

روضة التعريف بالحب الشريف

«الروضتين» (في أخبار الدولتين)

الروض المعطار (في خبر الأقطار)

الروض الهتون (في أخبار مكناسة الزيتون)

الرياض (لابن المبرد الدمشقي)

ريحانة الكتاب (و نجعة المنتاب)

(س)

سلم الأفلاك

سلوة الأنفاس، (و محادثة الأكياس، فيمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس)

السلوك (لمعرفة دول الملوك)

سنن ابن ماجه

السير لابن إسحق

سير النبلاء للذهبي

السيرة (النبوية) لابن هشام

(ش)

الشاطبية: حرز الأماني

شذرات الذهب (في أخبار من ذهب)

شرح أرجوزة ابن المغربي في «حساب العقد»

شرح التسهيل لابن مالك

شرح تلخيص أعمال الحساب

شرح تنقيح الفصول

شرح درة الغواص

شرح ديوان المتنبي

شرح ديوان أمرئ القيس

شرح رسالة ابن زيدون (سرح العيون)

شرح الرضى على الكافية

شرح الشاطبية لابن القاصح (سراج القارئ المبتدي، و تذكار المقرئ المنتهي)

شرح الشريشي على المقامات

شرح صحيح مسلم للنووي (المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج)

شرح العيني على صحيح البخاري (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري)

شرح قصيدة البردة

شرح اللمعة في حل الكواكب السبعة

شرح المجصطي في الهيئة

شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي

شرح المقاصد (في علم الكلام)

شرح مقصورة حازم: رفع الحجب المستورة

شرح منظومة ابن أبي الرجال (تنجيم)

شرح المواقف (في علم الكلام)

شرح الموطأ لابن زرقون

شرح الموطأ للزرقاني

شرح الهداية

شروح سقط الزند

شعر حبيب: ديوان أبي تمام

الشفا لابن سينا

شفاء الغليل (فيما في كلام العرب من الدخيل)

(ص)

صبح الأعشى (في كتابة الإنشا)

صحيح البخاري (الجامع الصحيح)

صحيح مسلم

صفة إفريقية و الأندلس

صفة جزيرة الأندلس: الروض المعطار

صفة الصفوة

الصلة (في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم، و فقهائهم، و أدبائهم)

الصور السمائية

(ض)

الضوء اللامع (لأهل القرن التاسع)

(ط)

طبقات الأمم

طبقات السكي: طقات الشافعية

الطبقات السنية في تراجم الحنفية

طبقات الشافعية الكبرى

طبقات القراء (غاية النهاية في طبقات القراء)

طبقات المفسرين (للداودي)

طراز المجالس

(ظ)

الظاهري (في العبر، في أخبار العرب و العجم و البربر)

(ع)

العبر (و ديوان المبتدأ و الخبر، في أيام العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)

عجائب المخلوقات (و غرائب الموجودات)

عجائب المقدور (في نوائب تيمور)

عقد الجمان، (في تاريخ الزّمان)

العقد الفريد

عقيلة أتراب القصائد (قصيدة رائية للشاطبي في رسم القرآن)

عنوان الدراية، (فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية)

عيون الأنباء، (في طبقات الأطباء)

عيون التواريخ

(غ)

غاية النهاية في طبقات القراء: طبقات القراء

الغنية (في شيوخ القاضي عياض)

غيث النفع في القراءات السّبع

الغيرة، على أهل الحيرة

(ف)

الفتح القسي، (في الفتح القدسي)

فتح المغيث، (بشرح ألفية الحديث)

(الفصل، في) الملل و النحل

فلاحة ابن وحشية

فلسفة ابن خلدون الاجتماعية

فهرست السراج

(ق)

القانون المسعودي

قصيدة البردة: البردة

قصيدة لامية في القراءات: حرز الأماني

(ك)

الكافي في القراءات

الكامل (في التاريخ لابن الأثير)

الكامل (للمبرد)

كتاب الخيل لابن الكلبي: نسب الخيل في الجاهلية و الإسلام

كتاب سيبويه

كنوز الحقائق (في حديث خير الخلائق)

كنوز الذهب، في تاريخ حلب

الكشاف (عن حقائق التنزيل)

كشف الظنون (عن أسامي الكتب و الفنون)

(ل)

اللباب، في تهذيب «الأنساب»

لسان الميزان

اللمحة البدرية، (في الدولة النصرية)

(م)

ما يعول عليه، في المضاف و المضاف إليه

مباهج الفكر (للوطواط)

المتيطية

المتين لابن حيان

مجمع الأمثال

المجيد، في إعراب القرآن المجيد

مختصر الإحاطة

مختصر ابن الحاجب الأصلي

مختصر ابن الحاجب الفقهي

مختصر تاريخ دولة آل سلجوق

مختصر في وصف بلاد المغرب

المخصص (لابن سيده)

المدونة (الكبرى)

المرقبة العليا (فيمن يستحق القضاء و الفتيا)

مروج الذهب (و معادن الجوهر)

المستدرك (على الصحيحين)

المسلسلات في الأحاديث و الآثار

مسند الأمام أحمد

المسهب، في غرائب المغرب

المشرق، فيما يحاضر به أهل الشرق

المطرب، من أشعار أهل المغرب

المعارف لابن قتيبة

معالم الإيمان (في معرفة أهل القيروان)

المعجب (في تلخيص أخبار المغرب) للمراكشي

معجم شيوخ الصدفي

معجم ما استعجم (من أسماء البلاد و المواضع)

المعرّب (من الكلام الأعجمي)

معرفة الصحابة

معرفة نيل مصر

معيار العلم للغزالي

معين الحكام

المغازي (للواقدي)

المغرب في حلى أهل المغرب

المغني (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)

مفاتيح العلوم

مفردات ابن البيطار

المقاصد الحسنة (في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة)

مقامات الحريري

المقتبس في تاريخ بلد الأندلس

مقدمة ابن خلدون (الكتاب الأول)

مقدمة ابن الصلاح: (كتاب ابن الصلاح)

مقصورة حازم القرطاجني

المقفىّ

المقنع في القراءات

الملخص (لما اتصل إسناده من حديث موطأ مالك بن أنس)

ملخص إعراب القرآن

منتهى السول و الأمل، من علمي الأصول و الجدل

المنهل الصافي، (و المستوفي بعد الوافي)

الموشح (في مآخذ العلماء على الشعراء)

الموضوعات لعلي القاري

الموطأ

الموطأ (رواية) ابن القاسم

الموطأ (رواية) ابن وهب

الموطأ (رواية) الشافعي

الموطأ (رواية) القعنبي

الموطأ (رواية) محمد بن الحسن الشيباني

الموطأ (رواية) مطرف اليساري

الموطأ (رواية) يحيى بن يحيى الليثي

(ن)

نثر فرائد الجمان (لابن الأحمر)

نثير الجمان (لابن الأحمر)

النجوم الزاهرة (ابن تغري بردي)

نسب الخيل في الجاهلية و الإسلام

نفح الطيب (من غصن الأندلس الرطيب)

نيل الابتهاج (بتطريز الديباج): تكميل الديباج أحمد بابا

(و)

وفيات الأعيان (و أنباء أبناء الزمان)

وصف إفريقية و الأندلس: صفة إفريقية و الأندلس

(ي)

يتيمة الدهر

(فهرس الكلمات التي ضبطها ابن خلدون بالحركات)

(ا)

آبلة: بكسر الباء الموحّدة بعد همزة ممدودة

الآبلي: بكسر الباء الموحّدة قبلها همزة ممدودة

الآبلي: بضم الباء الموحّدة و جاء في «دوحة الناشر» ص 90 (طبع فاس سنة 1309):

الآبلى بسكون اللام (كذا)، و فتح الهمزة، و ضم الباء، و كسر اللام»

آشر (حصن آشر): بهمزة ممدودة بعدها شين معجمة مفتوحة

أبّة: بضم الهمزة و فتح الباء المشددة

أبّدة: بضم الهمزة و فتح الباء الموحدة مع التشديد، ثم فتح الدال المهملة

ابن أدفونش: بضم الهمزة و سكون الدال المهملة، و ضم الفاء، و فتح النون قبل الشين

ابن أذفونش: بضم الهمزة و سكون الذال المعجمة، و ضم الفاء مع كسر النون

(ب)

بختنصّر: بتشديد الصاد المفتوحة

ابن برّال: بضم الباء الموحدة، و تشديد الراء المهملة المفتوحة

برجة: بفتح الباء و الجيم، و بينهما راء ساكنة

البرجيّ: بفتح الباء، و سكون الراء، و كسر الجيم، و تشديد الياء آخر الحروف

بردي بك: بفتح الباء، و سكون الراء، و كسر الدال

برشك: بفتح الباء، و كسر الراء، بعدها شين معجمة ساكنة

بسكرة: بفتح الباء و سكون السين، و بعدها كاف وراء مفتوحتان

بطا: بضم الباء

البطرني: بفتح الباء و الطاء و سكون الراء

بطره: بكسر الباء، سوكن الطاء التي وضع فوقها نقطتين إشارة إلى أن نطقها بين الطاء و التاء ثم راء مضمومة

بطّوية: بضم الطاء المشددة

البلّفيقي: بفتح الباء، و تشديد اللام المفتوحة، ثم فاء مكسورة

ابن البنّاء: بتشديد النون المفتوحة

البنّى: بضم الباء و تشديد النون المكسورة

البنّى: بكسر الباء و تشديد النون المكسورة

وادي بهت: بفتح الباء

بونة: بضم الباء، و فتح النون قبل هاء التأنيث

بنو بويه: بضم الباء و فتح الواو

بيبرس: بفتح الباء الأولى و الثانية، و بينهما ياء مثناة ساكنة

بيغه: بكسر الباء، و ضم الغين

(ت)

تاحجمومت (حصن تاحجمومت): بفتح التاء، و الحاء، و سكون الجيم، و ضم الميم الأولى و كسر الثانية، ثم تاء ساكنة

تاسّالة: بتشديد السين المفتوحة

تاشفين: بكسر الين المعجمة، و الفاء

ابن تافراكين: بكاف مكسورة تحتها نقطة إشارة إلى وجوب نطقها كافا فارسية

تاوريرت: بفتح الواو و الراء الثانية

تبسّه: بتشديد السين المهملة المفتوحة

تبسّة: بفتح التاء، و الباء، و السين المشددة

تيمور بن ترغاي: بفتح التاء، و الراء و الغين المعجمة

ابن ترروميت: بضم التاء و الراء، ثم ميم مكسورة، و تاء ساكنة بعد ياء

تورنشاه: بضم التاء و فتح الراء و سكون النون قبل شين مفتوحة

تونس: بضم التاء و كسر النون

تونس: بضم التاء، و ضم النون

تيطري: بكسر التاء، و فتح الطاء بعدها راء مكسورة

تيطري: بفتح التاء و سكون الياء بعدها طاء مفتوحة تليها راء مكسورة

تيكورارين: بكسر التاء بعدها ياء، ثم كاف مضمومة، قد وضع تحتها نقطة إشارة إلى أن نطقها كالكاف الفارسية، ثم راء مفتوحة

تيمور: بفتح التاء و سكون الياء

(ج)

جقطاي: بفتح القاف

الجمدار: بفتح الجيم و الميم

الجوّاني: بفتح الجيم و تشديد الواو المفتوحة

ابن الجيّاب: بتشديد الياء المفتوحة

جيّان: بتشديد الياء المفتوحة

(ح)

ابن حبيش: بضم الحاء و فتح الباء و سكون الياء

ابن حدير: بضم الحاء، و فتح الدال

الحسناوي: بفتح الحاء، و سكون السين، و فتح النون المخفّفة

حسّون (علي بن حسون): بفتح الحاء، و ضم السين المشددة

حصين: بضم الحاء، و فتح الصاد، و سكون الياء

ابن حمّاد (زيرم بن حماد): بفتح الحاء، و تشديد الميم المفتوحة

أبو حمّو: بفتح الحاء، و تشديد الميم المضمومة

أبو حمّو: بفتح الميم المشددة

حميري: بكسر الحاء و سكون الميم و فتح الياء و كسر الراء

(خ)

الخزر: بفتح الخاء و الزاي

خلدون: بفتح الخاء و سكون اللام، و ضم الدال

خلّوف المغيلي: بفتح الخاء و ضم اللام المشددة

الخوز: بضم الخاء

الخيّرى: بتشديد الياء؛ و في طب بكسر الياء المشدّدة

دبدو: بفتح الدال الأولى، و ضم الثانية، و بينهما باء ساكنة

دبّوس (ابن أبي دبّوس): بتشديد الباء المضمومة

الدكّالي (ابن شعيب الدكالي): بتشديد الكاف المفتوحة

دلّي: بكسر الدال، و تشديد اللام المكسورة

الدّوسن: بفتح الدال، و السين، و بينهما واو ساكنة

ذمياط: بالذال المعجمة

الذّواودة: بفتح الذال المعجمة، و فتح الواو الأولى و كسر الثانية و بينهما ألف، و بعد الواو دال مهملة مفتوحة

ذؤيب: بضم الذال المعجمة، و فتح الهمزة

(ر)

ابن رحّو: بفتح الراء و تشديد الحاء المضمومة

الرحوى: بفتح الراء

الرشّة: بفتح الراء، و تشديد الشين المعجمة المفتوحة

ابن رشيد: بضم الراء و فتح الشين، و سكون الياء

ابن رشيد: بفتح الراء

(ز)

الزّرزالي: بفتح الزاي، و سكون الراء، و فتح الزاي بعدها

ابن زرزر: بفتح الزاي الأول و الثانية، و سكون الراء الأولى و الثانية

زرهون: بفتح الزاي، و سكون الراء

زغبة: بضم الزاي، و سكون الغين بعدها باء موحدة مفتوحة

زمرك: بفتح الزاي و الميم، و سكون الراء

زناتة: بفتح الزاي و النون

ابن زيّان: بفتح الزاي، و تشديد الياء المثناة المفتوحة

أبو زيّان: بفتح الزاي و تشديد الياء المفتوحة

زيرم بن حمّاد: بكسر الزاي، و سكون الياء و كسر الراء

زيرم بن حمّاد: بكسر الزاي، و سكون الياء، و فتح الراء

(س)

سبتة: بفتح السين

سبكتكين: بضم السين و الباء، و بعدهما كاف ساكنة تليها تاء مضمومة بعدها كاف مكسورة

سدويكش (قبائل سدويكش): بكسر السين و الواو، و بينهما دال مهملة ساكنة، ثم كاف ساكنة بعد ياء

سطّة: بفتح السين و الطاء المشددة

السّطّي: بفتح السين و كسر الطاء المشددة

سوسة: بضم السين الأولى و فتح الثانية، و بينهما واو ساكنة

سويد: بضم السين و فتح الواو

سيورغتمش: بضم السين و الياء و سكون الراء و فتح الغين و سكون التاء و كسر الميم و سكون الشين

(ش)

ابن شبت: بفتح الشين و سكون الباء الموحدة

ابن شريح: بضم الشين

شلف: بفتح الشين و اللام المخففة

(ص)

صا (وادي صا): بصاد وسطها زاي إشارة إلى أن الصاد تنطق مشمّة بالزاي

ابن الصبّاغ: بفتح الصاد، و تشديد الباء الموحدة

الصبيبة: بضم الصاد و فتح الباءين الموحدتين بينهما ياء ساكنة

ابن صخر: بفتح الصاد و سكون الخاء

صراي: بفتح الصاد و الراء و المخففة

الصّريحي: بفتح الصاد

ابن الصّفّار: بتشديد الفاء المفتوحة

الصفاقسي: بفتح الصاد و الفاء، و ضم القاف بعد الألف

صفوري: بفتح الصاد و ضم الفاء

صقير: بضم الصاد و فتح القاف و سكون الياء

صولة: بفتح الصاد و سكون الواو و فتح اللام

(ع)

العبّاد: بضم العين و تشديد الباء المفتوحة

عبدة (ابن أبي عبدة): بفتح العين و الدال، و بينهما باء موحدة ساكنة

العبيدويون: بضم العين و فتح الباء

العجيسي: بفتح العين

ابن عرّام: بتشديد الراء المفتوحة

ابن عرفة: بفتح العين و الراء

عريف (و نزمار بن عريف): بفتح العين

عريف (أولاد عريف): بفتح العين

بنو العزفي: بفتح العين و الزاي

العطّاف: بفتح العين، و تشديد الطاء المفتوحة

العلوين: بفتح العين، و سكون اللام، و كسر الواو بعدها ياء، ثم نون

العلوين: بفتح العين و اللام، و نسب إليها «العلوي» بفتح اللام أيضا

عمر (الأمير): بفتح العين و الميم

أبو عمر تاشفين: بفتح العين و الميم

عمر (الحسن بن عمر): بفتح العين و الميم

عمر بن مسعود: بفتح العين و الميم

عمر بن عبد الله الوزير: بفتح العين و الميم

عمر بن علي: بفتح العين و الميم

(غ)

الغارين: بفتح الراء

غساسة: بفتح الغين، و السينين المخففتين بينهما ألف ساكنة

ابن غلبون: بفتح الغين، و سكون اللام، و ضم الباء

ابن الغمّاز: بفتح الغين و تشديد الميم المفتوحة

جبال غمّرة: بفتح الغين و تشديد الميم المفتوحة، و فتح الراء

(ف)

فرجيوة: بفتح الفاء و سكون الراء بعدها جيم مكسورة

فرفار: بفتح الفاء و سكون الراء

الفرنتيرة: بضم الفاء و الراء، و سكون النون و كسر التاء تليها مثناة تحتية، و فتح الراء

الفشتالي: بفتح الفاء و سكون الشين و فتح التاء

الفشتالي: بكسر الفاء

(ق)

قبلاي: ضم القاف

قرط: بضم القاف و سكون الراء

قرطبة: بضم القاف و الطاء، و سكون الراء بينهما

قرمونة: بفتح القاف، و سكون الراء، و ضم الميم بعدها واو، ثم فتح النون

قسنطينة: بضم القاف و فتح السين

قشتالة: بفتح القاف، و التاء، و سكون الشين بينهما، ثم فتح اللام

القصاب (ثنية القصاب): بكسر القاف، و فتح الصادر المخففة

القصير: بضم القاف، و فتح الصاد، و سكون الياء

قطز: بضم القاف و الطاء

القطفا: بفتح القاف و الفاء، و سكون الطاء بينهما، و بعد إلغاء ألف

القطفة: بفتح القاف و الفاء، و سكون الطاء بينهما، و بعد الفاء هاء التأنيث

قيطا: بفتح القاف و الطاء، و سكون الياء و بعد الطاء ألف

(ك)

كبرى (شمس الدين كبرى) بضم الكاف، و سكون الباء

كربلاء: بفتح الكاف و الباء، و بينهما راء ساكنة

كريب: بضم الكاف و فتح الراء و سكون الياء

كزول: بضم الكاف و تحتها نقطة لتنطق كافا فارسية، ثم زاي مضمومة

كنباية: بفتح الكاف، و الباء الموحدة بعد نون ساكنة، ثم فتح الياء بعد الألف

(ل)

ليزو (جبل ليزو): بكسر اللام، و ضم الزاي بعد ياء مثناة من تحت

(م)

ابن ماساي: بفتح السين المخففة

المديّة: بفتح الميم و كسر الدال، و بعدها ياء مفتوحة مشددة

مرّاكش: بفتح الميم، و تشديد الراء المفتوحة، ثم كاف مضمومة

ابن مرزوق: بفتح الميم و سكون الراء و ضم الزاي

مرّماجنّة: بفتح الميمين، و تشديد الراء المفتوحة بينهما، ثم جيم مفتوحة بعد الألف، و بعد الجيم نون مفتوحة مشددة

مرّماجنة: بفتح النون المخففة

مرين (بنو مرين): بفتح الميم، و كسر الراء

المريّة: بفتح الميم، و كسر الراء بعدها ياء مشددة مفتوحة

ابن مزنى: بفتح الميم و سكون الزاي

ابن مزنى: بضم الميم و سكون الزاي

المسيلة: بفتح الميم و كسر السين

المشدّالي: بفتح الشين، و فتح الدال المشددة

مغراوة: بفتح الميم و الراء و سكون الغين بينهما، ثم واو مفتوحة بعد الألف

المغيلي: بفتح الميم، و كسر الغين

المقري: بفتح الميم، و سكون القاف، و كسر الراء

منداس: بفتح الميم، و الدال، و بينهما نون ساكنة

بنو منير: بفتح الميم، و كسر النون

مهنّد: بفتح النون المشددة

(ن)

نبيل: بفتح النون، و كسر الباء

نفزاوة: بفتح النون، و سكون الفاء، و فتح الزاي

النفزاوي: نسبة إلى «نفزاوة»

النّوين (حسن النوين): بضم النونين، و سكون الياء

(ه)

هنتاتة: بكسر الهاء، و سكون النون، و فتح التاءين بينهما ألف

هنتاتة: بفتح الهاء

(و)

وارکلا: بکسر الراء

وبذة: بسکون الباء

ورتاجّن (بنو ورتاجن) بفتح الواو، و التاء بینهما راء ساکنة، ثم جیم مشددة مفتوحة قبلها ألف

الورتاجنّي: بفتح الواو و التاء بينهما راء ساكنة، ثم جيم مفتوحة مشددة بعد الألف

الوشتاتي: بفتح الواو و التاء، بينهما شين معجمة ساكنة

بنو وطّاس: بتشديد الطاء المفتوحة

الويعلاني: بكسر الواو

و نزمار بن عريف: بفتح الواو و النون بعدها زاي ساكنة بعدها ميم مفتوحة

و نكاسن: بفتح الواو، و سكون النون، و فتح الكاف التي وضع تحتها نقطة لتنطق كافا فارسية

(ي)

يحياتن: بفتح الياءين بينهما حاء ساكنة، ثم ألف بعدها تاء مفتوحة فنون ساكنة

يغمراسن: بفتح الياء و الغين، و سكون الميم بعدها راء مفتوحة ثم ألف بعدها سين مفتوحة، فنون ساكنة

يغمراسن: بكسر السين بعد الألف و يتفق الضبط مع ما قبله و ما يليه

يغمراسن: بكسر الغين، و السين

يغمور: بفتح الياء، و سكون الغين و ضم الميم بعدها

بويفلّوسن: بفتح الياء و الفاء، و ضم اللام المشددة، ثم سين مفتوحة بعد الواو، ثم نون ساكنة

يلبغا: بفتح الياء، و سكون اللام و ضم الباء

يملول: بفتح الياء، و سكون الميم، و ضم اللام بعدها واو

الياطي: بفتح الياء و النون المخففة

المحتويات

استهلال 7

المقدمة 11

مسار الرحلة 25

مقدمة المحقق 29

الكتاب 49

ابن خلدون- بيته- نسبه 49

سلفه بالأندلس 52

نشأته و مشيخته، و حاله 61

ولايته العلامة بتونس و رحلته إلى المغرب و توليه الكتابة عن أبي عنان 99

نكبته على يد السلطان أبي عنان 108

كتابته عن السلطان أبي سالم 110

رحلته إلى الأندلس 125

مشايعة السلطان عبد العزيز صاحب المغرب 176

فصل: رسالة إلى سلطان تونس 193

العودة إلى المغرب الأقصى 254

الإجازة ثانية إلى الأندلس ثم إلى تلمسان و اللحاق بأحياء العرب و المقامة عند أولاد عريف 263

الفيئة إلى السلطان أبي العباس بتونس و المقام بها 266

الرحلة إلى المشرق و ولاية القضاء بمصر 284
السفر لقضاء الحج 296
ولاية الدروس و الخوانق 315

- ولاية خانقاه بيبرس و عزله منها 345
فتنة الناصري 346
السعاية في المهاداه و الإتحاف بين ملوك المغرب و الملك الظاهر 369
ولاية القضاء الثانية بمصر 381
سفر السلطان إلى الشام لمدافعة الططر عن بلاده 386
لقاء الأمير تمر سلطان المغل و الططر 401
الرجوع عن هذا الأمير تمر إلى مصر 411
ولاية القضاء الثالثة و الرابعة و الخامسة بمصر 416
ملحق
ابن خلدون و الجغرافيا في المغرب في القرنين 15، 16 419
أغناطيوس كراتشكوفسكي
كشاف حضاري و فهارس 431

جدول الحتويات

[مقدمات التحقيق]
[مقدمة السويدي]
استهلال
المقدّمة
مسار الرحلة
الانطلاق من تونس أول سنة 753 ه
العودة إلى المغرب الأقصى
الخروج من المرسى و التوجه إلى مصر
مقدمة المحقق
نسخ الكتاب و اختلافها:
فروع نسخة أيا صوفيا
النسخ المتوسطة
النسخ القديمة
اسم الكتاب
نصّ الرّحلة
التّعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا (1)
نسبه
سلفه بالأندلس
سلفه بأفريقية
نشأته و مشيخته و حاله
ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها إلى المغرب، و الكتابة عن السّلطان أبي عنان
حدوث النّكبة من السّلطان أبي عنان
الكتابة عن السّلطان أبي سالم في السر، و الإنشاء
الرحلة إلى الأندلس
الرحلة من الأندلس إلى بجاية، و ولاية الحجابة بها على الاستبداد
مشايعة أبي (352) حمو صاحب تلمسان

مشايعة السّلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بني عبد الواد
فصل
العودة إلى المغرب الأقصى
الإجازة ثانية إلى الأندلس ثم إلى تلمسان و اللحاق بأحياء العرب و المقامة عند أولاد عريف
الفيئة إلى السّلطان أبي العباس بتونس و المقام بها
الرحلة إلى المشرق و ولاية القضاء بمصر (1312)
السفر لقضاء الحج
ولاية الدّروس و الخوانق
ولاية خانقاه بيبرس، (1581) و العزل منها
فتنة الناصري: (1590)
السّعاية في المهاداة و الإتحاف (1671) بين ملوك المغرب و الملك الظاهر
ولاية القضاء الثانية بمصر
سفر السّلطان إلى الشام لمدافعة الطّطر عن بلاده
لقاء الأمير تمر سلطان المغل و الطّطر (1816)
الرجوع عن هذا الأمير تمر إلى مصر
ولاية القضاء الثالثة و الرابعة و الخامسة بمصر
ملحق ابن خلدون و الجغرافيا في المغرب في القرنين 15 و 16 أغناطيوس كراتشكوفسكي
كشاف حضاري و فهارس
فهرس الأعلام
(أ)
(ب)
(ت)
(ث)
(ج)
(ح)
(خ)
(د)
(ذ)

(ر)
(ز)
(س)
(ش)
(ص)
(ض)
(ط)
(ظ)
(ع)
(غ)
(ف)
(ق)
(ك)
(ل)
(م)
(ن)
(ه)
(و)
(ي)

فهرس الأمم و القبائل و الشعوب و الطوائف

(ا)
(ب)
(ت)
(ث)
(ج)
(ح)
(خ)
(د)
(ذ)
(ر)

(ز)
(س)
(ش)
(ص)
(ط)
(ع)
(غ)
(ف)
(ق)
(ك)
(ل)
(م)
(ن)
(ه)
(ي)

فهرس البلدان

(أ)
(ب)
(ت)
(ث)
(ج)
(ح)
(خ)
(د)
(ذ)
(ر)
(ز)
(س)
(ش)
(ص)

(ض)
(ط)
(ظ)
(ع)
(غ)
(ف)
(ق)
(ك)
(ل)
(م)
(ن)
(ه)
(و)
(ي)

هيئات و مكتبات

(ج)
(د)
(م)

الألفاظ التي لها دلالات خاصة

(ا)
(ب)
(ت)
(ث)
(ج)
(ح)
(خ)
(د)
(ر)
(س)
(ش)

(ص)
(ط)
(ع)
(ف)
(ق)
(ك)
(م)
(ن)
(ه)
(و)
فهرس القوافي
(أ)
(ب)
(ج)
(ح)
(د)
(ر)
(س)
(ش)
(ف)
(ق)
(ك)
(ل)
(م)
(ن)
(ه)
(ي)
أيام العرب
فهرس الخيل
(ا)

(ب)
(ج)
(ح)
(خ)
(د)
(ذ)
(ز)
(س)
(ع)
(غ)
(ك)
(ل)
(م)
(ن)
(و)
(ي)

فهرس الكتب

(ا)
(ب)
(ت)
(ث)
(ج)
(ح)
(خ)
(د)
(ذ)
(ر)
(س)
(ش)
(ص)

(ض)
(ط)
(ظ)
(ع)
(غ)
(ف)
(ق)
(ك)
(ل)
(م)
(ن)
(و)
(ي)
(فهرس الكلمات التي ضبطها ابن خلدون بالحركات)
(ا)
(ب)
(ت)
(ج)
(ح)
(خ)
(ر)
(ز)
(س)
(ش)
(ص)
(ع)
(غ)
(ف)
(ق)
(ك)

(ل)
(م)
(ن)
(ه)
(و)
(ي)

المحتويات